وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة / الجزائر

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

المعتقد الشعبي ممارسات و طقوس

السحر المأكول أنموذجاً

– مقاربة أنثروبولوجية بمدينة تبسة –

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل. م. د في العلوم الاجتماعية

تخصص: أنثروبولوجيا

إعداد:

ط. د/ هيبة بوعروج

إشراف:

أ. د/ نور الدين جفال

اسم و لقب الخبير	الرتبة	الصفة	الشعبة	الجامعة
جمال عناق	أستاذ محاضر (أ)	رئيساً	علم الاجتماع	جامعة تبسة
نور الدين جفال	أستاذ تعليم عالي	مشرفاً و مقرراً	علم الاجتماع	جامعة تبسة
فيروز صولة	أستاذ محاضر (أ)	ممتحناً	علم الاجتماع	جامعة تبسة
حاتم بن عزوز	أستاذ محاضر (أ)	ممتحناً	علم الاجتماع	جامعة تبسة
سليم درنوني	أستاذ تعليم عالي	ممتحناً	علم الاجتماع	جامعة بسكرة
حبيب بن صافي	أستاذ محاضر (أ)	ممتحناً	علم الاجتماع	جامعة البيض

السنة الجامعية: 2021 – 2022

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي – تبسة/ الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم علم الإجتماع

المعتقد الشعبي ممارسات و طقوس

السحر المأكول أنموذجاً

– مقاربة أنثروبولوجية بمدينة تبسة –

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل. م. د في العلوم الإجتماعية

تخصص: أنثروبولوجيا

إعداد:

ط. د/ هيبة بوعروج

إشراف:

أ. د/ نور الدين جفال

إسم ولقب الخبير	الرتبة	الصفة	الشعبة	الجامعة
نور الدين جفال	أستاذ تعليم عالي	مشرفاً ومقرراً	علم الإجتماع	جامعة العربي التبسي

السنة الجامعية: 2022/2021

آية الكرسي سورة البقرة آية ٢٥٥

شكر و عرفان

نحمد الله إذ أنعم علينا بإتمام هذا العمل... نجمده وندعوه أن يوفق كل طالب علم ويسدد خطاه إلى ما ينفع البلاد والعباد

بهذا الصدد أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من ساهم من قريب أوبعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى من وقف بجانبي طوال مشوار دراستي... إلى أستاذي الفاضل المشرف على أطروحة الدكتوراه

د. نور الدين جفال

وأتقدم بكل الاحترام والتقدير إلى الأستاذة الفاضلة مسؤولة تخصص (أنثروبولوجيا) في كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية. جامعة العربي التّبسي – تبسة/ الجزائر

د.وسيلة بروقي

وأشكرها جزيل الشكر على ما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات قيمة كانت ثمرتها هذا العمل بفضل الله عز وجل.

وأتقدم بكل فخر وإعتزاز بشكري الخالص الجميل للأستاذ

أ. د. عبد الحسن جدوع عبد العبودي

أستاذ تعليم عالي. تخصص (اللغة و النحو). ورئيس قسم سابق في كلية التربية الأساسية. جامعة الكوفة/ العراق. الذي كان له الفضل الكبير كـ (مدقق لغوي) بشكل ودي حين ساهم في إتمام هذه الأطروحة وإخراجها في شكلها النهائي

كما أتقدم بشكل خاص بشكري الخالص العطر لكل الأساتذة الأكارم الذين ساهموا في تحكيم دليل المقابلة

من خارج الجزائر؛

أ. د. محمد نجيب بوطالب

أ. د. عبد الحسن جدوع عبد العبودي

د. سرمد جاسم محمد الخزرجي

ومن داخل الجزائر؛

د. رضوان زعموشي

د. زهرة شوشان

الإهداء

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

" ... **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**... "

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

" اللَّهم صلي وسلم على سيدنا (محمد) عدد ما ذكره الذاكرون وصلي وسلم عليه عدد ما توارى عن ذكره الغافلون "

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة... ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين...

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى أغلى من كان في هذا الزمان... إلى من أعطاني الحب والحنان... إلى من علمني الصبر والإحسان... إلى من أمرني الله أن أخفض له جناح الذل من الرحمة...

إلى من سألت الله أن يرزقني بره في حياته... إلى **(أبي قرّة عيني)**

إلى من كان لها الفضل بعد الله تعالى في وجودي... إلى نبع الحنان والحب الأبدي في حياتي... إلى من ضحت من أجلي وتعذبت حتى ترى إبتسامتي... إلى الكلمات المكتوبة في قاموس أشواقي... إلى ملاكي الذي يسكن أعماقي... **(أمي الحبيبة)**

إلى قدوتي ونبراسي الذي ينير دربي... إلى من أخذوا بيدي إلى شاطىء الأمان... إلى من رفعت رأسي عالياً إفتخاراً بهم **(أخي عنتر).(أخي الطاهر).(أخي رمزي). (أخي محسن)** و **(أختي بسيمة)**

إلى صديقتي المقربة وأختي الثانية صاحبة الأخلاق الرفيعة

(د. فضيلة عرايبية)

إلى كل **(زملائي و زميلاتي الأكارم من خارج الجزائر)** من الذين عملت معهم بتقنية التواصل عن بعد في (زمن كورونا) وشاركوا معي فرحة إعداد هذه الأطروحة لمدة أربع سنوات

إلى كل **(زملائي وزميلاتي الأكارم من داخل الجزائر)** من الذين عملت معهم في كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

كما أتقدم بفخري وإمتناني لكل أساتذة التخصص كل بإسمه ومقامه في جامعة العربي التبسي – تبسة/ الجزائر

مقدمة

مقدمة

عرفت معظم المجتمعات الإنسانية منذ العصور التاريخية المتتالية إلى عصرنا الحالي التَّسميم بـ معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) الذي يتسلل إلى جسم الإنسان وجسم الحيوان مروراً بالحواس الخمسة فيسمى علمياً أيضاً بالسحر الجسدي لقوة أعراضه وأمراضه الباطنية والنفسية والعقلية... إلخ. حيث أشارت السجلات التاريخية المصرية والرومانية واليونانية... إلى خطر التَّسمم بهذا السُم العدواني المسمى بـ ." التوكال الأسود" و غير العدواني المسمى بـ " التوكال الأبيض "؛ أين نجد الأول منه يمارس بهدف الكره والعداء أما الثاني فيمارس بهدف المحبَّة والجلب... إلخ. حينها حارب الغرب والعرب هذا الأذى بشتى الطرق والوسائل، وقد حرصت شعوب البحر الأبيض المتوسط منذ القدم على تكريس إحتياطات وقائية في المأكل وفي المشرب ومن خلال سحر توكال " ضربة العين " و سحر توكال " ضربة الحسد " وجدناها باديةً حين تصحبها رهبة شديدة في الممارسات والطقوس التبسيَّة من خلال الأعياد الدينية والأفراح والمآتم وحتى في الأيام العادية.

قد تصدرت طائفة من الدراسات العلمية والأنثروبولوجية الحقلية التي صنفت من أكثر فروع المعرفة تناولاً للمواد السامة والمركبات السحرية في الواقع المعاش، إذ شملت العديد من الدراسات الميدانية منها دراسة: " مالينوفيسكي برونيسلاف Bronislaw Malinowski "، (الحياة الجنسية للبدائيين في شمال غربي ماليزيا)، لندن، 1968، فقد إستخدم مصطلح الشعوذة لوصف السحر المؤذي بوجه عام، ثم أدرجه على أنه يستخدم لعقاب اللصوص، أما الصحفي الأمريكي " إيزاك ماركوسون Isaak Markuson "، (مغامرة إفريقية)، الكونغو، 1961، وصف كيف أشتهر مشعوذ بعلاجاته السحرية بإستخدام مادة حمراء تبيَّن لاحقاً أنها لحوم بقر معلبة مع مواد وأشياء لها غرابة سحرية، وقد تميزت أعمال " دموقريطوس " (420 – 37047 ق. م)، في نصه (كيروميكتا)، الذي شرح فيها الخصائص السحرية للنباتات والأحجار والحيوانات وتأثيراتها العلاجية والسُمية، فاعتبره البعض أبو العلم (ديفيز، 2014، ص ص 32 – 42)، فكان موضوع " علم السموم Toxicology " قديم النشأة، فذكرت بردية (إيبرس)، (أقدم مخطوطة علمية مكتشفة حوالي 1500 ق. م)، معلومات متعلقة بالعديد من السموم:

(نبات الشكران Hemlock، خانق الذئب Aconite، الحنظل L'amer، الأفيون Opium) والمعادن: (الرصاص Conduire، والنحاس Cuivre، والأنتموان Antimoine)، وحسب نصه أن نبات الشكران هو السُّم الرسمي عند اليونان، وقد وضع ل " سوقراط Socrate "، في شرابه وتمَّ إعدامه، ومنها دراسة: " موسى بن ميمون " في العصر الحديث (السموم وترياقاتها)، 1198، والذي يعتبر مرجعًا للإسعافات الأولية في مجال " التَّسميم Poisoning " والإنتحار بسموم الحشرات والأفاعي والكلاب المسعورة، وحتى لا ننسى كتاب " إبن سينا " (980 – 1037 م)، (القانون في الطب)، أورد فيه سموم من أصل نباتي وحيواني (الحيالي، 2018/12/29، 15:12).

حيث وجدنا العديد من الدراسات الأخرى في هذا الموضوع أثناء الحقبة الإستعمارية في المغرب، منها دراسة: الطبيب الشرعي " شارنو "، (وصفات التَّسميم الشعبية المعروفة بإسم التوكال)، و " شارل لوكور Charles Lokur "، (الطقس و الأداة)، والطبيب النفساني " موشون " الذين بحثوا في كل ما يخص وصفات السحر والأسطورة و المخيال الشعبي. نحاول من خلال هذا الفصل أن نعرض للقارئ الجانبين؛ الطقوسي التَّسميمي و التطبيبي السحري لظاهرة السحر المأكول، وكذلك نعمل على التركيز بشكل رئيسي على أكثر الوصفات السحرية شيوعًا وإيذاءًا، وما يترتب عنها من أمراض عضوية، وروحية، وعقلية.

وعلى هذا الأساس قمنا بمقاربة أنثروبولوجية؛ حول معتقد التَّسميم بـ وصفات وجرعات السحر المأكول ذلك من خلال الكشف عن الدلالة الرَّمزية التي يرجع لها هذا الفعل الشنيع، وكذلك رغبةً منا من أجل إرضاء ميولنا الميداني في رصد المعنى والمدلول العميق الذي يرجع إليه هذا المعتقد السحري من خلال ما وجدناه متجلياً في الممارسات والطقوس الشعبية، ومحاولةً منا لتوثيق جزء من التراث السحري المحلي حيث تمثل ذلك في إبراز أهمية هذا الموضوع كدراسة أنثروبولوجية ميدانية نجدها الأولى من نوعها في مدينة تبسة.

وللضرورة المنهجية توجب علينا تقسيم هذه المقاربة من منظور أنثروبولوجي؛ إلى **مدخل** معنون بـ " **الإجراءات المنهجية و الشبكة المفاهيمية لـ موضوع معتقد السحر المأكول** "، حيث شمل إشكالية الدراسة وتساؤلاتها، مع الإشارة إلى أسبابها وأهميتها

وأهدافها، وبالإضافة إلى أهم النماذج المنهجية والتفسيرية مع أهم الأدوات والتقنيات التي تمَّ توظيفها في هذا الموضوع، كما تمَّ إدراج ترسانة مفاهيمية إشتملت على مفاهيم أساسية وأخرى متعلقة قد إرتكزت عليها الدراسة.

حيث تمَّ تقسيمها أيضاً إلى " **أربع فصول** " جاءت كالآتي: **الفصل الأول** عنوناه بـ " **تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) من منظور أنثروبولوجي سحري** "، حاولنا من خلاله التعرف على الفرق بين العين والحسد، الأفراد التباسَّة والإعتقاد بضربة العين الحاسدة حيث يظهر تصنيف مجتمع البحث لهذه الظاهرة من خلال أربع فئات كلاً منها على حسب إعتقاده وإيمانه، مع تبيين أسباب توكالها، وكيفية الإصابة بها بدايةً من عين الشخص العائن أو من نفس الشخص الحاسد ووصولاً إلى بدن الشخص المعيون أو وصولاً إلى بدن الشخص المحسود، وكذلك تمَّ الحديث عن أنواعها وأعراضها الجسمية والاجتماعية مع تناول قصص وروايات متعلقة بمدى أذيتها موثقةً في التراث الشعبي الشفوي الذي يحمل الطابع السحري التَّسميمي لدى أفراد المجتمع التّبسي.

ونجد **الفصل الثاني:** من المقاربة موسوم بـ " **معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المقاربة الأنثروبولوجية** "، ركزنا من خلاله على التطرق لأنثروبولوجيا السحر المأكول في وجهات النظر التاريخية، ثم إلى وصفات السحر المأكول في المعتقد السحري التّبسي، وكذلك إلى إبراز كيفية كتابة وصفات السحر المأكول الرسمية مع إبراز كيفية ممارسة تلك الوصفات في مدينة تبسة.

أما **الفصل الثالث** فعنوان بـ " **طقس التَّسميم بـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي** "، حيث وضحنا من خلاله خصائص النباتات والحيوانات والمعادن وخصائص بقايا جسم الإنسان التي تمارس في جرعات السحر المأكول المطبخي، وإضافةً إلى ذلك التطرق إلى مخلفات الأمراض الباطنية التي تنجم عن طقوس السحر المأكول التي هي في الحقيقة تحت قبضة ملوك الجن والشياطين، وكذلك محاولة إبراز المعنى و المدلول من إثنوغرافيا جرعات السحر المأكول التي تبدأ من المطبخ النّسوي التّبسي، حيث وصفنا وحللنا واقع ظهور سلطة القانون الجنائي كمهمش أنثروبولوجي أمام سلطة السحر المأكول في مدينة تبسة، وأخيرا تطرقنا إلى الدلالة الرَّمزية من وراء ممارسات وطقوس السحر المأكول لدى أفراد المجتمع

التّبسي وذلك من خلال محاولة الكشف عما تحمله من معاني ودلالات رمزية وما يرافقها من طقوس تعكس نمط المجتمع ككل.

وفي **الفصل الرابع** والأخير الذي عنوناه بـ " **رُقوة الطب الرُّوحاني تنجع في تطبيب مرض السحر المأكول (سحر التوكال) بين الطقس و الأداة** "، أين بينا من خلاله الجذور الأولى لقصة مرض السحر المأكول المعدي و غير المعدي، وكذلك إلى تاريخ تطبيب السحر المأكول بدايةً من الطب السحري إلى الطب الحديث، وبالإضافة إلى نظرة العلماء الأنثروبو– سوسيولوجية لـ الأرواح الفاضلة غير المؤذية و الأرواح الشريرة المؤذية، وكذلك التطرق إلى كيفية تحضير تلك الأرواح الفاضلة في الإستشفاء بـ (الطب الرُّوحاني) الذي ينهي السحر المأكول في المنطقة الشرقية الجزائرية ومع توضيح كيفية تطبيب " الطبيب الرُّوحاني التّبسي " لـ مرض السحر المأكول الذي يبدأ بالأداتي و ينتهي بالطقوسي حيث وجدنا أن هذا العلاج الشعبي يمزج بين القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة الذي يعتقد من خلالهما المطبب والمريض في مدينة تبسة على أنهما العلاج السهل الميسر والنافع.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان		
الإهداء		
أ	**مقدمة**	**ث**
مدخل: الإجراءات المنهجية و الشبكة المفاهيمية لـ موضوع معتقد السحر المأكول		
11	تمهيد المدخل	**11**
12	أولاً: الإشكالية	**17**
17	1- أسباب إختيار الموضوع	**19**
19	2- أهداف الدراسة	**21**
21	ثانياً: المناهج المعتمدة في الدراسة	**33**
33	ثالثاً: أدوات و تقنيات الدراسة	**45**
45	رابعاً: فضاءات الدراسة	**54**
54	خامساً: مفاهيم الدراسة	**119**
120	سادساً: صعوبات الدراسة	**121**
122	خلاصة المدخل	**122**
الفصل الأول: تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) من منظور أنثروبولوجي سحري		
125	تمهيد الفصل	**125**
126	أولاً: الفرق بين تسميم (ضربة العين) وتسميم (ضربة الحسد) في القرآن و السنة	**130**
130	ثانياً: التَّبَاسَّة و الاعتقاد في سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) الحواسي	**140**
140	ثالثاً: أنواع و أعراض سحر توكال (العين الحاسدة) لدى أفراد المجتمع التّبسي	**155**
155	رابعاً: قصص حول أسحار توكال (العين الحاسدة) في التراث الشعبي التّبسي	**162**
162	خامساً: الرُّقوَّة الرُّوحانية لـ (توكال المعيون) و (توكال المحسود) في مدينة تبسة	**211**
212	خلاصة الفصل	**212**

الفصل الثاني: معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المقاربة الأنثروبولوجية		
215	تمهيد الفصل	**215**
216	أولاً: المقاربات النظرية في البحث	**234**
234	ثانياً: أنثروبولوجيا السحر المأكول (سحر التوكال) في وجهات النظر التاريخية	**242**
243	ثالثاً: وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المعتقد السحري التّبسي	**274**
274	رابعاً: كتابة وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) لدى أفراد المجتمع التبسي	**290**
290	خامساً: ممارسة وصفات معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة	**308**
309	خلاصة الفصل	**309**
الفصل الثالث: طقس التَّسميم بـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي		
312	تمهيد الفصل	**312**
313	أولاً: خصائص النباتات و الحيوانات و المعادن و بقايا جسم الإنسان في جرعات السحر المأكول المطبخي	**327**
327	ثانياً: الأمراض الباطنية لـ طقس جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) في قبضة ملوك الجن و الشياطين	**338**
338	ثالثاً: المعنى والمدلول من إثنوغرافيا جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ النسوي التّبسي	**345**
345	رابعاً: سلطة القانون الجنائي كمهمش أنثروبولوجي أمام سلطة السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة	**356**
357	خامساً: الدلالة الرَّمزية من وراء ممارسات و طقوس السحر المأكول (سحر التوكال) لدى أفراد المجتمع التّبسي	**391**
392	خلاصة الفصل	**392**
الفصل الرابع: رقوة الطب الرُّوحاني تنجع في تطبيب مرض السحر المأكول (سحر التوكال) بين الطقس و الأداة		
395	تمهيد الفصل	**395**
396	أولاً: الجذور الأولى لقصة مرض السحر المأكول (سحر التوكال) المعدي و غير المعدي	**412**
412	ثانياً: تاريخ تطبيب السحر المأكول (سحر التوكال) من الطب السحري إلى الطب الحديث	**419**

419	ثالثاً: نظرة العلماء الأنثروبو– سوسيولوجية لـ الأرواح الفاضلة غير المؤذية والأرواح الشريرة المؤذية.	423
423	رابعاً: تحضير الأرواح الفاضلة في الإستشفاء بـ (الطب الرُّوحاني) ينهي السحر المأكول في مدينة تبسة	438
438	خامساً: التطبيب بـ (الطب الرُّوحاني) التّبسي لـ مرض السحر المأكول يبدأ بالأداتي وينتهي بالطقوسي	467
468	خلاصة الفصل	468
	نتائج الدراسة. الخاتمة. قائمة المصادر و المراجع. الملاحق. ملخص الأطروحة	
470	نتائج الدراسة	481
483	الخاتمة	484
486	قائمة المصادر و المراجع	510
512	الملاحق	516
518	ملخص الأطروحة	519

مدخل

مدخل

الإجراءات المنهجية و الشبكة المفاهيمية لـ موضوع معتقد السحر المأكول

تمهيد المدخل:

- **أولاً: الإشكالية.**

1- أسباب إختيار الموضوع.

2- أهداف الدراسة.

- **ثانياً: المناهج المعتمدة في الدراسة.**
- **ثالثاً: أدوات و تقنيات الدراسة.**
- **رابعاً: فضاءات الدراسة.**
- **خامساً: مفاهيم الدراسة.**
- **سادساً: صعوبات الدراسة.**

خلاصة المدخل:

تمهيد المدخل:

يعتبر التَّصميم المنهجي للبحث في موضوع السحر المأكول؛ هو من أهم الركائز التي يعتمد عليها الباحث الأنثروبولوجي في تنفيذ تقصيه الحقلي، بإعتباره نشاط علمي وتخطيط واعي وعقلاني، لذا نسعى في هذا المدخل إلى الإلمام بجميع أبعاده ومتطلباته، بدءًا بإثارة مشكلة ومن ثمَّ صياغة الإشكالية، ووصولاً إلى إختيار المناهج والأدوات المناسبة لموضوعنا هذا، ذلك من خلال إعتباره موضوع بحث يصنف من ضمن الطابوهات المسكوت عنها مجتمعيًا لدى أفراد المجتمع التّبسي. هذا بالإضافة إلى الأخذ بعين الإعتبار متطلبات الموضوع المادية والمعنوية، وكذلك آجاله الزمنية الممتدة بدايةً من فترة تنفيذه إلى فترة إنجازه في شكل أطروحة دكتوراه (ل. م. د). وهذا هو حالنا في هذا العمل الأنثروبولوجي الأكاديمي والعلمي، وبإعتبار هذا الجزء هو خاص بالجانب المنهجي و المفاهيمي للمقاربة، حيث يعتبر إعتماد الأنثروبولوجيا فيه على العمل الحقلي في دراسة مواضيع محلية راهنة، وبذلك يتطلب الخروج من التقوقع المنهجي والتحرر من قيود الأدوات والمناهج التقليدية وصولاً إلى رحاب الإستحداثات المنهجية والتعدد الأدواتي في جمع المعلومات، وكذلك حاولنا التركيز على الجوانب الكيفية للكشف عن دلالات بعض الممارسات والطقوس لدى تلك المجتمعات المنغلقة ثقافيًا، لذا كان لزامًا علينا إستخدام مقاربة منهجية ومفاهيمية تتماشى مع جميع المواضيع والدراسات الحديثة في ميدان التقصي الحقلي الأنثروبولوجي، أين تمثل نوع ذلك الإختيار في مدى التسهيل للقارىء (الباحث) والمتلقي التوظيف الأمثل لها من خلال الشرح الأساسي وكذلك إستعراض الغرض المتمثل في تحقيق تلك الأهداف والنتائج المرجوة من بحث السحر المأكول (سحر التوكال) في المنطقة الشرقية الجزائرية (مدينة تبسَّة).

أولاً: الإشكالية

يطلق على مصطلح " السحر المأكول " في إعتقاد الإنسان التّبسي؛ وحسب لغته الشعبية لفظ (سحر التوكال) وهذا ما يقابله من حيث معناه العلمي تسمية (السحر الجسدي) أو (السحر الباطني) بمعنى ذلك السحر المركب من مقتنيات " السُّم الطبيعي " الشيطاني التي تسخر بهذف إمراض البدن، وهو من أكثر مواضيع السحر والشعوذة خطورة وأشدها فتكاً بالأجساد البشرية والحيوانية، حيث يقع كلا النوعين؛ الإنسان و الحيوان أمام محل التَّجريب، وكذلك لإثبات مدى فاعلية هذا الشكل المرضي الذي هو سبب طبيعي يؤدي بدوره إلى الإفتراس والإختلاس الجسدي المطلوبين من طرف ذلك الساحر المسمم بـ سُم التوكال المباشر أو بـ سُم التوكال غير المباشر.

فالمعتقد الشعبي السحري؛ كما نعرف هو أكثر عناصر التراث الشعبي مقاومة للتغير، وهذا ليس صفة " سحرية " غامضة، فهي أمور خبيئة في صدور الناس، وإذا خرجت للممارسة تكون على إستحياء شديد، بين الفرد ونفسه أو بين الفرد وخواصه، ولا تكون في العادة محلاً لكثير من الحوار والجدل، تؤدى بشكل " خاص " أو " سريع "، تحيطه إمارات رهبة وحرص زائد (الجوهري و آخرون، 2006، ص 191). فهذا الشكل العدواني المعروف في أواسط العامة بالتوكال يستهدف الإنتقام من عدو لدود من خلال تسميمه، بواسطة إعطائه مواد أو مستحضرات سامة ليأكلها أو يشربها، فتلعب الحيوانات، والنباتات، والمعادن والأبخرة، والمراهم، وبقايا أجزاء من جسم الإنسان أدوارًا مهمة في الممارسات السحرية المنتشرة على أوسع نطاق في البلاد العربية، فدماؤها ولحومها تشكل سندًا ضروريًا لطقوس طرد الشر والحصول على البركة حين تقدم كقرابين، كما تدخل العناصر الأخرى ضمن المواد اللازمة لإعداد العديد من الوصفات السحرية، فتستعمل جلودها، أطرافها، أمخاخها، عظامها، مخالبها، أو أعضائها الداخلية بل حتى فضلاتها لها فائدة سحرية (وأعراب، 2018/12/30، 20:15).

فالإنسان من نظرة أنثروبولوجية هو كائن طقوسي بإمتياز مثلما هو كائن رمزي (المحواشي، 2017/06/16، 15:02)، نقول أن ماضي الإنسان التّبسي الأسطو-طقوسي هو جزء من حاضره الحالي حتى كانت العلاقة توراثية منتقلة من جيل إلى جيل

مرورًا بالعادات والتقاليد، حين يضمر فيها المعتقد بتلاشي الأسطورة لتحل محلها التعويذة والمادة السحرية، حيث تكون هذه الأخيرة جزء من السحر والطقس السحري (نجي، 1999، ص 15).

حيث ينتشر سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) الحواسي في المجتمع التّبسي؛ أين أصاب بسمومه الإنسان و الحيوان عن طريق تلك السموم التي يقوم بنفثها شيطان من الجن يخدم هذا الأخير ضربة كليهما فيسمى بـ سحر (توكال الجن) حيث لاحظناه أنه يحمل نفس أعراض وأمراض سحر (توكال الإنس) بمعنى أن الأول منه يكون غير مباشر أما الثاني منه فيكون مباشر ومقصود. فمن معتقداتنا السحرية التَبسْيَّة؛ التي تماثل المعتقدات العربية والغربية (ضربة العين) الشريرة و (ضربة الحسد) وفقًا لما يروى في كتب التراث، ويؤكد ذلك الخوف من الطاقة السحرية المؤذية التي تطلقها النَّفس الخبيثة عن طريق النَّظرة المالحة والكلمة السحرية أثناء عملية الإبصار وأثناء عملية الإطراء، فتنطلق تلك العين عن طريق موجات كهرو – مغناطيسية شريرة تسري من عين العائن إلى بدن المعيون، لتمرض، وتسحر، وتعقد، وتقتل إما روحيًا أو عضويًا أو عقليًا أو إجتماعيًا، خاصةً إذا توكل عن سحرها ذلك الشيطان الساحر و المسمم، أين يضرب هذا الخادم سلامة المعدة والأمعاء بتفعيل أخلاط رغوته السحرية إلى جميع أنحاء جسم المصاب، ولدرء أذيتهما المحدقة بالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد لجأ الفرد التّبسي؛ إلى إقتناء التمائم وممارسة الرُّقوة الجيدة والرديئة التي تحمل في طياتها نفس المعنى الدلالي المعتقدي الشعبي.

ويمثل المطبخ السحري النّسوي؛ إضافةً إلى دوره البيولوجي المعمل التجريبي لسحر المرأة، ففيه تعد وصفاتها وجرعاتها العلاجية والسحرية البسيطة والمكونة عادةً من الأعشاب التي يتم جمعها والإحتفاظ بها في البيوت، منها مثلاً: (الشيح، الزعتر، الكمون، الكروية، العرعار...)، وقد تضاف إليها بعض المعادن: (الملح، اليطرون، الشبَّة) وبعض المواد الحيوانية الخاصة كـ (دم القنفذ، ومخ الضبع، الحرباء، الهدهد، لسان الحمار، مرارة الكبش، أضحية العيد ودمها)، ومن أهم الوصفات السحرية التي راكمتها المرأة المغربية عبر التاريخ " وصفة التوكال Recipe TOKAL " التي تستعملها

كوسيلة للإنتقام أو للدفاع عن النفس، سواء من الزوج أو الرجل بصفة عامة، أو من أي خصم منافس لها، بما في ذلك إمرأة أخرى من جنسها. ويعتقد أنَّها وصفة تحول الرجل إلى كائن وديع يطيع زوجته وينحني لرغبتها ويذعن لقراراتها، وهي وصفة سهلة وفي متناول أي إمرأة للدفاع عن نفسها أو لإسترداد حقوقها التي لا تستطيع الحصول عليها بالوسائل القانونية أو بالخضوع للقيم المجتمعية الذكورية (أعراب، 2017/05/16. 18:03).

حيث يصف الرُّقاة الشخص المريض بـ السحر المأكول (سحر التوكال) من الأشخاص الذين يفدون على مراكزهم أو يتنقلون إلى بيوتهم بـ " الموكل " أو " الممسوس " أو " المعيون " أو " المحسود ". ويتداول الناس في الحس المشترك واللُّغة الدَّارجة التْبسيَّة تسميات قريبة من ذلك، مثل: " مْعين "، " مْسْكُون "، " مْوَّقْف "، " مْوَكْلْ "، " مْضْرُوب "، " مْسْحُور "، " مْجْنُونْ " للتعبير عن الحالة المرضيَّة التي يعتقد الناس أنَّ الجن والسحر سببها، وتترجم في خلل يُصيب الجسد ويمنعه من القيام بوظائفه المعتادة، فالمرض هنا يتَّخذ المعنى الكلاسيكي الذي يعني " حدوث خلل أو إضطراب في توازن الكائن العضوي "، وهكذا فإن المريض قد يكون في حالة شعور بألم في الرَّأس، أو في البطن، أو في المعدة والأمعاء، أو في أي مكان آخر في الجسد، فيتمُّ وصف هذا المرض بالتَّعابير الآنفة، دون إطلاق أي إسم طبي آخر على المرض. وهذا الوضع يجد مبرره الكامل حينما لا يستطيع الطبُّ الحديث، أو الأطبَّاء بتعبير أدق، وصف المرض بإسم من الأسماء أو تشخيصه. كما يقول بعض الزُّوَّار. إنَّ وصف "الممسوس" عند الرَّاقي مثلاً يُرادف معنى المرض الذي يؤثر على وظائف الجسد، وحتى إذا إستطاع المريض وضع إسم محدد لمرضه بفضل تشخيص الطب الحديث الذي يكون قد لجأ إليه من قبل، فإن الراقي لا ينازعه في ذلك، وهذا ما يقودنا إلى المعنى الثاني للمرض الذي يحظى بالأولويَّة عند الرُّقاة.

إنَّ المرض الباطني؛ بمعنى حدوث الخلل في توازن الجسم ليس سوى عارض سبَّبه الجن والسحر المأكول المسلط على جسد المريض، فالتَّحديد النهائي لمعاناة المريض، لا ترتبط بعوامل داخل الجسد كالأمراض الوراثيَّة مثلاً، وإلاَّ خارج الجسد

كالعوامل البيئيَّة، بل خارج العالم الفيزيقي أيضاً، إنَّه الجنُّ. وإذا حاولنا المقارنة بين الرَّاقي والطَّبيب على هذا الصَّعيد الشَّكلي، وهي مقارنة لجأنا إليها لأنها تحدد جوهر الإختلاف في نظام الأسباب بين الطبيعي وفوق الطبيعي كما يقول " يودر ستانلي "؛ فسنجد الإختلاف قائما على هذا المستوى فقط؛ إنّ الرَّاقي لا يجادل في أنَّ المريض يعاني من ألم، أو عياء أو غثيان أو سرطان... إلخ، وفي الغالب يثمن تشخيص الطَّبيب في هذا الصَّدد حسب حكي المريض كما أخبرنا عدد من الرُّقاة الذين قابلناهم. لكن كل الإختلاف يكون لحظة تحديد سبب المرض وأصله؛ تحديد " ما يكون أوَّلاً " بتعبير إبن سينا. ففي الوقت الذي يقوم الطَّبيب بتحديد مختلف الأعراض أو متلازمة أعراض (Syndrome) بالتَّعبير العلمي، والتي تدلُّه على مرض محدد بعد أن يأخذ بعين الإعتبار السن والجنس والعرق وطبيعة العمل... إلخ، والفحزصات التَّكميليَّة عند الحاجة، فيتوصَّل إلى أصل المرض (Etiologie) أو أسبابه، وهذه الأسباب قد تكون داخل الجسد، وراثيَّة مثلاً، وقد تكون خارج الجسد، من المحيط الفيزيقي، أو في حالة قُصوى يعلن عجز الطب عن معرفة المرض؛ فإن الرَّاقي ينطلق منذ البداية بفرضيَّة يقينيَّة حول أصل المرض وسببه، ولا يرجعها إلى عوامل بيئيَّة أو جسديَّة، بل إلى الجن. وقد يقوم مثله مثل الطبيب، بتحديد متلازمة أغراض، لكن ليس لأجل تحديد أصل فيزيقي للمرض، بل من أجل تحديد أي صنف من أمراض الجن التي يُصاب بها المريض، سحراً أو مساً أو عيناً أو حسداً، من أجل تحديد الطَّريقة المناسبة للرُّقية، فالمرض حاصلٌ لا ينكره الرَّاقي وإنما يتطلَّع إلى إكتشاف علاقة الجن به (الوكيلي، 2021، ص 143).

ويظهر الطب الرُّوحاني؛ المستند على التجربة والخبرة كرد فعل تطبيبي ما ورائي فاضل على رُقوة الرُّقية الشرعية المستندة على الإختصاص والعلم من خلال تصدره الواجهة العلاجية ما فوق الغيبية لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ حيث أثبت نجاعته في تطبيب جميع تلك الأمرض الرُّوحية وجميع تلك الأمراض الباطنية والعقلية والنفسية التي خلفها مرض السحر المأكول ومرض الجان، حيث كان شفاء تلك الحالات المتسممة في وقت وجيز ومنها ما برز جلياً من خلال ممارسة مختلف الطقوس و الأدوات التطبي –

روحانية المفعمة بالحس الرُّوحي الماورائي الخيّر. وظلت ظاهرة السحر المأكول موضوع دراسة من أهم المواضيع التي يلزم تحليلها والبحث في خباياها، فهي ظاهرة أنثروبولوجية لم تنل حظاً وافراً من المعالجة، وهذا راجع إلى النقص الذي تعاني منه دراسات الثقافة الشعبية رغم الإنتشار الكبير لها في مدن الجزائر عامةً وفي مدينة تبسة خاصةً.

لذا سنحاول من خلال هذه المقاربة من منظور أنثروبولوجي إلى الإحتكاك بأفراد المجتمع التّبسي؛ ومحاولة التعرف على كيفية تشكل صورة التَّسميم بـ وصفات و جرعات السحر المأكول حسب إعتقادهم، ومن خلال هذا التصور يمكن طرح السؤال المركزي التالي:

- **ما الدلالة الرمزية من وراء المواد السحرية المستخدمة في ممارسات و طقوس تلك الوصفات والجرعات التَّسميمية المتوارثة من معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) المنتقلة من جيل إلى جيل عبر الموروث الشعبي السحري والتي يتم دس سُمها من خلال الأعياد الدينية والمناسبات الشعبية المختلفة في مدينة تبسة؟.**

ومنه تتفرع الأسئلة الفرعية التالية:

1. **ما واقع ظاهرة تسميم سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) الحواسي لدى أفراد المجتمع التّبسي بين الإعتقاد و الممارسة؟**
2. **هل يعتقد أفراد المجتمع التّبسي بوجود معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول؟**
3. **ما هي بنية الطقس وكيفية إنتظامه بما يسمح له بالإشتعال وبالتالي تفعيل العملية السحرية النّسوية لـ جرعات السحر المأكول التي يباشر في إعدادها كـ طعم تسميمي من داخل المطبخ الإثنوغرافي التّبسي؟، وما المعنى الدلالي الذي تفسره تلك الجرعات المنزلية المتوراثة من سحر (توكال الجدات) والتي هي حاضرة بقوة في وقتنا الحالي مع بنات الجدات والحفيدات؟، وفيما تتمثل تلك الجرعات الفعالة التي يعتمد عليها أغلبية القائمين بهذا الفعل الطقوسي المنزلي من هؤلاء السحرة سواء على مستوى الممارسين الرسميين أو على مستوى الممارسين الشعبيين في المجتمع التّبسي؟.**

4. **هل بالفعل الطقوسي و الأداتي الرَّمزي لـ (الطب الرُّوحاني) نستحضر واقعاً من القوى الغيبية الفاضلة التي هي لصيقة بالأفعال التطبي – روحية لوجوب نجاعة التطبيب الرُّوحاني لـ مرض السحر المأكول؟، ومن أين يستمد هؤلاء المصابون بهذا التَّسميم السحري من أفراد المجتمع التّبسي قناعاتهم العلاجية في مقدرة المطببين الرُّوحانيين على تطبيب أمراضهم الباطنية؟.**

1-أسباب إختيار الموضوع:

- تتمثل في إلقاء الضوء على إحدى المعتقدات الشعبية السحرية ألا وهي الإعتقاد في تسميم السحر المأكول وموضوع سحر التوكال؛ على الرغم من أن هذه الظاهرة هي ظاهرة عالمية، إلا أن تناولها في الدارسات الأنثروبولوجية يعد قليلاً نسبياً، وخاصة فيما يتعلق بتأثير النَّسق الشعائري، الذي يضم الممارسات الدينية والسحرية المستخدمة في مواجهة هذا النوع من الأسحار، ولكي نتمكن من توضيح ذلك للمتلقي القاريء؛ على أن أذى ومرض السحر المأكول يلعب دوراً هاماً في تحقيق بعض التواؤم في السلوك الإجتماعي، بوصفه جانباً من نسق الضبط الاجتماعي، حيث يمثل إتخاذ الوسائل والأساليب والمقتنيات والأدوات المتعددة القائم عليها هذا الشكل الخطير من التَّسميم، أين يعمل كفعل أنثروبولوجي له ردة فعل قاسية من طرف أفراد المجتمع المحلي تجاه هؤلاء الأشخاص الذين يؤذون الآخرين مع سبق الإصرار والترصد، سواء كان هذا الفعل من الأسحار هدفه السحر الأبيض (سحر المحبَّة و الجذب) أو هدفه السحر الأسود (سحر الكراهية و التفريق)، حيث أن هذا الشكل العدواني (النوع الثاني) هو أشد خطراً من نوعه الأول، بإعتباره يؤثر على العلاقات الطيبة التي يجب أن تسود بين أعضائه، ولا شك في أن دراسة عناصر التراث الشعبي المرتبطة بالمعتقد الشعبي السحري وموضوع السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ من الذين إعتبروا كيفية الممارسة والإصابة بسمومه القاتلة سواء بالقتل البطيء أو بالقتل السريع، وتوضيحها على أنها ممارسات وطقوس تتصف بالعمومية في إعتقاد أغلبية أفراده، حيث وضحوا أن تلك الممارسات والطقوس تؤلف جانباً لا يستهان به من سلوك الأعضاء المحليين، مما

ساهم ذلك من خلال مساندتهم لنا في التوصل إلى فهم أعمق للحياة الإجتماعية والثقافية على الرغم من إختلاف خبرات مجتمع البحث الوجدانية والنفسية والدينية، وكذلك إختلاف بيئته الثقافية التي ينفرد بها عن غيره من المجتمعات الجزائرية الأخرى.

- محاولة التعرف على أكثر وصفات و جرعات (التَّسميم الشعبي) التي يباشر في إعدادها في سرية تامة أغلبية أفراد المجتمع التّبسي، والتي تظهر لنا بارزةً من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي، حيث يعرف هذا الأخير أنه كإضافة لدوره البيولوجي المعمل السري لسحر المرأة، فهذا النوع من الأمكنة يتواجد به السُّم الأكثر تعاطيًا، وتسميمًا، ومرضًا، وينطوي في جانبيه: (الطقوسي السحري) و (التَّطبيبي السحري)، فهاذين المصطلحين يحملان الطابع التَّسميمي الخطير، الذي يعكس ثقافة الفرد المحلية، التي تحمل تراث شعبي معتقدي يظهر من خلال الطقوس والممارسات اليدوية لدى هؤلاء الأشخاص القائمين بالفعل السحري نذكر منها؛ (الصلوات، النذر، التمنيات، التعازيم الإستعطافية، و الوقائية)، تؤمن جميعها دلالة رمزية متشابكة بين الإنسان التّبسي والعالم الميتافيزيقي في مجال السحر والخفي، وفي مجال السحر المأكول بصفة خاصة أي ذلك النوع المتشكل من مقتنيات؛ (السحر النباتي، والسحر الحيواني، والسحر المعدني). ومقتنيات أخرى كـ (بقايا من جسم الإنسان)، وكذلك سعينا جاهدين من أجل التعرف على كيفية تسخيرها بطرق متنوعة في المناسبات الشعبية الدينية منها والإحتفالية، بمعنى حين يتم زج تلك المستحضرات السامة في طعام الضَّحية لتخترق جسده إنساناً كان أو حيواناً حيث يكون ذلك عن طريق ملامسة أحد الحواس.
- هناك عدة أسباب لإختيار موضوع ضربة سحر " توكال العين " وضربة سحر " توكال الحسد " في المعتقد الشعبي السحري لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ الذي يعتبر أغلبية أفراده أن صيبة العين والحسد لها علاقة مباشرة بموضوع (سحر التوكال) الحواسي، وهذا نتيجة تشارك هاتين الأخيرتين في نفس أعراض وأمراض التَّسميم التي تحدث داخل بدن المتسمم، وبإعتبارهما ظاهرتين عالميتين، ومعتقدين شعبيين

سائدين في مجتمعنا المحلي الذي له خصوصيته الثقافية التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات الأخرى، أمَّا السبب الثاني فيرجع إلى الإيمان بالحسد وضربة العين الشريرة وهما من أكثر المعتقدات السحرية شيوعاً عند الأفراد التباسَّة؛ وقد لمسنا ذلك من خلال إقامتنا الدائمة في المنطقة وأثناء مقربتنا العميقة من أفراد العينة القصدية الهدفية التي تمَّ إختيارها، وكذلك من خلال دراستنا التي تقدمنا بها من قبل لنيل شهادة الماستر في الأنثروبولوجيا العامة، حيث لاحظنا إنعكاس ذلك على مختلف جوانب حياتهم، وأحاديثهم اليومية عن تلك الطاقة السحرية المدمرة التي تطلقها ضربة العين الملعونة، وبالإضافة إلى ذلك أخذنا الفضول إلى التعرف على سبب شيوع تلك المقتنيات المختلفة المستخدمة في دفع سُمية العين الحاسدة، أين يرجع أعضاء مجتمع البحث أي ضرر أو مرض يصيبهم إلى صيبة توكال هاتين الإثنتين.

- إلقاء الضوء على طرق الإستشفاء بالرُّوحانيات؛ ما يسمى بـ (الرُّقوة الشعبية الرُّوحانية) عن طريق الطب الرُّوحاني. الذي أثبت نجاعته في تطبيب جميع تلك الأمراض التي عجز عن تطبيبها الطب الحديث، حيث يظهر ذلك من خلال تطبيب مختلف الإضطرابات السلوكية، وأمراض العقم لدى الرجال والنساء، والإجهاض والإسقاط المتكرر للأجنة، وهناك أمراض أُخرى متنوعة يقصدها الرجال والنساء والصغار والكبار طلباً للشفاء، وهي عادةً ما يكون سببها المباشر سحر مأكول ممارس من فترة ما بعد الولادة. ومن أهم الجلسات الرُّوحانية التي حضرناها هي جلسات: (الأمراض الجلدية، الصرع، التيفوئيد، عرق النسا، الشقيقة، شلل العصب الوجهي، خفقان القلب، طنين الأذن، ضعف النظر، شلع السرة، الإرتجاف الشديد، وأمراض المعدة والكولون العصبي).

2-أهداف الدراسة:

- من الخطوات المنهجية في الأعمال الأكاديمية أن لا يخلو البحث من مجموعة أهداف قد يسعى إلى تحقيقها، حيث كان الأمر بالنسبة لمقاربتنا التي تصبوا إلى تحقيق جملة من الأهداف منها: محاولة تفكيك بنية المجتمع التّبسي وإستنطاق

أفراده، خاصة أنه مجتمع يتخبط أفراده في ثنائية الحديث والتقليدي، وإستنطاقنا لهذا المجتمع إقتصر على أكثر المعتقدات الشعبية التي لها علاقة وطيدة بسميَّة سحر التوكال الحواسي ألا وهي معتقد؛ " العين الشريرة " و " الحسد "، وكذلك حاولنا الكشف عن أكثر " المقتنيات تسميماً في التراث الشعبي السحري " و " كيفية الإصابة بمرض السحر المأكول " وما يترتب عنه من أعراض وأمراض باطنية كثيرة، يرجع سببها إلى هذا التَّسمم الإجرامي، يكمن هدفنا الآخر في التعرف على أهم تطبيبات " الطب الرُّوحاني " المنتشرة لدى أفراد المجتمع التّبسي والتي تقف في مواجهة هذا النوع المنتشر من الأسحار الباطنية، وذلك عن طريق تسليط الضوء على الظاهرتين الأنثروبولوجيتين في آن واحد مع إبراز مختلف الأساليب التطبيبية المستخدمة في العلاج، بإعتبار أنه أثناء ممارسة طقوس تلك الوصفات و الجرعات التَّسميمية عادةً ما ينظر إليها من طرف هؤلاء الأشخاص المسممين على أنها سلوك إيجابي وواعي خاصةً فيما يتعلق بـ (تزويج البائر، رد المطلقة، ترييض الزوج الهارب عن زوجته... إلخ)، في حين أن هذه السلوكيات تكشف عن رواسب التفكير الخرافي التي لا تزال موجودة لدى الفرد التّبسي الذي يعتبر بدوره إنسان أسطو – طقوسي من الدرجة الأولى.

- إعطاء نبذة مفصلة للقاريء المتلقي حول موضوع السحر المأكول، ذلك عن طريق ذكر أكثر وصفاته و جرعاته التَّسميمية التي تمارس وتبدأ من داخل البيوت، والتي عادةً ما تركب في شكل (سُم شعبي طبيعي) يُحرص العمل عليه من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي في مدينة تبسة، بإعتبار أن مجمل تلك الوصفات والجرعات التي عرفت عبر التاريخ إرتبطت بمجال التَّسميم الشعبي المباشر منه و غير المباشر.
- التعرف على الدلالة الرَّمزية المعتقدية التي يستند عليها معتقد السحر المأكول من خلال هذه المقاربة الراهنة، عن طريق توظيفنا للمناهج والأدوات المناسبة وبما يتماشى ومتطلبات البحث. وكذلك محاولة التطرق أيضاً إلى ذلك الإنتقال الساري المفعول الذي شهدته أنثروبولوجيا السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي بدءًا

من الجانب التَّسميمي ووصولا إلى الجانب التَّطبيبي.

- تسليط الضوء على أحد المعتقدات الشعبية السحرية التي هي متوارثة من أيام سحر الجدات والتي إنتقلت عبر العادات والتقاليد إلى بنات الجدات ووصولاً إلى الحفيدات... إلخ، هذا لأنه قد ينظر إلى هذا السُم الشعبي من طرف أغلبية أفراد العينة المختارة من (فئة النّسوة) على أنه سلوك إيجابي وواعي، بعتبارهن يمتلكن الجزء الأكبر من فئة الممارسين لهذا الطقس من الأسحار، في حين تكشف هذه السلوكيات عن رواسب التفكير الخرافي التي لا تزال حيَّة وللأسف على الرغم من التقدم العلمي والفكري للفرد التّبسي.

ثانياً: المناهج المعتمدة في الدراسة

إعتمدنا من خلال مقاربتنا المنهجية إلى تفسير ظاهرة السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ حيث كانت عن طريق إستخدام النهجين أو المعبرين التاليين: المنهج الوصفي، والمنهج المعرفي، وبالإضافة إلى الإتجاه التاريخي أو (أداة التاريخ)، وبإعتبار الإثنوغرافيا الأرضية الخام في البحوث الأنثروبولوجية قد إرتأينا الملاحظة بالمشاركة (الملاحظة بالمعايشة) كأداة رئيسية لجمع المعلومات، والمقابلة المعمقة من خلال تسجيل كل ما يسمع من طرف المبحوثين في مجمل الأوقات الصعبة عن طريق أداتي التسجيل الصوتي والتصوير الفوتوغرافي كواسطة بين الباحث الفعلي والعينة القصدية الهدفية التي تمثل المبحوثين الأصليين، وكذلك إعتمادنا على شهادات الأشخاص المصادر من فئة الإخباريين.

- **خصائص منهج الدراسة:**

تتطلب الدراسات الأنثروبولوجية تنوعاً في المناهج منها ما هو مشترك مع بعض فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية، ومنها ما هو خاص بعلم الأنثروبولوجيا، وبإعتبار منهجية البحث قائمة على المنهج الكيفي، ومستندةً على البحث الإثنوغرافي يستلزم بالضرورة إستخدامها في أدوات البحث الأنثروبولوجي.

فـ " المنهج " هو ترجمة للكلمة الإنجليزية (Method) والكلمة الفرنسية (Method)، إستعملها " أفلاطون " بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، وإستعملها "

أرسطو " بمعنى البحث، حيث أستخدمت بدءًا من عصر النهضة الأوروبية وتعني طائفة من القواعد العامة المسوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم وتستخدم الآن لتشير إلى الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة (حسن، 1977، ص 201)، ونستطيع أن نقول : إن " ... المنهج هو العنصر الثابت في كل معرفة... " (دواق، 1436 هـ – 2015 م، ص 130).

ويعرف "المنهج" في المعنى الإصطلاحي على أنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " (بدوي، 1963، ص 34)، لقد فصل " مختار رحاب " في مقاله: " مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي في موضوع أسماء الأعلام "، على أنه قد شاعت كلمة " منهج " أو " مناهج " في العلم الحديث، وكانت أكثر شيوعا، في مجال العلوم الإجتماعية خاصة، علم الإجتماع والأنثروبولوجيا.

وحسب العديد من العلماء والمفكرين، فإن كلمة منهج هي وليدة المباحث والميادين المنطقية، حيث يقول في هذا المجال العالم الفرنسي " لالاند ": " أن مناهج العلوم أو (Méthodologie)، تعد جزءًا هاما من إجراء المنطق، وميدانا أساسيا من ميادينه. وهناك العديد من المناهج والطرق التي بواسطتها يقوم الباحث بجمع البيانات التي توظف في البحوث العلمية، وفي مجال البحث العلمي لا يمكننا القول أن هناك منهجا أفضل من منهج آخر، وإنما هناك منهج مختار يكون أكثر ملائمة من غيره لدراسة ظاهرة معينة وبلا شك أن نوعية وطبيعة موضوع البحث هي التي تحدد إختيار المنهج الذي يستخدم في الدراسة، وذلك من أجل الوصول إلى الإجابة بأفضل طريقة على الإشكالية المطروحة، ونظرا لطبيعة الدراسة التي يقوم بها الباحث، التي تسعى إلى تشخيص الواقع الفعلي للظاهرة المدروسة، والعمل على معرفة الأسباب والظروف المحيطة بالظاهرة، ومحاولة فهمها فهما موضوعياً، إضافة إلى تحقيق جملة الأهداف المسطرة " (رحاب، 2014، ص 4).

ومن أبرز المناهج الأنثروبولوجية المستخدمة في دراستنا الحالية نجد:

1-المنهج الوصفي (Méthode Descriptive):

من المعروف أن المنهج الوصفي من أكثر مناهج البحث ملائمةً لتحقيق فهماً أفضل للظاهرة التي ندرسها، لأنه يساعدنا على فحص العوامل المختلفة المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة وفي وظائفها (علي محمد، 1983، ص ص 182 – 183)، إن أي دراسة ميدانية تحتاج إلى منهج تسير عليه للوصول إلى الحقائق الصحيحة والدقيقة والذي تحدده طبيعة موضوع الدراسة. وطبيعة هذا الموضوع تقتضي الوصف للظاهرة ذلك أن المنهج الوصفي هو الطريقة التي يسلكها العقل في دراسة موضوع أي علم من العلوم للوصول إلى القضايا الكلية أي القوانين العلمية... (الجوهري، 1997، ص ص 41 – 42).

ويعتبر المنهج الوصفي مرتبط منذ نشأته بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية وعليه فإن طبيعة الموضوع فرضت علينا إستخدامه من أجل جمع المعلومات النظرية ووصف الظاهرة المدروسة في موضوعنا موضوع " أطروحة دكتوراه (ل. م. د) في الأنثروبولوجيا " الذي يدور حول: " المعتقد الشعبي ممارسات وطقوس (السحر المأكول أنموذجاً). مقاربة من منظور أنثروبولوجي بمدينة تبسة "، ولا يعني هذا أننا سوف نقتصر على مجرد وصف وتسجيل كل ما يتعلق بظاهرة (السحر المأكول) والأنماط السلوكية من ممارسات وطقوس تمارس تجاه هؤلاء الأشخاص المطاردين بهذا الفعل التَّسميمي الخطير، وإنما تحليلها من أجل التفسير بما يتفق وطبيعة التساؤلات التي جاءت بها مقاربتنا الأنثروبولوجية قصد الوصول إلى ما تحمله من معنى دلالي والوظيفة التي يؤديها في الحياة الشعبية والثقافية حسب أفراد المجتمع المحلي.

وفي هذا الصدد يقول " عمر التسباني ": " أن الظاهرة الوصفية التحليلية تهتم بتلخيص الحقائق الظاهرة المرتبطة بجماعة من الناس أو عدد من الأشياء ومجموعة من الظروف أو نظام فكري أو أي نوع آخر من الظواهر التي يمكن التلخيص في دراستها ويمكن إبراز إستخدام المنهج الوصفي من خلال وصفنا للظاهرة محل الدراسة " (التسباني، 1971، ص ص 113 – 114)، وذهب " أنطوان مي ": " بأن المنهج

الوصفي يعني دراسة الإستعمال اللغوي في عمومه عند شخص بعينه في وزمان بعينه (تريكي، 2020/06/26، 14:10 د).

إن المنهجية التي تقوم عليها الأنثروبولوجيا هي الإثنوغرافيا، والإثنوغرافيا (Ethnography) هنا هي تحليل للنص فقراءته وهي العملية التي من خلالها تصبح الأنماط غير المكتوبة من السلوك واللغة أو الكلام، أو التراث الشفاهي والمعتقدات والشعائر مؤلفة لنص متسق ذي معنى ومغزى، ودور الإثنوغرافي يتمثل في التعامل مع الأحداث الإجتماعية وأفعال الأفراد على أنها نصوص يمكن عزلها مؤقتا عن الموقف بحيث يمكن قراءتها وفهم معناها أي فهم تلك النصوص فيما بعد، وفي غياب الموقف ذاته وليست منفصلة عن المضمون.

يركز " المنهج الإثنوغرافي " على الرموز الثقافية ليس في مجرد شكل منفصل عن الواقع أو في شكل مادي مخزون، أو معروض في متحف بل في وجودها وتغلغلها في نسيج الحياة الإجتماعية والثقافية كما يعيشها الأفراد في تفاعلهم الإجتماعي والثقافي لأنها تتألف من رموز معان هي أيضا عامة (الدامرداش، 2003، ص 57).

يقول: " عبد السلام نعمة الأسدي ": " أن المنهج الإثنوغرافي يقوم على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفا دقيقا بالإعتماد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها ومن ثم إستخلاص دلالاتها وإصدار تعميمات بشأنها، وبذلك يمكن من خلال هذا المنهج الحصول على صورة تفصيلية دقيقة للظاهرة المدروسة " (الأسدي، 2012، ص 187).

فالمعنى والمدلول من كلمة " إثنوغرافيا " مستخلص من مصصطلح " معارف الشعوب " وخبراتهم، أي حين يتقمص الإثنوغرافي الدور وذلك بالعيش مع الجماعة التي يراد تفكيك بنيتها الإجتماعية والثقافية، حيث يباشر بداية بتوجيه الملاحظة صوب تلك الفئة من الناس ومحاولة تسجيل كل ما يترتب عنهم من تفاصيل بيئتهم الإجتماعية عن طريق الوصف الدقيق والمكثف حيث لا يمكن للإثنوغرافي هنا أن يتجاهل أي تفصيل كبير كان أو صغير، أين يأخذ ويسجل الشيء على حسب ظهوره أول مرة وبالسمة

الثقافية الأصلية وحتى لا ننسى المكان والزمان اللذان برز فيهما حتى تحدد الحقبة ويوثق كله باللغة الأم.

ومن هنا نجد تأكيد صحة هذا الكلام عند " روبرت إيمرسون " و " راشيل فريتز " و " لندا شو " حين تحدثوا أنه: " هناك تفاصيل حسية محددة للمشاهد، والمواقع، والأشياء، والأفراد، والأفعال المهمة والأساسية ويتطلب الوصف، بوصفه أحد إستراتيجيات الكتابة، بإستعمال تفاصيل ملموسة وليس تعميمات مجردة، وإستعمال صور حسية وليس نعوتا تقويمية كما يتطلب الفورية، لكي يحيط بالتفاصيل التي تقدم عن قرب "، وينصح " جوفمان " الباحثين الميدانيين بأن يكتبوا بتدقيق وعفوية مستعملين الصيغ اللغوية للصفات والظروف (ظرف الزمان و ظرف المكان) لنقل التفاصيل، مثلا التفاصيل التي تقدم اللون، والشكل، والحجم لخلق صورة مرئية، أما غير ذلك من التفاصيل الخاصة بالصوت، ونبرة الكلام، وإرتفاع الصوت وجهارته فتوحي بالصور السمعية، وثمة غيرها من التفاصيل التي تصف الرائحة والأريج، وهي التي تعيد خلق الصور الشمية، كما أن التفاصيل التي تصور الإيماءات والحركات، وأوضاع الجسم، وتغيرات الوجه هي التي تنقل الصورة الحركية، كما يصور الباحث الإثنوغرافي مظاهر الشخصيات التي تشكل جزءًا من المشاهد الموصوفة، وذلك كي يعرض الإيطار الذي تتم فيه الأفعال والأحاديث، وينبغي على الباحث الميداني كذلك أن يصور المشهد من خلال التصرفات والأفعال أساسا، وما يصدر من الشخصية من كلام، إيماءات وأوضاع جسمانية، وحركات، فعلى خلاف وصف مظهر الشخص، يقوم عرض الصور المتتابعة للتصرفات بتسليط الضوء على دور الشخصية في التأثير في عالمها، لذلك يهذف الباحث الميداني إلى وضع يده على الصفة الفعالة للتصرف وما له من حركات مستقبلية (إيمرسون و فريتر و شو، 2010، ص ص 165 – 167 – 172).

ومن هنا يساعدنا المنهج الوصفي من التعرف على أهم مرتكزاته منها الأسس الآتية: إمكانية الإستفادة والإستعانة بمختلف الأدوات للحصول على البيانات، فالبعض من تلك الدراسات يكتفي بمجرد وصف الظاهرة كميا وكيفيا وبعضها الآخر يتعدى إلى معرفة الأسباب المؤدية إلى الظاهرة، وآخر يحاول الوصول إلى ما يمكن القيام به

لإحداث تغير أو تعديل في موقف معين من البحث، وبإعتباره يساعد الباحث على إختيار عينات مماثلة لمجتمع البحث للوصول إلى النتائج، وتوفيرا للجهد والوقت وغيرها، حيث يلجأ الباحث من خلاله إلى إستخدام التجريد حتى يتمكن من تمييز سمات الظاهرة وخصائصها، لتداخل الظواهر الإنسانية وتعقدها وصعوبة مشاهدة الظواهر في مختلف حالاتها الطبيعية، وحتى يصل الباحث الوصفي إلى إستخلاص أحكام تصدق على مختلف عناصر الظاهرة قيد الدراسة، فلا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع أو الظواهر وفق معيار محدد، لتمكنه من إستخدام التعميم لنتائجه وإستنتاجاته (ساعاتي، 2020/06/26، 15:30 د).

ولكي نستعين به كمنهج أساسي ومن خلال تطبيقه على أفراد المجتمع التّبسي؛ حيث يمكننا من أن نصف ونحلل كل ما يتعلق بظاهرة السحر المأكول والأنماط السلوكية المترتبة به سواء تجاه: " فئة الممارسين السحرة (من أصحاب الخبرة أو الإختصاص) أو فئة المعالجين (من أصحاب الطب الشعبي أو الطب النبوي أو طب الرقية الشرعية أو الطب الرُّوحاني أو فئة المعالجين بـ الطب الحديث)، أو فئة المُتَسممين من هؤلاء (المرضى)، وكذلك من خلال عناصر التراث الشعبي المرتبطة بـ الجوانب: (التَّسميمي، المرضي، والتَّطبيبي) في عمليات التفاعل بين الشخص الممارس المسمم والساحر القائم بعملية التَّسميم، وحتى لا ننسى تفاعلات المعالجين مع المرضى وردود الأفعال المترتبة عن ذلك، وبالضرورة يجب تحليلها وتفكيك خباياها من حيث المعتقد وذلك من خلال وصف المظاهر والشخصيات والأدوات والأساليب التي تبنى عليها طقوس السحر المأكول (سحر التوكال) كما يسمى باللغة الشعبية التبسيَّة، وهذا من أجل التفسير بما يتفق وطبيعة تساؤلات الدراسة قصد الوصول إلى معاني (دلالتها الرمزية) والوظيفة التي تؤديها في حياة الأفراد الإجتماعية والثقافية في مدينة تبسة.

وبإعتبار أننا من أبناء المنطقة ولنا دراسات أنثروبولوجية إستطلاعية وأكاديمية ميدانية من قبل تمثلت في بحثين علميين في نفس المنطقة، الأول تمثل في نيل شهادة: " الليسانس " في تخصص: سوسيو _ أنثروبولوجيا، من خلال عمل موسوم بـ : "تمثلات

الطالب الجامعي للسحر وإنعكاساته على الممارسة (دراسة سوسيو _ أنثروبولوجية بقسم علم الإجتماع جامعة الشيخ العربي التبسي – تبسة). دفعة ماي 2013"، والثاني تمثل في نيل شهادة: " الماستر " تخصص: أنثروبولوجيا عامة، تحت عنوان: "العين والحسد في المجتمع التبسي بين الإعتقاد والممارسة (مقاربة أنثروبولوجية منطقة الشريعة أنموذجا). دفعة 2016". حيث تمَّ إختيارنا لهذا الموضوع معتقد (السحر المأكول) كتكملة أنثروبولوجية لما تكرمنا به من قبل في موضوع السحر والمعتقدات.

2-المنهج المعرفي (Méthode Cognitive):

ليس من المحترم هو " إكتشاف المعرفة " لإحداث قطيعة معرفية... وإنما المطلوب هو (إعادة إنتاجها من جديد)، المنهج المعرفي بوصفه دالا بالصيغتين، هو: "... النموذج الذي يحاول أن يصل إلى الصيغة الكلية والنهائية للوجود الإنساني (وكلمة كلي) في إستخدامنا تفيد الشمول والعموم بينما تعني: " نهاية الشيء "، غايته وآخره وأقصيى ما يمكن (دواق، 1436هـ – 2015م، ص 131)، فالإنسان من خلال العمليات المعرفية يبني لنفسه عالما معقولا يصف فيه الأشياء المختلفة المتعددة، وعن طريق فهمنا لكيفية تكوين تلك التصورات عن الأشياء المختلفة المتعددة، وعن طريق فهمنا لكيفية تكوين تلك التصورات عن الأشياء وعن الناس، وفهمنا للمباديء التي تحكم تفاعل وتطور ونمو هذه الأفكار فإننا نكون قد خطونا الخطوة الأولى نحو فهم سلوك الإنسان داخل عالمه المعرفي (غامري، 1982، ص 93).

يقوم " المنهج المعرفي " في " التحليل الأنثروبولوجي " للظواهر الإجتماعية على دراسة وتفسير الجوانب المعرفية في الظاهرة أب بحث وتحليل أفكار وتصورات وإدراكات الناس في مجتمع معين بمعنى الإجابة عن سؤال: كيف يفكر الناس؟ وما هي الطرق المستعملة في التفكير والإدراك؟، الإفتراض العام للمنهج الأنثروبولوجي المعرفي هو أن لكل مجتمع منظومة معرفية متجسدة في الثقافة تشتمل على أنماط التفكير والسلوك وأساليب الحياة، والطريق الصحيح للتحليل الأنثروبولوجي هو التركيز على هذه المنظومة المعرفية وتحليلها، أنها لا تؤدي إلى فهم أنماط التفكير والسلوك والحياة

فحسب، وإنما تؤدي إلى توقع السلوك الآتي، ما دامت السلوكيات هي عبارة عن نماذج معرفية (مصباح، 2009، ص 179).

إن إرتباط المعرفة بالإنسان من خلال المعرفة الحقة التي تقرب الإنسان من الحقيقة الإنسانية وتعرفه بذاته وكيانه، وتفسر له موقعه الحقيقي من الوجود وفي الوجود، وكلما إقتربت المعرفة من الإنسان كانت أكثر أهمية له (النبهان، 1988، ص 8). يعرف " د. إبراهيم خليل إبراش " المعرفة الحسية أو معرفة الخبرة الذاتية (Empirical Knowledge) على أنها: " أقدم أنواع المعرفة الإنسانية، نظرا لطبيعتها التي تقوم على مجرد تكوين المعرفة والتصورات بناءا على ما تلمسه حواس الإنسان من ظواهر طبيعية أو غيرها، فالمعرفة في هذا الطور تقتصر على مجرد الملاحظة البسيط للظواهر، دون أن يحاول الإنسان أن يتعمق إلى ما وراء الظاهرة من أسباب وعلاقات مثلا مملاحظة الشخص العادي لتعاقب الليل والنهار... " (إبراش، 2009، ص 23).

ظهر المنهج المعرفي مع " مالينوفسكي " من خلال مقولته أنه: " إذا أردنا أن نصل إلى السياق الثقافي والأدوات والأنشطة والإهتمامات والقيم والأخلاق... ولا بد من أن نبحث في المفردات اللغوية لما بينها وبين تلك الأشياء من علاقات متبادلة مبينا أن الهدف النهائي من العمل الإثنوغرافي هو فهم رؤية الفرد والمواطن " وإبراز علاقة هذا الأخير بالحياة حتى يمكن فهم وإدراك رؤيتة للعالم، ويصف عالم الأنثروبولوجيا " كليفورد جيرتز " مهمة الباحث الإثنوغرافي " بأنها تتمثل في الإدراك الدقيق للفرق بين رفة العين وغمزتها، فرفة العين وغمزتها كلاهما تبدي حركة جسمانية في الظاهر" (الخليل، 06/26/ 2020، 22:09 د).

أما " إدوارد سابير " فيقول أنه: " من الصعوبة بمكان أن نفهم السمة السلوكية إلا في نطاق مفهومات الثقافة ومدركاتها التي تحوي هذه السمة " (العادلي، 1978، ص 272)، وهنا بالذات تدخل الإثنولوجيا (النياسة)، كأولوية لدى " ليفي ستراوس "، وبإعتبارها حقل علمي ومنهج وعلم أداتها الألسنية كعلم مساعد أو معتمد، ومنهجها " البنية "، كإطار موضوعي وزمني، متسم بالثبات والإستمرارية والديمومة ووفقا لنسق (سستام) حاكم للعلاقات القائمة بين عناصر هذه البنية، وحسب " ستراوس " نجد

الإثنولوجيا (Ethnology) تبحث في ما هو تحت " القيل "، وفي ما هو خلف الظاهر، وذلك بإستخدام طرائق الألسنية. ذلك بأن الثقافة تنظم بصمت المسلكيات اليومية، كما هو حال اللغة التي تشكل نموذجا للخطاب (Modèle) بمعزل عن وعي الفرد المتكلم، إذن بالمقدور، ونحن نتسلح بالأداة المعرفية الألسنية، أن نتوصل إلى البحث في البنية اللاواعية الكامنة خلف كل مؤسسة، أو وراء كل عرف أو تقليد (Coutume) بهدف الوصول إلى مبدأ في التفسير صالح لتفسير مؤسسات أخرى وأعراف أخرى، وهي المسألة التي يشدد عليها " ليفي ستروس " في إمتياز مهمة الإثنولوجيا " دراسة الأشكال اللاواعية "، ويؤكد أيضا عل : " أنه من الضروري معرفة التطور التاريخي (Dévélopement) الذي أوصل إلى الأشكال الراهنة (الحاضرة) من الحياة الإجتماعية، فهذا التطور هو الذي يسمح بتقدير وزن عناصر الحاضر في علاقاتها والمتوالية في الزمن (كوثراني، 26/ 06/ 2020، 21:22 د)، وهنا يأتي " دور الإثنولوجي " أن رؤيته للجديد يقودها دائما نموذج يكون وجوده سابقا على وجودها (السيد، س. ن. غ. م، ص 10).

ينظر " دعاة هذا المنهج " إلى عدم الإكتفاء بملاحظة سلوك الأفراد وتتبع علاقاتهم الظاهرة في المجتمع لإستخلاص صورة بنائية راسخة عن هذه العلاقات ومظاهر السلوك والنظم لأن مثل هذا النوع من التحليل هو مجرد إنعكاس كما يتصوره الباحث نفسه عن المجتمع أو كما يدركه عن المجتمع من علاقات وأوضاع ونظم وقيم وليس صورة لما يدركه الناس أنفسهم عن واقعهم الإجتماعي أو لما يتصورونه عن هذه العلاقات والأوضاع والنظم والقيم (أبو زيد، 1977، ص 248).

وهذا الإستقرار هو حقا ما يجعل المنهج المعرفي طريقا صلبًا في البحث الأنثروبولوجي المعرفي وقد إعتمدنا عليه هنا للتعرف على أهم الممارسات الشعبية بداية من الجانب التَّسميمي، المرضي ووصولا بذلك إلى الجانب التَّطبيبي، ومن بين أفراد تلك العينة القصدية المختارة التي هي مقسمة في الأساس على: " سحرة "، معالجين " شعبيين "، معالجين " روحانيين "، معالجين بـ " التَّطبيب السحري "، " رقاة شرعيين "، وأفراد قد وجدناهم " مترددين لدى فئة السحرة " قصد سحر التَّسميم، وأفراد من المرضى

وجدناهم " مترددين لدى فئة المطببين " قصد علاج هذا المرض، ومن خلال هذا المنهج يمكننا الإندماج والتعايش مع تلك العينة حيث يكون ذلك بتقمص الدور كأنثروبولوجي ذكي يخوض التحدي ويستطيع أن يظفر بميدان بحثه ويحيطه من جميع الجوانب خاصةً في مثل هكذا مواضيع والتي تعتبر من المحرمات دينياً، حيث كان هدفنا الرئيسي معرفة: (تصوراتهم، إعتقادهم، مدركاتهم، ممارساتهم الإجتماعية و الثقافية) في بعض الوصفات والجرعات التوكالية التَّسميمية المشهورة، وكذلك معرفة ما يترتب عليها من أمراض سحر مأكول، وأمراض جسدية (عضوية، عقلية، نفسية)، وأخرى إجتماعية، ثم التعرف على أهم أساليب الإستشفاء... تلك التي نجدها لدى أصحاب (الطب الرُّوحاني) في أنواعها المختلفة، وحتى نتعرف من خلال هذا المنهج أكثر على أهم نتائج تشخيص ما جاء به أصحاب (الطب الحديث) من علماء الطب الشرعي الذين كانوا هم الأدق في كشف أغلب أسباب الموت التي كثيراً ما يرجع سببها إلى هذا التَّسميم الشعبي المتوارث في مدينة تبسَّة، ومن هنا نقوم بطرح التساؤل التالي: هل نجع هذا الأخير أي الطب الحديث في معالجة مرض (السحر المأكول) أم لا ؟، وهل يمكن تفسير ذلك من خلال التركيز على تفعيل الملاحظة بالمعايشة ورصد إمكانية نجاعة تلك الطقوس (التَّسميمية و التَّطبيبية) من طقوس العبور التي يعتمدها الفرد التّبسي في عاداته اليومية وفي مناسباته الدينية و كذلك من خلال مناسباته الخاصة كـ الأفراح والمآتم التي عادةً ما ينتشر فيها هذا الشكل الهالك من الأسحار، ومن هنا توجب علينا تطبيق المقابلات المعمقة والمكثفة بالتردد على المبحوث الواحد العديد من المرات إلى حين إنشاء منهج صداقة بيننا وبين المبحوث الفعلي في عقر داره وفي مكان عملة.

3-المنهج التاريخي (Méthode Historique):

إن منهج البحث التاريخي يرمي إلى الوصول إلى المباديء والقوانين العامة التي تحكم الظواهر الإجتماعية من خلال البحث في أحداثها الماضية كيف نشأت وكيف تطورت؟ وما هي العوامل التي حكمت نشأتها وتطورها؟ والعودة إلى الماضي هو ما يميز المنهج التاريخي عن غيره في مناهج العلوم الإجتماعية، فهو منهج غير مباشر، لأنه منهج يعتمد المصادر المتعلقة بالظاهرة أو الحدث وليس بمعايشة الظاهرة نفسها.

وتشرح " بولين يونج " كيفية تعامل الباحث مع المنهج التاريخي لتوظيفه في عملية البحث الإجتماعي فتقول: إننا في البحث الإجتماعي نتعقب التطور التاريخي لكي نعيد بناء العمليات الإجتماعية، تربط الحاضر بالماضي، ونفهم القوى الإجتماعية الأولى التي شكلت الحاضر بقصد الوصول إلى وضع مباديء وقوانين عامة متعلقة بالسلوك الإنساني للأشخاص والجماعات.

وعلى هذا الأساس يعرف المنهج التاريخي بأنه: " عملية منظمة وموضوعية لإكتشاف الأدلة وتحديدها وتقييمها والربط بينها من أجل إثبات حقائق معينة، والخروج منها بإستنتاجات تتعلق بأحداث جرت في الماضي، إنه عمل يتم بروح التقصي – الناقد لإعادة البناء، وصمم ليحقق غرضاً صادقاً أميناً لعصر مضى " (إبراش، 2009، ص 142).

يستخدم المنهج التاريخي في دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن قصير أو طويل فهو مرتبط بدراسة الماضي وأحداثه فهو مستمد من دراسة التاريخ حيث يحاول الباحث فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل من خلال دراسته للأحداث الماضية والمتغيرات التي مرت عليه، فالمنهج التاريخي يدرس الظواهر القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها وذلك عن طريق الوصف والتسجيل والتحليل والتفسير لهذه التطورات إستناداً إلى المنهج العلمي في البحث الذي يربط النتائج بالأسباب، وليس الهدف من دراسة هذا المنهج هو فهم الماضي فقط ولكن للوقوف على أحداث الماضي للإستفادة من فهم الحاضر والتخطيط للمستقبل حتى يتمكن الفرد من تطوير حياته وأساليبها (مصباح، 2019، ص 46).

فمن ناحية النظرة المعدلة لإستخدام التاريخ في الدراسات الإثنولوجية نجد أن الأمريكي " ألفريد كروبر " (1876 – 1960) قد رأى أن التاريخ لا يعني فقط دراسة تتابع الظواهر والأحداث في الزمن كما فهمه الوظيفيون، وإنما يهدف في النهاية إلى إعطاء وصف متكامل لموضوع الدراسة، وبهذا يمكن إستخدام التاريخ في دراسة الوقائع والأحداث الجارية في مجتمع معين، وعلى أساس هذا التوسع في مفهوم التاريخ عند " كروبر " تكون منهج يأخذ في الحسبان الزمان والمكان، تصبح الإثنولوجيا دراسة تاريخية

في المقام الأول، ويكون هدفها التمييز بين النماذج أو الأنماط الثقافية التي يمكن إستخلاصها من الدراسة المقارنة للشعوب (مسلم، 1421 هـ – 2001 م، ص 131).

وقد إستعملناه لإبراز جذور ظاهرة (التَّسميم الشعبي) تاريخياً بإعتباره موجود منذ القدم، حيث تكمن أهميته في هذه المقاربة من خلال أجزاء التتبع التاريخي لتلك (الطقوس و الأدوات) المنحدرة من عادات (سحر الأجداد) والتي تبدأ في الأساس من المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي حيث يباشر في إقامة طقوسها الشعبذية من داخل أوكار وبيوت ممارسة السحر المأكول بمعنى تلك البيوت المخفية عن العلن، وبإعتبار المطبخ الإثنوغرافي يعرف على أنه كإضافة لدوره البيولوجي المعمل السري لسحر المرأة، فهو يحمل في أرجائه وصفات قديمة – جديدة متوارثة ومنتقلة من توكال سحر الجدات إلى توكال سحر البنات ووصولاً إلى توكال الحفيدات، يكون ذلك الإنتقال مرورا عبر الأجيال مع العادات والتقاليد حيث أصبحت ضرورة طقوسية ومشاعر سحرية غامضة تمارس آليًا من داخل المنازل، لكن بمعزل عن المعنى الدلالي والمعنى الرَّمزي الواضح أمام هؤلاء الأفراد سواء في الأفراح، أو في المآتم، أو في الأعياد الدينية الإسلامية، أو حتى في الأيام العادية، حيث يمكننا من خلال هذا النهج التاريخي توضيح تلك الوصفات المنزلية من خلال تركيبتها التَّسميمية المترتبة على أجساد الكثير من الأفراد أي وتوضيحها من خلال معرفة المقتنيات الطبيعية التي تتشكل منها تلك الوصفات والجرعات كـ: (السحر النباتي)، (السحر الحيواني)، (السحر المعدني)، وإضافةً إلى ذلك نوعها الرابع وهو (السحر ببقايا من جسم الإنسان). ومحاولة ترجمة كيفية إنتقال تلك السموم إلى جسد المصاب إنسان كان أو حيوان التي عادةً ما تأخذ المنحى الحواسي: (المأكول، المشموم، المنظور، المسموع، و الملموس).

ويمكننا أيضا من خلال المنهج التاريخي تفسير كيفية الإصابة في مخلفات الضرر المترتبة على جسم المغدور، التي ينتج عنها إمَّا حالة من القتل السريع أو حالة من القتل البطيء، يكون هدفها في كلتا الحالتين إمَّا سحر الانتقام (السحر الأسود) أو سحر المحبَّة (السحر الأبيض)، حيث يمكننا كذلك من ملاحظة عن كثب هؤلاء الفئة من الأشخاص القائمين بهذا الفعل الشنيع إمَّا من أصحاب (السحر الرسمي) الذي

يعتمد على الاختصاص أو من أصحاب (السحر الشعبي) المبني على التجربة. لذا وجب علينا الفصل في هذا البحث على غرار البحوث الأخرى التي تناولت موضوع السحر بصفة عامة في محاولة التمييز بين المصطلحين: (الرّمز) و (الدلالة) من جراء جرعات السحر بـ السُم الشعبي وما تحمله هذه الأخيرة من (معنى) و (مدلول) يظهر جلياً لدى أفراد العينة القصدية الهدفية من أفراد المجتمع التّبسي.

وحتى لا ننسى كذلك إستعانتنا بالإتجاه التاريخي كنهج قصد الوصول لطقوس وأساليب (التطبيب الرَّوحاني) الأكثر منها إستشفاءاً في مجتمع البحث، وذلك من خلال الدراسات التي قدمها المؤرخون والباحثون السابقون حول الظاهرة، وبالإضافة إلى ذلك الإستعانة بكبار السن قصد التعرف على مجمل تلك الممارسات والطقوس التي كانت تستخدم في الماضي ومعرفة مدى إستمراريتها في قتنا الحاضر.

ثالثاً: أدوات و تقنيات الدراسة

- **الأدوات المنهجية:**

إعتبر كل من " فريدريك بارث "، " أندريه غينغريتش "، " روبرت باركن "، و " سيدل سيلفرمان " على أن الأنثروبولوجيا هي حقل علمي واحد وأربعة مدارس، لها إهتمام كبير بدراسة التحولات الإجتماعية المعاصرة وهي قائمة على منهجيات البحث الميداني، عوضًا عن ذلك برز " الحقل " الذي أصبح يعرف بالأنثروبولوجيا من رحم إهتمامات نشطاء متحمسين إرتبطوا بحلقة متميزة في محبي الخير والعطاء من جماعة الكويكر (Quaker) المسيحية والنقاش التالي لظهور الأنثروبولوجيا البريطانية يعتمد بشكل كبير على مقالة تفصيلية وبشكل منظور الإنطلاق ألفها " جورج دبليو ستوكينغالإبن " حول أصول المعهد الملكي للأنثروبولوجيا (بارث و آخرون، 2017، ص ص 9 – 16 – 17).

لذا وجب على الباحث الأنثروبولوجي في ميدان بحثه أن يهتم ببداية دقيقة ترقى بدورها لنتائج بحثية تصنف كإضافة للحقل الأنثروبولوجي الخام، وجب على الباحث في مثل هذه البحوث الحقلية على أن يضطلع بالميدان ويحسن الإختيار من ناحية الأدوات الرئيسية في البحث الأنثروبولوجي (الدليمي و صالح، 1435 هـ – 2014 م، ص ص

.(103 – 102).

1-الملاحظة بالمشاركة (Participant Observer):

وهي من بين الطرق التي يعتمد عليها الباحث الأنثروبولوجي أثناء دراسته الميدانية، وتتلخص في أن يشارك في الأنشطة التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد الدراسة وهذا ما يمكنه من معرفة ثقافتهم ولغتهم وجميع أنشطتهم اليومية، حتى يكون جزءًا من المبحوثين وطوال هذه الفترة يتمكن من جمع المعلومات اللازمة لبحثه ويجري المقابلات ليستكمل دراسته (القائدي، 1994، ص 23).

أستخدمت الملاحظة بالمشاركة بنجاح في البحث الأنثروبولوجي لدراسة المجتمعات. ففي هذا النوع من الملاحظة يشترك الباحث مع المجموعة المراد ملاحظتها فيما يقومون به من أعمال وأنشطة، فهو بالنسبة لهم واحد منهم، يمر بالظروف نفسها التي يمر بها المجموعة، ويخضع لجميع المؤثرات التي تخضع لها، وقد لا يكشف الباحث عن نفسه ليظل سلوك الجماعة تلقائيا بعيدا عن التكلف والتصنع، كأن ينضم الباحث إلى مجموعة من الدعاة، أو المبشرين، على أنه فرد منهم، ويسافر معهم ويعيش معهم حياة طبيعية، أو ينضم الباحث إلى أفراد عصابة، أو أصحاب مهنة معينة، كالمعلمين، أو المرشدين. ينقل " كوهين " و " مانيون " (1990) أن الباحث " باتريك " إنضم إلى عصابة في جلاسكو (Glasco) وإستمر يمارس معهم نشاطاتهم لمدة أربعة أشهر دون أن يكتشف أمره أحد. ويتيح أسلوب الملاحظة بالمشاركة الفرصة الكاملة للباحث لدراسة كافة أبعاد الظاهرة محل الدراسة، من خلال السلوك الفعلي للمبحوثين، في الظروف الطبيعية والتلقائية، وهذا يستدعي ضرورة تعلم الباحث العادات والتقاليد، وقد تلزم اللغة، أو اللهجة، الخاصة بهذه الجماعات، إضافة إلى الجانب المعرفي المتعلق بالمبحوثين (أبو سمرة و الطيطي، 2020، ص ص 98 – 99).

ويطلق عليها من طرف بعض العلماء " إصطلاح التدخل الوظيفي وتسمى كذلك الملاحظة غير المنظمة "، وهي أداة لجمع البيانات يستخدمها الأنثروبولوجي عند إجراء الدراسة الأنثروبولوجية، وتعني بالمشاركة: أن يصف ما يشاهد من خلال مشاركته لمجتمع (موضوع الدراسة)، فإذا أراد الباحث أن يدرس مجتمعاً محلياً صغيراً (قرية)

فعليه العيش في القرية لمدة مناسبة تسمح له أن يتعرف على كل شيء فيها من خلال مشاركته الدائمة خلال هذه الفترة التي يقيمها مع أهل القرية (مسلم، 2001، ص ص 230 – 248).

قد يتطلب " البحث الأنثروبولوجي " بإعتباره يعتمد على المادة الإثوغرافية كأرضية خصبة، ملاحظة غير مشاركة، أو ملاحظة مشاركة، أو هما معا، وتتميز الدراسات الإثنوجرافية – عادةً – بقدر من الملاحظة بالمشاركة على المستوى الظاهر، وتمثل الإثنوجرافيا بحوثا متعددة الأدوات، ويستخدم الباحث الإثنوجرافي إستراتيجيات منوعة لجمع البيانات إلى جانب الملاحظة، والملاحظة المبدئية بالمشاركة توفر بيانات توجه الباحث في إختيار مداخل أخرى مناسبة، وتصنف هذه المداخل الممكنة إلى ما هو لفظي، وما هو غير لفظي (سيد سليمان، 2020/06/28، 22:14 د)، يستعمل الباحث هنا حواسه البصرية والسمعية واللمس والشعور للحصول على المعلومات المختلفة عن الأحداث والمواقف التي يتفاعل معها ويلاحظها (الحداد و النجار، س. ن. غ. م، ص 247).

وتمتاز الملاحظة بالمشاركة بصدق بياناتها وغزارتها، لأن تكون قد جمعت في بيئتها الطبيعية، ومن خلال فهم الباحث لجوانب السلوك الخفية للمبحوثين. إلا أنه يوجد لهذا الأسلوب العديد من الإنتقادات، منها أن هذا الأسلوب من الملاحظة يقتحم حياة الآخرين دون علمهم (في حال عدم إخبار المبحوثين)، وقد لا يكونون موافقين على هذا الإجراء، وهذا غير جائز أخلاقياً، إضافة إلى صعوبة التطبيق في الواقع، سواء من خلال قدرة الباحث على الإندماج في الجماعة، أو من المخاطر المترتبة على دخول الباحث إلى حياة بعض الجماعات إضافة إلى إحتمالية التحيز في البيانات التي يتم جمعها (أبو سمرة و الطيطي، 2020، ص 99).

وفي مقاربتنا هذه إعتمدنا على الملاحظة بالمعايشة فورا أثناء نزولنا إلى الميدان وقيامنا بالدراسة الإستطلاعية، ذلك من خلال ملاحظة أماكن بيع مقتنيات التَّسميم الشعبي وكذلك مقتنيات الأعشاب الطبية، ومدى إقبال المجتمع التّبسي على هذه الأماكن والأوكار، وبالإضافة إلى ذلك ملاحظة: الساحر العادي، المطبب الشعبي

الرُّوحاني، الراقي، المطبب الساحر، أطباء الطب الحديث، الأفراد المترددين قصد سحر التَّسميم والأفراد المترددين بقصد التَّطبيب ومن ضمنهم الأشخاص (الموكلين) حيث أن الأولى من هؤلاء الفئة وجدناهم أثناء مزاولتهم لمهنة السحر والتَّطبيب السحري والثانية أثناء تردد بعض الأفراد عليهم والثالثة هم هؤلاء المرضى المتواجدون في بيوتهم أين رصدناهم في الحافلات، المراكز التجارية، وتمكنا بتقمصنا للدور من سماع كل ما يدور بين الساحر والمتردد وذلك لمعرفة نوعية تلك السموم وأشكالها من توكال بدني يأخذ المسلك الحواسي أثناء إختلاسة لجسم الشخص المستهدف فيأخذ المنحى الحواسي التالي فيكون إما: (مأكولاً، أو ملموسًا، أو منظورًا، أو مسموعًا، أو مشمومًا) فحسب العالم الأنثروبولوجي الكبير " مالينوفسكي " يقول أنه: " على الباحث أن يصف بدقة كيفية إنجاز ملاحظاته في الميدان خصوصا كيف كانت بدايته ".

إن هذه الأداة قد هيأت لنا الكثير من الكم الهائل من المعلومات في مدينة تبسة؛ خاصة أثناء ترددنا لحضور الكثير من الجلسات التَّسميمية المنزلية من خلالها تعرفنا على: (الطقس و الأداة) في ميدان الوصفة السحرية والجرعة المسمومة، أمَّا العلاجية منها فعرفتنا على مختلف (الأمراض التي قد تلحق الضرر بالبدن) وتمَّ ملاحظتها عن قرب من خلال مشاهدتنا للحالات المأساوية المترتبة من جراء هذا الفعل التوكالي الذي يسمى بـ (القاتل الصامت)، حيث ظهر لنا بادياً على أوجه هؤلاء خاصة أثناء عملية التفاعل، التعجب، علامات الإستفهام، الخوف الشديد الذي أبداهما لنا الساحر المسمم والمطبب المعالج في مجمل تطبيباتهم للمرضى المترددين عندهم، فالأول منهم وجدناه يخبرهم عن مدى الثقة التامة في نجاح الطقس التَّسميمي، أما الثاني فوجدناه يفصح لهم عن حجم الأذية التي قد يشهدها البدن والتي قد تؤدي في كثير من الأحيان بحياة المريض أثناء الرُّقوة القرآنية إلى الموت المفاجيء والسريع، ومن هنا يجب أن يكون (الشخص الموكل) مهيئاً ومستعدًا لكل طارىء إمَّا الموت بـ القتل السريع أو الموت بـ القتل البطيء، وفي حين آخر نلاحظ وسائل إتقائية ممارسة نجدها متواترة في قصص و روايات الموروث الشعبي التَّسميمي والمرضي تلك الخاصة بسحر التوكال التي كانت حاضرةً وبقوة في ممارسات الحيطة والحذر في مدينة تبسة.

2-المقابلة المعمقة (Propondeur Interview):

" المقابلة " أو " الإستبار " : هي محادثة موجهة تستهدف جمع البيانات من خلال قيام الباحث بتوجيه مجموعة من الأسئلة سبق إعدادها بعناية إلى عدد من البحوثين ويقوم الباحث بكتابة الإجابة، ويقوم الباحث بإعداد إما دليل للمقابلة لمساعدته في جمع البيانات المطلوبة، ولتحقيق عناصر الدقة والتوضيح والتوجيه للمقابلة. و دليل المقابلة (Interview Guide) هو: عبارة عن قائمة تشتمل على بعض الموضوعات، وتستخدم في المقابلات غير المقننة، وتساعد على ترتيب الأفكار الهامة والتأكيد عليها. ودليل المقابلة لا يتكون من مجموعة أسئلة محددة ومحدودة كما في إستمارة المقابلة (Interview Schedule)، ولذلك تتيح الفرصة لمرونه أكثر بين الباحث والمبحوث، فعن طريق المقابلة يمكن وضع الأسئلة الإختبارية، ما يعرف بـ أسئلة المراجعة (Checking Questions) التي يقصد بها التثبيت من صحة إجابات المبحوث بدقة في إعطاء الإجابات، وهي على سبيل المثال، عبارة عن وضع سؤالين في الإستمارة لهما إجابة واحدة، ولكن صياغتهما مختلفة، وموقعهما في الإستمارة مختلف (أبو نصر، 2004، ص ص 161 – 152 – 164).

تعد المقابلة (Interview) من الأدوات الهامة في جمع البيانات اللازمة لإجراء الدراسات التربوية والإجتماعية، خاصة تلك التي تعالج قضايا أسرية أو نفسية إنسانية غامضة. وتجمع المقابلة بين ميزات الملاحظة والإستبانة، والمقابلة التي نقصدها هنا هي المقابلة التي تستخدم في البحث العلمي (المقابلة البحثية)، وليس تلك التي يستخدمها الإنسان العادي في حياته، لأهداف محددة، ومن خلال معلومات وثيقة الصلة ببحث علمي. أما " رشوان " (1985) فيرى المقابلة بأنها والمقابلة عند كل من " كوهين " و " مانيون " (1990) عبارة عن محادثة بين شخصين، يبدأها الشخص الذي يجري المقابلة إتصال شخصي بين الباحث والمبحوث بهدف جمع المعلومات من خلال أسئلة يلقيها الباحث لمعرفة رأي المبحوث في موضوع محدد، وليس بالضرورة أن تكون بين شخص يسأل وشخص يجيب، فقد يكون عدد الأشخاص المشاركين أكثر من واحد (أبو سمرة و الطيطي، 2020، ص 211).

تسمى المقابلة المعمقة أيضا بتسمية المقابلة المكثفة، وهي إحدى طرق البحث الشائعة الإستعمال بين الباحثين الكيفيين في جمع البيانات وتستعمل المقابلة المعمقة الأفراد كمنطلق للعملية البحثية، كما تفترض أن لدى الأفراد معرفة منفردة ومهمة بالعالم الإجتماعي يمكن التحقق منها من خلال التواصل الشفاهي، أي التحاور مع المبحوثين، وتعتبر هذه العملية بمنزلة جهد لخلق المعنى الذي يتم بذله بالمشاركة بين الباحث (القائم بإجراء المقابلة) والمبحوث (الطرف الذي تجري معه المقابلة) (هس و باتريشاليفي، 2011، ص 211).

وبإعتبارها أداة مرنة للبحث الأنثروبولوجي فهي ساعدتنا على الإتصال الشخصي المرتبط بالتفاعل بين الباحث والإخباري، الأمر الذي أتاح لنا الحصول على مادة إثنوغرافية وفيرة خاصة فيما يعلق بمعتقد السحر المأكول وبمدى اللجوء إلى تلك الممارسات الوقائية لدى أفراد المجتمع التبسي، وفي مدى إستخدمناها من خلال معرفة دور الراقي الروحاني ومعرفة طبيعة المشكلات الإجتماعية المترتبة عن هذا الفعل التَّسميمي كـ : (الزواج، الجذب، الطلاق، الربط، العقم، الفشل في الحب، الكراهية... إلخ)، أين أستخدمت كتقنية مساعدة في البحث الأنثروبولوجي خاصة أثناء ترددنا على المبحوث الواحد العديد من المرات، ولهذا نجد أن الملاحظة والمقابلة أوجه متصلة من الخبرة الحقلية، فالدافع من إستخدام " المقابلة المعمقة " هو السعي وراء معرفة وجهات نظر الأفراد وأسلوبهم المباشر أثناء رؤية الأشياء وتصوراتهم لها، وعن طريقها أيضا تحددت المواقف والسلوكيات ولن يتم هذا المنطلق إلاَّ من خلال إستخدام الحوار المكثف.

3-التسجيل الصوتي (Enregistrement Audio):

" التسجيل " لغة: مفردة التسجيل جذرها اللغوي (سجل)، وسجل الشيء أرسله متصلا وسجل الماء أي صبهُ صبًا متصلا وسجل الصورة أو القصيدة أي قرأها قراءة متصلة (الزيات و آخرون، 2004، ص 417)، والسجل (بفتح السين وسيكون الجيم) الدلو إذا كان فيه ماء قل أو كثر ولا يقال لها وهي فارغة سجل (الرازي، 1982، ص 287).

يذكر " عمار عباس الحسيني " أستاذ القانون الجنائي أن لفظ " التسجيل " عرفه البعض: " ترجمة للتغيرات المؤقتة لموجات الصوت الخاصة بالكلام أو الموسيقى إلى نوع آخر من الموجات أو التغيرات الدائمة ويكون التسجيل عادة بواسطة آلة تترجم موجات الصوت إلى إهتزازات خاصة... "، وعرف أيضا بأنه: " العبارات أو الدلالات التي تتضمن معلومات معينة، بصرف النظر عن لغة ونطاق تداولها، في حين عرف البعض " التسجيل الصوتي " بأنه: " حفظ الأحاديث على المادة المخصصة لإعادة الإستماع إليه "، حيث تطرقت التشريعات المقارنة الخاصة بحماية حق المؤلف والحقوق المجاورة إلى تعريف التسجيل الصوتي: " كونه يعد أحد المصنفات المشمولة بالحماية القانونية "، ومنها أيضا قانون حماية حق المؤلف والحقوق المجاورة السوداني لسنة 1996 بالقول: " التسجيل الصوتي، أي تثبيت سمعي مقصورًا على التمثيل أو لأي أصوات أخرى على مادة ناقلة كالشريط أو الدسك... إلخ " (الحسيني، 2017، ص ص 150 – 151).

وتعتبر أداة التسجيل الصوتي (Voice Thread) سهلة الإستخدام، ويمكن إستخدام هذه الإستراتيجية مع أي موضوع يتضمن تغييرًا عبر الزمن. على سبيل المثال، إن كان الطلاب يزرعون بذورًا، فإنهم يستطيعون تسجيل تأملاتهم يوما بيوم ويصفون بالكلمات ما يرونه، كيف تختلف الأشياء، ولماذا _ من وجهة نظرهم _ تحدث هذه التغيرات. يمكنهم أيضا أن يلاحظوا نباتات وملائهم في الصف، يقارنوا ويصفوا الفوارق بإستخدام أداة تسجيل صوتي (بودي و تادي، 2020/06/29، 15:06 د).

وتعرف التسجيلات الصوتية (Recorders Sound) أو التسجيل الصوتي: " بأنه عملية حفظ الأصوات وتخزينها بطرق مختلفة وبإستخدام أجهزة متنوعة، وذلك من أجل إعادة سماعها حين تدعو الحاجة لذلك، كتسجيل أصوات الطيور والحيوانات والموسيقى والإنسان وأي صوت مهما كان مصدره، وتنقسم التسجيلات السمعية على أساس الآلات المستعملة في عرض موادها إلى الأنواع التالية: (الحاكي، مسجلات البكرة المفتوحة، مسجلات الكاسيت العادي، البطاقات السمعية، مسجلات الكاسيت المصغرة، مسجلات الكارتردج) (جمال الدين و العمري، 1429 هـ – 2008 م، ص 258).

ويعود تاريخ إنتاج التسجيلات الصوتية بكافة أشكالها: الأسطوانة (Cylinder) المسطحة، والقرص (Disc) والشريط (Wires) والأسلاك (Tape) إلى عام 1877، وقد إشتغل في إنتاج هذه التسجيلات الصوتية لأول مرة وفي وقت واحد مخترعان أحدهما فرنسي والآخر أمريكي، كل على حدى، فقد كتب المخترع العالم والشاعر الفرنسي " تشارل كورس Charles cross " في 18 أبريل سنة 1877 رسالة وصف فيها خطوات وكيفية إنتاج تسجيلات صوتية، ويعود ذلك إلى حالته المالية المتواضعة التي لم تمكنه من إنتلج وتصنيع نموذج علمي، وللحفاظ على حقوقه في الإختراع أودع نسخة من هذه الرسالة في أكاديمية العلوم في باريس في 30 من أكتوبر 1877 (أحمد، 2016، ص 26).

ولعل إبتكار التسجيل الصوتي الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين، قد عمل بصورة حاسمة على تثبيت هذه الأصول الشكلية لغناء المقام العراقي، وأمست هذه التسجيلات الصوتية في غناء المقامات العراقية بأصوات مغني تلك الحقبة وما بعدها، مرجعا لكل المغنين الذين عاصروا حقبة ظهور هذا الإبتكار الصوتي وكل اللاحقين لهذه الحقبة (الأعظمي، 2009، ص 142).

وكان إستخدامي كأنثربولوجية في الميدان التّبسي؛ لهذه الأداة بغية أن لا نحيف المبحوث الذي هو أمامنا أثناء طرح الأسئلة عليه، وخاصة في مثل موضوعنا هذا الذي يعتبر حساس ودقيق تبسيًا، وللكشف عن مخلفاته البدنية الخطيرة من مضاعفات مرضية قد يجهلها الكثيرون منها: وجبات التسميم الغذائية، الحيطة والجانب الوقائي...إلخ، فهذا المرض يؤدي بالضرورة إلى ظهور عدة أمراض مختلفة سواء من خلال نظرة (أصحاب الطب الشعبي) أو من خلال نظرة (أصحاب الطب الحديث) كـ (الخلعة أو الخوف والهلع، الكولون العصبي... إلخ)، مما يوصل إلى الدوران السَّيء للدورة الدموية بزيادة Co_2 على غرار O_2 حيث تعمل هذه الأخيرة (الدورة الدموية) على نشر تلك السُّموم السحرية والأخلاط النَّجسة وبالتالي إيصالها إلى جميع أنحاء الجسم، فقد توصل المتسمم إلى مرض الجنون وإلى ظهور القلق السريع والدائم في كثير من الأحيان، إذ يتوكل عنها جني يهودي من الخدام الأرضيين حيث يقوم

بحراسة تلك المادة السُمية داخل المعدة (بيت الداء) أين يستقر في نقطة بداية، إذ يترتب عن نجاسة كليهما إما " تعطل عضو أو ظهور أمراض عضوية...، خلل في عمل الحواس، الخسارة الكبيرة في الوزن، وإمَّا نجد الإسهال الشديد أو صعوبة في التَّبرز، عسر الهضم وسوء إمتصاص الجسم للمعادن، وبالإضافة إلى أزمات بدنية حيث لا يلاحظ سببها بالعين الطبية المجردة... إلخ ".

ولأن الدورة الدموية هي سبب كل الأمراض لجأ هؤلاء المطببون من أصحاب التَّطبيب الشعبي الرَّوحاني والتَّطبيب بالرقية الشرعية للإستعانة الضرورية والأكيدة بآيات من القرآن الكريم وإعتبارهم أن علاج المريض بسحر التوكال يبدأ من الطب النبوي من خلال وصفات علاج السحر المأكول (الباطني) كـ : " عشبة السدر، القسط الهندي، الحبة السوداء، عسل النحل الأسود، زيت الزيتون حيث تخلط جميع تلك العناصر للشخص (اَلْمَوْكُلْ) مع ماء زمزم مقروء عليه ما تيسر من القرآن الكريم، وبالإضافة إلى ذلك القيام بجلسات الحجامة النبوية المباركة بهدف إستخراج الدم الفاسد المسموم المتواجد تحت مسامات الجلد، وحتى يتمكن الجسم من إعادة بناء خلايا دموية جديدة وبالتالي رفع مناعتة، ونضيف إلى ذلك طقس الكي من مرض الخلعة أو من مرض العرق الخباط النابض في الصرة.

ومن خلال هذا البرنامج التَّطبيبي يبدأ الشخص الموكل بدهن جسمه كاملاً كل ليلة بزيت الزيتزن أو بزيت الحرمل مقروء عليهم آيات إبطال السحر لمقاومة أذى الحارس الداخلي ... إلخ "، ومن هنا لاحظنا؛ أن كل هذه الوصفات التَّسميمية والتَّطبيبية لا يمكن الحصول عليها إلاَّ عن طريق تفعيل أداة " التسجيل الصوتي " وبالتالي ينظر هؤلاء القائمون بهذا الفعل التَّطبيبي الرُّوحاني على أن تطبيباتهم تدخل فيها الحكمة الربانية، حيث يرون أنها عبارة عن (سر مهنة) ولا يمكن التصريح عن مكوناتها ومعداتها الفعلية بدايةً من الأداة ووصولا إلى الطقس، وبالتالي وجدنا تنبيهاً منهم موجهاً نحو بعض المرضى الراغبين في الإستشفاء الروحاني حين إعتبروا أن تلك الممارسات والطقوس التطبيبية الفاضلة التي يقومون بها أنها عبارة عن طقوس تقام في يوم معين

وزمن معين من الشهر القمري بشرط توفر نيَّة الشفاء لدى كل من الطرفين؛ المطبب الرُّوحاني و المريض المتسمم.

4-التصوير الفوتوغرافي (Photographie):

يعد " التصوير الفوتوغرافي " واحدا من أهم الأدوات والوسائل التي إعتمد عليها الأنثروبولوجيون في توثيق ملاحظاتهم الميدانية أو في تأكيد الوصف الذي يقدمه الأنثروبولوجي للواقع الذي يدرسه (الجوهري و آخرون، 2006، ص 344)، وكان الدور الذي أداه التصوير الفوتوغرافي عاملا موازيا كذلك في الأهمية، وعلى الرغم من أنه لم يعط الأهمية التي يستحقها، وكان تأثيره غير مقصود في الواقع، وظهرت أولى اللقطات الفوتوغرافية في عام 1863 م، وظهر كذلك التصوير الجوي، والمناظر شبه المجسمة في عام 1865 م، وقد عززت الكاميرا، وعجلت في النمو الطبيعي للأسلوب الإنطباعي، ومن ثم هي رسخت النظرية التحليلية والنفسية للعالم المرئي (كمال الدين، 2006، ص 74).

فالتصوير الفوتوغرافي عند " سيد حسب الله " و " أحمد محمد الشامي " إعتبرا درجات الظل المختلفة التي يمكن تمييزها في الصور الموجبة أو السالبة ما بين الغمق والفاتح، ومدى التعريض ونوعية الورق والإضاءة وما إليها، تؤثر على القيم الظلية في الصورة النهائية (حسب الله و الشامي، س. ن. غ. م، ص 2184).

وجب في هذه الحالة على الأنثروبولوجي الإنتباه أثناء القيام بتلك اللقطات الفوتوغرافية بإعتبار أن المبحوث يمنع منعاً باتاً من إنتهاك حرمة عمله، وقد تم توظيف هذه التقنية في بحثنا لأن هذه المقاربة تحتاج إلى تحليل التراث الشعبي في شكله المادي الملموس من خلال إلتقاط مجموعة من "الصور الفوتوغرافية" التي كانت مباشرة من مدينة تبسة (أنظر إلى قائمة الملاحق الموجودة داخل كل فصل).

- ✓ صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ كيفية الإصابة بتَّسميم سحر توكال (العين) و (الحسد) لدى أفراد مجتمع البحث، تلك التي تتشابه في أعراضها وأمراضها مع الإصابة بسموم السحر المأكول (سحر التوكال) الحواسي، مع التطرق لأهم ممارسات وطقوس الرُّقوة الشعبية الرُّوحانية في المنطقة الشرقية الجزائرية وبالتحديد

في مدينة (تَبسَّة). نجدها موضحة من خلال ملاحق صور الفصل الأول المعنون بـ " تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) من منظور أنثروبولوجي سحري ": 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24.

- ✓ صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ معتقد تشكل تلك الوصفات التي يتكون منها السحر المأكول بمعنى ذلك (التَّسميم الشعبي) المصنوع من السُم الطبيعي: كـ (السحر النباتي، السحر الحيواني، السحر المعدني، والسحر ببقايا من جسم الإنسان)، وإضافة إلى ذلك تلك الممارسات و الطقوس المرافقة لهذه العملية التسميمية في مدينة تبسة. نجدها موضحة من خلال ملاحق صور الفصل الثاني المعنون بـ " معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المقاربة الأنثروبولوجية ": 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36.
- ✓ صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ جرعات السحر المأكول الممارسة في مجتمع البحث بالإضافة إلى طقوس أخرى مرافقة لتلك العملية التَّسميمية النّسوية التي تمارس من داخل المطابخ في مناسبات الأفراح والمآتم والأعياد الدينية الإسلامية وحتى في الأيام العادية، حيث يراد من خلالها التوكالين؛ السحر الأبيض و السحر الأسود. ونجدها موضحة من خلال ملاحق صور الفصل الثالث المعنون بـ " طقس التَّسميم بـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي ": 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46.
- ✓ صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ للمتلقي أكثر الأعراض و الأمراض التي يخلفها سُم السحر المأكول مضافاً إليها بعض الصور التوضيحية التي تترجم طقوس رُقوة تطبيبية روحانية من الطب الروحاني الفاضل. نجدها موضحة من خلال ملاحق صور الفصل الرابع المعنون بـ " رقوة الطب الرُّوحاني تنجع في تطبيب مرض السحر المأكول (سحر التوكال) بين الطقس و الأداة ": 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53.

5-الإخباريون (Informateurs):

بجانب المقابلة إستعانا بعدد من الإخباريين بهذف الوصول إلى مادة إضافية إحتاجها الباحث لتوضيح بعض الأمور غير الواضحة لدى حالات الدراسة، ولقد كانت المادة التي قدمها الإخباريون مادة ثانوية إلى حد ما (أبو دوح، 1437 هـ - 2016 م، ص 17).

إذا كنا قد إعتمدنا في دراستنا الحقلية على بعض الأساليب وأدوات البحث فقد يدخل ضمنها الإخباريون، وقد راعينا أن نعتمد على عدد منهم للتحقق من صدق البيانات المعطاة من طرفهم والتي يدلون بها، هذا بالإضافة إلى تكوين درجة من الصداقة التي تساعد في الحصول على المعلومات والتأكد من صدقها لأنه يتوقف نجاح الدراسة الميدانية إلى حد بعيد على حسن إختيارنا للإخباريين والتعاون معهم، فهم يمثلون حلقة الإتصال بين الباحث والمجتمع طوال فترة الدراسة، وهناك إخباريون عاديون يستمد الباحث منهم بيانات خلال المقابلات حول المحادثات التي يستطيعون التحدث فيها ولكن لا يمثلون له مصدرا أساسيا في جمع البيانات، وهناك إخباريون رئيسيون يحتلون مراكز إجتماعية هامة أو يقومون بأدوار حيوية في الحياة الإجتماعية، يتمتعون بثروات من المعلومات حول أحد المجالات الثقافية التي تهم الباحث، ويعرف " جريك بايلي Garrick-B " الإخباريون بالقول: " أنهم الأشخاص الذين يسمحون له بالقيام بملاحظة سلوكياتهم، يسمون الخبراء أو الإخباريون... " (غانم، 2004، ص 117).

فالدافع من " إستخدام المخبرين " في مقاربتنا هذه هو أن هذه الأداة يكمن وراءها تعميق صلتنا الشخصية بفئة أفراد العينة المختارة: من بين مجموع (100 شخص مختار بدقة)، وبالتالي تعتبر فئة " الأشخاص المصادر " هي الفئة المقربة من المبحوثين الأصليين الذين لم نتمكن من الوصول والتعرف إليهم عن قرب نظرا لصعوبة الموقف والمكان، حيث تمكنا من بناء درجة كبيرة من الألفة والثقة مع هؤلاء الأشخاص بما يحقق هدفنا من الدراسة، وهو الحصول على أكبر قدر من المعلومات حول موضوع السحر المأكول و الطب الروحاني.

ومما زاد من توطيد هذه العلاقة مع الإخباريين هو إعتبارنا من أبناء المنطقة ولنا معرفة واسعة بسكانها، فمن خلالهم تمكنا من تسجيل المعلومات بواسطة تقنيتي التسجيل الصوتي والتصوير الفوتوغرافي لمجمل مقتنيات التَّسميم الشعبي المتداولة بين أفراده، حيث كانت عبارة عن صور مباشرة من الميدان التّبسي؛ أين صعب علينا الأمر كثيرا في البداية لما أردنا التقصي لوحدنا وتلك الفئة أثناء تفعليلنا لها سهلت علينا عبء المهمة، ويعتبر المجتمع المحلي في الدراسات الأنثروبو – سوسيولوجية على أنه يشير إلى جماعة من الأفراد الذين تجمع بينهم روابط متنوعة ويشتركون في قدر من المصالح والإهتمامات وهو يشير إلى إرتباط تلك الجماعة من الإخباريين بحيز مكاني محدود، حيث إستغرقت تلك المقابلات وعمليات البحث مع هؤلاء الأشخاص حوالي (أربع سنوات) ما بين جمع المعلومات (البحث البيبليوغرافي) والنزول إلى الميدان.

وعن طريقهم تمَّ إختيارنا لموضوع البحث ووضع هيكلة مبدئية وأولية له، ذلك عن طريق المقابلات المعمقة المفتوحة الفردية منها والجماعية مع مختلف الفئات العمرية من: (الرجال، النساء، العجائز، الشيوخ، الفتيات، الشبان... إلخ)، ومن خلالهم تمكنا من رصد تصورات سكان المنطقة الشرقية الجزائرية وبالتالي تسجيل إعتقادهم حول ظاهرة السحر المأكول وتمثلاتهم لطرق علاجه، مع العلم أننا على مدى طوال تلك الفترة مكننا هؤلاء المخبرون من جمع المعلومات المخفية عن تلك المسامع اليومية مما ساعدنا بدوره من إدخال بعض التعديلات الجزئية والفرعية على الخطة الأولية للدراسة بما يحقق الوصول إلى الهدف الرئيسي، وبالتالي الإجابة عن التساؤل المركزي للبحث.

رابعاً: فضاءات الدراسة

- **المجال المكاني (Space Dimension):**

يمثل المجال المكاني للدراسة تلك الرقعة الجغرافية أو الموقع الذي يتم فيه إجراء الدراسة، ويعد المجال المكاني الحد أو البعد الثاني للدراسة، بالإضافة إلى البعدين الآخرين وهما: البعد الزمني، والبعد البشري، ومن الضروري في كل الأحوال توضيح المجال المكاني للدراسة؛ لأن نتائجها ستعمم على هذا المكان دون غيره، فلا يمكن قبول دراسة أو بحث علمي دون أن تحدد أبعاده الثلاثة (الدبل، 1440 هـ – 2018 م، ص

104). من بين كثير من الصعوبات التي تواجه الباحث العلمي خاصةً في العلوم الإجتماعية، أن دراسة أي ظاهرة إجتماعية لا يمكن أن تعمم في كل الأزمنة وعلى كل الأمكنة، لذا وجب الباحث أن يحصر دراسته في نطاق حدود معينة، لأن الظاهرة المدروسة قد تتغير نتائجها حسب المكان والزمان (بوزيان، 2015، ص 170). ودراستنا الموسومة بـ: المعقد الشعبي ممارسات و طقوس. السحر المأكول أنموذجاً. مقاربة أنثروبولوجية بمدينة تبسة. قد وضعناها ضمن الحدود العلمية المتعارف عليها في مثل هذه المقاربات الأنثروبولوجية المعاصرة.

يمكن لأصحاب الإختصاص في العلم الأنثروبولوجي النظر للمجتمع المدروس على أنه: " من الطبيعي اللجوء إلى المجتمع المعني بالدراسة لإلتماس المادة البحثية، والمجتمع البحثي أو المحلي في الدراسات الأنثروبو – سوسيولوجية سيشير إلى جماعة تربط بينهم روابط عديدة ومتنوعة ويشتركون في قدر من المصالح وإرتباطهم بحيز مكاني " (بونت و إيزار، 2006، ص 2).

ومجال بحثنا في موضوع السحر المأكول هو مدينة تَبسَّة الذي باشرنا فيه من يوم 2017/01/01 إلى غاية 2021/05/30؛ وبإعتبار السحر ظاهرة تتسم بالعمومية والشمول في المجتمع المحلي، تمكنا من ملاحظته في كل المجتمعات القديمة والحديثة من خلال الإثنوغرافيا، والسحر المأكول أقدم أثر خلفه الإنسان لذا نجد إنتشار هذا النوع في المجتمع التّبسي متوارث من سحر الأجداد، فقد كان ممارساً في كل زمان ومكان، بل لا يزال حتى يومنا هذا ممارسون ومعتقدون على الرغم من سيادة العلوم المادية والإيمان في البيئة المحلية.

وبما أن موضوع دراستنا يرتبط بالموروث اللامادي في جانبه الخاص بالمدنس الشعبي، إضطررنا إلى رصد جميع تلك الطقوس والممارسات التي نتجت من جراء هذا الفعل السحري المسكوت عنه إجتماعياً، كان ذلك بالنسبة إلي كإمرأة في الميدان حقل صعب جداً، وبتقمص الدور كوني من أبناء المنطقة ولدت فيها ونشأت بين أبنائها وأهلها، ولي معرفة واسعة بسكانها، وتنقلت بين العديد من القرى التابعة لها، حضرت الكثير من المناسبات الدينية ومناسبات الزواج والمآتم أين يكثر ممارسة هذا التسميم

الشعبي بطريقة غير مباشرة وفي الخفاء عن أعين الآخرين. وهذا ما سهل علينا الإندماج مع العينة المختارة ومحاولة إقامة منهج صداقة معهم قصد كسب ثقتهم التامة، ومن ناحية موازية فهذا الإنتساب للمنطقة جعلني كباحثة في مجال الأنثروبولوجيا أن أنتقل إلى إرضاء فضولي في مجال المعتقد الشعبي السحري، هذا الموروث الثقافي الذي لم ينل حظه من الدراسة بإعتبار المنطقة التبسيَّة منطقة محافظة جداً منذ الماضي البعيد.

تقع مدينة تَبسَّة؛ في الشمال الشرقي للقطر الجزائري في سفح منطقة تضاريسية جبلية وعرة، عالية القمم أحياناً، ومتوسطة الإرتفاع في بعض المناطق، يبلغ متوسط إرتفاع جبالها نحو 1286 م فوق سطح البحر. وهي تنتمي جغرافياً إلى الإقليم القاري المتميز بحرارته الشديدة صيفاً، وبرودته الشديدة شتاءاً، كما تعرف بقساوتها المناخية والجوية الطبيعية، وبهوائها الجاف جداً، وهي تدخل ضمن نطاق المناطق السهبية، وتشتهر بالرعي وبالزراعات البعلية، كما تشتهر بالصناعات التقليدية المرتبطة أساساً بالماشية ومنتجاتها الصوفية. ويصل عدد سكانها اليوم إلى نحو مليوني نسمة ونصف المليون، بعد أن كان تعدادهم حسب إحصاءات عام 1987 م نحو مليون نسمة ونصف المليون.

ويسكن ولاية تبسة منذ الفتح الإسلامي القبائل البربرية المستعربة المعروفة بـ (النمامشة)، بالإضافة إلى القبائل العربية التي سكنتها بعد موجات الهجرات العربية إليها، ولا سيما بعد هجرة الهلاليين من بني سليم، وهلال بن عامر، وقيس عيلان في منتصف القرن الخامس الهجري. وتعد قبيلة النمامشة البربرية المستعربة التي سكنت المنطقة أكبر قبيلة تهيمن على المنطقة منذ العهود الرومانية القديمة إلى اليوم، ويجاورها إلى اليوم عدد من القبائل العربية. ويتوزع الهيكل القبلي لأعراش منطقة تبسة حسب التقسيم الآتي:

- ✓ قبيلة النمامشة: وتقسم قسمين: العلاونة وهم سكان الأعالي، وأخذوا تسميتهم العلاونة من سكنى أعلى الجبل، والبرارشة وهم سكان مناطق السهول والبراري المنخفضة، وأخذوا تسميتهم البرارشة من سكنى البراري.

- ✓ قبيلة أولاد سيدي يحي بن يعقوب بن طالب العربية: وهم يسكنون في الشمال الشرقي من مدينة تبسة، ويرجعون إلى الأصول العربية المهاجرة إلى المنطقة، وبها عدد وافر من العشائر والبطون.
- ✓ قبيلة أولاد سيدي عبيد العربية: وهم عشيرة عربية الأصل كبيرة العدد، كثيرة الفروع، تسكن جنوب المنطقة، ويجاورها قبيلة أولاد سيدي عبد المالك العربية أيضاً.
- ✓ قبائل أخرى: كما توجد بمنطقة تبسة قبائل أخرى صغيرة العدد، لا تحتل مساحة جغرافية كبيرة، ومن أشهرها؛ أولاد دراج العربية الهلالية، وأولاد ملول البربرية، والزعالمة، والفراشيش (عيساوي و عيساوي، 2001، ص ص 33 – 35).

أصبحت المدينة ولاية في سنة 1974 م، ورقمها 12 في التقسيم الإداري، يحدها شرقاً الجمهورية التونسية بشريط حدودي يصل إلى 297 كلم، ومن الشمال ولاية سوق أهراس ومن الغرب ولايتي أم البواقي وخنشلة، أما من الجنوب تحدها ولاية الوادي، تبلغ مساحتها 13878 كلم مربع، أما عدد سكانها فقد بلغ 746034 نسمة في كلم المربع، تتكون ولاية تبسة من 12 دائرة و 28 بلدية، وتبتعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 584 كلم، تتواجد بها قنصلية الجمهورية التونسية، كما يوجد بها مطار وطني.

حيث تعرف المنطقة بموروثها السحري التوكالي في مجال السحر بالسموم الطبيعية، يظهر ذلك جلياً من خلال الرجوع إلى " الإثنوغرافيا السحرية " التي سُجلت لنا من خلال قصص الجدات الساحرات من أيام أجدادنا اليهود الذين إستقروا في المنطقة ومارسوا التجارة فيها، حيث لا يقتصر هذا " التَّسمم الإجرامي " فقط على فئة السحرة من أصحاب الإختصاص بل تجاوز ذلك ليمارس من داخل البيوت ومن طرف أشخاص ذوي خبرة وتجربة عادية. وبالممارسة الطقوسية تنتقل سموم السحر المأكول إلى جسم الإنسان والحيوان عن طريق التوكال المباشر أو التوكال غير المباشر الذي يدس في " المأكولات الشعبية " المحلية التي تزخر بها مدينة تبسة كـ؛ (الكسكس، المسفوف، البركوكش، الشخشوخة، كسرة الرخساس، كسرة الطلوعة، البوتشيش، كسرة الشحمة، المحجوبة، كسرة الرغدة، اللحم المفور) وغالباً ما نجدها تزج في أكلات الأفراح أيضا والمآتم من أكلات اللَّمة والجماعة.

وكذلك تنتشر تلك التَّسميمات الطبيعية في " المأكولات العصرية " في جميع أنواعها والتي يتردد على تناولها أغلبية أفراد المجتمع التّبسي كـ: (البوراك، الليباناز، الشواء، الدجاج المحشي...)، حيث يقدم السحر المأكول أيضاً طرياً في بعض المشروبات كـ: (القهوة، العصير، المشروبات الغازية...) فنجد أن هذه المأكولات والمشروبات تدمج مع تلك المقتنيات السحرية المختارة بدقة حتى تؤمن دلالة رمزية متشابكة بين الفرد التّبسي وعالمه الميتافيزيقي لذا كان إختيار كل واحدة من تلك المقتنيات بإعتبارها تختلف عن الأخرى ويكون ذلك حسب شدة المعتقد لدى فئة الأفراد السحرة.

- **المجال البشري و العينة:**

- **المجال البشري (Population):**

يعد المجال البشري البعد الثالث أو الحد الثالث للدراسة أو البحث، ويعنى الجانب البشري الذي يتم إختيار العينة منهم، ويشار إلى المجال البشري دائماً بعبارة (مجتمع البحث)، وتحديد المجال البشري يعتمد على وحدة التحليل؛ فإذا كانت وحدة التحليل هي (الطالب) أي توجيه السؤال إلى الطلبة مباشرةً، أو دراسة ملفاتهم، أو مراقبة سلوكهم (الدبل، 1440 هـ – 2018 م، ص 104 – 105).

وتماشيا مع الإمكانات المادية والزمانية لهذه المقاربة ونظرا لطبيعة الموضوع تم إستخدام طريقة تعميم صفات الجزء على الكل أي إختيار عدد محدود مأخوذ من مجموعة أكبر بغرض الدراسة والتحليل على إفتراض أنه يمكن الأخذ بها كمؤشر للمجموعة وللمجتمع ككل.

- **العينة القصدية (Purposive Sample):**

تعرف أيضاً بالعَرَضيَّة، أو العَمْدية، أو الهادفة، وهي العينة التي يتم إختيارها لغرض معين أو قضد معين، كونها تحقق أغراض الدراسة التي يقوم بها الباحث، وينتقي الباحث الأفراد الذين هم من بين مفردات العينة على أساس عمدي (قصدي)، طبقاً لما يراه من سمات تتوافر في هذه المفردات بما يخدم أهداف الدراسة، فمن أراد دراسة

واقعة معينة أو قضية معينة يتقصد الأشخاص ذوي العلاقة بتلك الواقعة أو القضية دون غيرهم (أبو سمرة و الطيطي، 2020، ص 59).

في العينة القصدية إننا نختار بقصد معين – عادةً ما يكون لدينا مجموعة بعينها نبحث عنها – طلاباً، موظفين...إلخ. تكون العينة القصدية مفيدة في الحالات التي نرغب فيها الوصول إلى العينة المرغوبة بسرعة، تساعد العينة القصدية في معرفة آراء المجتمع المستهدف لكن في المحتمل إعطاء وزن أكبر للمجموعات الأسهل وصولاً ضمن مجتمع الدراسة (فضيل، 2018/08/12، 22:22 د).

يستخدم الباحث هذا الأسلوب في إختيار عينة بحثه من الأشخاص الذين يعرف أن لهم صلة أو معرفة بموضوع بحثه، وعادةً تطلق على هؤلاء تسمية (الإخباريين). فمثلاً، لو أردنا دراسة تطور منظمات المجتمع المدني والصعوبات التي تواجهها في بلد ما، يكون من المنطقي أن نقابل ونسأل الأشخاص الذين عاصروا هذه المنظمات منذ نشأتها ويعرفون الكثير عن تجربتها، وإذا أردنا معرفة أسباب فشل حزب البعث في الحكم، فإن العينة القصدية هي الوسيلة الأفضل لذلك؛ إذ نختار بعض قادة الحزب ومؤسسيه وكذلك بعض أعضاء الجيل الثاني من القادة، والفكرة الرئيسية خلف العينة القصدية أن الأشخاص الذين تتعمد إختيارهم في عينة بحثنا لديهم معلومات أصدق وأفضل عن الموضوع الذي تبحثه (سرحان، 2017، ص. غ. م).

وتقوم العينة القصدية أيضاً على الإختيار المقصور لعينة من الأفراد إعتماداً على خبرة الباحث وإجتهاده، مثل إختيار طلبة كلية أو إثنين من كليات الجامعة على أساس أنها تمثل المستوى الثقافي العام لطلبة الجامعة، ومن الواضح أنه إذا كان الغرض من البحث هو الحصول على تقدري المستوى الثقافي العام وكنتائج تقريبية يمكن اللجوء إلى العينة القصدية أو العمدية ، أما إذا كان الغرض هو تحديد المستوى الثقافي ةالحصول على نتائج دقيقة وتعميم النتائج فلابد من اللجوء إلى العينات الإحتمالية وذلك لأنها تمكننا من قياس الأخطاء والتحكم بها إلى حد بعيد... (السامرائي، 2017/03/15، 13:19 د).

تعني هذه العينة إختياراً كيفياً من قبل الباحث للمبحوثين إستناداً إلى أهداف بحثه ولا يتم إختيار المبحوثين من خلال الجدول العشوائي أو عن طريق القرعة. فهي بهذه الحالة لا تعطي الفرص المتكافئة لكل وحدة إجتماعية لأن تكون ضمنها (أحمد، 1432 هـ – 2011 م، ص 80).

لقد تمَّ إختيارنا لـ " العينة القصدية الهدفية " في هذه المقاربة الأنثروبولوجية؛ حيث توجهنا من خلالها إلى (10) سحرة من أصحاب (السحر الرَّسمي)؛ بمعنى تلك الفئة التي تمارس مهنة سحر التوكال جهاراً وأمام أعين جميع الناس، أين كانوا موزعين على خمسة مناطق تابعة لمدينة تبسَّة وهي كالآتي: (الشريعة، بئر العاتر، فركان، بئر مقدم، تبسَّة سونطر فيل) حيث كان ذلك من خلال تفعيل أداة الأشخاص المصادر بهدف الكشف عن فئة الأشخاص المسممين بمثل هذا الفعل من الأسحار الباطنية، قصد إثراء الموضوع والتحقق من صدق المعلومات المتحصل عليها، وهذا كان نتيجةً لصعوبة الوصول إلى البيانات التي تخدم موضوعنا.

مما جعلنا نتقدم إليهم بعرض مالي مغري في كل مرة قصد نيل الكثير من التسجيلات الصوتية والصور الفوتوغرافية المباشرة من المجتمع المحلي، وبالإضافة إلى مقابلاتنا المعمقة والمكثفة مع فئة السحرة من أصحاب التَّسميم الشعبي الخاضع للتجربة الذي يمارس من داخل المطابخ، علماً أن هؤلاء الأفراد من الأشخاص الذين يمارسون هذا النوع النابع من الخبرة الذي تمَّ توارثه من سحر "سُم الأجداد"، حيث وجدنا منهم رجال ونساء (60) فرداً مقسمين كالآتي: (شيوخ، رجال فوق سن الأربعين، عجائز، نساء متزوجات فوق سن الأربعين) من فئة الأشخاص المتزوجين، و (شبان، فتيات) من فئة الأشخاص العزاب؛ موزعين على مجموعة من القرى التابعة لمدينة تبسة وهي: (مرصد، بكارية، الكويف، الونزة، العوينات)، حيث إستعنا بـ (10) رقاة شرعيين من أصحاب (الرقية الشرعية) الخالصة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ موزعين على المناطق التالية (الشريعة، العقلة، بئر العاتر، تبسَّة، الحمامات، الحويجبات)، وحتى لا ننسى (10) أفراد من فئة (المطببين الرُّوحانيين)؛ من الذين يتميز علاجهم بـ التطبيب الرُّوحاني الماورائي الفاضل، ومن هؤلاء الفئة المختارة أيضا إخترنا (10)

أفراد من أصحاب الطب الحديث؛ من فئة المطببين الذين وقفوا عاجزين أمام تشخيص وعلاج هذا النوع من التَّسميم؛ أين وجدناهم مقسمين على مستشفيات المناطق التالية: (تبسَّة سونطر فيل، الشريعة، بئر مقدم، بئر العاتر، نقرين، العقلة، قريقر).

فكان السبب من وراء تكثيف تلك " المقابلات المعمقة " على جميع هؤلاء الأفراد بهدف دراسة الإعتقاد لديهم ومحاولة الكشف للعلن عن مخاطر هذا الفعل من مخلفات أمراض عضوية ونفسية وعقلية، التي تنحدر بدورها من تلك الوصفات والجرعات السحرية التسميمية حيث جاءت كرد فعل عليها تلك الوصفات والجرعات التطبيبية الروحانية التي أستخدمت في علاج مرض السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي، ومن ثمَّ الوصول إلى تمثلاتهم لها كمدنس و مقدس، حيث كان الحوار مع جميعهم حواراً مفتوحاً، بما يحقق الحصول على الكثير من المعلومات والبيانات التي تكشف كيفية الإصابة وأنواع المرض وأنجع تطبيب، ومن خلال ذلك تميز أفراد العينة القصدية المعتمدة في هذه المقاربة بتمثيلهم للجنسين في مختلف الفئات العمرية والمستويات التعليمية إضافةً إلى كون أصولهم الجغرافية تتوزع بين الريف والمدينة، وهذا ما يضفي عليها التمثيل الجيد لمجتمع البحث.

- **المجال الزمني (Time Dimension):**

ويقصد به: الفترة الزمنية من بداية البحث وحتى نهايته، وفترة إختبارات الصدق والثبات لأداة أو أدوات جمع البيانات (أبو نصر، 2021/01/04 م، 18:06 د). ويقصد بالمجال الزمني الفترة الزمنية التي يستغرقها الباحث في جمع المعلومات فقط، وعلى هذا فلا يدخل في المجال الزمني إعداد خطة البحث، ووضع أهدافه، وكتابة الجزء النظري المتعلق بالدراسات السابقة، ووقت تصميم وإختيار أدوات البحث، ولا يدخل فيه أيضاً وقت إدخال البيانات في الحاسب، وتحليلها، وكتابة تقرير البحث وطباعته ونشره، وفالمدة التي يستغرقها الباحث من بداية مشروع البحث حتى طباعته ونشره تسمى فترة إنجاز البحث؛ لأن هذه الفترة الزمنية لا علاقة لها بتعميم النتائج، فالمهم في التعميم هو متى جُمعت المعلومات دون بقية الإجراءات الأخرى، والمجال الزمني (أو ما يسمى

أحياناً البعد الزمني، أو حدود البحث الزمنية) قد يكون فترة واحدة متصلة وقد يكون فترات متقطعة (الدبل، 1440 هـ – 2018 م، ص 102).

إستغرق هذا البحث في مدينة تبسة؛ حوالي (4) سنوات ما بين جمع المعلومات أي البحث البيبليوغرافي والنزول إلى الميدان، حيث كانت لنا (3) سنوات ماضية من قبل النجاح في شهادة الدكتوراه أين قمنا بدراسة معتقدي العين والحسد في منطقة الشريعة لنيل شهادة الماستر عن طريقها، وهذا يرجع لإهتمامنا المستمر في إرضاء فضولنا الدائم كباحثين في مجال الأنثروبولوجيا ومجال " المعتقدات السحرية " في المنطقة التبسيَّة التي هي محل سكنانا، حيث بدأنا من قبل بالقيام بدراسة إستطلاعية تمَّ فيها جمع البيانات والمعلومات التي من شأنها توجيه مسار البحث بعد النجاح في المسابقة، حيث تمكنا في هذه الفترة من ضبط الموضوع ووضع هيكلة مبدئية وأولوية له، أما الفترة المتبقية وهي (4) سنوات فقد تم إستغلالها في إجراء " المقابلات المعمقة " الفردية والجماعية التي كانت مفتوحة مع فئة الإخباريين وجميع الفئات الأخرى التي تمَّ حصرها، ذلك قصد رصد تصورات سكان المنطقة في تمثلاتهم وإعتقاداتهم نحو الظاهرة في جميع جوانبها الدينية والثقافية والإجتماعية.

أما من ناحية المرحلة الأخيرة أثناء التسجيل الرابع في طور الدكتوراه؛ تمَّ في هذه الفترة قبول نشر " المقال العلمي " الخاص بمناقشة الأطروحة، يوم 2020/10/01، في مجلة أنثروبولوجية الأديان صنف (ج) التي تصدر عن مخبر بحث أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها بجامعة أبوبكر بلقايد – تلمسان/ الجزائر. حيث تحصلنا من خلاله على وعد بالنشر من طرف رئيس المخبر، أين حدد فيه موعد نشر العدد في نسختيه الورقية والإلكترونية يوم 2021/06/15، مما ساعدنا ذلك للقيام بالتجهيز لإيداع الملف الإداري الخاص بمناقشة الأطروحة لدى كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، فكان عنوان "مقال المناقشة" كالآتي: مقاربة من منظور أنثروبولوجي لطقوس " سحر التوكال " في مدينة تبسة (الوصفة) و (التطبيب) الذي نشر بشكل رسمي في يوم 2021/06/05. وفي هذه الفترة النهائية من بحثنا تمكنا من تصنيف البيانات وتحليلها ومحاولة البحث في دلالاتها الرمزية المعتقدية في المنطقة التبسيَّة، وذلك من خلال

الكشف عن معانيها وأبعادها ووظائفها الاجتماعية والثقافية وغيرها، مع العلم أنه في كل فترة يتم فيها الحصول على معلومات نقوم حينها بإدخال بعض التعديلات الجزئية والفرعية على الخطة مما يحقق الوصول إلى الهدف الرئيسي والإجابة عن التساؤل المركزي للبحث، وبالتالي تمكنا من إخراج الأطروحة في شكلها الأخير يوم 2021/08/01 وعرضها على الأستاذ المشرف حتى يسمح لنا بتوفير شروط المناقشة ومن خلاله نستطيع أن نقدم نسخة مبدئية ليصادق عليها أعضاء المجلس العلمي للكلية وعن طريقهم يسمح لنا بتوزيعها على الأساتذة المناقشين.

خامساً: مفاهيم الدراسة

1-المفاهيم الأساسية:

- **الإعتقاد (Belief):**

يجدر بنا الإشارة هنا من خلال التوضيح للقاريء المتلقي على أن ذكر المصطلحات: (الإعتقاد، المعتقد، والعقيدة) في الكثير من المحطات العلمية المتنوعة، من خلال إعتبار هذه المفاهيم التي ينظر إليها على أنها مختلفة ظاهرياً لكن هي في الأصل تحمل نفس المعنى الدلالي المعتقدي الشعبي لدى مجمل الأفراد والمجتمعات، ويمكن شرح ذلك كالآتي:

- **المفهوم اللغوي لـ الإعتقاد:**

" هو مفهوم عام ليس مرتبطاً بشكل خاص بالدين، فالإنسان يمكنه أن يعتقد في أي شيء، مادياً أو معنوياً، دنيوياً أو أخروياً. لذلك هو في الأصل مفهوم محايد، ويكتسب علاقته بالدين فقط حينما يتحدد بإعتباره إعتقاداً " دينياً ". لذلك سنبدأ معالجتنا الأساسية بطرح مفهوم " الإعتقاد ". والإعتقاد، كمفهوم لغوي، هو مفهوم محايد بالنسبة للدين، ولكنه مع ذلك يمثل المفهوم المركزي بالنسبة له. ذلك أننا نستخدم مفهوم الإعتقاد في كل مجالات التعامل بين الإنسان وبين العالم، وليس الدين فقط. فنحن نعتقد في وجود أشياء مادية من عدمه، أو في وجود أشخاص معينين في مكان معين من عدمه. ونعتقد في وجود الإلكترون أو في تطور المخلوقات أو نشأة الأرض منذ خمسة بلايين سنة، وكلها تصورات عن حقائق مادية يمكن أن تكون صحيحة أو لا. أو في الإعتقاد

بوجود الشر والخير، أو في أن لكل شيء سبباً.

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الإعتقاد:**

كأسلوب أو منهج، هو أحد وسائل المعرفة الإنسانية الثلاث، وذلك إلى جانب الدليل العقلي، والمعرفة التجريبية. وهو كموضوع يمثل أحد مجالات ثلاث للفكر الإنساني، مجال " الإعتقاد الديني " ومجال " النظر العقلي " ومجال " العلم التجريبي " (أبو زيد، 2020/09/22 م ، 15:54 د).

- **مفهوم (الإعتقاد) في المنظور الأنثربولوجي:**

درس الإعتقاد أنثروبولوجياً؛ من خلال إدعاء علماء الأنثروبولوجيا بأن إنتشار وأهمية الإعتقاد في كائنات فوق بشرية في البوذية أكبر من أن نسمح للمرء بإعتبار البوذية نوعاً من الإلحادية أو المتشككة، وعلى ضوء هذه الآراء المتعارضة تصبح إعادة النظر في أفكار " تايلور " ممكنة، ولقد لاحظ " روبين هورتون " أنه بالرغم من الأخطاء الواضحة في تعريف تايلور إلاَّ أن القيمة الإيجابية لإدماج فكرة الكائنات الروحية في دراسة الدين تتمثل في: (أن المقارنة بين الكائنات البشرية والأشياء الدينية بصفة عامة، وتوسيعها من سياق الإعتقاد إلى مجال الفعل يمكن القول معه بأن طريقة تايلور ستقودنا لمقارنة التفاعل بين الأشياء الدينية والتفاعل بين الكائنات البشرية).

ولاحظ هورتون أنه في عملية المقارنة بين التفاعل البشري والديني عدد من الإختلافات الهامة بين السياقين للفعل، الأولى في التفاعل البشري فإن الآخر (Alter) على الأقل من ناحية المبدأ، متواجدة مباشرةً للأنا (Ego) الذي يستطيع تفسير الرموز و الإشارات و العلامات التي يعرضها الآخر مباشرةً، فعلى الأنا البشري أن يعتمد على العلاقات المؤجلة مثل الحصاد الأقل والمرض، والولادة السليمة للسيدة... ومما يميز مثل هذه التفاعلات الدينية أن الإجابات أو الردود تعتبر مؤجلة. (فقد لا تتلقى الأنا (Ego) أية إجابة (Feedback) من رد فعل أو إستجابة الله لسلوكه حتى أيام أو أسابيع أو أشهر بعد أن يكون قد أتمها وعليه إذا كانت الإشارة سالبة فإنه يبدأ سلسلة أخرى من الأفعال الطقوسية وينتظر ثانية النتائج) (تيرنر، 1407هـ- 1987م، ص 73).

إذ يظهر الإعتقاد عند البدائيين بأن " الرؤى والأحلام تحصل بفعل تدخل الآلهة أو الشياطين. وبناءاً على هذا، فإن البدائيين صاروا يعتقدون بأن للأحلام وظيفة كبرى في حياتهم، فهي تكشف في تصورهم حقائق الغيب وخفاياه.

والشواهد التي يقدمها الباحثون في الميثولوجيا القديمة على أعتقاد البدائيين في صدقية المضمون الحُلُمي كثيرة، فالأفراد في بعض القبائل البدائية لا يجدون فرقاً بين أفعالهم في اليقظة وأفعالهم في الحلم، فإذا رأى أحدهم في منامه شخصاً يهدده أو يعتدي عليه، أيْقَنَ أن الشخص يفعل ذلك حقاً، وإعتبر ذلك سبباً كافياً لمعاتبته والإنتقام منه في اليقظة، ومن ذلك مثالين ينقلهما الباحث العراقي " علي الوردي " عن الباحث الغربي " James Arthur Hadfield " في كتابه: " Dreams and nidh mares "، إذ يورد في المثال الأول قصة رجل من الهنود الحمر رأى في منامه أحد المبشرين يسرق يقطيناً من مزرعته، فلما أفاق استشاط غضباً وطالب هذا المبشر بالتعويض، ورغم تفقده لليقطين في مزرعته ووجوده في حالة لم يسرق، فقد أصر على طلب التعويض، معتقداً أن رؤية المبشر في الحلم سارقاً دليل قاطع على أنه مستعد للسرقة لو كان قريباً من المزرعة، إذ كان يبعد عنها 200 ميل، أما المثال الثاني، فيورد قصة لإمرأة حديثة عهد الزواج رأت في الحلم أن زوجها يغازل إمرأة شقراء، فكان ذلك كافياً بالنسبة إليها لإدانة زوجها وإتهامه بالخيانة، ولما أخبرت بأن زوجها بريء مما تنسبه إليه، كان جوابها أنه إذا كان يغازل الشقراوات في أحلامها هي، فما تراه يفعل في أحلامه هو؟ (صميدة، 1971، ص ص 21 – 22).

أما الإعتقاد إجتماعياً؛ يظهر دور مفهومه عند " دينيت " في قولها أن: " دور مفهوم الإعتقاد مثلاً شبيه في نظرها بدور مفهوم مركز الثقل في الفيزياء وهو علم أداتي يقضي بأن الناس يملكون إعتقادات ورغبات على نحو واقعي شبيه بإمتلاك الأرض لخط الإستواء، فمفاهيم علم النفس الساذج ليست إلاَّ كيانات مقرونة بالحساب أو بناءات منطقية لها خصائص المجردات (ABSTRACTA) بلغة " ريشنباخ " وليس خصائص المستنبطات (ILLATA) (الحداد، 2014، ص 131).

في حين يظهر الإعتقاد في الدراسات السيكولوجية؛ على أن للعاطفة والوجدان

دور فعال في تثبيت القيم والمعتقدات لدى أغلب الأفراد، ويتمثل في ميول القلب لها دون موافقة العقل عليها، ويمكن تفسير ذلك في إعتبار " الإعتقاد " هو عبارة عن " إيمان " في نفوس البشر من خلال القول: " يرى علماء النفس أن الإيمان له دور مهم في الصحة النفسية، وأنه يحقق السكينة للنفس ويقدم معنى للحياة، وإن دور الدعاء في مجال الصحة النفسية هو أن يقوي المناعة النفسية ويعطي لصاحبه القوة التي يخوض بها غمار الحياة من غير عجز أو كسل، فالدعاء مصدر من مصادر الصحة النفسية " (يونس، 1433 هـ – 2012 م، ص 24).

ومن الجهة المقابلة يظهر لنا تعريف المعتقد على أنه: " تنظيم لتصورات الفرد ومعارفه حول موضوع معين سواء كان هذا الموضوع أشخاص أم مواقف أم أشياء ". ويتضح من خلال هذا التعريف أن المعتقد: " هو مجموعة المعارف التي يكونها الفرد حول موضوع معين "، ويذهب بعض الباحثين إلى التمييز بين القيم و المعتقدات على أساس أن المعارف في القيم تتميز عن باقي المعارف الأخرى بالخاصية التقييمية، بمعنى آخر تتضمن القيم أحكاماً تقييمية (إيجابية أو سلبية تبدأ من القبول إلى الرفض)، فتشير القيم بذلك إلى الحسن مقابل السيء، أما المعتقدات فتشير إلى الحقيقة مقابل الزيف. بينما يرى البعض الآخر بأن القيمة تتضمن المعتقد وأنها تمثل مجموعة المعتقدات الشائعة بين أعضاء المجتمع الواحد.

ويمكن التفريق بين القيمة و الإتجاه، يعرف الإتجاه بأنه: " وحدة كلية أو نسق عام له ثلاث أبعاد (معرفية، وجدانية، سلوكية) توجد بينهم علاقة قوية ".

ويتلخص الفرق بين القيم و الإتجاهات في أن القيم أعم وأشمل، فتشكل بذلك مجموعة الإتجاهات التي بينها علاقة قوية قيمة معينة، ونتيجة لذلك تحتل القيم الدور الأكثر أهمية في بناء شخصية الفرد، كما أن القيم تساهم بشكل فاعل في تحديد إتجاهات الفرد الفكرية، وتجدر الإشارة إلى أن الإتجاه يشمل المعتقدات في جانبه المعرفي، بالإضافة إلى المشاعر والأحاسيس (سلاطنية و بن تركي و قريشي و بن رحمون، 2013، ص 53 – 54)

تعد توقعات الفرد عن كفاءته الذاتية متغيراً وسيطاً عاماً بين المعتقد و السلوك

الفعلي، ويمكن تعريف هذه المعتقدات في إطار المدرسة كمؤسسة تعليمية بحيث يشير المستوى الفردي منها إلى إعتقاد المعلم وتوقعاته بقدرته على التأثير في تعلم طلابه (عامر، 2018، ص 194).

المعتقد مصدر للكرب الذاتي أو يتدخل في الأداء الوظيفي للشخص مهنياً أو إجتماعياً، وذلك لأنه لا يسجل الشخص القيام بجهود ذاتية لمقاومة المعتقد (وذلك على عكس المرضى بالأفكار القهارية). إلاَّ أنه ليس هناك في المعايير المذكورة عاليه أي مما هو ضروري أو كاف لتشخيص الوهم، وهذا يدل بوضوح على أن ملامح التعريف ليست خاصة بالمعتقدات الوهمية. ربما تنطبق هذه المعايير نفسها على النزعة الدينية، فيما عدا أن الأفكار الدينية يحدث عادة أن تكون مشتركة مع الآخرين، وليست مرتبطة بالكرب الذاتي أو سوء الأداء الوظيفي إجتماعياً.

حتى نوضح الحدود المبهمة للمفهوم الباثولوجي – السيكولوجي الذي يسمى " بالوهم " ربما يكون علينا أن ننظر إلى بعض المعايير الخلافية التي تتجاوز أكثر جانب غامض في تعريف المعتقد، أو لم يكن، مشتركاً مع الآخرين. مثال ذلك، هناك إختلاف ما إذا كان تشكيل معتقد وهمي يتطلب أو لا يتطلب خبرات إدراكية شاذة وحدها ليست كافية لتفسير الوهم (كما مثلاً عند " كولتهارت وآخرين). من المعتقد مثلا أن " هيلدجارد فون بنجن " قد عانت من صداع الشقيقة، وهي أثناء أورة الشقيقة ربما يكون لديها أحاسيس ضوئية يشار إليها بأنها فوسفينات (صور مضيئة)، وبقع سلبية معتمة، مع تعزيزات فسرتها هيلدجارد تفسيراً خطأ بأنها علامات ربانية. على أن هناك أدلة قليلة على أنها كانت وهمية بمصطلح الطب النفسي، الذي يتطلب تلفاً في إختبار الواقع وتلفاً في الأداء الوظيفي السيكولوجي – الإجتماعي. لا يمكن إفتراض أياً من الإثنين من تاريخ حياة هيلدجارد، ولكنها بلا شك كانت شخصية بالغة التدين (فولاند و شيفنهوفل، 2015، ص 322).

بينما تبرز عقيدة الإنسان في الأنثروبولوجيا في أن: " الأنثروبولوجيا (Anthropology) هي دراسة العقيدة التي تتعلق بالإنسان، ولكن اليوم يوجد إستخدامان لهذا المصطلح، أحدهما لاهوتي والآخر علمي. تتناول الأنثروبولوجيا

اللاهوتية علاقة الإنسان بالله، بينما تتناول الأنثروبولوجيا العلمية منظومة الإنسان النفس جسدية وتاريخه الطبيعي. غير أن هناك تنويعات واسعة في الإستخدام الثاني حينما يتعلق الأمر بنطاق القضايا المتضمنة في هذا الموضوع من قبل الكُتَاب المختلفين. فعلى سبيل المثال، يضم علماء الطبيعة تحت هذا العنوان التاريخ الطبيعي للجنس البشري، بينما يوسع الفلاسفة المصطلح لكي يتضمن علم النفس وعلم الإجتماع وعلم الأخلاق، إلى جانب علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء. ويجدر بالذكر هنا أن هذا التمييز ينطبق فقط على الموضوعات، وليس على مناهج المعالجة؛ حيث أن الأنثروبولوجيا العلمية ليست أكثر علمية من الأنثروبولوجيا اللاهوتية، لكنه فقط يتعامل مع ملامح مختلفة من عقيدة الإنسان (ثيسن، 2020/09/23 م، 13:05 د).

- **المفهوم الإجرائي لـ الإعتقاد:**

هو عبارة عن قناعة داخلية موجودة في أعماق البشر ونابعة من ذاتيتهم الفطرية، في كل ما تدركه أنفسهم وكل ما تعنيه الأشياء المستقرة في أرواحهم وجوارحهم، حيث ينظر إلى هذا الأخير (الإعتقاد) على أنه من ضروريات حياة الإنسان والتي لا يمكن الإستغناء عنها من خلال حياته اليومية، بإعتباره كائن أسطو – طقوسي بإمتياز لا يمكنه الإبتعاد عن هذا المنطلق نظراً لتواجده بالفطرة، مما يجعل الفرد يميل تلقائياً إلى قوى عليا أكثر منه حتى يصدق ويؤمن بوجودها.

- **السحر المأكول (Eaten Magic):**

- **المفهوم اللغوي لـ السحر:**

هو أول الليل والسحر معناها الأخذة وكل ما لطف مأخوذ. وأيضاً يأتي بمعنى خدعه وعلله (رزوقي و لطيف، 2018، ص 312). ولكلمة السحر (Magic)؛ في اللغة له معان كثيرة و دلالات متباينة منها ما هو مجازي، ومنها ما هو حقيقي تعارف عليه أصحاب اللغة وأهلوها، غير أن الأصل الذي تدور حوله هذه الكلمة هو: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.

ويشهد لصحة هذا المعنى ما ورد في القرآن الكريم من آيات أستخدمت كلمة السحر فيها بمعنى صرف الشيء عن وجهه وخدع الناس عن حقيقته، منها قوله تعالى: " وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ " (الأعراف: 132) ، أي: لتصرفنا عن ديننا وتخدعنا. وقال تعالى:" قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُو يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89) " (المؤمنون: 88 – 89). أي: تصرف عقولهم عن الحق، فتعبدون معه غيره.

وقال شمر: إن العرب إنما سمت السحر سحراً، لأنه ينزل الصحة إلى المرض والبغض إلى الحب. وجاء في لسان العرب: " السحر الأخذَةُ وكلُّ ما لَطَفَ مَأْخَذُهُ ودقَّ فهو سحْر، والجمع أسحار، وسُحُور، وسَحَرَهُ يسحره سحْراً، وسحْراً وسَحْره، ورجل ساحر من قوم سحرة وسُحَار وسحَّار من قوم سحارين ولا يكسر ". ومن معاني السحر في اللغة أيضاً بمعنى: التغذية والتعليل، قال تعالى: " قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) " (الشعراء: 153 – 154). قال الفراء: أي أنك تأكل الطعام والشراب فتعلل به، وقال إمرؤ القيس:

أرانا مُوضعيْن لأمر غَيْب وتَسْحَرُ بالطعام وبالشراب

فقوله: موضعين أي: مسرعين، وأراد بأمر غيب: الموت، ونسحر أي: نخدع أو نغذي، يقال: سحره بالطعام والشراب سحراً، وسحَّره، غذاه وعلله. ومن المعاني المجازية لكلمة السحر: السحور: وهو ما يتسحر به وقت السَّحَر من طعام وغيره، وقيل: هو بالفتح إسم لما يتسحر به، وبالضم: المصدر والفعل نفسه، كوضوء ووضوء. وقد يسمى السحر طباً: لأن الطب بمعنى الحذق، فلوحظ حذق الساحر فسمي علمه طباً. وقال الجوهري في كتابه " الصحاح ": " الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وفي الحديث: (الطيرة والعيافة والطرق من الجبت)، قال وليس هذا من محض العربية؛ لإجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذي نفي (الأهدل و باسلوم، 2006، ص ص 7 – 8 – 9 – 10).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ السحر:**

يعرفه الدكتور " أحمد الحمد ": " أن السحر هو المخادعة أو التأثير في عالم العناصر بمقتضى القدرة المحدودة بمعين من الجن أو بأدوية إستعدادات لدى الساحر " (الحمد، 1415 هـ – 1994 م، ص 51). ويعرف في الإصطلاح أيضاً على أنه: هو " الاستعانة بالأرواح الشريرة على أساس الإعتقاد بأن لها قدرة أو قوة خارقة بهدف تحقيق شر أو ضرر ضد أفراد المجتمع ". عرفه " أ. م . بتلر ": " أن الهدف الرئيسي لكل سحر هو فرض الإرادة الإنسانية على الطبيعة وعلى الإنسان وعلى العالم الذي لا تدركه الحواس من أجل تحقيق السيادة عليهم "، وإعتبر " كولن ولسن ": " أن السحر لم يكن علم الماضي إنما هو علم المستقبل، وهو علم إكتشاف قوى الإنسان الخفية وهو يقوم على الحدس القوي " (كولن، 1980، ص ص 28 – 70 – 194).

- **مفهوم (السحر) في المنظور الأنثروبولوجي:**

ويعتقد العديد من علماء الأنثروبولوجيا أن بعض الناس يصدقون السحر نظراً لأنهم يشعرون بالحاجة إلى الإعتقاد فيه والإيمان به. وربما يتجه بعض الناس إلى السحر لتقليل الخوف والشك والغموض الذي يكتنفهم إذا شعروا بفقدان التحكم والسيطرة على ما ستؤول إليه الأوضاع. على سبيل المثال، يستخدم المزارعون معرفتهم ومهاراتهم عند زراعة حقولهم، ولكنهم يدركون أن الأحوال الجوية، والحشرات، والأمراض ربما تدمر محاصيلهم. لذلك فإن المزارعين في بعض المجتمعات ربما يقومون أيضاً بعمل التعويذات أو يمارسون طقوس السحر لتأمين حصاد جيد. وفي كل الأحوال يعد اللجوء للسحر نقصاً في الثقة بالله والإيمان بالقضاء والقدر. حيث يميل الناس أيضاً إلى نسيان إخفاقات السحر مع سرورهم بنجاحاته الظاهرة. وربما يعتبرون السحر موقفاً إذا أدى مفعوله بنسبة (10 في المئة) من الوقت. وحتى إذا أخفق السحر فإن الناس غالباً ما يعللون هذا الفشل دون شك في قوة السحر وقدرته. وربما يقولون: إن الساحر قد إرتكب خطأ في تلاوة التعويذة أو إن ساحراً آخر قد طرح تعويذة أكثر قدرة وقوة ضد هذا الساحر (كذلك، 2020/09/25 م، 13:35 د).

- **المفهوم اللغوي لـ السحر المأكول:**

من ناحية المفهوم اللغوي لمصطلح السحر بمعزل عن كلمة مأكول، تعرضنا له سابقاً بشكل توضيحي ومفصل، أما معنى كلمة السحر المأكول (Eaten Magic) في اللغة العربية: مشتق من سحرت الصبي أي خدعته، ويوضح معجم مقاييس اللغة في تعريف السحر لغةً على أنه: " سحر العضو، هو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن يقال بل هي الرئة " أي ما دخل البطن وإستقر بداخله (الحلبي، 1970، ص ص 28).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ السحر المأكول:**

يعتبر أول وسيلة لجأ إليها الإنسان القديم على حسب الكثير من الأنثروبولوجيين لما له من تأثير باطني سريع المفعول. فـ " التوكال " من أهم الوصفات السحرية التي راكمتها المرأة عبر التاريخ، والتي تستعملها كوسيلة للإنتقام من خصم منافس أو للدفاع عن نفسها بما في ذلك إمرأة من جنسها (أعراب، 2017/02/13، 13:18 د).

يعرفه " مصطفى وأعراب " في كتابه "المعتقدات والطقوس السحرية في المغرب"، 2007، على أنها " كلمة تخيف العامة وتعني بالتعبير الدارج كل ما يتم دسه للإنسان في الطعام أو الشراب من مواد سامة، بغية إلحاق الأذى به وحسب الإعتقاد فإن حالة التَّسميم التي تندرج عنه، تظهر من خلال بعض الأعراض المعروفة، كإنتفاخ الجسم، والتقيؤ، وظهور بعض الأمراض الجلدية، وسقوط الشعر... إلخ، وبحسب نوع العناصر والمقادير المستعملة، يحدد المستفيد من العملية الأثر المطلوب كإصابته بمرض مزمن، قتل فوري أو قتل بطيء ". ويذكر " إدموند دوتيه " أنه: " إذا أحست المرأة أن زوجها أو عشيقها يعتزم هجرتها، ولإسترجاعه تأخذ خصلات شعر أو زغب من جسمه وتضيف إليه ترابًا مما وطأته رجله اليمنى، وتجمع كل ذلك في رزمة صغيرة وتدهن بها بشرتها، وفي البليدة بالجزائر إذا أرادت المرأة أن تتصرف على هواها وزوجها يمنعها من ذلك فإنها تذهب عند زنجية تأخذ من شعرها وزغبها وأظافرها وبعضًا من لعابها ووسخ أذنها، ثم تقوم ببعض الشعائر فتصنع منه عقارًا تسعى إلى أن تجعل زوجها يأكله في طعامه"، يسمى بـ " السحر التعاطفي Symplatique " كل ما يدخل الجسم أو يلامسه، فالإفرازات

والبزاق لهما طابع سحري في تنقيل البركة حسب الطرق الصوفية، ما جعل الناس يتفادون ترك بقايا الطعام ورائهم لأنها تمكن من فاعلية السحر الشرير (دوطي، س. ن. غ. م، ص ص 51 – 52).

فالمرأة في المجتمع الأمازيغي مولوعة بالسحر، عندما تطلق من زوجها تأخذ معدات خاصة ليست في متناول الجميع كـ (قلب هدهد أو بخور أو عناصر مقدسة تخلطها جميعًا كالزيوت وماء غسل الميت، وعناصر وسخة كمخ الحمار وضفدع...) بهدف غرس الكراهية (شباحة، س. ن. غ. م، ص 42).

فكانت تلك المواد تختار لخواصها الطبيعية أو لفوائد مزعومة أستنتجت بالقياس الرَّمزي من صفاتها أو أصولها أو أشكالها، ومن تلك المواد عقاقير قوية تحدث إنفعالات في نفس من يستعملها كالوسوسة والتخيلات البصرية وتهيجات وتغيرات في الشخصية تشبه الهستيريا، ويفسرها المشاهدون بأنه نتيجة لحلول القوى أو الأرواح بالساحر، وكان تناول تلك المواد محرمًا في كثير من الأحيان على الجمهور، بل كانت معرفتها وطرق تحضيرها تحاط بالسرية التامة (الماجدي، 1998، ص 110).

في حين صنف " إبن كثير " السحر على أنه ينقسم إلى ثمانية أصناف من ضمنها: " سحر الإستعانة بخواص الأدوية في الأطعمة والدهون الخاصة " (الساعاتي، 1998، ص 110).

- **مفهوم (السحر المأكول) في المنظور الأنثروبولوجي:**

ويطلق على هذا التَّسميم الشعبي أو هذا التَّسمم الإجرامي (السحر المأكول) في المقاربة الأنثروبو – سوسيولوجية والأنثروبو – نفسية تسمية (السحر الجسدي) أو تسمية (السحر الباطني): ويجري ذلك بإجراء السحر على جزء من ذلك الشخص مثل خصلة من شعره أو قلامة من أظافره. ومتى ما حصل الساحر على خصلة من شعر ذلك الشخص سيطر عليه ليمتد السحر من خصلة الشعر إلى جسمه، وإسم الشخص جزء منه هذا كما هو مدون (بالنظور البدائي) (رزوقي و لطيف، 2018، ص 314).

ويميز علماء الأنثروبولوجيا و السوسيولوجيا؛ على أنها هناك فوبيا خوف شديدة من إنتقال هذا النوع من الأسحار الذي يعتبرونه على أنه يسلك منحى حواسي، وبالتالي يصيب بدوره بدن المغدور أو المطعوم إنسان كان أو حيوان مروراً بالحواس الخمسة. في حين دفع الوظيفيون من علماء الأنثروبولوجيا، أمثال " مالينوفسكي ": " بأن السحر الذي ينظر إليه تقليدياً كمظهر اللاعقلانية البدائية إنما يمثل وسيلة مشروعة في مرحلة ما قبل العلم للسيطرة على الواقع ". وجدير بالذكر أن التقليد السائد في العلوم الإجتماعية الأمريكية الذي أصبح " روهايم " على إحتكاك مباشر به بعد هجرته إلى أمريكا، ظل داخل هذا الإطار الفكري العام – الأمر الذي يفزع له الراديكاليون أمثال " س. رايت ملز C. Wrifht Mills " ، لم يكن روهايم بالضرورة غير متعاطف مع الموقف الوظيفي إذا فهمناه بهذا المعنى، على الرغم من أنه كان مدركاً إنحيازه المحافظ... وخير مثال على ذلك تحول أفكاره بشأن طبيعة وغرض السحر، فنحن نجد في كتاب "الإحيائية والسحر والملك المقدس" الصادر عام 1930 يفسر السحر تفسيراً سلبياً تماماً. الإجراءات السحرية تعبير عن قلق الخصاء. فالساحر في حالة (السحر التعاطفي Symopathetic) على سبيل المثال كان يحقق غرضه عن طريق الحصول على دزء ما من الأشياء الخاصة بسم الضحية (خصلة من الشعر، أو البراز... إلخ)، ويذهب روهايم إلى أن الحالة الوجدانية المقترنة بهذا الأثر هي بوضوح صورة من الصور قلق الخصاء. ولكن في كتاب آخر ألفه في فترة متأخرة وصدر بعد وفاته، ونعني به كتاب "السحر والفصام Magic and Schzophrenia"، يتخذ روهايم موقفاً عكسياً تماماً، إذ نجد تفسيره للسحر هنا يتفق تماماً مع التفسير الوظيفي، فقد حاول مثل مالينوفسكي أن يبين أن السحر كان يمثل أداة بنائية تستهدف السيطرة على البيئة. وكانت حجته في هذا حجة معقدة ومتكلفة، ولكنه في جوهرها يؤكد أن محاوله الإستعانة بالسحر للتحكم في الواقع من خلال الفكر (رايش و روهايم و ماركوز و روبنسون، 2020، ص ص 119 – 120).

وهكذا فإن ما يدرسه عالم الإجتماع كدين أو كشيء ديني، قد لا تعتبره النظرة الداخلدينية ديناً أو أمراً دينياً. وربما على أساس هذا الفهم يصل " فيبر " إلى نمط من

التوحيد بين الدين والسحر، وكأن تصوره لتاريخ الفكرة الدينية على غرار " جيمس فريزر J. Frazer " الأنثروبولوجي البريطاني صاحب النزعة التكاملية، هو أن الفكرة السحرية تقف في المرحلة السابقة للدين، وأن الدين نابع من الفكرة السحرية، والحال أنه إن لم نقل جميع الأديان، فلا شك في أن معظم الأديان وخصوصاً الأديان الوحيانية لا صلة لها أبداً بالسحر؛ بل تتعارض معه، كما أن كثيراً من علماء الأنثروبولوجيا والإجتماع يسجلون فوارق أساسية بين الدين والسحر (مجموعة من المؤلفين، 2014، ص 167).

أما فيما يخص رؤى علماء النفس و السيكولوجيا؛ في هذا المجال أشار " فرويد " إلى أن حدوث هذا الأمر (السحر) يعني توجد النية والقول والفعل، إذ إن المرء الإعتيادي يدرك أنه قادر على السيطرة الجزئية على بعض الأشياء في الكون الذي يعيش فيه. فهو يستطيع تحريك الأشياء وقتل بعض الأحياء مثل الحشرات وتحوير شكل أشياء أخرى بالفعل المادي عليها، وعندما يكتسب الطفل اللغة، تبدو اللغة سحرية في فعلها إذ يستعيض بها عن الفعل على الأشياء، فبدلاً من القيام بالعمل بنفسه يستطيع تكليف الآخرين لغوياً بالقيام بذلك العمل. وكان فرويد و يونج شخصين مختلفين بشكل عام وكانت معالجتهما لمسألة السلوكيات الخرافية والسحر مختلفتين أيضاً، لقد إفترض فرويد عموماً ومنذ بدء دراساته وبحوثه خطأ الخرافة وحاول لذلك تحليل العمليات النفسية المسؤولة عن نشوئها. أما " يونج " فقد كان ذهنه أكثر إنفتاحاً وإتجاهاً نحو الخرافة فقد رفض أن يضع حداً قاطعاً بين المعتقدات الصحيحة والمعتقدات الخاطئة. ويرى أن الخرافة تقوم بوظائف معينة في حياتنا اليومية فيقول: " إن أيديولوجياتنا السياسية والدينية هي أساليبنا في بلوغ الخلاص، ويمكن مقارنتها بأفكار السحر البدائية، وعندما لا تجد هذه الرموز الجمعية لنفسها مكاناً ينشأ مكانها فوراً: الشذوذ الشخصي والجنون والهوس والرهاب، وهذه الأمور لا يتفوق عليها شيء في بدايتها. ويقول يونج هنا إننا اليوم نتكل على أنظمة مختلفة من المعتقدات لإكفاء الحاجات الأساسية نفسها التي كنا نكفيها بالسحر والخرافة. نستنتج مما سبق أن فرويد ويونج على إختلاف لغتيهما إلا أنهما يعد أن السحر إستجابة مشروطة. وهناك الخوف المرضي من الحيوانات (Zoophobia) والذي يفسر فرويد بالخوف من الأب. قد لا يكون تفسيراً

مقبولاً ولكن يرى فرويد أن الخزف من الجان هو دفين ومكبوت في اللاوعي منذ القدم وفي مجتمعاتنا جميعاً (رزوقي و لطيف، 2018، ص ص 315 – 318).

- **المفهوم الإجرائي لـ السحر المأكول:**

تعتبر تلك النزعة الطقوسية و الأداتية؛ المستخدمة في السحر المأكول (سحر التوكال) حين يتم تسليطها على جسم الشخص المغدور[1]، أو المطعوم[2]، أو المرهوج[3] لتأخذ منحى حواسي، يكون إنتقال السموم فيها إلى الأجساد بدايةً من الحواس الخمسة[4]، وبدوره يأخذ نوعين من سحر التوكال داخل بدن المصاب: فيكون إمَّا (توكال عن طريق الإنس، أو توكال عن طريق الجن) ويكون القائم بالفعل " التوكالي السحري " و " التوكالي المرضي " إمَّا: إنسيًا أو جنيًا، أو يجتمع بين الإنثين معًا في آن واحد، فيتوكل عن المادة " السحرية السَّامة " في كلتا الحالتين: " خادم " أو " حارس " أو " تابع " سحر من الجن يسعى لحراستها داخل بدن (اَلْمَوَكْلْ).

وتعتبر عملية إنتقال " السُّموم Toxins "، أو " المادة السَّامة Toxic substance "، أو رغوة " الأخلاط السحرية Magical mixtures " إلى بدن (المُتَسمم) إنساناً كان أو حيواناً كما وضحنا سابقاً بدايةً من الحواس الخمسة، حينها يتشكل لنا مرض سحر التوكال الذي ينقسم إلى خمسة أنواع منها ما يكون إمَّا: (مشموماً، أو مأكولاً، أو

---

[1] الشخص (**المَغْدُورْ**): مقتطف من مقابلة شخصية مع الراقي الشرعي (عز الدين ذياب)، 51 سنة، في بلدية الشريعة، 8 مارس 2019، وتعني الكلمة (غَدَرَ) بفلان بمعنى خانه، وأساء غذاه.

[2] الشخص (**المَطْعُومْ**): مقتطف من مقابلة شخصية مع المعالج الروحاني (محمد بن الطاهر)، 85 سنة، في بلدية الشريعة، 10 أفريل 2019، وتعني الكلمة الشخص المستهدف في طعامه أثناء الأكل.

[3] الشخص (**المرْهُوجْ**): مقتطف من مقابلة شخصية مع المطببة الروحانية (خالتي الطاوس)، 50 سنة، في دائرة العقلة قرب بلدية الشريعة، يوم 3 جانفي 2018، تعني الكلمة حسبها على أنها مشتقة من (الرَّهْجْ) بمعنى ذلك السُّم الذي يندرج ضمن السموم ذات الأصل المعدني.

[4] مقتطف من مقابلة شخصية مع الطبيب الرُّوحاني (عمي عمر)، 56 سنة، في بلدية بئر العاتر، 17 جانفي 2018، والراقي الشرعي (رضا)، في منطقة مرسط وبالتحديد في مكان عمله، 3 فيفري 2018، حيث شرح لنا أنواع المواد السامة التي تستخدم في سحر التوكال وبتنسيق من (خادم السحر) الموكل داخل الجسم حيث شرح لنا كيف تضرب تلك المواد النجسة والأخلاط السحرية الجهاز المناعي بدايةً بالحواس الخمسة.

مسموعاً، أو ملموساً، أو منظوراً)، فالمشموم منه يدخل من الأنف ويستهدف الجهاز التنفسي كـ " الأبخرة والعطور " ، والمأكول والمشروب منه يدخل الفم ثم الجهاز الهضمي كـ " المكروبات والجراثيم والسموم الفيروسية " عن طريق الطعام والشراب، أما المسموع فينتقل عبر الأذن ثم إلى الجهاز السمعي كـ " تقطيره " في تلك الحاسة أو سماع " تعاويذ سحرية "، في حين المنظور منه يدخل حاسة العين ويستهدف الرؤية كـ " تكحيل العين " بالكحل المسحور، أما إن كان ملموسًا فيتسلل عبر مسامات الجلد ثم إلى الدم والعروق كـ " المراهم " و " مصافحة اليد المطلسمة ". هنا يكون القائم بالتوكال إمَّا (إنسيًا) يسمى بـ " التوكال المباشر " أو (جنيًا) يسمى بـ " التوكال غير المباشر".

ونجد في وصفة و جرعة (سحر التوكال) حسب التعبير الشعبي التّبسي؛ على أنها تشتمل على مواد " مقتنيات طبيعية " تضاف إليها ممارسة طقوس تحتوي على " أدوات " و " تعاويذ سحرية " مرافقة للعملية التوكالية كـ (المهراز النجاسي، الطاجين، الإبرة... إلخ)، تستخدم جميعها كـ " طقس توكالي " في " وقت " و " يوم " محددين من: (أيام العواشير) بمعنى أيام العشر الأولى من الشهر القمري... وفي تلك الأعياد الدينية والمناسبات الشعبية المختلفة، قصد الحرص على بقاء فاعلية هذا التَّسميم الشعبي الشهير وكذلك رغبةً منهم في الحفاظ على إستمراريته لمدة سنة كاملة إلى حين يتم تجديده في السنة التي بعدها.

- **الطقوس (Ritual):**

فالأفضية الفاضلة بين الأماكن تشكل إذنً أكثر من كونها مجرد مسألة معمارية أو حضرية أو جغرافية. ولتلك الأفضية بُعد أنثروبولوجي وذلك مع التساؤل لمعرفة أين يمارس الخيال الطقوسي وحرية الإبتكار. والجواب يكون دائماً في فضاء ما بين إثنين، العتبة – المفهوم المركزي لأنثروبولوجيا الطقوس، ففي الطقوس حيث يتجزأ المرء إلى إثنين، ويجري إبتكار هويات وجماعات أخرى بواسطة الخيال (أجيي، 2016، ص ص 109 – 110).

- **المفهوم اللغوي لـ الطقوس:**

وتعتبر في المفهوم اللغوي لفظة (الطقوس) مشتقة من كلمة لا تينية تعني:

طريقة معينة أو مثبتة لأداء شيء معين، كما هي الحال في العادات والتقاليد: فالطقوس إذنً مجموعة من الأنشطة، تشمل: الإيماءات والألفاظ المقروءة، والرموز، والأعداد، والحركات...

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الطقوس:**

ويحدد المعنى الإصطلاحي لمفهوم الطقوس على أنه: معلوم أننا نمارس الطقوس طوال الوقت، بدءاً بالمآتم والزيجات، وإنتهاءً بالقسم أمام القاضي، ولكن لا ينبغي أن تمارس الطقوس في مكان سري، ترى " كاثرين بيل "؛ العالمة الأمريكية المتخصصة في الدراسات الدينية والشعائرية، مؤلفة كتاب " نظرية الطقوس Ritual Theory "، وممارسة الطقوس: (النظريات والأبعادRitual ; Perspectives and Dimensions): " أن الطقوس تتميز بالآتي: الإلتزام بالشكليات، والمذهب التقليدي، والصمود، وحكم القانون، والرمزية المقدسة، والآداء. وتقول " بيل ": " تعتمد الطقوس مصطلحاً محدداً ومنظماً من التعبيرات التي تفضي إلى أسلوب رسمي قادر على جعل التمرد ضرباً من المستحيل، ويؤدي " الإلتزام بالشكليات " إلى تثبيت مبدأ " ممارسة الطقوس "، ثم القبول والإمتثال، ويدعو المذهب التقليدي إلى التمسك بالأحداث التاريخية، مثل تقديم واجب الشكر أو طقوس السنة الجديدة، وربما تكون تلك طقوس رسمية أو غيرها، ويؤدي الإلتزام إلى إنشاء نظام مادي، كما هي الحال في الوصف الدقيق لأعمال الطقوس، وغالباً ما ينظر إليها في الطقوس الجماعية (جونز و فلاكسمان، 1438 هـ – 2017 م، ص ص 40 – 41).

- **مفهوم (الطقوس) في المنظور الأنثروبولوجي:**

نحن نتحدث عن شيء ما أقرب إلى موضوعنا الحالي إذا طرحنا هذا السؤال عن الطقوس (ما الذي يجعل الطقوس ذات أهمية؟). فالطقوس هي تعبير، لكن أي نوع من التعبير هي؟ وعمَّ تعبر؟ قد يقال مثلاً إن السماء هي رمز الجنة المناسب، ولهذا نرى المصلي يتظر إليها أثناء صلاته. وعلى المستوى عينه يمكن القول إن الماء رمز الطهارة، ولهذا فثمة طقس ديني في العديد من التقاليد الدينية يتمثل بالوضوء أو بالتعميد أو رش الماء أو شربه. لكن القضية ليست أن يصوغ المرء المفهوم العقلي للقدرة

اللامحدودة، وبعدئذ يقرر وضع السماء بصفتها الرمز المناسب للمفهوم الذي صاغه. ولا تكون الثقافات مفهوم الطهارة المجرد ثم تقرر أن الماء هو المادة الأنسب ليقوم بدوره كرمز لهذا المفهوم... فالعالم هو دائماً مكتنز بالمعاني. والمادة والروح في نهاية المطاف لا يفترقان، لكنهما ليستا متوحدتين كما هي حالهما داخل الرمز. وهذا هو السبب الذي جعل عرض " رمزية الطقوس " في مفاهيم مجردة غير مرضية جداً في آخر الأمر. إن محاولة تعويض المعنى المرمَّز برمز هو مشروع محكوم بالفشل. الرمز هو معنى المرموز. وهو ومعناه غير متفارقين. كيف يمكن أن نميز بين الرقص والراقص؟ سؤال طرحه " ييتس W. B Yeats " (إسماعيل، 2020/09/27، 14:24 د).

تدعو " الرمزية المقدسة " إلى الإلتزام بالمباديء الدينية والغيبية، بإستخدام " كائن " أو " رمز " معين، يؤدي إلى فرض الولاء والطاعة، مثل العلم الأمريكي، أو وسام الشرف، ويضيف الأداء طابعاً نظرياً للطقوس، مثل الغناء والرقص... وبوجه عام، تمارس الطقوس التي تجمع بين واحد أو أكثر من هذه الخصائص في المناسبات الآتية: (إجتياز مرحلة من الحياة إلى أخرى، مثل: الزواج، والختان...إلخ، وفي الإحتفال بأيام السنة التي تشير إلى تاريخ أو وقت محدد، مثل: الإلتفاف حول طاولة الاحتفال بالعيد؛ تعبيراً عن الشكر والإمتنان، وأيضاً تمارس في تقديم الأطعمة في المناسبات الدينية، وفي الإحتفال بالمهرجانات وطقوس الصيام، والإحتفالات الدينية، والتقاليد الروحانية، والإحتفالات التي تكون مناسبة للقاء الناس بعضهم البعض، وتستخدم في حالة علاج أحد أفراد المجتمع، بما في ذلك علاج شخص معين بالرقية الشرعية، ممن يُعتقد أن به مساً من الجنون)... وفي المقابل تمارس الطقوس بوصفها نوعاً من التأديب أو العقوبة (جونز و فلاكسمان، 1438 هـ – 2017 م، ص ص 41 – 42).

وتدخل ضمن " الطقوس الدينية " ما يسمى بـ " الطقوس الجنائزية " التي تنحصر بين " الشرع " و " العادات "، لما كان الموت قطيعة مفاجئة تنشر الخوف والرعب والألم في جماعة الأحياء فإن التمكين منه والسيطرة عليه يتحققان بواسطة الشعائر والذكر الديني ومراسم الموت أي منظومة من الطقوس الجنائزية، فما معنى مصطلح طقس؟... جاء في " الموسوعة الكونية مفهوم الطقوس ": " بأنه سلوك جماعي منمط يدخل

(الإنسان) في علاقة بـ " العالم الماورائي "، وهذا السوك لا يمكن إبرازه لما يحتمه الوسط الطبيعي "، وتقوم الطقوس بتحديد وضبط الروابط المتبادلة، وبشكل صارم بين ما هو " مقدس " من ناحية وما هو " مدنس " من ناحية أخرى وبإقصاء ما هو تلقائي وعفوي. وتدمج الطقوس الجنائزية عادةً في باب " طقوس الإنتقال " مثل طقوس: (الولادة والختان والزواج)، فتشتمل على مجموعة من المواقف والسلوكات التي تسعى لإمتصاص أو على الأقل التخفيف ولو بشكل رمزي من وطأة الإنقلاب الذي يحدثه الموت سواء بالنسبة للشخص المتوفي أو المجموعة المتصلة به (الطبابي، 2013، ص 19).

ومن خصائص الطقوس أن لها إمكانية الحوير والتكيف مع متطلبات العصر الحديث أكثر من الشعائر الدينية، ولذلك التأثر بأشكاله الخارجية، وبمعنى آخر، إمكانية تأويل معنى الطقوس وتحوير أهدافها ومنحها وظائف جديدة غير الوظيفة الدينية والإجتماعية والأسطورية القديمة التي أعادت إنتاجها. وأخيراً، فمن الملاحظ أنه كلما إزدادت المشاركة الجماعية في مثل هذه الطقوس، إكتسبت هذه الطقوس طابعاً إجتماعياً (الحيدري، 2020/09/28، 15:20 د).

وتندرج ضمن طقوس العبور " الطقوس السحرية " الخاصة بـ وصفات " السحر المأكول " التي تظهر لنا كمفعل أنثوبولوجي يثبت الإعتقاد والممارسة في مثل هذا النوع من السُم الشعبي الإجرامي حسب التعبير الرائج من خلال رؤى علماء الأنثروربولوجيا، والتي تظهر جلياً من خلال العادات والتقاليد الشعبية وكذلك من خلال المناسبات الدينية، حيث أطلق عليها الأنثروبولوجيون مصطلح " الحرب الباراسيكولوجية ". أي أن جميع المخطوطات والمراجع الأثرية التي مثلت العالم القديم بحضاراته المختلفة وشعوبه وقبائله التي عاشت على هذه الأرض تناول قسم كبير منها شعائر ووسائل وطقوس سحرية مختلفة كان يستعين بها الإنسان في سبيل تحقيق أهدافه وغاياته غير المحدودة، الشريرة منها والخيّرة. كل شيء جاء من العهود القديمة كان يشير إلى أن السحر كان يؤدي دوراً بارزاً في العالم القديم (الحلبي، 2020/09/30، 13:20 د).

ففي الإتجاه البنيوي: نشأت " الأنثروبولوجيا البنيوية " في فرنسا وتطورت على يد الباحث الأنثروبولوجي " شتراوس " فمفهوم البنية بنظره يتكون من عناصر يكون من شأن أي تحول يطرأ على أحدها أن يحدث تحول في باقي العناصر الأخرى... لكن واقع حقيقية الظواهر لا تتمثل في ظاهرها على نحو ما تبدو للملاحظة بالعين، بل تكمن على " مستوى دلالتها "، مثال أن الظواهر الإجتماعية الكثيرة التي يدرسها الباحث من " طقوس وعقائد وأساطير " يربطها جميعها شيء مشترك هو (البيئة) والتي هي عبارة عن العلاقات الثابتة القائمة بين وقائع متنوعة وهذه الوقائع هي الظواهر التجريبية نفسها، فالبيئة بنظر شتراوس هي العلاقات القائمة بين الأشياء والتي يعتبرها أبسط من الأشياء نفسها، فما هو القاسم المشترك أو هذا الرابط هو الأنثروبولوجيا البنيوية، فمثلاً في أي مجتمع نجد أن اللغة هي القاسم المشترك الرابط بين كل نشاطات ووقائع ذلك المجتمع سواء طقوسه أو عقائده أو أساطيره، فـ " التفاعل الرمزي " يعطيك مضمون " دلالات " تلك النشاطات والوقائع (الهواري، س. ن. غ. م، ص ص 23 – 24).

فمن خلال الفصل الثاني: المعنون بـ " الطقوس والشعائر: السيطرة على العقل الماضي " في كتاب " حروب العقل (تاريخ سيطرة الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شؤون الناس) "، لـ " ماري جونز " و " لاري فلاكسمان "، 2017، الرياض (المملكة العربية السعودية)، ونقلاً عن العالم الأنثروبولوجي " أبراهام فيرجيس " في قوله: " يؤكد علماء الأجناس البشرية (الأنثروبولوجيا) أن للطقوس صلة وثيقة بالتحول، فالطقوس التي نمارسها للإحتفال بالزواج، والمعمودية، وتنصيب رئيس ما، هي طقوس معقدة جداً؛ لأننا نربط ممارستها بأحداث رئيسية في الحياة، وإجتياز مرحلة حرجة من حياتنا؛ أي إننا نربطها بما يطرأ عليها من تحول ". وحسب العالم الأنثروبولوجي " بول بلووم " هو الآخر يقول: " من الثابت أن الطقوس في الثقافات القديمة كانت تمارس للسيطرة على السلوك، ومعتقدات الآخرين، وطريقة التفكير وتغييرها، وكانت أيضاً تمارس كثيراً للتعبير عن الإعتقاد بما تريده الآلهة من تقديم فروض الولاء والطاعة والخوض التام، وبالمثل فقد طالب أيضاً جمع غفير من رموز السلطة البشرية بالشيء نفسه "... وفي كثير من الأحيان فإن

الطقوس كانت تفضي إلى ظهور هوية جماعية، فضلاً عن الهوية الفردية، ما يؤدي إلى إكتساب الجمعيات السرية شعبية كثيرة، مع عضوية مختارة بعناية (جونز و فلاكسمان، 1438 هـ – 2017 م، ص ص 39 – 40).

أمَّا عن رؤية علماء الإجتماع من خلال تحليلهم السوسيولوجي؛ وفي ما يخص نظرتهم للطقوس: " شملت (ممارسة السحر) بعض الطقوس التي قد تعتبر أفعالاً تقليدية جسدت فكرة القوة صانعة العجائب، ولكن الطقوس السحرية، التي لا تشكل جزءاً من عبادة منظمة، إنما إعتبرها المجتمع المعني محرمة أو غير مشروعة. يقول " فونت ": " ليس هناك غير فكرة خرافية واحدة خلف جميع الطقوس؛ أي فكرة الروح، ومنها تتولد ثلاثة أشكال من العبادة – السحر، والفتشية (أو البوذية: الإيمان بالأفتاش والبدود – والفتش أو البُلدُّ شيء كانت الشعوب البدائية تعتبر أن له قوة سحرية على حماية صاحبه أو مساعدته)، والطوطمية (الإيمان بوجود صلة خفية بين جماعة أو شخص وبين طوطم ما – والطوطم هو شيء (كحيوان أو نبات) يتخذ رمزاً للأسرة أو العشيرة، أو هو وثن يمثل هذا الشيء) ". على ذلك، كان السحر في شكله الرئيسي يكمن في الفعل المباشر المفترض للروح حيثما تُخشى (اللامة – أو العين المصيبة بسوء). ويكمن الشكل الثانوي في الفعل المفترض من بعد، عندما يتجسد بتأثير الروح بوساطة رمز.

ومع كر الأيام، توصَّل أولئك الذين يتمتعون بذكاء أرفع وأكثر حكمة، بلا أدنى ريب، إلى إدراك أن الطقوس السحرية، والمراسم، والتعاويذ (الرُّقى) لم تُحدث حقاً التأثيرات المفترض أن تحدثها؛ وهكذا طرأ إنفصال في الإعتقاد، وظلَّ الجاهل متشبثاً بالخرافة والإعتقاد بالقوى السحرية، في حين أن الأكثر عقلانية رأى يد قوة أكبر من قوة الإنسان، وشرع في إعتماده على إله فوق الجميع (طومسون، س. ن. غ. م، ص ص 14 – 15).

على أنه من المفيد هنا أن نقول بأن الطقوس عندما تكون إكراهية في مقاصدها (أي تعمل على إكراه الطبيعة على الإنصياع) يكون لها طابع السحر، و عندما تكون إقناعية (أي تعمل على إستمالة الآلهة ةإقناعها بالتعاون) يكون لها طابع الدين، و "

لإميل دوركهايم " وجهة نظر ذات قيمة أيضاً. فهو " يرى أن الطقوس الدينية إلزامية، أما الطقوس السحرية فإختيارية " (السواح، 2017، ص 21).

وتشتمل نظرة علماء السيكولوجيا لمجال " الطقوس " على أن: " الطقوس المختلفة من أجواء وألوان وروائح وملابس وأصوات تركز (الحالة) وتدفع بها إلى أقاصيها وذراها، والطقوس أيضاً محفزات بالمعنى السيكولوجي للكلمة، وهي مجموع (الأنا) المتعدد والمتشكل والمنضبط ما بين غرا ئزية معتمة تنفلت ومثالية تتشوق إلى الذوبان " (طه، 2003، ص 347).

وإن وظيفة اللغة في الطقوس والمراسيم الدينية مرتبطة بالعلاقات الشخصية بين الإنسان وربه من جهة، كما أنها تدل على إنتماء الفرد لأسرة دينية معينة من جهة أخرى، فقول أحدهم " السلام عليكم " أو " بسم الله الرحمان الرحيم " تدل في الحال على إنتمائه إلى مجتمع إسلامي، بينما قول آخر " الرب حافظك " أو " بإسم الأب والإبن والروح القدس " تدل دلالة مباشرة على الإنتماء لمجتمع مسيحي، بغض النظر عن المعاني الحرفية لهذه العبارات (صالح، 2017، ص 59).

- **المفهوم الإجرائي لـ الطقوس:**

هي عبارة عن مجموعة من الفعاليات الرَّمزية التي يقوم بها فئة من الأشخاص لسبب قيمي، حيث تحدد تلك الإجراءات النابعة من الطقوس أو المراسم من داخل تراث الجماعة المشتركة التي هي ضمن المجتمع الكلي، وقد تمارس الطقوس في بعض المناسبات الخاصة والمناسبات الدينية بهدف إشباع بعض المتتطلبات والرغبات الروحية والعاطفية للمؤدين تحت طلب الأفراد أو المجتمعات، حيث يؤديها في شق معين شخص واحد أو مجموعة من الأفراد، وتقام في أماكن عامة كالأفراح والمناسبات السعيدة أو في أماكن مخفية عن الأنظار التي نجدها تمارس في الطقوس الخاصة بالسحر المأكول قصد نجاعة إتمام عملية الفعل التَّسميمي في سرية تامة، ويكمن إقتصار ممارسيها في جزء معين من المجتمع أو قد تتجاوز ذلك لتصل إلى المؤسسات الدينية والمؤسسات المجتمعية الأخرى.

- **الممارسة (Practice):**

- **المفهوم اللغوي لـ الممارسة:**

لغوياً جاءت كلمة (ممارسة) للإشارة إلى التطبيق والمزاولة والنزول إلى الميدان والتعود على عمل معين والقيام بعمل ما لتحقيق هدف محدد، والخدمة الإجتماعية مهنة ممارسة، وبدون هذه الممارسة فلن يكون هناك وجود فعلي للمهنة في المجتمع (أبو نصر، 2017، ص، 83). ومثال على ذلك يمكن تعريف " الممارسة المهنية Professional Practice " لـ " الكوتشنج " بأنها التطبيق المهني لمعارف وقيم ومباديء ونماذج وأدوات مهنة الكوتشنج؛ لتحقيق واحد أو أكثر من أهداف هذه المهنة، أيضاً يمكن تعريفها بأنها الإنتفاع بمعارف الكوتشينج بواسطة الكوتش في مختلف المجالات، وبالأسلوب الذي يتفق مع قيم المهنة، بهدف مساعد العملاء.

ومهنة " التدريب Training " من المهن الديناميكية والحية والتي تتميز بظهور العديد من الإتجاهات الحديثة في هذه المهنة، سواء في الجانب النظري بها، أو في " الممارسة " و " التطبيق "، ومن هذه الإتجاهات الحديثة ظهور فكرة " الكوتشينج Coaching " كنوع من التطوير لمهنة التدريب (أبو نصر و النجار، 2019، ص 53).

وتندرج ضمن الممارسة المهنية و مهنة التدريب ما يسمى بمصطلح " الممارسة السحرية " و " الممارسة الطبية "، فمن خلال المهنة الأولى (الممارسة السحرية)؛ نجد أن هناك بعض التشابهات في الطريقة التي كان العالم القديم يرى بها المجال السحري، ففي الممارسة السحرية كانت الأعمال الطقوسية تحتاج أن يصحبها الكثير من التعزيم المقصود به الوصول للنتيجة المرغوبة (والتون و ماثيور و تشافالاز، 2020/10/03، 12:31 د).

ولقد إكتسب " موسى الكليم " (عليه السلام)، على ما يظهر معرفته الممارسة السحرية من المصريين، كما هو مدون في العهد القديم من الكتاب المقدس، من أنه كان (عالماً بكل حكمة المصريين، وقوياً في الكلمات وفي الأفعال). وقصة الحيَّة النحاسية، والقوة على ضبط وتوجيه حركات مثل هذه الزواحف السَّامة، إنما هي أعمال كانت، بلا أدنى ريب معروفة عند المصريين في تلك الأيام، ويذكر " لاين ": " أن

السَّحرة من السكان الأصليين الذين إلتقاهم كان لديهم طريقة في تنويم الأفعى الخبيثة مغناطيسياً بضبط رأسها وجعله يبدو مثل العصا (طومسون، س. ن. غ. م، ص 50).

أما من خلال المهنة الثانية، ما يجعل تنظيم (الممارسة الطبية)؛ يتعلق هذا المجال بدراسة تنظيم الممارسة الطبية، والطريقة التي يتميز بها عن الأنساق الطبية المتنوعة، ومظهر التباين الناجمة عن تباين ظروف المجتمع المحلي، ويتضمن هذا المجال مقارنة الضغوط على الممارسين الطبيين، وآثار الخدمة الصحية المأجورة على تعامل الأطباء والمرضى، وتنظيم القوى العاملة الطبية في ضوء تنوعات المستشفى وإمكانياتها (الشاعر و أبو الرب و قطاش، 2000، ص 46).

وقد إستخدم العرب في الجاهلية الأدوية البسيطة والأشربة الطبيعية، مثل العسل الذي كان يعتبر أساس العلاج لأمراض البطن، وفي نواح أخرى قاموا ببعض العمليات الجراحية الصغيرة، مثل الحجامة والكي والبتر والفصد والحمية، وتناول بعض الأعشاب الطبية التي تنبت في بلاد العرب؛ ولذا فإننا لا نجد عندهم غير معرفة قليلة بالطب التجريبي والعقاقير والمعالجات بالضمد وإستحدام الأغذية وبعض الأدوية النباتية، ولم تكن لهم من المعرفة الطبية غير ما إختزنته ذاكرة الحكماء ودونه الشعراء في قصائدهم، بحيث يمكن القول بأن الطب العربي قبل الإسلام لم يكن غير " طب شعبي يتنقل بالممارسة " والتعليم شفاها من جيل إلى جيل، وقد أضافت إليه الأعوام خبرة بعد أخرى، وقد جاء الإسلام وقوَّم وعدَّل وطوَّر... وحث على التداوي والتطبُّب، وأعلى من شأن الممارسة الطبية القائمة على " التجربة " و " القياس "... وبهذا يكون الإسلام قد فتح باب على مصراعيه لـ " الطب التجريبي " القائم على القياس والتجربة العلمية (السجاني، 1430 هـ – 2009 م، ص ص 26 – 28).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الممارسة:**

ويمكن تعريف مفردة " الممارسة " في الإصطلاح: حسب معجم " هابرماس "، تحتوي الممارسة على أمرين معاً هما: " فعل ذرائعي " وبنية " التفاعل الرمزي "... يستخدم هابرماس مفهوم الممارسة في محاولة لإستعادة كثافة المفهوم الفختي للفعل (Tathandlung) داخل معجم ماركسي، أصل التركيبة هو الفعل، لكن العمل البشري

يزيد دوماً عن كونه مجرد فعل ذرائعي، لا نستطيع أن نعمل دون أن نُدخل تقاليدنا وتأويلنا الرمزي للعالم (ريكور، 2002، ص 309).

- **مفهوم (الممارسة) في المنظور الأنثروبولوجي:**

ومع ذلك، ينظر أصحاب النظرية الأنثروبولوجية؛ لمعنى كلمة " ممارسة " حسب " المنظور السوسيو – ثقافي "، ومن خلال إعتراف بعض علماء الأنثروبولوجيا البارزين بالفضل العظيم لعمل " غرانكفست "؛ ففي نقد لكتابها " أحوال الزواج في قرية فلسطينية "، كتب " إدوارد إ " . " إيفانز – بريتشارد " (Edward E. Evans – Pritchard) في عام 1937 يقول: " ليس من السهل أن يوفي المرء كتاب الآنسة غرانكفست حقه من الثناء؛ فقدرتها على الوصف وإستخدام النصوص فائقة، ومادتها الإحصائية منظمة بشكل جيد. وأساليب عملها الميداني لم يتفوق عليها أحد من علماء الأنثروبولوجيا، وتبرز بوضوح في تدوينها لمادتها كيف تؤثر (القواعد الرسمية) و (الممارسة الفعلية) بعضها في بعض، وكذلك العلاقات بين سلوك الفرد والبنية الإجتماعية " (غرانكفست، 2020/10/07، 17:30 د).

يظهر مفهوم " الممارسة " في النظرية الإجتماعية؛ كان هناك في الحقيقة تحولان إلى الممارسة خلال النظرية الإجتماعية. المؤلف المبكر لـ " بيير برديو Pierre Bourdieu " والإنتقال الأوسع مرتبط جزئياً بـ " تيودور شيتزكي Theodor Schatzki "، كلاهما ملهم في جزء كبير، في تأملات " لودنج وتجنستن Ludwig Wittgenstein " الذكية على فشل الفلسفة في ديناميكيات التفكير والتصرف اليومي، حتى في (وخاصةً في) محاولة " تفسيرها " من منظور نظري، إلاَّ أن الآثار التي إستوحوها من " الممارسة " إلى التفكير الإجتماعي الأوسع، تلك التحولات لقيت معارضة حادة.

إستخدم " بورديو " مفهوم الممارسة وخاصةً جدلياً ، لتحديد سمات الحياة اليومية التي يشوهها، كما يقول، الأنثروبولوجيون البنيويون (وخاصة كلود ليفي ستراوس Claude Lévi - Strauss) منهجياً: إستمرارية الأفعال اليومية في الوقت، وجزئيتها التي تمنعها من أن تنخفض إلى " إجمالي " مجرد، ومن أحدث المؤلفات الآن عن الممارسة كتبها " تيودور " و " أندريس ريكوتز Andreas Reckwitz " وآخرون له أهمية نسبية

أوسع، رغم أن كتفسير إجتماعي له حدود سوف ترجعنا إلى برديو في بعض النقاط. بالنسبة لشيتزكي فإنه مثل برديو، يحقق مصطلح " ممارسة " غرضاً وصفياً ببساطة وليس نظرياً، ويتيح خطوة حاسمة أبعد من الإشكاليات القديمة في النظرية الإجتماعية (الأفراد مقابل المجتمع، والقوة في مقابل الهيكل)، الإشكاليات التي عالجها برديو أيضاً، بالنسبة لشيتزكي فإن الممارسة في حد ذاتها موقع نوع متميز من النظام " موقع حيث الفهم مبني ومتصل بذكاء "، أنه من الخصائص التنظيمية للممارسات المتميزة (مثل السباحة ولعب الورق) التي يصنعها " نظام إجتماعي " أوسع، بالفعل بالنسبة لشيتزكي فإن أفعال التنظيم التي تصبح بها الممارسات مميزة عن بعضها البعض هي موجودة في تنظيم الممارسة " التكراري "، إستعرض أندريس ريكوتز لهذا المدخل المفيد: " الممارسة هي نوع روتيني من السلوك الذي يتكون من مجموعة عناصر، مترابطة ببعضا البعض: أشكال من الأنشطة الجسدية، وأشكال من الأنشطة العقلية، و (أشياء) وإستخدامها، وخلفية معرفية في شكل فهم، ومعرفة كيفية، وحالات من العواطف، والمعرفة الدفاعية.

يميز شيتزكي بين العمل التنظيمي الذي تفعله التفسيرات من خلال الممارسة بين (1) الفهم، (2) توضيح القواعد، (3) نهايات، ومشروعات، ومعتقدات، وتساهم هذه العناصر في إعادة إنتاج الممارسة من خلال القدرات التي تسنها، وسياق الأفعال التي تمنحها، ليس لكل ممارسة تلك السمات: بالطبع، هي فقط تلك التي يسميها شيتزكي " الممارسات التكاملية " (مثل السباحة، والفلاحة، والطبخ) (كولدري، 2014، ص ص 63 – 64 – 65).

أما فيما يخص توجه علماء النظرية السيكولوجية؛ ونظرتهم لـ " الممارسة " حسبهم تتضمن الناحية الحركية فلا تعلم بدون ممارسة، والممارسة يجب أن يكون معها توجيه وإرشاد لتعديل السلوك وتحسينه وليس مجرد التكرار، لأن التكرار قد يعيد نفس السلوك بحذافيره دون توجيه وإرشاد (الفلفلي، 2012، ص 54).

- **المفهوم الإجرائي لـ الممارسة:**

هي ما يتعلق بالأعمال، حيث تدل على فعل أو نشاط يقوم به فرد أو جماعة من الناس تجاه شيء معين، وذلك يكون عن طريق الإحتكاك به والتدرب عليه، ويستخدم

هذا المصطلح للدلالة على العمل المستمر الذي يفسر من خلاله أسس العلوم التي هي محل التطبيق. لذا يمكننا القول أن المنظور السوسيو – ثقافي (Paradigme Socioculturel) هو الذي يهتم بدراسة الممارسات، مثلاً منها تلك التي تتمثل في المعتقدات والتصورات والقيم الجمعية.

2-المفاهيم المرتبطة بـ معتقد السحر المأكول:

- **العين (Eye):**

- **المفهوم اللغوي لـ العين:**

العين الشريرة (Evil Eye): للعين في اللغة العربية معان عدَّة نذكر منها:

- ✓ الأداة التي يبصر بها الإنسان والحيوان.
- ✓ النَّظر والمعاينة.
- ✓ عظم سواد العين وسعتها.
- ✓ المنظر.
- ✓ الذي ينظر للقوم.
- ✓ النَّفس، فَعَيْنُ الشيء: نفسه.
- ✓ أن تصيب إنساناً بعين، أي الإصابة بالعين، وهي التي سنتناولها في الفقرة التالية (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 8 – 9 – 10).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ العين:**

وتعرف " العين " في الإصطلاح على أنها: " هي تلك الشحنة السحرية المدمرة التي تقذفها النظرات الحاسدة، حتى عن غير قصد "، لذا يصنفها العلامة المغاربي " إبن خلدون " ضمن " التأثيرات النفسية " التي تصيب الإنسان، فيشرح في مقدمته الشهيرة طريقة الإصابة بالعين قائلاً: " إن تأثيرات نفس المعيان (أي ذي العين الشريرة) عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات والأحوال ويفرط في إستحسانه، وينشأ عن ذلك الإستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن إتصف به فيؤثر فساده " (وأعراب، 2007، ص 191).

نؤكد في هذا الطرح أن العين اللّعينة إمَّا عفوية (دون قصد)، أو إرادية (عن قصد)[1]، وفي كتاب " الطب النبوي " لـ " إبن الجوزية " أنه قال: " وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النَّوع الإنساني ". وفي الحكايات الإطالية أن البابا بيوس التاسع (Pie IX) كان حانقًا على نفسه بسبب إعتقاده أنه يصيب بالعين، وأنه تسبب في قتل مئات الأشخاص بسبب نظره إليهم طويلاً، ولأن العين إرادية، كان في مصر رجل مشهور بإصابة العين، رغم أنه أعمى، وكان هذا الرجل فقيرًا، يستخدمه الناس بهدف إيذاء أشخاص معينين يكنون لهم العداء والكراهية (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 14 – 15).

وإعتبار أن سهامها الملعونة تنطلق بدءًا من عين العائن ووصولاً إلى بدن المعيون، فمن أنواع الشياطين الخبيثة (العين الحاسدة)، وهي شيطانة العين التي تسبب الأذى والشر، والتي لا يصيب الرَّخاء أحدًا تحت تأثيرها، ويتوقف المطر في السماء، ولا تنمو الحشائش، ولا تتكاثر الحيوانات في الإصطبل (فخري، 2020/10/10، 21:30 د).

- **مفهوم (العين) في المنظور الأنثروبولوجي:**

ويفسر إنطلاق " سهام العين الملعونة " حسب التعبير " الأنثروبو – بيو – سوسيولوجي " أن: " صيبة العين من أكثر المعتقدات التي كانت شائعة في قُرانا، وموضوعها أن للعين قوة سحرية مؤذية يتمتع بها أفراد معينون، يمكنهم إلحاق الأذى بالآخرين، ويروى أن للعائن صفات: عينان زرقاوان، الأسنان الأمامية فارقة، الأحدب، المشلول، والمرأة الهزيلة الجسم والشاحبة " (شمسطار، 2020/10/11، 22:00 د).

[1] **الإصابة بالعين عفويَّة و إراديَّة:** يعتقد المؤمنون بصيبة العين أن الإصابة بالعين تكون، غالياً غير إرادية، بمعنى أن (المعيون) يُصاب بالشر من غير إرادة (العائن) الذي بدوره لم يقصد الأذيَّة، وإنما تكون عينه قد سبقته، ولذلك تتوقع إصابة العين من الأقرباء والمحبين، وهؤلاء طبعاً لا يقصدون إيذاء أقربائهم والذين يحبونهم. والإصابة بالعين إرادية لأن قوة الشر في أعين بعض الناس تجعلهم يستطيعون الإيذاء ساعة يشاؤون، عن طريق الإصابة بالعين بمجرد النظر إلى الشيء دون التلفظ بالتبريك.

فهذه " العين الرَّذيلة " ترتكز أساسا على أربعة ركائز رئيسية أثناء عملية الإنتقال وهي: الحسد، العين، العائن[1] و المعيون[2]، التي تندرج حسب التعبير الشعبي ضمن أقدم المعتقدات السحرية في تاريخ البشرية جمعاء، والتي عرفت إرثًا فلكلوريًا لدى شعوبها في الشرق والغرب، فسوء عين العائن (سوء النَّظرة) تأخذ شكلين أثناء صدورها وإختراق جسم المعيون، أولها " العين الباردة "[3] حيث ترافقها أذية ببرودة شديدة تشبه الثلج في بدن المعيون المصاب، أما ثانيها " العين الحارة "[4] التي تصاحبها سخونة

---

[1] – الشخص **العائن:** هو صاحب العين الشريرة أي الذي يُصيب بالعين فيوقع الأذى في الآخرين عن طريق عينه، وكل إنسان يمكن أن يكون (عائناً)، ولذلك تُتوقَّع الإصابة بالعين من جميع الناس دون إستثناء، سواءٌ أرادوا هذه الأذيَّة أم لم يريدونها، ولكن الذين هم الأقدر على (ضربة العين)، أو الذين تُتوقَّع منهم الإصابة بالعين أكثر من غيرهم فهؤلاء لهم مميزات جسمية وبيولوجية ظاهرة ينفردون بها عن الأشخاص الآخرين كـ (المرأة كثيرة الشعر، صاحب العينان الدائريتان ذاتا اللون الأسود، قباح الوجوه، العجوز الشمطاء، المرأة العقيم، الأقرباء ممن يريدون زوال النعم، الشخص الحاسد لأنه يحمل نفس خبيثة بداخله، الأعمى، الضخم الجثة، القزم، المشلول، المولود في نقص عضو من الأعضاء، أصحاب التشوهات الجسمية، الهزيلة الجسم، المرأة شَّاحبة اللون أي مُصفرة اللون... وحتى عيون الحيوان تصيب بالنظرة)،

[2] – الشخص **المعيون أو** الشخص **المعين (من يُصاب بالعين):** كل الناس والحيوانات والأشياء معرضة أن تصاب بالعين، فربما ينظر (العائن) إلى طير فيقع، أو إلى عنقود عنب فيسقط، أو إلى بقرة فتموت، أو إلى شجرة فتذبل، أو إلى إنسان فيمرض... إلخ، وأكثر الناس والحيوانات والأشياء المعرضة لضربة العين هي التي تمتاز بصفات تجعلها تفوق غيرها جمالاً، أو ذكاءً، أو ثروةً، أوجاهاً، أو مكانة إجتماعية... إلخ، وأكثر البشر تعرضاً لضربة للإصابة بالعين هم: (البنات في سن الزواج، العرسان يوم زفافهما لأنهما يلفتان الأنظار إليهما، المرأة النافس خاصة تلك التي تضع كان مولودها ذكر، الذكور في إحفال الذكور، أصحاب الوجه الجميل، القامة الفاتنة، أو أصحاب الذكاء الحاد... إلخ).

[3] – **العين الباردة:** هي تلك العين الشريرة التي تصاحبها برودة في جسم المصاب تشبه تلك البرودة برودة الثلج، وهي عكس العين الحارة، حيث يسهل علاجها من طرف المطببين الروحانيين لإختلاف أعراضها المرضية.

[4] – **العين الحارة:** هي عين تتسم بسرعة تأثيرها على المعيون، فيقع ضررها سريعاً وتصاحبها حرارة شديدة في الجسم، وتزيد سرعة العين الحارة بحسب قوة الحسد، فشدة الغل والنقمة في قلب العائن الذي لا يبرك تحرك همة الشيطان، فينطلق مرسعا قصد التوكيل عنها ونشر رغوتها السحرية داخل الجسم، وضرر العين الحارة أسرع من ضرر العين الباردة، فمن خلال الأولى يشعر المصاب عادةً بهبات حارة تقوم بالوخز حيث يشبه ذلك في مجمل الأحيان وخزة الإبر المنتشرة في جميع أنحاء البدن، فكلما حضر

حارقة كالنار المتوهجة، أساسها الكلام الخشن مع الشَّهقة (اَلْصْوَابْ الْخَايْبْ)، ويسمى سحر الرباطاب، أي ذلك الذي تقع فيه العين الحارة بقول مجازي يصدر عن السَّحار، هو باب في " فم المعيان ". وله أسماء كثيرة في ثقافات شتى مثل: (الفم الحار) و (اللسان الكأب) و (اللغة الشريرة) و (الفم الأسود) و (النفس، الفم، العفن)، وبلغ عن تبعية الفم للعين أن "س.سليغمان" الأنثروبولوجي البريطاني الذي كتب عن السودان، أن السحر بالكلمات هو وجه من وجوه لحظ العين. لأن للنظر والتحديق ربما قيمة موثوقة ومستقرة بوجه عام قياسا بالعبارة (إبراهيم، 2020/10/26، 13:04 د).

على أثر طرافة هذا الموضوع تصدرت طائفة من الدراسات الحقلية الأنثروبولوجية الغربية و العربية حول إعتقاد الأفراد والمجتمعات في " أسباب و أمراض العين "، وكل ما يتعلق بالأساليب الوقائية والعلاجية من تعليق التمائم والأحجبة، والعلاج بالرُّقى الشعبية: (الرُّوحانية)[1] منها التي هي خاضعة للتجربة، أو بالرُّقى (الشرعية)[2] النابعة من أهل الإختصاص والخبرة في مجال السحر والخفي، بهدف درء أذيتها المحدقة بالمخلوقات في جميع الأماكن والأوقات. فمن خلال هذه السلوكات السائدة في محيطه، والتي تعلمها يبدأ من الأسرة والمجتمع، يكتسب الفرد الممارسة لتنتقل عبر الأجيال،

شيطان العين الموكل عنها ودخل الجسد كلما إشتدت تلك الإبر في عملية الوخز، وعادةً هذا النوع من الشياطين يكون من مردة الجن أي من فصيلة (الجن الناري الطيار) المتلاعب الذي يسهل عليه الدخول والخروج متى يشاء ذلك.

[1] **الرُّقى الرُّوحانية:** يقصد بها التطبيب الرُّوحاني، والمعنى من ذلك هو أن الرُّقوة الشعبية الرَّوحانية هي تكمن في علاج الأمراض الرُّوحية التي يرجع سببها لتوكال السحر والمس والعين والحسد بشكل نصفه شرعي وهوتلاوة القرآن الكريم، لكن وصفها الثاني يدخل فيه الإستعانة بالجن المسلم الفاضل قصد إكمال عملية الإستشفاء بالروحانيات الخيّرة. وهي رقوة يعتقد القائمين بها من أطباء الطب الرُّوحاني على أنها فعالة وسريعة التطبيب، لذا نجدها هي الأكثر تردداً عليها بهدف علاج المرضى بالأمراض الرُّوحانية المتنوعة لدى أفراد المجتمع التّبسي.

[2] **الرُّقى الشرعية:** بمعنى العلاج الشرعي الخالص الذي لا يحتمل التزكية من طرف الجن الصالح في عملية تطبيبه، والرُّقوة الشرعية: هي مجموعة من الآيات القرآنية والأدعية المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأسماء الله الحسنى يقرؤها المسلم على نفسه أو يقرؤها عليه راقي من أصحاب العلم الشرعي، تعالج الرقية الشرعية وتقضي تماماً على جميع الأمراض الرُّوحية والعضوية التي تسببت في حدوثها الأرواح الشريرة والسحر، حيث تعمل على حرقها لكن ليس هو ذلك الحرق النهائي الذي نجده في الحالات المستعصية التي يستلمها الطب الروحاني الناجع والفعال.

حسب " وسترمارك Westermark " في دراسته: " للشعائر والمعتقدات في المغرب " أن هذه الشعوب إعتقدت أيضا في قدرة اليد البشرية، ولم يكن المغرب بمنأى عن تأثير تلك الحضارات، حيث تشير المعطيات الأثرية إلى رمز الكف الواقية، بدليل أن نماذج من " يد فاطمة "[1] وجدت ضمن اللُّقى الأثرية بموقع شالة الأثري بالعاصمة الرباط، وتحدث " إدموند دوتيه " عن الأثر المدمر لنظرات الشخص المعيان، أنها تجاوزت حدود المقبول، وإن كانت تعكس درجة الخوف من الإصابة بالعين، ومن الأمثلة الحكاية التي سمعها (دوتيه) خلال زيارته إلى مدينة " الصويرة الكبيرة " (في الجنوب الغربي للمغرب)، في بدايات القرن الماضي عن أحد الأشخاص المشهورين بـ " حدة نظراتهم " كان يتجول في الجزيرة، فرأى صخرة ضخمة وصاح: " يالها من صخرة كبيرة "، فنفجرت الصَّخرة وإنشطرت أمام الأنظار إلى ثلاثة أجزاء. وحسب " ج. هربر ": " أن اليهود المغاربة الذين كانوا يشتغلون في صياغة وتجارة المجوهرات، لعبوا دورًا رئيسيًا في ترويج "الخميسة"، حيث وجدت بعض البقايا الأثرية بموقع شالة بالرباط تعود إلى العهد الروماني " (وأعراب، 2007، ص ص 190 – 192).

وقد ورد في مؤلف " لوزي A. Lusy " بعنوان: " La puissance du regard "، في بعض البلدان وخاصة في إيطاليا، عندما تظهر في عيني أحد الأشخاص " تشوه معين "، فإن الناس يحذرونه، ويعتبرون أنه يؤذي بعينه، كما يتشاءمون من اللقاء به، ولقد جاء في مجموعة (Sélection du Reader's Digest) في مقال بعنوان: (Un regard meurtrier) في القرنين (16 و 17)، كان الناس يعتقدون أن السحرة يستطيعون إماتة ضحاياهم بواسطة العين. ومئات النساء قُتلنَ لأنهن نظرن نظرات غضب إلى أشخاص ماتوا فيما بعد، وكان القضاة يخشون من أن يسحروا وهم يقرأون أحكامهم، ولذلك كانوا يجبرون المحكوم عليهم بإدارة الظهور وهم يعلنون هذه الأحكام. ويروى أن الدكتاتور الإيطالي الفاشيستي " موسوليني Mussolini " كان يخشى كثيرا العين الشريرة حتى إنَّه رفض مقابلة الملك الإسباني " ألفونس الثالث عشر Alphonse "

[1] **يد فاطمة:** هي عبارة عن تميمة تأخذ شكل اليد البشرية، تعلق هذه الأخيرة على أعنق الأشخاص أو المواشي، أو البيوت أو المركبات، حيث توضع في مقدمة ذلك الشيء قصد درء أذى العين والحسد المحدقتين تجاه ما أعطاه الله للإنسان من نعمة، وهذه الممارسة قديمة قدم الإنسان.

XIII لسوء صيته، وقد أجرى المفاوضات السياسية معه وأتمَّها بواسطة مندوب فوق العادة، كلُّ ذلك من أجل تجنُّب لقائه. وكذلك يروى أن بعض مندوبين في هيئة الأمم المتحدة كانوا يغيرون وجهة أنظارهم عندما يرون شيئًا يشبه العين، وأن قبيلة " اللوغبارا " Lugbaras الإفريقية في الكونغو تجعل الإصابة بالعين من صميم عاداتها وتقاليدها، وكان أفرادها يعرفون صاحب العين الصائبة بواسطة " حولة " نظرة عينيه وشراسة أخلاقه، وكانوا يدرأون شرَّ العائن بتقديم البيرة والتبغ إليه (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 27 – 28 – 29 – 30).

شهدت منطقة البحر المتوسط؛ بما فيها من مجتمعات ريفية متناثرة ونائية ومؤمنة بتأثير العين الحاسدة، وجهة مباشرة بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا الأوروبيين لإجراء الدراسات الميدانية، فقد كانت تمنحهم ما يرغبونه من بُعد عن العالم الصناعي الحضري الغربي (ديفيز، 2014، ص 38).

ويذكر " إبن خلدون " في " مقدمته المشهورة ": " أنه شاهد بعض الناس إذا نظر إلى خروف أو نعجة نظرة خاصة أصابها بالبَعج، فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض "، وأطلق على هذه الفئة من الناس لقب (البَّعَاجين) " (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 27).

وفي إعتقاد المغاربة أن أشخاصًا معينين " عينهم تفتت الحجر "، ولهم علامات ظاهرة تفضحهم، كأصحاب (النظرات المحدقة)، وذوي (العيون الغائرة) في مجرها، والنساء بشكل عام، والعجائز منهن بشكل خاص، ولذلك كانت الأعراف تقضي خلال المناسبات الإحتفالية كالأعراس مثلاً، أن يتم جمع العجائز لوحدهن مع الحرص على أن يتناولن الطعام ويبقين بعيدًا عن العرسان، وعمومًا أن الأشخاص الأنانيين والنمامين والغشاشين وأصحاب (النَّظرة المائلة) والذين ينظرون إلى الناس وعلى وجوههم (ملامح التكدر)، كل أولئك أعينهم شريرة، وينبغي تفاديهم (وأعراب، 2007، ص 192)

يعرف " الإعتقاد " على أنه: " التصديق الجازم بشيء ما وفي الظن والرأي قدر من التصديق، ولكنهما معًا دون الإعتقاد واليقين والإيمان أسمى درجات الإعتقاد يقومان

على تصديق جازم لا يقبل الشك وليس بلازم في كل إعتقاد أن يكون وليد حجج منطقية" (مذكور و آخرون، 1975، ص 49).

ومن ناحية أخرى وجد " وسترمارك " أن المغاربة لهم إعتقاد بتوارث العين الشريرة بين عائلات معينة، ومن الحكاية الشعبية عن توريث الحسد من الأب إلى الإبن " أن رجلاً كان معروفًا بعينه الحاسدة التي تقتل الأطفال حديثي الولادة بمجرد النَّظر إليهم، ولدت زوجته وإضطر إلى مغادرة المنزل إلى حين كبر الإبن، وحين عاد إلى بيته دخله بطريقة عكسية (بظهره)، فصاح الإبن عند رؤيته وقال " أنظر كيف يدخل أبي من الباب كما يدخل المنجل في الجرابة "، فإستدار الأب إلى إبنه وقال – بسم الله الرحمان الرحيم – وقال له " إن عينيك تشبه المسدس "، فسقط كلاً منهما ميتًا بسبب نظرتهما الحاسدة اللا إرادية (عبده، 1988، ص 279).

" الإصابة بالعين " أو " الحسد " حسب بعضهم؛ هي أذية بواسطة العين عن طريق موجات كهرومغناطيسية شريرة تسري من الحاسد إلى المحسود، أو عن طريق روح شريرة، كأرواح قلوب بعض البشر، أو أرواح شياطين العشق (الجن العاشق)، ونظرة بعض الحيوانات: كالقطط، والكلاب، أو الأفاعي والثعابين يعتقد أن نظراتها قد تؤذي الإنسان والتي تبعث التشاؤم، وعادةً هذه الرموز الأخيرة كثيرًا ما تظهر وتصور للمعيون في أحلامه وتعمل على إخافته وإفزاعه بالأذية وهو نائم، لتصبح العين الشريرة مادة سحرية تسمى " Isvak " يعتقد بوجودها عند قبائل " التيف Tiv " في نيجيريا، فـ " العين الحاسدة " من أسهل وأكثر مظاهر (الإخفائية) إنتشارًا، هي أشبه بـ " عدسة مكبر Lentille de loupe " يعترض الأشعة الكونية المغناطيسية الموجودة في الإنسان لتستنفرها وتجمعها وتوجهها بقوة نحو الأشخاص والأشياء (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 11).

يقال " نظرة قذرة "، " نظرة مهلكة "، " نظراتها قد تقتل "، " التحديق ببعض "، وهي عبارات تتولد عن واحد من أنواع الخوف الشائعة المرتبطة بالعين الشريرة، ربما يرجع الرعب المشار إليه إلى الإعتقاد بشيطانية العين العاكسة والخطر الذي ينزل به شبيهه المنعكس في بؤبؤ عين الشخص الذي ظهرت الصورة في عينيه، سيطر الخوف

المذكور على بعض القبائل الإفريقية البدائية قبل أقل من قرن، لإعتقادهم بأن تصويرهم بالكاميرا قد يسرق منهم أرواحهم، حيث إستخدم المصريون القدماء الكحل كأول مضاد للعين الشريرة وضعه الناس بشكل دائري أو بيضوي حول العين ذكورًا وإناثًا (باناتي، 2020/10/29، 14:10 د).

وتأثير العائن أو الحاسد غير موقوف على الإتصالات الجسمية بل التأثير يكون تارة بالإتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجيه الروح نحو من يؤثر فيه وتارة بالأدعية والرُّقى والتعاويذ، وتارة بالوهم والتخيل، قال الله تعالى لنبيه: " وَإِنْ يَكَادُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَا سَمِعُوا الذِّكْرَ "، فكان النبي (محمد) – صلى الله عليه وسلم – يتعوذ من الشياطين والجان حتى أنزل الله أمين الوحي جبريل–عليه السلام– حاملاً المعوذتين، فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنًا (حجازي، 2003، ص 129)، فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن يصادف البدن لا وقاية له أثَّر فيه، وإلاَّ لم ينفذ السهم (العسقلاني، س. ن. غ. م، ص 170).

وقد إشتكى بعض الناس على هذه الإصابة فقالوا: كيف تعمل العين من بُعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟، وأجيب: بأن طبائع الناس تختلف، فقد يكون ذلك من سُم يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون (الزرقاوي، س. ن. غ. م، ص 386).

نجد " إبن القيم الجوزية " يهاجم الذين لا يعتقدون بالإصابة بالعين، هجومًا عنيفًا، ويجعلهم من أجهل الناس بالسمع والعقل، فعقلاء الأمم (على إختلاف مللهم ونحلهم) لا تدفع أمر العين ولا تنكره: وإن إختلفوا في سببه، ووجهة تأثير العين. فقالت طائفة: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، إنبعث من عينيه قوَّة سُميَّة تتصل بالمعين، فيتضرر. قالوا: ولا يستنكر هذا، كما لا يستنكر إنبعاث قوة سُميَّة من الأفعى، تتصل بالإنسان فيهلك. وهذا أمر قد أشتهر عن نوع من الأفاعي: أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن. كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الأبتَرَ وذي

(الطُّفْيَتَيْنْ)[1] ؛ من الحيَّات: " إنها يلتمسان البَّصر، ويسقطان الحبَل ". ومنها: ما تؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية، من غير إتصال به، لشدة خُبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 55 – 56 – 57).

حيث يطلق على هذا النوع من صيبة العين الشريرة حسب التعبير التبسي؛ " سحر ضربة العين " الذي يتوكل عنه عادةً " شيطان عين " داخل جسم المعين، فيقوم هذا اللعين بوظيفة " السحر Magic " داخل الجسم. كما يعرف بأنه عقد ورقى وكلام يتكلم به ويكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن إمرته فيمنعه وطأها، وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب الإثنين (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 89).

- **المفهوم الإجرائي لـ العين:**

في صدد هذه المقاربة في مدينة تبسة؛ ننطلق من وجود إعتقاد أن هناك أشخاصاً معيانين "عينهم تفلق الحجر"، ولهم علامات ظاهرة تفضحهم، كأصحاب النظرات المحدقة، وذوي العيون الغائرة من النساء بشكل عام والعجائز ومنهم أيضا الرجال والأطفال فوق سن البلوغ، ولذلك كانت الأعراف تقتضي خلال المناسبات الاحتفالية كالأعراس أن يتم جمع العجائز لوحدهن حيث يتركن بعيداً عن العرسان والأشخاص الذين لديهم نعمة ربانية في الجمال الخارجي المرتبط بالمنظر وبنعمة سعة الصحة والرزق... إلخ.

[1]– مصطلح " **الطُّفْيَتَيْن** ": هي حيَّة خبيثة وسميت بذلك لأن على ظهرها خطين أبيضين، ويصنفها الرُّقاة الشرعيين في المجتمع التبسي على أنها: من أصعب أنواع الجن الذي يتحول فور سكنته لبدن الشخص المعيون إلى (جن عاشق) متلبس، خاصة منه ذلك الذي يأخذ اللون الأسود (الجن اليهودي) الساحر الذي يعقد ويمرض الجسد عن طريق ظهور آلام في المفاصل والأكتاف من خلال إستقراره في الجانب الأيسر من بدن المعيون، حيث يصاحب هذا النوع وخز شديد كالإبر منتشر في جميع مناطق الجسم والقلب، نجد هذا النوع يفرق بين الزوجين، ويمارس الإعتداءات الجنسية المتكررة خاصة في الليل أثناء الخلود إلى النوم، وبالإضافة إلى ذلك إفزاع المريض وممارسة الضرب القاسي عليه يومياً، خاصة إذا لجأ هذا الأخير إلى العلاج الرُّوحاني وإلى رقوة المعين، فهذه الحيَّة هي من أشد أنواع العفاريت تملكًا للشخص المعين.

- **الحسد (Envy):**

بما أننا بصدد الحديث عن أسباب الإستخفاف والتي من جملتها الحسد، أرى من المناسب بيان حقيقة الحسد من خلال تعريفه لغةً وإصطلاحاً، وبيان نوعه على النحو الآتي:

- **المفهوم اللغوي لـ الحسد:**

هو (تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد)، يقال حسده على نعمة الله، وحسده نعمة الله، أي تمني زوالها (الحديثي، 2007، ص 74). قال في لسان العرب: " الحسد معروف، حسده يَحْسدُه ريَحْسُدُه حسداً وحسَّده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما هو، ويقال: الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه. و الغَبْط: أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه " (بن جبرين، 2020/11/01، 18:01 د).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الحسد:**

هو لا يكاد يخرج عن معناه اللغوي، فقد عرفه الإمام الغزالي (رحمه الله): " إنه كراهة النّعمة، وحب زوالها عن المنعم عليه " (الحديثي، 2007، ص 74). وهو أيضاً: " بغض نعمة الله تعالى على عند المحسود، وتمني زوالها ". وهو: " أن يتمنى الحاقد والحاسد زوال نعمة الله تعالى عن المحسود، سواء عادت نعمة الله عن المحسود على الحاسد، أولم تعد، وليس بلازم أن يتمنى الحاسد عودة نعمة الله تعالى، أو مثلها عليه بعد زوالها عن المحسود "، وهو أيضاً: " الإعتراض من الحاسد على إرادة الله، فهو نوع من الكفر فهولا ينكر أن الله هو المنعم فقط، ولكنه يعترض على الإرادة التي أعطت النعمة ". ذكرت (سُميَّة العين) في السنة النبوية الشريفة، لكن (سُميَّة الحسد) فذكرت من خلال القرآن الكريم في قوله تعالى: " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوَيَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (109) . وجه الدلالة في الآية: أنها تدل بمنطوقها على أن معظم أهل الكتاب يتمنون أن تزول من عند المؤمنين الموحدين نعمة الله الكبرى، وهي " الإيمان " بالله الواحد الأحد. ويظهر ذكر مصطلح الحسد أيضاً في

قوله تعالى: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا " (54) . وجه الدلالة في الآية: أنها تدل بمنطوقها على أن فئة من الناس كانوا يحسدون من أنعم الله عليهم من آل إبراهيم لما أنزل عليهم الكتاب والحكمة والملك العظيم. وكذلك يدلل عن صيبة الحسد في قوله تعالى: " سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا " (15). وجه الدلالة في الآية الكريمة: أن قول المنافقين مخاطبين المؤمنين " بل تحسدوننا " بهتاناً وإثماً مبينا، يدل على أن " الحسد حقيقة واقعة (أبويحي، 2020/11/03، 21:03 د).

- مفهوم (الحسد) في المنظور الأنثروبولوجي:

وتفسر الإصابة بـ " الحسد " في البعد " الأنثروبو – بيو – سيكولوجي " حسب بعضهم على أنها: " إنفعال نفسي إزاء نعمة الله على عباده مع تمني زوالها " (إ. م. غ. م، 1976، ص 132)، أما سببه فيعود: " إلى الغيرة من عدم الإمتلاك، أو عدم الوصول إلى الغاية التي إمتلكها أو التي وصل إليها الآخرون "، وبالتالي فهي حالة من الشعور بالنقص المادي أو المعنوي، مستندة إلى نوع من العجز في ذات الحاسد لا يستطيع أن يتغلب عليه، فهو لا يرى وسيلة لتغطية نقصه ليصل إلى درجة التساوي مع الآخرين أو التفوق عليهم إلاَّ بأن يصيبهم ما يفقدهم عنصر التفوق، وهو إذ لا يستطيع ذلك مادياً، أي لا يستطيع سلبهم من عناصر تفوقهم النسبي، لا يجد حيلة إلاَّ أن يتمنى لهم الشر والفقدان، وهو بذلك يحسدهم (بدران و الخماش، 1979، ص 251).

وإذا كان الحسد: " هو تمني زوال نعمة الآخرين، فإن هذا التمني قد يخرج من حيّز الأمل والرجاء إلى حيز الفعل، أي إلى إلحاق الضرر والأذية بالآخرين بطريقة خفية سرية غير منظورة، وذلك عن طريق: (العين، والشَّم، اللَّمس، والسمع)، فالعين هي الوسيلة الأولى لتنفيذ الحسد " (شميس، 1970، ص 44).

ويختلف مفهوم " الحسد " عن " الغيرة Jealousy ": التي تنطوي على شعور بإغتصاب شخص آخر لما نعتبره حقاً لنا (بدوي، 1978، ص 135)، ولا نعتبرها

حسد إلاَّ عندما تتجاوز هذه المشاعر الرغبة في الإمتلاك إلى القدرة على الإيذاء، وهناك بعض المجتمعات تربط بينهما منها " قبائل الأزاندي " في إفريقيا الوسطى حيث الإعتقاد الشائع بينهم: " أن الغيرة والحسد يتبعهما الإيذاء بالعين الشريرة والتي يعزوا إليها أغلب (حالات الوفاة) بأسباب غامضة، أو (الإصابة بأمراض) ليس لها علاج والتي تفسر بأنها إصابة أصحابها بالعين الشريرة " (Geoffrey, 1958, P P 189 – 190).

وبما أن " غريزة الحسد " والطمع، تفترض عدم وجود ذلك الشيء وغيابه، ويخلق هذان الموقفان الطبيعة الرمزية، يعني هنا، نمو وتطور الرابط بين البشر. ومن هنا، فإن هذا الرمز الذي يؤمن ظاهرة التماسك الإجتماعي، يتمثل في إبتداع الطقس الديني. هكذا، تسمح لنا هذه الإطلالة المقتضبة، بتناول موضوعي لأطروحات مختلف المدارس، ووضع هذا " الجانب البيولوجي " للجريمة، ضمن حركة فكرية، إجتماعية وسياسية أعمق، تتمثل في مواجهة العنصر المحوري للنظرية اللومبروزية والمتمثلة في أطروحات الإرتداد إلى الأسلاف والأصول (التآسل) التي تؤكد على وجود سمات تشريحية وسيكولوجية، تشكل إرتكاساً نحو الإنسان البدائي الذي يتميز بحالة تختلف من الناحيتين البيولوجية والأخلاقية (بو خريسة، 2020، ص 10).

أمَّا عن تفسير الموقف السيكولوجي؛ لـ " جريمة الحسد " ونتيجةً لضررها المادي والمعنوي الذي يضرب: (الإنسان، الحيوان، النبات والجماد) ونجدها تتمثل مثلاً في: ان الخطوة التي لا يمكن تفاديها في تقدم الحب هي التحول عن الحسد اللاواعي الذي يجد فيه الهوى واحداً من جذوره، فإذا لم يختلف الحسد، فإنه يؤدي إلى مشاعر العداء، ما من حسد ودي. فهذا الإنفعال يشتما ضمناً على كل بذور الكراهية، خاصةً حين لا يكون المرء راضياً عن نفسه، وهذا النوع من الحسد هو مواصة لشعور مستمد من فترة الحضانة وأفضل ما يعبَّر عنه هي عبارة (أنا أيضاً) التي غالباً ما نسمع الأطفال يتلفظون بها. وهو يتحول بسرعة إلى نقمة إلى الآخر المتمتع بإمتياز. وهكذا فإن الطور التالي من التطور اللاواعي يتَّسم بالعداء تجاه الشخص (المحبوب). والعداء، والكراهية، هو سلف غير واع للحب، على الرغم من أن العاطفة، قد لا تكون تعقبه بالضرورة. وبضغط من الحسد تُجرى محاولة مركَّزة للحط من قيمة الشخص المحسود

والذي هو محط إعجاب، وللإقلال من شأنه في أفكار المرء، وتلطيخ صورته، التي تهدد بإقصاء كل ما عداها والتحكم بالنفس تحكماً مطلقاً وشاملاً (Totalitarian). وفي بعض الأحيان قد تتكلل هذه الثورة الإنفعالية ضد دكتاتورية شخص واحد بالظَّفَر (رايك، 2005، ص 124).

وكتاب الحسد: يتكون من عدة أبواب يعرض المؤلف فيها للحسد ووصفه وتفسير محرمه من مباحه، وباب من الحسد وليس بالحسد بعينه، وما يكون من الحسد على الرياسة وحب المنزلة، وما يكون من الحسد عن الحقد والعداوة والبغضاء وما يكون من الحسد عن حب ظاهر الدنيا، وما يكون من الحسد عن العجب، ومتى يعلم العبد أنه قد نفى الحسد، والرد على من قال إن الحسد بالجوارح وإنه لا يضر إذا كان في القلب ما لم يبده بفعل جارحة وبيان خلافه للعلم، وهل على الحسد مظلمة كالمحسود عند الحاسد إذا أصابه ما تمناه؟ وهو ذنب بينه وبين الله عزَّ وجل (نجاتي و السيد و آخرون، 1417 هـ – 1996 م، ص 85).

ويندرج قول أن: " سحر توكال الحسد " و " سحر توكال العين " ما هو إلاَّ سبب مباشر في تعاطي السحر الجسدي بمعنى (سحر التوكال) الحواسي بوجه خاص، وهذا يظهر من خلال ضربتهما لبدن الإنسان و بدن الحيوان، وبالتالي كليهما يتسببان في ضرر " التَّسمم السحري " المعروف من خلال تأثيره عند الكثير من الأفراد التباسَّة، حينها نجد الحسد في أقصى درجاته المستعصية يظهر في توكيل الشخص (الحاسد) لـ (شيطان حسد) إذ ينطلق هذا الأخير من نفسه المؤذية ليسبب المرض والعكوسات في جميع أنواعها، لذا نجد: عندما ينال الإنسان حظاً طيباً عليه أن ينقر على الخشب درءاً للحسد، وغرز الإبر في صور شخص ما يؤثر فيه من بُعد، وتعليق حدوة حصان والكف المعدنية على واجهة المنزل يحميه من الحسد والعين، ومن الضروري إراقة دم الحيوان كالخروف والديك على عتبة المنزل عند شراء منزل أو سيارة درءاً للعين والمرض، حيث يخرج من عين الحاسد شعاع يفلق الصخر والحجر (الزاغة، 2010، ص 94).

فكل هذه المقتنيات هي عبارة عن مصدات لمرض سحر توكال العين الحاسدة الخبيثة.

- **المفهوم الإجرائي لـ الحسد:**

وفي هذه المقاربة؛ ننطلق من المفهوم الإجرائي للحسد كظاهرة أنثروبولوجية فهو يصادف في مضمونه توكال سحر الحسد الذي هو: ينطوي في إعتقاد الفرد التّبسي على أنه هناك بعض الأفراد لديهم قدرات شخصية على إيذاء الآخرين، وذلك من خلال الحديث عن مسترزقاتهم حتى وإن كانوا بعيدين وغير موجودين أمامهم، حينها يصابون بالحسد نتيجةً لإعجاب هؤلاء بما لديهم من حسنات وعطاء رباني، وقد يصحبه الرَّغبة في إمتلاكها أو تمني زوالها. وإذ كان الحسد يتجاوز هذا التمني فتصبح حتمياً هناك رغبة أكيدة في الإيذاء السحر – توكالي المباشر والذي ينطلق مع الضرورة الملحة من أنفس هؤلاء الأفراد الحاسدين لإحداث الأذى البدني ذا الطابع السحري التَّسميمي.

- **الجن و الشياطين (Jinn) and (Demons):**

- **المفهوم اللغوي لـ الجن و الشياطين:**

تستخدم في اللغة العربية مادة (جن) التي تحتوي إشتقاقات كثيرة مثل: الجنون، والجنّ، والمجنّ، والجَنَان، والجنين (عطية، 2018، ص 146). أما الوقوف على كلمة (شيطان) وما تحمله من دلالات وعان، لا بد من الرجوع إلى أهل اللغة، وبعد الكتاب في كتب اللغة العربية المعتمدة عن أصل هذه الكلمة، وجدت إختلافاً لهم حول أصل كلمة الشيطان وإشتقاقها على قولين:

✓ **القول الأول:**

إن كلمة الشيطان مشتق من (شطن مصدره شطنة يشطنه، إذا خالف عن نيته ووجهه)

قال إبن منظور: (فيعال من: شطن، إذا بعد عن جعل النون أصلاً، وقولهم الشياطين دليل على ذلك).

✓ **القول الثاني:**

إن كلمة الشيطان مشتقة من (شَاط)

قال إبن منظور: (وقيل الشيطان، فعلان من شاط إذا هلك وإحترق مثل هَيْمَانَ و غَيْمان من هَامَ و غَام) (التكريتي، 2016، ص ص 25 – 26).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الجن و الشياطين:**

أطلقت كلمة " الجن و الشياطين " على " شياطين الجمع " أي " الأرواح الشريرة "، وهي تسكن الناس، فإن هذه الأرواح الشريرة هي رسل مرسلة من قبل شيطان، وتحت أمره وسلطانه، أمَّا تلك الأرواح الشريرة، فقد كانت تدخل الناس والبهائم، فتُحدثُ فيهم أعراض الجنون والصرع. وكان دخول " الشياطين في الناس " أمراً حقيقياً، ظهر على هيئة: (أمراض جسدية، وعقلية، والخرس، والعمى، والصرع، والجنون)، وقد أخرج يسوع هؤلاء الشياطين فعلاً، وقد ظهر أن هولاء الشياطين قد عرفوا يسوع يقيناً، وخافوا الدينونة، وكانوا يتكلمون وينتقلون من شخص إلى آخر وإلى البهائم، وفي ضوء هذا الشرح نفهم قصة المجنون الذي خرج من بين القبور، وقد صرَّح المسيح (عليه السلام): " بأن هذه الأعراض أحياناً ما تكون من نتيجة عمل الشيطان "، ولكن لا يجب أن ننسى أن المسيح (عليه السلام) جاء لكي ينقض أعمال إبليس، أمَّا نهاية الشيطان فإنه سيقبضُ عليه ويطرح في الهاوية، ويختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد، وفي النهاية يطرح في بحيرة النار والكبريت، ويعذب نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين.

ويمكن التعريف " بعالم الجن والشياطين " على أنه " عالم مستقل ": الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الإنصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على إختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان. و " سُموا جناً " جاء في آكام المرجان في أحكام الجان: (ص 7). أنهم سموا جناً لإجتنانهم، أي: إستتارهم عن العيون، قال " إبن عقيل ": " إنما سمّي الجن جنًّا لإجتنانهم وإستتارهم عن العيون، ومنه سمي الجنين جنيناً، وسمّي المجنّ مجناً لستره للمقاتل في الحرب ". وجاء في " محكم التنزيل ": " إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ " الأعراف: (27) (الجبالي، 2020/12/14، 20:10 د).

لقد تواترت الأخبار في أكثر من موقع في الكرة الأرضية حول رؤية أشخاص أو مجاميع من الناس في آن واحد أشياء تشبه الأطباق الطائرة تتحرك في السماء أو تهبط على الأرض، ويذكر الدكتور " عمر الأشقر " في كتابه " عالم الجن والشياطين " أن

حوالي 61 في المائة من الشعب الأمريكي مقتنعون بوجود مخلوقات غير الإنسان تسكن الأرض والسماء، وتزعم الصحف الأمريكية أن قرابة نصف مليون أمريكي شاهدوا هذه الأطباق، وبعض هؤلاء إستطاعوا أن يتصلوا بهم إتصالاً مباشراً؟؟، ويقول الدكتور عمر الأشقر: " أكاد أجزم بأن هذه المخلوقات هي من عالم الجن الذي يسكن أرضنا هذه، والذين تحدثنا عنهم فيما سبق وبينا ما لديهم من قدرات وإمكانات تفوق قدرة البشر، ولقد أعطوا سرعة الصوت والضوء، كما أعطوا القدرة على التشكل وهم يستطيعون أن يتمثلوا للإنسان في صور وأشكال مختلفة.

وهناك من يعتبر " مس الجن " و " الصرع " إسمان لظاهرة واحدة، وهناك من يفرق بينهما. و " إبن تيمية " ممن يرى أن الصرع الإسم الآخر للمس فلا يفرق بينهما لذا تراه يقول: " إن الصرع للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، كما يتفق للإنس مع الإنس... "، وقد يكون – وهو الأكثر – عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم إمَّا ببول على بعضهم، وإمَّا بصب ماء حار، وإمَّا بقتل بعضهم، وإن كان الإنس لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم، فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس، وذكر إبن تيمية أنه قد يحتاج في إبراء " المصروع " ودفع " الجني " عنه، إلى الضرب، فيضرب ضرباً كثيراً جداً، والضرب إنما يقع على الجني، ولا يحسه المصروع (القسم العلمي لشركة التراث، 2020/10/27، 12:51 د).

– مفهوم (الجن) و (الشياطين) في المنظور الأنثروبولوجي:

يرجع أصحاب " الأنثروبولوجيا البيولوجية " و " الأنثروبولوجيا المرضية " مثل هذه الأمراض الجسدية والنفسية والإجتماعية إلى تسلط " الأرواح السلبية " التي هي لا طلما طاردت الإنسان وآلمته منذ خلق الكون. إن السمة الأكثر وضوحاً في عمل " الأرواح الشريرة " هي أنها خارقة للطبيعة، وإن الكلمات التي تتكلَّم بها الأرواح الشريرة أو الأشياء التي تطلب من الناس القيام بها هي غير طبيعية وغير منطقية، كما أنها تخون الأخلاق الأساسية للطبيعة البشرية والعلاقات الإنسانية، وأنها لا تهدف إلاَّ إلى خداع الناس، ومضايقة الناس، وإفساد الناس. عندما تمتلك الأرواح الشريرة الناس، يشعر

البعض بخوف شديد، ويصير بعضهم غير طبيعي، بينما يقع آخرون في حالة ذهول، ولا يزال يجد البعض الآخر نفسه مضطرباً للغاية وغير قادر على الجلوس ساكناً. وعلى أية حال، عندما تمتلك الأرواح الشريرة الناس فإنهم يتغيرون، ويصيرون شيئاً لا هو بشري ولا هو شيطاني، ويفقدون طبيعتهم البشرية. ويكفي هذا لإثبات أن " جوهر الأرواح الشريرة " شرير وقبيح، وهو بالضبط " جوهر الشيطان "، تجعل الأرواح الشريرة الناس يمقتونهم ويحتقرونهم، ولا يكون لهم أي نفع أو عون للناس. والأشياء الوحيدة التي يستطيع الشيطان وجميع أنواع الأرواح الشريرة القيام بها هي إفساد الناس وإيذائهم وإبتلاعهم (فريق تحرير كنيسة الله القدير، 2018/10/28، 01:44 د).

ومن خلال هذا الطرح نضع التساؤل الخاص بـ " الجانب المرضي " وهو كالآتي: متى تعمل الأرواح الشريرة؟، وبناءاً على أي خلفية؟. إنها تعمل متى ظلَّ الناس بعيداً عن الله وتمردوا على الله، إن " عمل الأرواح الشريرة " يسحر الناس، عندما يخطأ الناس، وعندما يكونون في أضعف حالاتهم، وخاصةً عندما يعانون من ألم شديد في قلوبهم، وعندما يشعرون بالحيرة والإرتباك، تغتنم الأرواح الشريرة هذه الفرصة للإنزلاق لسحرهم وإفسادهم، ولزرع خصومات بينهم وبين الله، عندما يدعوا الناس الله، أو عندما تتحول قلوبهم إلى الله، أو عندما يحتاجون إلى الله، أو عندما يتوبون إلى الله، أو عندما يسعون إلى الحق... تبحث الأرواح الشريرة عن فرص لإفساد الناس وخداعهم، الله محبة، فهي تكره الناس، إذنً فهي حقيرة ومؤذية، وهي خبيثة ومنذرة بالشر (فريق تحرير كنيسة الله القدير، 2018/09/11، 14:12 د).

العالم كله مملوء حقاً بالشر والشياطين إله هذا العالم اليوم، تتضاعف أعمال العنف والشرر والرذيلة من حولنا، أنت وأنا تعمل في عالم يقع تحت سيطرة العديد من قوى الشر. " نَعْلَمُ أَنَنَا نَحْنُ منَ الله، وَاَلْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضعَ فيْ الشرّير " يوحنا الأولى 19:5. لكي تكون غالباً، يجب أن تعرف وتفهم العالم الذي وجدت فيه ويجب أن تنجح في التعامل مع هؤلاء الأعداء غير المنظورين ولكنهم حقيقيين. أشار " بولس الرسول " إلى " أنواع مختلفة من الأرواح الشريرة " التي يجب علينا التعامل معها كـ (الرؤساء والسلاطين وولاة الظلمة والأرواح الشريرة في السماويات أربع مجموعات معروفة من

الأرواح الشريرة) (ميلز، 2018/08/14، 13:10 د).

السؤال: هل يمكن أن يكون المؤمن ملبوساً بالشياطين؟ هل يمكن أن يخضع المؤمن لنفوذ الأرواح الشريرة؟

الجواب: إن " الكتاب المقدس " لا يتكلم حرفياً عن إمكانية أن يكون المؤمن ملبوساً بالشياطين، ولكن الحقائق الكتابية توضح بصورة لا شك فيها أن المؤمنين لا يمكن أن يكونوا ملبوسين بالشياطين. هناك فرق بين أن يكون الإنسان ملبوساً بالشياطين و/ أو أن يكون واقعاً تحت تأثير الأرواح الشريرة. فكون الشخص " ملبوس بالشياطين " يعني أن يكون " الروح الشرير " له سيطرة مباشرة أو كاملة على أفكار و أفعال ذلك الشخص (متى 14:17 – 18؛ لوقا 4: 33 – 35؛ 8: 27 – 33).

إن " تأثير الشيطان " أو الأرواح الشريرة يعني أن يهاجم الشيطان أو الشياطين " الإنسان روحياً " و/ أو أن يدفعه إلى إرتكاب الخطيَّة. لاحظ أنه في كل مقاطع " العهد الجديد " التي تتكلم عن " الحرب الروحية " لا نجد أية تعليقات بطرد الروح الشرير من شخص مؤمن (أفسس 6: 10 – 18). بل إن المؤمنين يوجهون لكي يقاوموا الشرير (يعقوب 4: 7؛ بطرس الأولى 5: 8 – 9) لا أن يطردوه خارجاً (عبد الفادي، 2018/06/16، 17:01 د).

بينما يمكن أن نشرح " حقيقة المرض النفسي " الذي يصيب الإنسان ويكون سببه " الأرواح المؤذية ": على أن في مجتمعنا الشرقي والإسلامي أعتقد أن أغلبية الأطباء النفسيين لا يمانعون إطلاقاً عندما تسمح حالة المريض من أن يقرأ عليه قرآناً أو أدعية لأن من المؤكد أن هذه الوسائل التي هي جزء من مكونات المريض العقائدية تساعد على دعم وتسريع العلاج الطبي من ناحية الإيمان بقضاء الله وتقبل إرادته مع توقع إستجابته لصلواتهم وأدعيتهم لرفع البلاء عنهم. ولكن من المهم أن لا يتدخل " المطوع " أو " الشيخ " في " العلاج الطبي " أو محاولة تنفير المريض أو أهله من متابعة العلاج لأن عدداً كبيراً منهم لا يؤمن بأي دور للطب في العلاج. وهذا ما أثبت عكسه المعالجون الروحانيون لمثل هذه الأمراض التي ترجع في أصلها لقوى ما وراء الطبيعة. هذه المؤثرات أو المخلفات المرضية: (البدنية والنفسية والعقلية والإجتماعية) التي

عجز عادةً عن تطبيبها أصحاب " العلاج النفسي " في حين نجع في تطبيبها " العلاج الروحاني" و رقوة " القرآن الكريم "، وهذا ما سنفصل فيه من خلال الفصل الأخير من مقاربتنا لأنجع طرق الطب الروحاني التي واجهت تسميم " السحر المأكول " في مدينة تَبسَّة.

يعتبر " الإعتقاد " بمسؤولية " الأرواح الشريرة عن الأمراض " مهما كان نوعها قديم من الأزل، وقد كانت القبائل البدائية في التاريخ الأول تعزى أي مصيبة تحل بالقبيلة من أوبئة وكوارث طبيعية وقحط ومجاعات إلى هذه الأرواح الشريرة إن لم تكن من فعل آلهتهم الغاضبة والمعاقبة لهم. وبالمقابل توجد " أرواح طيبة " مثل أرواح أسلافهم يلجأ إليها أطباؤهم لإلهامهم ومساعدتهم في التخلص من عبث الأرواح الشريرة...، كانت هذه الأرواح تفوق الخيال في " مسيبوتيميا القديمة " وكذلك كان الحال في " بابيلونيا القديمة " وقد كان للكهنة طقوس معينة يطردون بها هذه الأرواح من " أبدان المرضى " تشمل الصلوات وإطلاق البخور والأدعية للآلهة، وفي بعض الأحيان تحدي هذه الأرواح وأمرها بالخروج.

كتب الهندوس المقدسة " فيدا " التي وضعت سنة ألف من قبل الميلاد تحدثت كذلك عن هذه المخلوقات الشريرة، وكذلك كان الحال في " بلاد فارس " في القرن السادس قبل الميلاد. الكتب التي ترجع لهذه الحضارات تتحدث عن طقوس لطرد هذه الأرواح بواسطة الصلوات والمياه المقدسة. وذكر أن " هومر " قد تحدث مع الشيطان، أمَّا " سقراط " فقد وصف المجنون بالذي تحت تأثير الشيطان. وكذلك أكد " أفلاطون ".

إشتهر " الرومان " بطقوس خاصة، يلعب الجنس والخمر دوراً كبيراً فيها وذلك لتلبيس أنفسهم بالشيطان عن طريق دخوله أبدانهم وذلك في حفلاتهم الصاخبة، وإنتقلت هذه إلى اليونان القديمة لاحقاً. في حين نلاحظ التقاليد " الشامانية " تعتقد أن الأرواح الشريرة والشيطان مسؤولة عن سرقة أرواح المرضى والحلول محلها محدثة مرضه، ويترتب عن المعالج الذي يطلق عليه إسم " الشامان " البحث عن هذه الروح المسروقة وإستعادتها لصاحبها بعد طرد الروح الشريرة لكي يشفي المريض.

إلى يومنا هذا نجد هذا الإعتقاد " الإستحواذ بالأرواح " منتشراً ليس فقط في دول

العالم الثالث بل بين مجموعات في الدول الغربية المتقدمة التي فيها من يؤمن بتناسخ الأرواح، أي أن بعض أرواح الموتى التي كانت تعاني في حياتها أو لحظة مفارقتها للحياة بدلاً من أن تصعد إلى السماء تحوم حول الأرض لتحل في جسد جديد محدثه لصاحبه معاناة نفسية وجسدية هائلة. ونتيجة لهذا " الإعتقاد " فقد انبرى عدد كبير من " المعالجين الروحانيين " لتخليص هؤلاء المرضى من هذه الأرواح بـ " طقوس خاصة بهم". والجدير بالذكر أن بعض المعالجين النفسيين المعاصرين إبتكروا أسلوباً من العلاج النفسي أسموه " علاج الخلاص من الأرواح ". وهذا العلاج غالباً ما يكون تحت التنويم، وهو مشابه لحد كبير لأساليب المعالجين الروحانيين والتي تعتمد لحد كبير على إستغلال المعتقدات الخاصة بالمريض (النعيم، 2017/02/08، 18:02 د).

فالجن الكافر أو الشيطان المؤذي عند دخوله للبدن يقوم حينها بتسميم الملبوس أو الموكل المسحور، وذلك عن طريق توكيل هذا الخادم بهدف تتبع مادة (السحر المأكول) وكذلك حتى يتمكن هذا الجن من حراسة تلك (المواد السُمية) داخل بدن المصاب وكذا تفعيلها...عبر الدورة الدموية، فيقوم بدوره بتنفيذ المهمة الموكلة إليه من طرف ذلك الساحر المسمم، أين ينفث ذلك الشيطان من روحه وطاقته السلبيه في جسم المريض، حتى تتحول تلك المواد القذرة داخل المعدة إلى مواد تحمل العقد والطابع التَّسميمي السحري، حيث يصبح المتسمم المسكين محل سيطرة تامة من طرف هذه الروح السلبية الموكلة بهدف " الإنتقام " أو بهدف " المحبَّة"، أو بغرض " السحر الأسود" أو بغرض " السحر الأبيض ". فعن طريقه يمرض المتسمم بأمراض عضوية خطيرة والتي هي غير محسوسة لدى تشخيص أصحاب " الطب الحديث " لكن يحس بوجودها أصحاب " الطب الروحاني " و أصحاب " الرقية الشرعية " المباركة، ويرجع الإستشفاء وحده من هذا السُم إلى القرآن الكريم والطب النبوي الشريف.

- **المفهوم الإجرائي لـ الجن و الشياطين:**

ويقصد من خلال المصطلحين المصطلح المرادف لهما وهو قوى ما وراء الطبيعة أو قوى الخوراق من عالم الأشباح وعالم الغيبيات، وهو علم قديم النشأة، يسمى في العصر الحديث بـ " علم الباراسيكولوجي " أو " علم الميتافيزقيا "، يرتبط هذا العلم من

حيث معناه بتلك الظواهر الخارقة للطبيعة البشرية، والتي لا يمكن أن ترى بالعين المجردة لإعتمادها على حواس إضافية أخرى كالحاسة: (السادسة، السابعة، الثامنة، والتاسعة... إلخ)، ويسمى أيضاً بـ " علم الأرواح " الذي يبتعد كل البعد عن القوانين الثابتة، وهي عبارة عن إثنين من الأرواح الغيبة: الأولى تسمى بـ " الأرواح الشريرة " أي السلبية (المؤذية) والثانية منها يطلق عليها تسمية " الأرواح الخيّرة " أي الإيجابية (الصالحة)، حيث نجد الأولى يستعان بها من طرف الساحر المسمم بهدف إتمام نجاح عملية التوكال... أما الثانية يستعان بها من طرف المطبب الروحاني بهدف إتمام عملية الإستشفاء من الأمراض الروحية المستعصية.

- **التَّسمم الإجرامي (Criminal Intoxication):**

- **المفهوم اللغوي لـ التَّسمم الإجرامي:**

نقول: السّمُّ بتثليث السين: القاتل، وجمعها سمامٌ، والشيءُ مسمومٌ، فيه سُمٌّ، وسَمَّتْه الهامّةُ: أصابته بسُّمها، وسَمّه فلانٌ أي سقاه السُّمُ، وسمَّ الطعامَ: جعل فيه السُّمَّ، إذ جاء في أساس البلاغة: (وسلاحَ مسمومٌ ومُسَمَّمُ) فيه سُمٌّ، فقوله " مُسمَّم " إسم مفعول من سمَّمَ، وعلى ذلك نقول: سَمَّمَ السّلاح سقاهُ السُّمَّ، وسَمَّم فلان الماء. ولكن هل ورد " تسَمَّمَ " بمعنى أصابه السُّمُ؟

أقول: منع ذلك معروف الرّصافي، لأن " تسمّمَ " لم يذكر في كتب اللغة، إذ قال: (يستعملونه بمعنى المطاوعة لـ " سمَّمَ "، وليس في كلام العرب)، ولكن جاء في المعجم الوسيط: (تسَمَّمَ مطاوع سمَّمَهُ، ويقالُ: تسمَّمَ الطعامُ، وتسمَّمَ الرّجلُ والحيوانُ، وتسَمَّمَ الجُرحُ أصابهُ السُّمَّ أو سرى فيه " مولّد ") (الزاملي، 2013، ص 194).

يفسر طقس " التَّسمم الإجرامي " من خلال التعرف على " أول جريمة " تمَّ حلها عن طريق " إستخدام الدليل الحشري " هي ما ذكره المحامي الصيني " سونغ تشو " عام 1325 في كتابه: " غسيل الخطايا The washing Away of Wrong " وهو كتاب مختص بالتحقيقات الجنائية، وقد شرح سونغ قضية طعن رجل قرب حقل من حقول الأرز. وبعد يوم واحد من حدوث الجريمة، طلب المحقق الجنائي من كل الفلاحين أن يضعوا مناجلهم على الأرض وكانت جميع المناجل نظيفة جيدًا بإستثناء منجل واحد

إنجذب إليه بعض الذباب المعدي بسبب تواجد بقايا خفيفة جدًا من الدم عليه. وقد إعترف الفلاح بجريمته وأصرَّ على أنه " ضرب رأسه على الأرض "، وفي نهاية القضية تمَّ إدانة الفلاح في قتله للرجل، أين لاحظ العديد من العلماء في بداية القرن التاسع عشر إنجذاب حشرات معينة على الأجسام المتحللة.

- **المفهوم الإصطلاحي لـ التَّسمم الإجرامي:**

قد زاد إهتمام العلماء بأن قاموا بدراسة تعاقب الحشرات على الجثث ودورات حياتها وما هو دور هذا التعاقب في حل العديد من القضايا الجنائية. ومن الأوائل الذين نشروا عن إستخدام الحشرات في الطب القانوني أو الشرعي هو الدكتور الفرنسي " Bergret d'Arbois " سنة 1955، كان أول من إستخدم مفهوم تعاقب الحشرات في تحديد فترة ما بعد الوفاة للبقايا البشرية. وقد تمَّ إدانة متهم على أساس الدليل الحشري. في حين قدم الدكتور البيطري الفرنسي " Jean Pierre Megnin " كتاب يحوي العديد من الملاحظات حول جثث البشر، حيث لاحظ أن الجثث تخضع لسلسلة من التغيرات، وأن أطوار مختلفة من مفصليات الأرجل تظهر عند كل مرحلة من مراحل تحلل الجثة بصورة متعاقبة ومنظمة، وقد شرح ثماني موجات لتعاقب الحشرات والتي يمكن الإستفادة منها في التحقيقات الجنائية على الوفيات المشتبه بها.

ويعرف " علم الحشرات الجنائي Forensic Entomology ": هو علم حياة الحشرات في التحقيقات الجنائية، يشمل الحشرات وكذلك مفصليات الأرجل الأخرى كالعناكب للكشف عن ملابسات القضايا الجنائية للمساعدة في حل لغز الجرائم، حيث يعتبر " علم الحشرات الطبي القانوني الجنائي Medicolegal Forensic Entomology " كأحد فروع " العلوم الجنائية Forensic Science " الذي يستخدم فيه أي معلومات حول حياتية وبيئة وسلوك الحشرات للحصول على إستنتاجات أو أدلة يمكن أن تساعد في التحريات القضائية المرتبطة بالإنسان لإعطاء فكرة محددة عند إجراء تحقيق صائب في إحدى القضايا سواء فيما يتعلق بالإنسان أو الحيوان أو أن الجريمة قد وقعت على اليابسة أم في /الماء (الزغيبي، 2020/07/28، 08:00 د).

- **مفهوم (التَّسمم الإجرامي) في المنظور الأنثروبولوجي:**

يظهر تأكيد وجود هذا النوع من الأمراض من خلال ما أكد عليه الكولونيالي الفرنسي: " شارنو " حين قام بتشريح العديد من الجثث أثناء الحقبة الإستعمارية في المغرب حيث بين أن أغلبها توفي بـ " وصفات التَّسميم الشعبية ". تعتبر عملية إنتقال " السُّموم Toxins "، " المادة السَّامة Toxic substance "، أو رغوة " الأخلاط السحرية Magical mixtures " إلى بدن المغدور (المُتَسمم) إنسان كان أو حيوان على أنها تأخذ منحى حواسي (مروراً بالحواس الخمسة)، حينها يصبح التوكال في هذه الحالة خمسة أنواع إمَّا: (مشموماً، أو مأكولاً، أو مسموعاً، أو ملموساً، أو منظوراً)، فالمشموم منه يدخل من الأنف ويستهدف الجهاز التنفسي كالأبخرة والعطور، والمأكول والمشروب منه يدخل الفم ثم الجهاز الهضمي كالمكروبات والجراثيم والسموم عن طريق الطعام والشراب، أما المسموع فينتقل عبر الأذن ثم إلى الجهاز السمعي كتفطيره فيها أو سماع تعاويذ سحرية، في حين المنظور منه يدخل حاسة العين ويستهدف الرؤية كالكحل، أما إن كان ملموسًا فيتسلل عبر مسامات الجلد ثم إلى الدم والعروق كالمراهم ومصافحة اليد المطلسمة. هنا يكون القائم بالتوكال إمَّا (إنسيًا) يسمى بـ " التوكال المباشر " أو (جنيًا) يسمى بـ " التوكال غير المباشر ".

وهذا ما إرتبط أشد الإرتباط بـ (علم السموم، علم الإحياء الجزيئي وعلم البيئة)، فوصفات التوكال كما بين " الطب الشرعي ": هي عبارة عن شكلين في بدن المصاب: الشكل الأول يسمى بـ " الوصفات التوكالية التَّسميمية " (التي تحمل الطابع التَّسميمي فقط)، أمَّا الشكل الثاني فيسمى بـ " الوصفات التوكالية التَّسميمية السحرية " (التي تحمل الطابع التَّسميمي والسحري في آن واحد) ، ويعتبر النوع الثاني أشد من النوع الأول لأنه مضاف إليه طقوس وتعويذات سحرية تستوجب حضور الخادم (الجني) الذي يقوم بدوره على الزيادة من حدَّة المرض، ويتمم العملية عن طريق حراسته للمادة النَّجسة التي توجد داخل جسد المطعوم حيث يعمل على تفعيلها عن طريق الدورة الدموية لتعم جميع أنحاء الجسم.

تعتبر مقتنيات وصفات توكال " التَّسمم الإجرامي " (النوع الأول): من السُّموم

التي لا تترك أثراً، ففي القرن العشرين لم يعد إستخدام السُم في الإغتيال السياسي أو في تصفية المعارضين مجرد إغتيال، وإنما جزء من حرب بـ " السلاح البيولوجي ". ويوضح البروفيسور " مانفريد غرين " مدير مركز الإرهاب البيولوجي في جامعة تل أبيب أن " الرعب يسيطر على الناس بسبب إنعدام اليقين والخشية من إمكانية أن يتعرضوا هم أنفسهم للعدوى بالمرض القاتل"، وحسب قوله أن السموم يمكنها أن تكون مواداً بيولوجية جرثومية تلوثية ووبائية مثل: (الجمرة الخبيثة، الأبولا، الجدري، الكوليرا أو السموم التي تثبت عبر مصادر المياه والجو).

تفوقت جنوب إفريقيا على الولايات المتحدة في تطوير السموم في الثمانيات، وزاد " نظام التفرقة في جنوب إفريقيا " من " إستخدام السموم " من دون قيود، ووصلت معظم هذه العمليات حد الجنون، ووقعت من دون ريب تحت وصف " جرائم ضد البشرية "، ولم يتم الكشف عن أبعاد هذه الخطة إلاَّ بعد إنهيار نظام الأبرتهايد، وقد حظي الدكتور " ووتر باسون " بلقب " الدكتور موت " الذي أشرف في مطلع الثمانينات على خطة بيولوجية سرية تهدف إلى إنتاج سموم جراثيم وأمراض لإزالة معارضي النظام، وقد كتبت البروفيسورة " دينا بورات " في كتابها البيوغرافي عن " كوفنر ": أنه تسلم السُم من أعضاء في منظمة " الهاجاناه "، الأخوين " إفرايم " و " أهرون كتسير " اللذين كانا طالبين في قسم علم الميكروبات في الجامعة العبرية في القدس، وروى كوفنر لهما أنه بحاجة إلى السُم من أجل تسميم رجال " إس إس " المعتقلين في معسكرات الأسرى، وأخفى عنهما خطته الأصلية. قام علماء المعهد البيولوجي ومن بينهم " كلينغبرغ "، في الخمسينيات بأبحاث حول وسائل منع إنتشار أمراض معدية مثل القوباء الحلقية والسل (الياس، 1427 هـ – 2006 م، ص ص 8 – 10 – 11 – 12).

ويشتمل المنظور " الأنثروبو – بيو – إجرامي " لعملية " القتل بالسم " لدى علماء الأنثروبولوجيا والبيولوجيا وعلماء القانون الجنائي أن البيولوجيون يؤكدون على أنه هناك (عوامل شدة العدوى) تفرز بعض أنواع من الميكروبات المرضية مواد ضارة بالعائل، مثل السموم (التوكسينات Toxins) والإنزيمات الخارجية، لها علاقة (بشدة العدوى Virulence Factors) حيث تزيد من قدرة الميكروب على إحداث العدوى كـ " السموم

الميكروبية " منها السموم الخارجية والسموم الداخلية وكذلك " الأنزيمات الخارجية " والذي سوف نفصل فيهما من خلال الفصل الرابع الخاص بـ (أمراض السحر المأكول) في المجتمع التّبسي (شحاته، 1999، ص ص 14 – 15 – 16).

وينظر القانون الجنائي على أن هناك صورة من صور القتل تتميز بإستعمال وسيلة معينة وهي التسميم، وقد راعى المشرع في تشديد عقوبة القتل في هذه الصورة سهولة تنفيذ القتل وإخفاء آثاره، فضلاً عن أن إختيار إرتكاب القتل بهذه الوسيلة يدل على " غدر وجبن " ممن يثق فيهم المجني عليه عادةً ولا يرى وجهاً للمحازرة منهم. والقتل بالسم ينطوي عادةً على سبق إصرار، إذ يقضي إعداد السم وقتاً يسمح للجاني بالتروي والتبصر، ولكن يتصور القتل بالسم بغير سبق إصرار، كما إذا إنعقد العزم على القتل فجأةً وكان السم معداً.

ويشترط لتطبيق المادة التي نحن بصددها أن تتوافر أركان القتل المنصوص عليه في المادة (230) وتتمثل في الركن المادي والركن المعنوي مضافاً إليها أن يكون تنفيذ القتل بإستعمال (مادة سامة) على التفصيل الآتي:

✓ **وسيلة القتل:**

يتميز القتل بالسم عن صور القتل الأخرى بالوسيلة المستعملة، فيجب أن يكون القتل قد حصل " بجواهر يتسبب عنها الموت عاجلاً أو آجلاً أياً كانت كيفية إستعمال تلك الجواهر ". والمقصور " بالجواهر " المواد السامة بدليل قول المشرع بعد ذلك " يعد قاتلاً بالسم ". وليس في عبارة القانون وصف للجواهر السامة، فللقاضي أن يستعين في ذلك بالخبراء.

وقد يستعمل " الجاني مادة سامة " بطبيعتها ولكنها لا تؤدي إلى تحقيق الغرض المقصود، لإعطائها بكمية قليلة لا تكفي للقتل أو لظروف تمنع تحققه. وقد جرى قضاء النقض على أن الجريمة تعتبر في هذه الحالة جريمة خائبة لا مستحيلة، فيعاقب الجاني على شروع في قتل بالتسميم.

ويعد الجاني قاتلاً بالسم أياً كانت طريقة إستعماله للجواهر السامة، فيستوي أن يضعها في (طعام) أو في (شراب) أو (يناولها) للمجني عليه بطريق (الحقن) أو

(الإستنشاق) دفعة واحدة أو على جرعات متعاقبة.

✓ **علاقة السببية:**

ويلزم توافر (علاقة السببية) بين إعطاء المادة السامة والنتيجة التي حصلت، فإذا إنتفت هذه العلاقة لا يعاقب الفاعل عل قتل بالتسميم.

✓ **نية القتل:**

ويلزم أن (تتوافر نيَّة) القتل، فالصيدلاني الذي يخطيء في تركيب دواء فيزيد كمية المادة السامة أو يستبدل بمادة غير سامة أخرى سامة لا يرتكب قتلاً عمداً وإنما قتلاً بإهمال.

ولكن إذا توافرت نيَّة القتل فإن الجاني يسأل عن التسميم ولو كانت نيته غير محددة، أي ولو لم يقصد قتل شخص معين، فمن يضع سماً في بئر يستقي منه عامة الناس يُعد شارعاً في قتل بالسم، فإذا ترتب على فعله (موت شخص أو أكثر) يعد قاتلاً بالسم، ولا عبرة كذلك بالخطأ في شخص المجني عليه، فيعد قاتلاً بالسم من وضع الطعام أو الشراب المسموم تحت تصرف شخص معين فتناوله آخر ومات بسببه.

✓ **بيان الواقعة والظرف المشدد:**

يجب على (محكمة الموضوع) أن تبين في حكمها القاضي بالإدانة تطبيقاً للمادة التي نحن بصددها (أركان القتل) و (الوسيلة المستعملة) فيه، ويكفي في بيان الوسيلة أن تذكر المحكمة أن القاتل قد إستعمل (مادة سامة) وليس بلازم أن تذكر (مقدار المادة) أو كفايتها لإحداث الموت لأن ذلك لا يعد من عناصر القتل أو الظرف المشدد؟.

✓ **العقوبة:**

الإعدام (عبد المطلب، 2015، ص ص 23 – 24).

- **المفهوم الإجرائي لـ التَّسمم الإجرامي:**

هو ما إرتبط بالجريمة المنظمة، وهذا النوع من التَّسمم يتضمن دخول مواد ضارة (طبيعية أو مصنعة) لبدن الإنسان أو لبدن الحيوان وتكون العملية مع سبق الإصرار والترصد، حينها تأخذ الجرعة إما دفعة واحدة أو تقسم على دفعات متتالية لتحدث

أضرار القتل المرجوة بعد ذلك، ويمكن تفسير إنتقال تلك السموم إما عن طريق: (تسمم الإستنشاق، أو تسمم الأكل، أو تسمم يلامس الجلد، أو تسمم الحق المباشر في الدم، أو تسمم حاسة العين، أو تسمم حاسة الأذن).

ونجد هذا النوع يطلق عليه في مصطلحات القانون تسمية " التَّسمم الجنائي Criminal " كونه تسميم معتمد من قبل شخص ضد شخص آخر، ويكون التسميم في هذه الحالة إما فردياً يستهدف شخص بعينه أو جمعياً يستهدف جماعة من الأشخاص في آن واحد، حيث يختار المجرم القائم بعملية التَّسميم سُم عديم اللون والطعم والرائحة ويحمل طابع السُّمية عالية المفعول، حيث لا يمكن من خلال هذا النوع من التسميم أن تثبت ترياقاته وأعراضه على الشخص المغدور، ويرجعها أصحاب الطب الحديث إلى أنها عبارة عن أعراض أمراض طبيعية لا تحدث تغيرات حتى بعد حالة الوفاة، في حين يكشف سبب الوفاة هذه أصحاب الطب الشرعي من علماء تشريح الجثث البشرية والحيوانية.

- **الأمراض الباطنية (Internal Diseases):**

ينظر إلى مخلفات " الأمراض الباطنية " من خلال المفاهيم الآتية:

- **المفهوم اللغوي لـ الأمراض الباطنية:**

مصطلح " المرض Disease " الذي يعرف في اللغةً عند " إبن منظور " على الطريق الآتي: " المريض معروف والمَرَضُ السُّقْمُ نقيضُ الصّحة يكون للإنسان والبعير، وهو إسم للجنس، قال " سيبوية ": المَرَضُ من المصادر المجموعة كالشَّغْل والعَقْل، قالوا: أمْراضُ وأشْعالُ وعُقول، ومَرِضَ فلان مَرَضاً ومَرْضاً فهو مارضٌ ومريض والأنثى مَريضةً، ويقال: أتيت فلاناً فأَمْرَضْته أي وجدته مريضاً، والممْراضُ الرَّجل المسْقامُ، والتَّمارُض أن يُرِيَ من نفسه المرضَ وليس به (الخصاونه، 2017/03/19، 22:03 د). ويطلق على (مرض السحر المأكول) حسب التعبير الشعبي التّبسي مصطلح (مرض الموت) سواء كان هذا الموت سريع أو كان بطيء، حيث ترجع هذه التَّسمية إلى زمن تزايد الألم وإشتداده على المريض، حيث يعرف في اللغة على أنه: " مركب إضافي، يفهم معناه اللغوي من تحليل ألفاظه وتعريفها، وهي: المرض و الموت. و "

المرض " لغةً: هو السقم، وهو ضد الصحة، ومرض مرضاً فهو مارض ومريض؛ من به مرض أو نقض أو إنحراف. و المرض: كل ما خرج بالكائن الحي عن حد الصحة والإعتدال من علة أو نفاق أو تقصير في أمر، أمَّا " الموت " لغةً: الموت ضد الحياة، ويطلق في لغة العرب على السكون ومات الحي: أي فارقته الحياة، ومات يموت ويمات فهو ميت وميت، والميت: الذي فارق الحياة، والميت: من في حكم الميت، ولم يمت بعد ". ونفهم أن مرض الموت هو: " الحالة التي يصاب بها المرء من فقدان صحته تدريجياً، ويعقبها الموت وهو الفناء " (جانم، 2008، ص 199).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الأمراض الباطنية:**

ويكمن مفهوم " المرض " في الإصلاح أنه: " ما يعرض البدن فيخرجه عن الإعتدال الخاص، وقد يقال هي حالة غير طبيعية في بدن الإنسان تكون بسببها الأفعال الطبيعية والنفسانية والحيوانية غير سليمة "، وعرف أيضا: " المرض حالة للبدن خارجة عن المجرى الطبيعي، وعبارة بعضهم هو هيئة للحيوان يزول بها إعتدال الطبيعة، والمذكور في بعض كتب الطب أن المرض هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل ". وأمَّا تعريف " مرض الموت " إصطلاحاً كما عرفته مجلة " الأحكام العدلية ": " المرض الذي يعجز الرجل أو المرأة عن ممارسة أعمالهما المعتادة، ويتصل به الموت قبل مضي سنة من بدئه، إذا لم يكن في حالة تزايد أو تغير، فإن كان يتزايد، أعتبر مرض موت من تاريخ إشتداده أو تغيره، ولو دام أكثر من سنة " (الخصاونه، 2017/03/19، 16:43 د).

إن الحس العميق بالمسؤولية فيما يتعلق بخطورة (الممارسات والعادات) السلوكية الضَّارة المنتشرة بين الناس في مجتمعاتنا العربية، سواء تلك المتعلقة بالنظام الغذائي أو النشاط الجسمي، إضافةً إلى الإلمام بالمشاكل الصحية والنفسية التي تنشأ عن إساءة إستخدام المواد المسببة للإدمان من كحول، وعقاقير، ومخدرات... (تايلور، 2008، ص 30).

ولأن السحر بـ (السموم الطبيعية) هو يستدعي بالضرورة وقوع " أمراض باطنية خطيرة " على صحة الإنسان والحيوان، ومن خلال هذا الطرح تظهر لنا وجهة نظر "

الأنثروبولوجية المرضية " التي هي جزء من " الأنثروبولوجيا الطبية " و " الأنثروبولوجية الثقافية "، حيث أن هاتين الأخيرتين تترجمان أمراض هؤلاء الشعوب عبر التاريخ، ويتمحور دورهما الرئيسي في نقل الإعتقاد والتصور العميقين لمثل هذا النوع من التَّسميم السحري أي ما يطلق عليه شعبياً تسميَّة (القاتل الصامت) أو (التَّسميم الشعبي). فالطبيب يحتاج إلى الأنثروبولوجيا، مثلاً ما إذا كان المرض نتيجة عادات إجتماعية في الطعام، أو جيني، فهو يستحضر كل الإحتمالات التي أصابت الشخص بهذا المرض أو ذاك، وقد تكون " أعراض المرض " ليست " جينية " كما تعلم، وقد تكون من طبيعة العمل، أو طرق تعامله إجتماعياً، أو غيرها من الأمور التي تساعد الطبيب على تشخيص المرض بدقة (خضراوي، 2019، ص 68). حيث يهتم علماء " الأنثروبولوجيا الحيوية " بأصل النوع الإنساني، والعوامل الحيوية التي تؤثر على العرق الإنساني اليوم مثل المرض (بارسونز، 2018، ص 110).

- **مفهوم (الأمراض الباطنية) في المنظور الأنثروبولوجي:**

تنسب " الأمراض " عادةً لدى " الكنعانيين " إلى " إله موت " إله الأمراض والأوبئة الفتاكة، وهناك الإله رشاب (رشف في العهد القديم) الذي إسمه يعني الوباء أو النار، وهو نفسه الذي يدعى في النصوص " رابيو " أي " الشافي "، ونعرف أن " ميكال Mikal " وهو إله كنعاني قد إرتبط بالطاعون والأوبئة (يحي، 2016، ص 44).

ويعتقد الشلك أن الموت مستحدث وليس أزلياً، وكان درؤه ممكناً، فهو روح (شريرة) كانت تُطرد بإحتقارها بـ (البصق) عليها (حينما يبصقون على المريض)، أو بإقامة طقوس (طرد المرض)، " إذ يأتون يجذع نبات يرمز للإنسان المريض ويقومون بتعميده بالماء، ثمَّ يؤتى بحجر صلد يرمز لـ (المرض والشر) ويدفن في باطن الأرض، لكن أحد الأسلاف لم يكن على دراية كافية فأخطأ في إجراء الطقوس حينما أودع النبات في باطن الأرض، فتوفي المريض في الحال وظهر الموت أول مرة " (مجموعة مؤلفين، 2015، ص. غ. م).

يعرف العلم الطبي الذي يعني بتشخيص الأمراض ودراسة مسبباتها بإسم " علم الأمراض "، أمَّا " علم الأوبئة " فهو أحد فروع علم الأمراض ويختص بالتعامل مع

إنتشار مرض ما خلال أعداد كبيرة من الكائنات الحيَّة – البشر في حالة العلوم الطبية. في الماضي كان دور " علماء الأوبئة " ينحصر في رسم خرائط لإنتشار " الأمراض المعدية " مثل (الإنفلونزا أو الجدري) في أثناء تنقلهم بين السكان أثناء تفشي الوباء، أمَّا الآن فقد إتسع مجال علماء الأوبئة وضمَّ أمراض لا تنتشر من خلال " عوامل العدوى " مثل (أمراض القلب و سرطان الرئة) فهذه الأمراض تسببها " عوامل بيئية " مثل (النظام الغذائي أو الكيمياويات السَّامة) بدلاً من أن تسببها العدوى. ومن ناحية أخرى، سوف يتم توضيح العلاقة القائمة بين " مرض السحر المأكول " الباطني الذي يرجع سببه إمَّا لتلك " الأمراض المعدية " التي تنتج عن البيئة أو إلى " أمراض السُّموم " التي تنتج عن التسميم الغذائي، بإعتبارها تنتقل عادةً بين السكان إمَّا عن طريق (الفيروسات أو البكتيريا)، إلاَّ أن هناك عوامل أخرى لإصابة البشر بالعدوى مثل (الفطريات و البروتينات الضَّارة) المعروفة بإسم البريونات، والتي تندرج ضمن التخصصين العلميين: " علم البكتيريا " و " علم الفيروسات ".

تقع دراسة العدوى البكتيرية والأمراض التي تسببها تحت لواء " علم البكتيريا "، وتعرف البكتيريا التي لها القدرة على إلحاق الأذى بإسم البكتيريا المرضية، ويتم تعرُّف العدوى البكتيرية غالباً بسبب الأعراض التي تنتج عنها، والتي تكون واقعة حول موقع العدوى، على سبيل المثال الجرح الذي تنمو عليه عدوى بكتيرية قد يصبح أحمر اللون وملتهب ومؤلم، مثال على ذلك (دهن مرهم ذا طابع تسميمي و سحري) على مسامات الجلد، يسمى بـ (سحر التوكال الملموس) الذي يتسلل للجسم عن طريق الدم والعروق، لكن غالباً ما تكون هذه الأعراض محدودة في هذه المنطقة، أمَّا في الحالات القصوى قد تحدث الحالة المعروفة بإسم تعفن الدم التي تنتج عن إنتشار العدوى خلال الدم مما يؤدي إلى إستجابة كاملة من الجهاز المناعي مما يسبب: (الحمى و القيء و تلف الأعضاء و الموت)، إذا لم يتم معالجته.

وتشمل الأمراض البارزة التي تسببها العدوى البكتيرية: (الجمرة الخبيثة، والإشريكية القولونية، والمكورات العنقودية الذهبية المقاومة للميثيسيلين، والسل، والسالمونيلا، والكزاز (التيتانوس)، والتيفوئيد، والبكتيريا الجذامية)، حيث أنَّ حالة

التَّسميم بـ " البكتيريا المرضية " التي تتواجد داخل مقتنيات: (السحر النباتي، والسحر الحيواني، والسحر المعدني، والسحر ببقايا جسم الإنسان)، تتزايد حدة وخطورة عندما يتوكل عنها داخل جسم المتسمم (خادم سحر)، يعمل هذا الأخير على إمراض البدن وإضعافه بطريقة غريبة ولا تشخص لدى أصحاب " الطب الحديث "، الذين يعتبرونها حالة مرض خارقة للعادة ولا يذكر لها أي سبب طبي. في حين يشخصها " الطبيب الروحاني " على أنها حالة مرض ناتجة عن (تسميم سحر التوكال) أو ناتجة عن (تسميم ضربة العين و الحسد)، حيث تعتبران الإثنتين بفعل من توفر (الفاعلين) في آن واحد: أولهما: " أداة التَّسميم " وثانيهما: " الجني الموكل " سواءاً من تُبَّاع سحر التَّسميم أو من تُبَّاع شياطين العين الحاسدة.

يتعامل فرع الطب المعروف بإسم " علم الفيروسات " مع الفيروسات المسببة للأمراض، وتنتشر بعض أعنف الأمراض المعروفة عن طريق " العدوى الفيروسية " مثل (الجدري والإيدز وإلتهاب الكبد والإنفلونزا الاسبانية والإيبولا)، يمكن تمييز العدوى الفيروسية عن العدوى التي تسببها البكتيريا بحقيقة أن أعراض العدوى الفيروسية تكون عادةً " نظامية " بمعنى أنها ليست محدودة في مكان الإصابة. وتتضمن الفيروسات: (البريونات و الفطار و الوباء)، إن كلمة بريون هي إختصار للعبارة الإنجليزية (Proteinaceous infection) والتي هي " العدوى البروتينية "، والبرويونات هي مسببات أمراض تتكون أساساً من البروتين، وهي مسؤولة عن الأمراض الفتاكة بما فيها (إلتهاب الدماغ الإسفنجي البقري أو (مرض جنون البقر)، ومثيله البشري؛ مرض كروتزفليد جاكوب) وكلاهما ليس له علاج ومميت. تمَّ التنبؤ بالبريونات نظرياً في الستينيات إلاَّ أنها لم تكشف حتى أوائل الثمانينات حتى إكتشفها " ستانلي بروسينر " في جامعة كالفورنيا بسان فرانسيسكو.

وتعرف الإصابات التي تصيب جسم الإنسان بإسم " الفطار "، في الحالات المعتدلة تصيب الفطريات (الناتجة عن السُّموم الطبيعية) التي توضع عادةً لصيد الإنسان أو لصيد الحيوان بأدوات وطقوس (سحر التوكال) تنخر الطبقة الخارجية من الجلد فقط؛ وهي البشرة (ويسمى الفطار السطحي)، لكنها يمكن أن تمتد لتصيب طبقة

الأدمة والأنسجة الأسفل منها (الفطار تحت الجلدي) وهو ما يسمى علمياً لدى المجتمع التّبسي بـ (الإقزيما) وشعبياً بـ (اَلْتْجْرَابْ). ويمكن أن تصبح الإصابة الفطرية العميقة خطراً على الحياة في الحالات القصوى، ومن الفطار الشائع في البشر القلاع وهو عدوى تصيب (الجيوب الأنفية) ويمكنها أن تؤثر على (الفم) و (الجهاز الهضمي) و (البولي) و (التناسلي)، وأعراضه حكة أو حرقان في المنطقة المصابة التي تسببها الفطريات من جنس المبيضات. ومن الإصابات الفطرية الشائعة أيضاً مرض القدم الرياضي الذي يسبب تقشر وتشقق الجلد على باطن القدمين. أمَّا " المرض الوبائي " الذي ينتشر بين نسبة كبيرة من البشر وأحياناً نسبة كبيرة من سكان العالم يعرف بإسم " الوباء Pandemic "، الكلمة تتكون من شقين: (Pan) وتعني في اللغة الإغريقية (كل) و (Demos) التي تعني (الناس)، ربما كان أسوء وباء هو (الجدري) الذي قتل 300 مليون شخص خلال القرن العشرين قبل أن يستأصل، وفي والوقت نفسه أباد الموت الأسود (الطاعون) ثلث سكان أوروبا الذي قدر بـ (75 مليون شخص)، وفيروس الأنفلونزا الاسبانية بين عامين (1918 – 1920) الذي قضى على (50 مليون إلى 100 مليون) فرد في بحر سنتين فقط (بارسونز، 2018، ص ص 27 – 28 – 29 – 30).

- **المفهوم الإجرائي للأمراض الباطنية:**

هي ما تخلفه مقتنيات " السحر المأكول Eaten Magic " على الجسم البشري والحيواني من أمراض باطنة ذات طابع غيبي وتسميمي، وهي أنواع أمراض لا تعد ولا تحصى منها أمراض عضوية وأمراض نفسية (روحية) وأمراض عقلية، والتي عادةً ما يكشف عن سبب ظهورها " الطب الجنائي " و علم " التشريح البشري " في حالة تعاطي (جرعة السُم) لوحدها، أمَّا إذا كانت المادة الموجودة في الجرعة تحمل فيه طياتها العنصر التَّسميمي (السحري) بالإتحاد مع قوى ما وراء الطبيعة من عالم (الجن) في هذه الحالة يثبت عجز التخصصين السابقين في الكشف عن أسباب المرض، في حين يثبت علم " الرُّوحانيات " في تشخيصها ومواجهتها وذلك بإعطاء حلول ملموسة مسخرة من " الطب النبوي " و طب " الرُّقوة الرُّوحانية " الشافية والمباركة.

- **الطب الرُّوحاني (Spiritual Medicine):**

يفسر مصطلح " الطب الرُّوحاني " من خلال تفسير المفاهيم الآتية:

- **المفهوم اللغوي لـ الطب الرُّوحاني:**

" الطب (Medicine) "؛ في اللغة هو " علاج الجسم والنفس، ورجل طب وطبيب أي عالم بالطب، والطب الرفق والطبيب الرفيق، والطب والطبيب الحاذق من الرجال الماهر بعمله، والطبيب في الأصل الحاذق في الأمور، العارف بها، وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى " (إبن منظور، 2005، ص 2350).

وبالمعنى العام يعرف الطب بأنه: " الأساليب التي تستعمل لإزالة الألم وإعادة المريض إلى وضع صحي طبيعي "، حيث إستخدم الطب القديم والأمر نفسة بالنسبة للطب بين الشعوب البدائية المعاصرة، السحر، والرُّقى والتعاويذ، والتراتيل، والتنجيم، والفتشات في الطب للتداوي (سليم، 1981، ص 617).

ويعرف " إبن خلدون ": " علم الطب " بأنه: " صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصبح فيحاول صاحبها ضغط الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص عضواً من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية " (إبن خلدون، 2008، ص 384).

ويعرف " الطب الرُّوحاني"؛ في أن " التَّطبيب " لغةً: من " طبَّبَ: الطبيب: العالم بالطب، وجمع القلَّة أطبَّةُ، والكثر أطباء. والمُطبِبُ: الذي تعاطى علم الطب، والطبيبُ (جمعه) أطبَّة وأطبَّاء: من حرفته الطبُّ أو الطبابة، وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم. فمن ضمن المعاني المتعددة لكلمة (تطبيب) فالمراد منها المعنى الذي يقول: "فلان يستطبّ لوجعه، أي يستوصف الدواء أيّهُ يصلح لدائه" لأنه يقصد به التداوي. والفرق بين التطبيب والتداوي: " أن التطبيب تشخيص الداء ومداواة المريض، والتداوي تعاطي الدواء " (ياسين، 1971، ص ص 71 – 73).

أمَّا إصطلاحاً يطلق مصطلح تطبيب على العلاج بصفة عامة، وهو بذلك حتى أساليب العلاج التقليدية والحديثة على حد سواء.

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الطب الرُّوحاني:**

وتعرف الباحثة المغربية " نادية بلحاج " مصطلح (التطبيب الشعبي) أنه: " مجموعة من العلاجات تكمن خلفها تجارب معارف الشعوب إستطاعت أن تجد مكانتها رغم الإكتشافات الطبية، فإنه يصعب تبرير إختزاله في مجموعة من الوصفات، بينما لا تشكل هذه الأخيرة سوى عنصر يتقاسمه الفقهاء والأولياء وجماعات الحضرة، بقدر ما يصعب تناول التطبيب بمعزل عن المطببين والمرض، خاصة وأنه لا يمكننا فهم التطبيبات دون إثارة المطببين ولا هؤلاء دون فتح النقاش حول المرضى "، ومما لا شك فيه أن نجمع الأعشاب والوصفات في الطب التقليدي بالغ الأهمية، ولذلك أحدثت الأنثروبولوجيا تخصصًا فرعيًا في هذا المجال يسمى بالإثنو – علم أو " العلم الإثنولوجي Ethno - Sience " يهتم أساسًا بمقارنة تصنيفات الأعشاب وتشخيص الأمراض في المجتمعات، بصنافات " Taxicomanie " النبات والجدول السيميولوجي للطب العربي الحديث (بلحاج، 2017/10/10، 12:15 د).

وكذا إسهامات في " الأنثربولوجيا الطبية التطبيقية " لـ " أكركنخت Ackrknecth "، (1971) في مجال " الطب الشعبي ": (أن الأشكال المتنوعة من الطب البدائي تشكل كلها الطب السحري) يمكن فهم هذا الأخير بوضوح في ضوء المعتقدات والمفهومات الثقافية السائدة (إبراهيم، 2007، ص 672).

هذه الفكرة التي أيدها " جيمس فريزر " في قوله: " الشبيه يؤثر على الشبيه " في كل الأوقات ورفضها " الأنثربولوجيون المحدثون " بعد ذلك بتعبير " أن السحرة أنفسهم وعملائهم لا يعتقدون في ذلك " (رشوان، 2003، ص 168).

ومن هنا نتأكد من أنَّ الطبيب الروحاني فعلاً لا تتمم عملية الإستشفاء عنده إلا بالإستعانة بقوى ما وراء الطبيعة من عالم الجن الصالح (المسلم) فور مباشرته في عملية التطبيب أو أثناء قيامه بالرُّقوة الروحانية على المريض ولهذا السبب أطلق عليه إسم " الطبيب الرُّوحاني ".

- **مفهوم (الطب الرُّوحاني) في المنظور الأنثروبولوجي:**

الطب هو إبن السحر، ويرجع مصدر تواجد الجن المسلم مع الرُّوحاني إما يرجع سببه للوراثة أو لتعرض هذا الأخير لسحر مأكول بالتحديد، مما يجعل هالة الجسم عنده مفتوحة وبالتالي يسهل على الجن الدخول وإختراقها والتمركز داخل تلك المادة الخبيثة. إذ تعرف " الروح Spirit ": عند علماء اللغة: أنها " ما به حياة النفس يذكر ويؤنث " (الرحماني، س. ن. غ. م، ص 8).

وقد ربط العرب بين النَّسيم والرُّوح إذ كان قد علق في أذهانهم أن الروح نوع من النَّسيم، وهو النفس الذي يتنفسه الإنسان، وتقابل كلمة الروح بالعربية كلمة " روخ Ruach " العبرية، وكلمة " Spirit " الإنجليزية، وكلمة " Pneuma " اليونانية ومعناها جميعاً الهواء والريح والنفس (خليل، 2006، ص 163)، و " الرُّوحاني ": " ما فيه الرُّوح، ونسبة إلى الرُّوح، و (الطب الرُّوحاني): ضرب من علاج النفس " (الرحماني، س. ن. غ. م، ص 163).

ويستعين الرُّوحاني؛ أيضا أثناء عملية التطبيب بخدام الجن المسلم من (الصُّلاح) كما يسميهم أفراد المجتمع التبسي، وكذلك تكون إستعانته بالأعشاب النبوية من خلال قراءة القليل من الآيات القرآنية عليها مع إستحضار وتوكيل خدام الإستشفاء قصد المساعدة والسرعة في عملية العلاج من دون حدوث أي مخلفات خسائر عضوية أو أذى جسدي قد يتسبب فيها هؤلاء الحراس من " خدام السحر المأكول " أو من " خدام العين الحاسدة " أين يعمل هاذين الأخيرين بدورهما كمفعل أنثروبولوجي ما ورائي على الزيادة من شدة إمراض الجسم المستهدف بالسُّم السحري.

- **المفهوم الإجرائي لـ الطب الرُّوحاني:**

يعرف الطب الروحاني؛ بالطب الشعبي الماورائي أو بـ (الطب الشعبي الديني السحري)، يثق ممارسيه في قدراتهم التطبيبية ثقة عمياء ولا تحتاج إلى نقاش من طرف المعالجين الآخرين، حيث يقوم " الطبيب الرُّوحاني " بإستعمال الرُّقى والتعاويذ، والإستعانة بالجن الصالح ومحاولة إرضائه بمجموعة من الممارسات المقدسة حتى يحضر الحضرة والخلوة التطبيبية وبالتالي يقوم بمساعدته في علاج الكثير من الأمراض

الروحية المستعصية، ويتضمن هذا النوع من الطب في العادة نظرة معقدة للعالم وغير منطقية. ويلعب السحرة دوراً هاماً في مجال الطب الروحاني بإعتبار هذا الأخير يحمل معتقدات ومفاهيم حول أسباب المرض وتنسبه إلى أسباب روحية أو تأثير الكائنات فوق الطبيعية، وليس إلى الأسباب المادية المعروفة لدى الطب الحديث.

فالطب الروحاني هو مجموعة من الطرق الإستشفائية الشعبية التي تخرج من ثقافة بيئة معينة، وهو يحمل الطرق التي تتعامل مع المريض ككل قصد تنظيف هالته دفعة واحدة بإعتباره يتجاوز الوقوف فقط أمام الأعراض المرضية، حيث يلجأ في تطبيبه إلى أدوات بسيطة كالعصا الروحانية، المسطرة الروحانية، شال روحاني...إلخ وإلى مجموعة من المقتنيات الطبيعية كالأعشاب والعسل والماء وزيت الزيتون...إلخ مضافاً إليها آيات من القرآن الكريم تساعد بدورها من إتمام عملية الإستشفاء بالرُّوحانيات الفاضلة.

- **الدلالة الرَّمزية (Symbolic Significance):**

✓ **الرَّمز (Code):**

- **المفهوم اللغوي لـ الرَّمز:**

لغةً: تكاد تجمع المعاجم العربية المختلفة على المعنى العام للرَّمز، فإبن منظور يرى أن الرَّمز: " تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم بالفظ، من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفتين " (زيناي، 2017/01/29، 23:04 د).

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الرَّمز:**

ينطوي مفهوم " الرَّمز " إصطلاحاً في: يعد الرَّمز من أهم القضايا النقدية التي يطرحها الخطاب النقدي في تناوله للشعر العربي المعاصر، ويعد " الفن الرّمزي " من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان؛ حيث يقدم " كايسرر " تعريفاً حديثاً للإنسان، حيث يقول: " الإنسان حيوان رمزي في لغاته وأساطيره، ودياناته وعلومه وفنونه " ويعتمد كايسرر في تعريفه هذا على النفس البشرية، والحياة والوجود التي تنزع نحو الخيال في تفسير الكون والوجود، وإلى الرُّموز التي بنى عليها الإنسان علاقاته مع غيره من البشر،

وقد تطور ذلك من (الإشارة و الحركة) إلى (الصورة) وصولاً إلى (الحرف و الكلمة)، وهذه البداية هي بداية الرَّمزية التي تحدث عنها كايسرر.

وقبل الخوض في ماهية الرَّمز والرَّمزية لا بد من الوقوف على أصل هذه الكلمة ومعانيها التي حفلت بها أمهات الكتب. وردت كلمت (رمز) في قصة زكريا – عليه السلام – قال تعالى: " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا " (سورة آل عمرن 42)، وتناولت المعاجم اللغوية مادة (رمز) فقد جاء في لسان العرب " الرَّمز " هو تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة صوت؛ إنما إشارة بالشفتين، وفي معجم الصحاح (الرَّمز) هو " الإشارة والإيماء بالشفتين أو الحاجب، وتتفق المعاجم اللغوية الأخرى على هذا المعنى.

– مفهوم (الرَّمز) في المنظور الأنثروبولوجي:

وأما عن أصل هذه الكلمة في اليونانية فقد أشتقت من كلمة (Jeter ensemble) ومعناها (الرَّمزي المشترك)؛ أي إشتراك شيئين في معنى واحد، وقد تطور مدلول هذا اللفظ حتى أخذ معنى إجتماعياً، وهو تقديم قطعة من الخزف تكريماً للضيف أو التعارف والإحترام، وأما كلمة (Sumbolein) فتعني (الحرز والتقدير)، ثم أصبح لهذه الكلمة معناها الهام في عالم اللاهوت المسيحي، وتترادف مع كلمة (Creed) أي (دستور الإيمان المسيحي). ويظهر الرَّمز في شتى مجالات الفكر الإنساني، ونشاطاته المختلفة في العلوم والفنون؛ كعلم النفس وعلم اللغة والعلوم الدينية النظرية والتطبيقية...إلخ، حتى قليل: " إن العالم كله يتحدث من خلال الرَّمز لذلك إهتم " أرسطو " به كثيراً فقسم الرَّمز إلى: الرَّمز المنطقي أو العلمي، والرَّمز العملي أو الأخلاقي، والرَّمز الشعري أو الجمالي لكنه لم يبحث مفهوم الرمز وخصائصه من الناحية الفنية والجمالية، ويبدو من تصنيفه هذا أنه إعتمد على منطق الأخلاق والفن، وهذه محاور الفكر اليوناني الكبرى آنذاك.

ومع تطور العلوم وتقدمها، بدأ الإهتمام بتعريف الرَّمز منذ عصر النهضة والثورة الصناعية في أوربا، وقد تناول الفلاسفة معنى (الرَّمز) الإصطلاحي في شتى المجالات الفنية والفكرية؛ فقد عبر الفيلسوف الألماني " هيغل ": " الرَّمز شيء خارجي

يخاطب حدسنا مباشرةً، بيد أن هذا الشيء لا يؤخذ ويقبل كما هو موجود فعلاً لذاته؛ وإنما أوسع وأعلم بكثير، وينبغي أن نميز في الرَّمز إذن (المعنى الكبير والتعبير) فالمعنى يرتبط بتمثيل أو موضوع كائناً ما كان مضمونه، والتعبير وجود حسي أو صورة ما "، وبهذا يكشف هيغل ميزات (الرَّمز الفني) بمدلوله الدقيق؛ فلكل رمز فني صورتان، صورة الشيء المادي المحسوس، وصورة الشيء المعنوي، وإندماج المادي بالمعنوي يولد الرَّمز؛ فمثلاً الأسد قوي؛ فالأسد شيء مادي، والقوة شيء معنوي، وإندماج المادي بالمعنوي يظهر الرَّمز، ولا بد من تحديد العلاقة بين المادي والمعنوي؛ أي علاقة المشابهة بين الصور الحسية والمعنى المرموز به، ومن ذلك يتشكل الرَّمز الفني المنتزع من الواقع المحسوس.

وجاء الرَّمز في معجم المصطلحات الأدبية بأنه: " كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة؛ وإنما بالإيماء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادةً يكون الرَّمز بهذا المعنى شيئاً ملموساً يحل المجرد، ومثال ذلك الرجل الهرم كركز الشتاء، ويرى " كانت ": " أن الصورة الرَّمزية توحي بالشيء الذي يرمز إليه بواسطة علاقات داخلية بين المظاهر المحسوسة، وما وراء الحس من الأشياء " ويقترب كانت بذلك من المثالية الأفلاطونية. ويعرف " برغستون " الرَّمز: " صورة مماثلة عن طريق الحدس والتخمين، ويظل الرَّمز شيئاً حسياً يعتبر كإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الإعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين أحست به مخيلة الرَّامز " (الزيادات، 1437هـ – 2016م، ص ص 11 – 12 – 13).

- **المفهوم الإجرائي لـ الرَّمز:**

يمكن تعريف مصطلح الرَّمز؛ إجرائياً في مختلف العلوم المتنوعة كونه إدراك لشيء ما يقف مساوي لشيء آخر من خلال معناه الكامن والباطني حتى يحل محله بالضرورة ويعوضه، حيث نجده يظهر في الإيماءات والإيحاءات لا عن الوصف المحدد للشيء، وبعتبار الرَّمز مفهوم ظهر مع الدراسات الحديثة نجد ذلك مفصل في السميولوجيا و دراسة الإشارات أي تلك (العلامات) الظاهرة والمباشرة. ومعنى الرَّمز في " النسق الثقافي " الخاص بموضوع السحر المأكول عند أفراد المجتمع التبسي؛ نجده

يظهر جلياً على سبيل المثال من خلال أداة " المهراس النحاسي " أو " مهراس قرون الشيطان " الذي يستعملة السحرة من ذوي أصحاب الإختصاص، فهذا المقدس الأداتي يعمل كجاذب آلي وتلقائي للأرواح السلبية أثناء عملية دق وصفة وجرعة سحر التوكال، لكن يستدعي بالضرورة في هذه الحالة إضافة بعض التراتيل السحرية أثناء مزج الجرعة المسمومة بهدف التوكيل السريع وبالتالي إتمام المهمة بنجاح.

✓ **الدلالة (Sigificance):**

- **المفهوم اللغوي لـ الدلالة:**

علم الدلالة (SEMANTICS) مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى، وهذا المصطلح ظهر في الإنجليزية حديثاً، على الرغم من أن كلمة (SEMANTTICK) وردت في القرن السابع عشر، في عبارة (SEMANTICK PHIOSOPHY) وتعني الكهانة، وقد صيغت كلمة (SEMANTIGUE) الفرنسية من اللغة اليونانية وهي (SEMAINO) أي (دل، عني) وهي نفسها مشتقة من ((SEMA)) دال، وقد كانت في الأصل صفة تدل على كلمة معنى، أطلقت عليه أسماء عدة، من أشهرها في الإنجليزية (SEMANTICS) (أحمد، 2020/12/10، 15:04 د).

علم الدلالة هو أحد فروع علم اللغة أو اللغويات أو اللسانيات. وهو من أهم هذه الفروع وأعقدها وأمتعها في آن واحد، فهو هام لأنه يبحث في المعنى الذي هو الوظيفة الرئيسة للغة، وهو معقد لأنه يبحث في أمور مجردة متشبعة ذات طبيعة فلسفية نفسية، وهو ممتع لأن إقتحامه، على ما فيه تعقيد، يعطي الباحث متعة ذهنية راقية (الخولي، 2001، ص 11).

وفي اللغة العربية علم الدلالة (Semantics) (بفتح الدال وبكسرها) أو علم المعنى هو " العلم الذي يدرس المعنى "، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، وهو قمة الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية. لقد تناوله بالدراسة علماء مختلفوا التخصصات، والإهتمامات؛ مثل: اللغويين، الفلاسفة، وعلماء النفس، وعلماء الأنثروبولوجيا، وعلماء السياسة والإقتصاد، وجماعات من الفنانين، والأدباء والصحفيين؛

وذلك لأن المعنى اللغوي من شأنه أن يشغل المتكلمين جميعاً على إختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية. ولهذا العلم أسماء أخرى إلى جانب مصطلح (Semantics) من هذه الأسماء: (Semology, Semantics, Sematology, Semasiology). لقد أختلف العلماء في موضوع هذا العلم؛ فمنهم من جعله خاصاً بدراسة معاني الكلمات المفردة – وهذه كما يقول المدققون – " نظرة ضيقة قنعت بالأمور السطحية ولم تأت بجديد في هذا الشأن أكثر من تقديم تسمية جديدة لدراسة قديمة معروفة، هي صناعة المعجمات، وما يرتبط بها من تصنيف كلمات اللغة وإعطائها معانيها العامة

- **المفهوم الإصطلاحي لـ الدلالة:**

أما في الإصطلاح منهم من جعله يشمل جانين: جانب " اللفظة المفردة " وجانب " دراسة المعنى ومشكلاته " على مستوى التراكيب؛ أي أن موضوع علم الدلالة عند هؤلاء له فرعان: الدلالة المعجمية (Lexical Semantics)، و الدلالة النحوية (Syatactic Semantics) والفرع الثاني يلتقي في كثير من جوانبه مع نظرية النظم عند " عبد القاهر الجرجاني ". وفريق ثالث خصص الدلالة " لدراسة المعنى على مستوى اللفظة والعبارة كليهما، ولكن في إطار إجتماعي معين، ومن زاوية معينة، هي زاوية الإستعمال في البيئة الخاصة "؛ أي أن دراسة اللفظة أو العبارة تتم من خلال مسرخها اللغوي. حيث يرجع تاريخ علم الدلالة عند فلاسفة اليونان حسب إعتبارهم " أن الدراسة الدلالية قديمة التفكير الإنساني، ومواكبة لتقدمه وتطوره؛ فقد تعرض الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان في بحوثهم ومناقشاتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة: فقد " تكلم " أرسطو " مثلاً عن الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، وميز أرسطو بين أمور ثلاثة:

- الأشياء في العالم الخارجي.
- التصورات = المعاني.
- الأصوات = الرموز أو الكلمات. (عمران، 1428 هـ – 2007 م، ص ص 9 – 10).

- **مفهوم (الدلالة) في المنظور الأنثروبولوجي:**

ينظر أصحاب هذا المنظور على أنها من الأمور التي تنسب إلى " كليفرد غيرتز " ذلك الدور الكبير الذي لعبه في تأسيس " الأنثروبولوجيا الرمزية والتأويلية " وذلك بإعتباره أحد أهم المسهمين الأساسين لها، هذا بالإضافة إلى دوره في بلورة إتجاه ما يسمى بـ " الإثنوغرافيا الجديدة " وذلك من خلال النقد الذي وجهه لهذا الإتجاه. وقد لعبت الأعمال الإثنوغرافية لغيرتز، خاصةً تلك المبنية على دراساته الحقلية في أندونيسيا والمغرب، دوراً في الكشف عن عدة مسائل في غاية الأهمية، ربما يكون من أبرزها المسائل التالية: أولاً، الكشف عن " الأنساق الرمزية " للإسلام، وعن دور هذه الأنساق الرمزية والثقافية التي كثيراً ما تجاهلتها الأعمال الإثنوغرافية للمدرسة البنائية – الوظيفية عن المجتمعات العربية والإسلامية، كذلك العائدة لـ " إيفانز برتشترد "، و " إرنست غيلنر "، و " أحمد أبو زيد ". وثانياً، التحدي الكبير الذي أتى به غيرتز والمتمثل في التحليل الرمزي التأويلي على مستوى النظرية الأنثروبولوجية. هذا وبعد التحليل الرمزي والتأويلي اليوم بنظر (الإثنوغرافيا الجديدة) من المهام الرئيسية للأنثروبولوجي في رحلته للكشف عن هذه الأنساق الثقافية والرمزية في المجتمعات والثقافات موضوع الدراسو (يتيم، 2004، ص 72).

وإذا كان بالإمكان رواية الفعل حقاً، فذلك لأنه قائم، أصلاً، بالألفاظ والإشارات والقوانين والمعايير، فهو دائماً بوساطة رمزية. ولقد فهمت الأنثروبولوجيا الثقافية ملمح الفعل هذا فهماً رصيناً. إذا تحدثت بطريقة أكثر تحديداً عن الوساطة الرمزية، فذلك لكي أميّز بين " رموز الطبيعة الثقافية "، وأفرز ذلك النوع من الرُّموز الذي يكمن وراء الفعل إلى حد أنه يشكل أساس معناه، قبل أن تنفصل المجاميع المستقلة التي تنتمي إلى الكلام والكتابة، عن مستوى الممارسة العملية، ونحن نجد هذه الرُّموز حين نناقش قضية الآيديولوجيا واليوتوبيا. وسأحصر ملاحظاتي اليوم بما يمكن أن يُصطلح عليه بالرمزية الضمنية أو الكامنة، في مقابل الرمزية الصريحة أو المستقلة (الغانمي، 1999، ص. غ. م).

وعلى هذا الأساس فـ " السواد " مثلاً يحتفظ بداخله بداخله بـ " دلالات رمزية " مرتبطة في الغالب بالشؤم والخطيئة والشر، وهو ما يجعل من هذه الدلالات الرمزية للون، من هذا المنظور، دلالة ذائعة بين الشعوب، فثقافة العرب القديمة والإسلامية لم تتفرد بهذه الدلالات المجازية السلبية للسواد والبياض، فالرمزية المسيحية عن البياض والسواد تحمل الدلالات ذاتها، إلى درجة حملت " كافين رايلي " وآخرون إلى القول بأن هذه الرمزية المسيحية عن البياض والسواد كانت خليقة " بأن تشجع موقفاً عنصرياً تجاه السود، فقد إعتقد المسيحيون أن الخطيئة هي إسوداد الروح البيضاء، ونظروا إلى الله والفضيلة والطهارة والتوبة من خلال النور أو الباض المشرق "، أما في الديانة اليهودية فإن السواد قد إقترن باللعنة (كاظم، 2004، ص 146).

يتناول " إليوت " إلى " الأهمية الأنثروبولوجية في النقد الأسطوري ": أنها مجال دراسي واسع يبحث في العلاقة بين " الشعور الجمعي " و " تصورات الجنس البشري " البدائية، ويجمع بين " الدرس الأنثروبولوجي " و " النقد الأسطوري "، والناقد يتناول في هذا المجال بوجه خاص نماذج الصور البدائية، الناجمة عن جملة الرواسب في النفس الإنسانية المنحدرة من الأسلاف البدائيين (حفناوي، 2013، ص 304).

- **المفهوم الإجرائي لـ الدلالة:**

عندما نتلفظ بكلمة دلالة أي نقصد بها دلالة اللفظ على المعنى، والشيء الأول نجده هو الدال أما الشيء الثاني هو المدلول، وهي ما يدل على الطريق الصحيح، يظهر تفسير ذلك من خلال الإشارات والرموز وكتابة الحروف وحتى من خلال حركات الجسم على سبيل المثال، وينقسم (علم الدلالة) إلى أنواع من الدلالات اللغوية: كـ " الدلالة المعجمية " التي تظهر من خلال تفسير لغة الكلام، و " الدلالة الصوتية " التي تتوضح من خلال الفارق الموجود بين الحرف والذي يليه من تلك الحروف الأخرى، أما " الدلالة السياقية " يتكون فيها المعنى بسياقه الواحد لا غير، ويمكن الوصول إلى " الدلالة الإجتماعية " وهي موضوعنا الأساس في هذه المقاربة، حيث يمكن حصرها على أنها تطور المعنى مع مرور الوقت وحسب تطور الإنسان.

سادساً: صعوبات الدراسة

- إن أهم شيء في الدراسة الميدانية هي ثقة المبحوث بالباحث، وهي الصعوبة الأولى؛ وهذه الثقة لم نلمسها في ميدان بحثنا أي لدى أغلب شرائح المجتمع التّبسي، فتلك الفئات ترفض فكرة التصريح عن مثل هذه المعتقدات السحرية وخاصةً منها تلك المتجلية في معتقد السحر المأكول خوفاً من مساس نفسيتهم وشعورهم بالهوس وإسترجاعهم لتلك الذكريات التي تحمل الرهبة والخوف الشديد، حتى تأتي من الماضي وتستمر إلى الحاضر ثم إلى المستقبل.
- أما بالنسبة للصعوبة الثانية؛ فتمثلت في نقص الببليوغرافيا في هذا المجال وخاصةً أن هذا العلم لم ينل حظه من الدراسة، ونقصد في هذه الحالة مجال الأنثروبولوجيا التي كان ظهورها متأخراً بالنسبة للعلوم الأخرى، وهذا ما جعل الدراسات حول هذا الموضوع غير كافي وغير مرضي.
- وفي الصعوبة الثالثة؛ لاحظنا عدم سماح المبحوثين لنا بإلتقاط الصور الفوتوغرافية أثناء نزولنا إلى الميدان، خاصةً أثناء أدائهم لبعض الممارسات الطقوسية المرتبطة بجلسات تطبيب المصابين بمرض السحر المأكول، ومن المبحوثين أيضاً من خلفت له تلك الإصابات أمراض باطنية وعاهات قد وجدناها بارزة في مختلف مناطق أجسادهم، وحتى من خلال أعضائهم وحواسهم... إلخ، مما أدى إلى صعوبة التصريح بذلك الضعف من طرفهم، حيث تعذر الكشف عن هذا الشيء المخفي لديهم والذي يعتبرونه من الطابوهات المسكوت عنها، وهذا الضرر قد وجدناه تسبب لهؤلاء المصابون بـ (سحر التوكال) في الكثير من الإضطرابات العقلية والنفسية والعضوية والإجتماعية.
- وفي الصعوبة الرابعة؛ هناك من فئة المبحوثات أي فئة العجائز والنساء والفتيات قبل سن الزواج منهن من رفضن التصريح على أنهن مارسن هذا النوع من التَّسميم الشعبي، حيث تجاهلن بدورهن أنهن يحتفظن داخل بيوتهن بمجموعة من تلك المقتنيات كـ (الأعشاب والمعادن والبقايا الحيوانية...) خوفاً منهن من سوء فهم الناس لهن وإتهامهن بالقيام بالفعل الشيطاني القاتل لـ الإنسان و الحيوان، ومن هنا

لاحظنا خوفهن الشديد من معاقبة القانون الجنائي التبسي إذا تفشى الأمر بهن ومسكن بالجرم المنظم والمشهود.

- أما بالنسبة للصعوبة الخامسة والأخيرة؛ فأثناء مقاربتنا الميدانية وجدنا أن هناك من المبحوثين منهم من يقوم بالرُّقوة الشعبية الرُّوحانية على هؤلاء المصابين بـ السحر المأكول حيث صرح الكثير منهم على أنهم يرفضون الكشف عن طريقة التطبيب لديهم التي يتميزوا بها كمطببين ناجعين عن غيرهم من المطببين الشرعيين، وإعتبروها على أنها عبارة عن (حكمة) و (سر مهنة) إذ عاهدوا معطيها لهم في عدم الكشف عن أسرارها العلاجية، ودورنا كباحثين في حقل الأنثروبولوجيا وفي ميدان بحث وعر مثل هذا داخل أفراد المجتمع التّبسي ذلك المجتمع الذي يتخبط أفراده بين ثنائية التقليدي والحديث، تعذر علينا الأمر في محاولة التعرف على أغلبية تلك (الوصفات) و (الجرعات) التطبيبية إلا من خلال تقديم عرض مالي لهؤلاء الفئة من الأشخاص المصادر من فئة الإخباريين، وكان ذلك بهدف الحصول على صور و تسجيلات حيَّة ومباشرة من المجتمع المحلي، حيث كشفنا أثناء تقمصنا للدور عن مختلف تلك التعاويذ والتراتيل السرية التي يتلفظ بها هؤلاء المطببون أثناء الرُّقوة الرُّوحانية، والتي عادةً ما تتلى من طرف " طبيب رُّوحاني " بصوت خافت وبكلمات غير مفهومة وبشرط منهم على أن تكون عملية (الخُلوَّة التَّطبيبية) فقط يتواجد فيها المطبب و المتسمم رأساً مقابل رأس.

خلاصة المدخل:

إن إعتماد الأنثروبولوجيا على العمل الحقلي في دراسة مواضيع محلية راهنة، يتطلب الخروج من التقوقع المنهجي والتحرر من قيود المناهج التقليدية إلى رحاب الإستحداثات المنهجية والتعدد الأدواتي في جمع المعلومات، والتركيز على الجوانب الكيفية للكشف عن دلالات بعض الممارسات التَّسميمية الشعبية في مثل هذه المجتمعات التي تعتبر تحمكها العصبية القبلية والعروشية، لذا كان لزاماً علينا إستخدام مقاربة منهجية ومفاهيمية تتماشى مع موضوع الدراسة، وذلك من خلال إختيار مناهج و أدوات و تقنيات ملائمة لها، حيث تمَّ من خلال ذلك شرح تلك المفاهيم الأساسية و المفاهيم المرتبطة بهذا الموضوع بغرض تحقيق الأهداف المرجوة من مقاربتنا الأنثروبولوجية. أين تعتبر هذه المقاربة المنهجية بأبعادها المتنوعة هي الأكثر ملائمة لدراسة طقوس و ممارسات موضوع معتقد السحر المأكول في مدينة تبسَّة؛ وذلك من خلال محاولة الكشف عن المستور ونقله للعلن والتأكد من معنى دلالاته الرَّمزية والوظيفية في المجتمع ككل والتي قد تدخل في تحقيق التواؤم بين أفراده من خلال التعرف على الغرض المحدد منه، ويظهر هذا جلياً في نقلها مباشرةً في شكلها الخام مسجلة في صور توضيحية تقرب للقارىء المتلقي حجم الضرر المترتب وقوة الإصابة التي نجدها حاضرة في مجمل الممارسات الشعبية في المنطقة، وبإعتبار هذا النوع من الأسحار يمارس على طوال السنة وفي جميع الأوقات يكفي فقط توفر (النيَّة) و (الطقس) و (الأداة) حتى تكتمل عملية القتل السريع أو عملية القتل البطي.

الفصل الأول

الفصل الأول

تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) من منظور أنثروبولوجي سحري

تمهيد الفصل:

- **أولاً: الفرق بين تسميم (ضربة العين) و تسميم (ضربة الحسد) في القرآن و السنة.**
- **ثانياً: التّبَاسَّة و الإعتقاد في سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) الحواسي.**
- **ثالثاً: أنواع و أعراض سحر توكال (العين الحاسدة) لدى أفراد المجتمع التّبسي.**
- **رابعاً: قصص حول أسحار توكال (العين الحاسدة) في التراث الشعبي التّبسي.**
- **خامساً: الرُّقوَّة الرُّوحانية لـ (توكال المعيون) و (توكال المحسود) في مدينة تبسة.**

خلاصة الفصل:

تمهيد الفصل:

يعتبر تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) في الإعتقاد السحري التّبسي؛ أن له تأثيرات سلبية على صحة الأفراد سواء تعلق الأمر بـ عين و حسد القريب أم بـ عين و حسد البعيد، ويرجع ذلك للعلاقة التشاركية التي تجمع بين سحر و سُميَّة سهامهما الملعونة (العين و الحسد) مع وسحر و سُميَّة سهام السحر المأكول (سحر التوكال) داخل بدن المصاب، حيث يظهر ذلك جلياً من خلال التأثير والفعل الذي يحدث على جسم المتسمم إنسان كان أو حيوان، ويعتبر هذا المرض أن له أسبابه الواضحة لدى فئة كبيرة من الأفراد التباسَّة، والإصابة بسموم العين و الحسد تكون مفاجئة للإنسان، يصاب بها الإنسان وهو في بيته أو في فرح، أو في مأتم، أو في أي مكان آخر... إلخ، فالأولى منها تكون عن طريق حاسة النظر وعملية الإبصار بصفة مباشرة (عن قرب) أما الثانية فتكون عن طريق النفس الخبيثة وبصفة غير مباشرة (عن بعد) لذا سنحاول من خلال هذا الفصل التعرف على توكال ضربة العين وأنواعها مع إبراز كيف تتم هذه الإصابة، وإظهار أهم الأعراض الجسمية و المرضية المترتبة عنها، وكذلك التطرق إلى أهم قصص الإصابة بالعين الحاسدة في مدينة تبسة التي قد تكاد تكون أقرب إلى الخيال والوهم وأكثر منها إلى الحقيقة والواقع.

أولاً: الفرق بين تسميم (ضربة العين) و تسميم (ضربة الحسد) في القرآن والسنة

يذكر " أبو البراء أسامة بن ياسين المعاني " بعض الفروق بين العين و الحسد استنبطها من أقوال وآراء وبحوث بعض العلماء والمشايخ نلخصها فيما يلي:

- يشترك الحسد و العين في الأثر، ويختلفان في الوسيلة والمنطق.
- الحسد قد يقع في المرء قبل حصوله، أي أن الحاسد قد يحسد ما لا يراه ويحسد في الأمر المتوقع قبل وقوعه، ومصدره تحرق القلب وإستكثار النعمة على المحسود.
- العائن لا يعين إلا ما يراه والموجود بالفعل، ومصدره إنقداح نظرة العين.
- الحسد لا يقع في الأهل ولا مال بعكس العين، لأنه يمكن للعائن أن يعين ما يكره أن يصاب بالأذى منه كولده وماله.
- أن الحسد أصله تمني زوال النعمة أو عدم الحصول عليها، أما العائن يحتمل أن يصيب المعين ويتمنى زوال النعمة عليه وقد لا يكون ذلك، وحالما يقع نظره على أمر بإعجاب وإستحسان قد يصيبه بالعين، دون قصد زوال تمني النعمة عليه.
- يحصل الحسد عند غيبة المحسود، أما العين فتكيف نفس العائن وتتوجه لمقابلة المعين.
- الحسد يقل في تأثيره عن العين، لأن تأثير النفس أو العين يقوى عند المقابلة، فإن العدوّ إذا غاب عن عدوه قد يشتغل نفسه عنه، فإذا عاينه قبلا إجتمعت الهمة عليه وتوجهت النفس كلتيهما إليه.
- الحسد يأتي مع الكراهية والحقد من نفس الحاسد، ولا يقتصر هذا الضرر على البدن والمال فقط، بل يتعدى ذلك لإتباع كل الطرق للنيل من ذلك الشخص.
- العين علاجها أيسر من الحسد، وذلك لسهولة معرفة العائن في كثير من الحالات، والحصول على الأثر والإغتسال به أو التصرف به على نحو مشروع.
- الحسد تأثيره على الحاسد أبلغ من تأثيره على المحسود لأنه دائما معذب القلب، فكلما رأى المحسود وما فيه من نعم ورفاهية تألم لذلك فلذا يقال: إن " الحسد داء منصف، يعمل في الحاسد أكثر مما يعمل في المحسود.

- لا يحسد الإنسان نفسه ولا ماله ولكنه قد يعينهما (المعاني، 2000، ص ص 114 – 120).

وينظر أصحاب المنظور الأنثروبو – سوسيولوجي؛ إلى أن الحسد أدناه الغبطة وهو تمني مثل نعمة غيرك، وأعلاه النقمة وهي تمني زوال النعمة عن صاحبها، وذهابها إلى الحاسد، وأن تستبدل النعمة لدى المحسود بمصيبة، كما نقم " فرعون " من السحرة حين أسلموا، ولا يقتصر الحسد على التمني فقط وإنما يشمل كذلك الأخذ بأسباب تحقيق هذه الأمنيات، من عداوة وبغضاء ومحاولات إزالة النعمة عن المحسود، إذنً فالحسد آفة من أسوأ أمراض القلوب، وداء يصيب النفس البشرية، وسلوك مشين يصدر عن الإنسان، ويضيع الحسد الحسنات ويبددها. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن الحسد يطفئ نور الحسنات".

إذا كان الشيطان مسؤول عن الإصابة بالعين، فإن الشيطان يستغل حسد إبن آدم فيندفع لتحويل الحسد من مجرد أمنيات شريرة إلى أذى حقيقي يصيب المحسود، فالعلاقة بين العين والشيطان والحسد ثابتة في قوله (صلى الله عليه وسلم): " العين حق، ويحضر بها الشيطان، وحسد إبن آدم ". والشيطان يستغل أمراض القلوب ليسيطر على البشر وتوجهاتهم، فيحركهم كما يريد، وخطوات الشيطان تؤدي بنا إلى الوقوع في العداوة والبغضاء لقوله تعالى: " إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء " (المائدة: 91)، ولننتبه أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين ويحرش بينهم، ويغريهم ببعضهم البعض، لذلك نجد النزاعات بينهم، فتوجب علينا أن نقول القول الحسن كما أمرنا الله تعالى لرد كيد الشيطان في: " وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً " (الإسراء: 53) (جند الله، 2017/04/24، 14:14 د).

وتظهر سُميَّة " ضربة العين " حسب بعضهم: على أنها أذية الآخرين بواسطة العين عن طريق موجات كهربائية مغناطيسية شريرة تسري من الحاسد إلى المحسود، أو عن طريق روح شريرة، أو غير ذلك مما وقف العلماء والدارسون أمامه عاجزين عن تأكيده أو تفسيره، في حالة وجوده فعلا. وجاء في كتاب " موسى برنس "، " الخط

الأحمر " أن: " العين الحاسدة هي من أسهل وأكثر مظاهر الإخفائية إنتشاراً، ولكن لها عندما شرح بسيط جدا نستمده دائما من نظرية الذبذبات الفيزيائية الروحانية التي تصدر عن المولد الروحي أو الروحاني الموجود في داخل كل إنسان. إن المولد المذكور – الموجود غير المنظور– ذو صفة مزدوجة، مصدرة ولاقطة في آن واحد كما سبق وأسلفنا. والتموجات اللاسلكية فيه تشع من جوهر الإنسان الجسدية في المكان الذي توجه إليه بتحديد وتجمع وقوة، بمعنى أن العين بتركيبتها العلمية الفيزيائية وبنظرنا، أشبه بعدسة مكبر (Lentille de loupe) يتعرض الأشعة الكونية المغناطيسية الموجودة في الإنسان لتستنفرها وتجمعها وتوجهها بقوة نحو الأشخاص والأشياء، وكما يحرق المكبر الورق والهشيم اليابس تحت وطأة الأشعة الشمسية الموجهة بواسطته، تحرق العين أنسجة محددة في الجسم الإنساني أو الحيواني أو النباتي أو أمكنة معينة في الجسم الجمادي شرط إيجاد المناخ الملائم لها، والعوامل المطلوبة لذلك، سواء في الحارق أو في المحروق أو في من كان واسطة الحريق " (راجي الأسمر، س. ن. غ. م، ص 11).

إن الكشف عن حقيقة العين و الحسد وكيفية الإصابة بهما مازال خفيا ومجهولا لأن تأثيرهما غير محسوس، وما هو غير محسوس فلا يمكن إدراكه، ولكن هناك بعض الاجتهادات والمحاولات من طرف بعض العلماء والباحثين، ولكنها لم تسلم من بعض الاعتراضات أو النقد. يشرح " إبن حجر العسقلاني " في كيفية عمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون فيقول: " إن طبائع الناس تختلف، فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون، وقد نقل عن بعض من كان معيانا (حاسداً) أنه قال: إذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني " (الشهاوي، س. ن. غ. م، ص 52).

ويذكر " الحافظ بن حجر " أن " المارزي " يشير إلى أن العائن تنبعث من عينه قوة سمية تهلك أو تفسد المعين، وهو كإصابة السم من نظر الأفاعي، كما يقدم " فهد بن ضويان السحيمي " تفسيرا في كيفية الإصابة بالعين بقوله: " هو إنفصال قوة سُميَّة من عين العائن أو جواهر لطيفة غير مرئية، تتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه "،

ويذكر أيضا " عبد الرزاق نوفل " في أن العين تخرج منها أشعة تستطيع التأثير عن بعد في الماديات... فقد تمكنت فتاة في روسيا أن تفصل صفار البيض عن بياضها، وهي في وعاء وعن بعد، وتمكن أحد العلماء من متابعة فتاة أخرى استطاعت تحريك إبرة البوصلة في إتجاهات مختلفة بمجرد توجيه النظر إليها، وقد قام " دوند Dundes - A " بتحليل مفاعيل الإصابة بالعين في الثقافات الاجتماعية للشرق الوسط وأوربا، واستنادا إلى الوسائل الرمزية التي تتم بها محاربتها أو الاتقاء منها، فوجد أن تأثيراتها تتمحور أساسا حول إحداث الجفاف في الشخص المصاب بالعين، وأن هناك ارتباطا وثيقا في مخيلتهم الجماعية بين الجفاف والموت وبين الحياة والماء، وهو ما يجعل النساء أكثر عرضة للإصابة بالعين بسبب أهمية السوائل في دورة الحياة: الحليب في أثداءهن، والدم المحيط بالجنين وأسباب بقائه، ونظارة وجوههن (عكس وجود التجاعيد في الوجه، الذبول)، وتبعا لذلك فإن عوارض الإصابة هي غالبا: جفاف الحليب أو ضياع الجنين بالإجهاض التلقائي أو الإستحاضة أو العقم، أي فقدان الوسائل الضرورية لدورهن الطبيعي المتمثل إما بالأمومة أو الجاذبية الجنسية.

وإذا كان بعضهم لا يفرق بين " الحسد " و " العين "، أو " الإصابة بالعين " فإن بعضهم الآخر يرى أن " للحاسد نفس على المحسود، وقد يصل نفس الحاسد إلى حد الهلاك. والعائن ربما لا يتعمد الأذى، إنما عينه هي التي تصيب بمجرد المقابلة أو وقوع النَّظرة على الشيء، ولذلك كان أذاه عند المقابلة ووقوع عين العائن على المعيون، أما الحاسد، فإنه يصيب في الغيبة وفي الحضور، لأن عينه تنفذ وتصل إلى المحسود، فإنه يصيب في الغيبة وفي الحضور، لأن عينه تنفذ وتصل إلى المحسود، وإن كان غائباً عن الحاسد، ولخطر الحسد وشدة أذاه، إتخذت الحمائل الخاصة بمقاومة عيون الحسود " (علي، 1980، ص 753).

ويفرق " إبن القيم الجوزية " بين " الحاسد " و " العائن " فيذكر قوله تعالى: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ[1]، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ[2] إِذَا وَقَبَ[1]، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي

[1]- **الفلق:** الصبح.

[2]- **الغاسق:** الليل.

الْعُقَدِ[2]، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " (الفلق: 1 – 5). ثم يقول " إبن القيم الجوزية " في كتاب (الطب النبوي): " فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائناً، فلما كان الحاسد أعم من العائن، كانت الإستعاذة منه إستعاذةً من العائن " (الجوزية، س. ن. غ. م، ص 131).

ثانياً: التْبَاسَّة و الإعتقاد في سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) الحواسي

يندرج سحر و سُميَّة ضربة العين الحاسدة في العصر الجاهلي أنه: كان للجاهليين رأي وعقيدة في العين وفي أثرها في الحياة، فهم يعتقدون بأثر العين وإصابتها. ولخطر هذه الإصابة وأهميَّتها، تفنَّنوا في إبتداع وسائل الوقاية منها، وحماية أنفسهم من أثرها. وقد زعموا أن عيون بعض الناس تُصيب، وأنها إن أصابت شيئاً أهلكته، فإن العين لا تُنتج إلاَّ شراً، وهي لا تكاد تكون في خير مطلقاً. ولذلك تجنبوا العائن وإبتعدوا عنه، والعائن والمعيان والمعيون هو من تصيب عيونه، فكان أحدهم إذا ما إتصل بإنسان، وصادف أن نظر ذلك الإنسان إلى شيء أعجبه، أو رأى شيئاً لفت نظره، ثم صادف أن وقع مكروه لمن نظر إليه، أو إلى ما كان قد رآه العائن، نسب ذلك المكروه إليه، ورُمي بإصابة العين، وقد يحدث من ذلك الرجل مثل ما حدث له مع من وقع المكروه عليه، ويُقال للمعيون: إنّه لنفوس، وما أنفسه، وقد أصابته نفس أو عين...

ومن الأمثال العربية المتعلقة بـ إصابة (العين الحاسدة): " إن العين تُدني الرجال إلى أكفانها والإبل إلى أوضامها "، وقولهم: " أَكْذَبُ من السَّالتة "[3]، ومما يدل على شدة إنتشار الإعتقاد بـ إصابة (العين) و (الحسد) والرُّقى لردها عند العرب في العصر الجاهلي، كثرة ورودهما في الحديث النبوي الشريف، وهذا ما سنعرضه بالتفصيل في فصلنا هذا ومن خلال العناصر الأخرى (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 23 –

1- **وقب:** أظلم.

2- **النفاثات في العقد:** الساحرات اللواتي ينفثن في العقد التي تعقد في الخيط.

3- **السَّالتة:** هي التي تسْلَأُ السَّمْنَ لأي تطبخه وتعالجه، وهي تكذب مخافة العين، فتقول قد إرتَجَنَ بمعنى إحترق ولم يخلُصْ.

.(35

أما الإعتقاد في سحر و سُميَّة (الحسد) في الإسلام فينظر إليه على أنه لفظة وردت هي ومشتقاتها خمس مرات في القرآن الكريم: وذلك في قوله تعالى: " وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " (الفلق: 5) وقوله: " سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا " (الفتح: 15) وقوله: " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً " (النساء: 54).

وقوله: " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَويَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (البقرة: 109).

وقال أكثر المفسرين إن المقصود من قوله تعالى: " وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " (الفلق: 5) نظرات عيني الحاسد وإضرارها بالمحسود. وذهب بعض الباحثين إلى أن (الحاسد هو الذي يتمنى زوال النّعمة عن أهلها، وأن تكون له من دونهم. وفي الحديث: (المنافقُ يحسُد، والمؤمن يغبط) أي يتمنى أن يكون له من النعمة مثل ما لأخيه، ولا يتمنى زوالها عنه. والحسد من أمَّات الكثير من الرَّذائل كالحقد واللُّؤم والكذب والغيبة والنَّميمة والمكر والخداع والسَّعي بكل سبيل لإزالة النّعمة عن المحسود، ومن هنا أمر الله سبحانه نبيَّه الكريم أن يتعوَّذ من شر الحاسد، وبهذا يتّضح أن المراد من شره سوء مقاصده وأقواله وأفعاله، لا نظرات عينيه وإضرارها بالمحسود كما قال أكثر المفسرين).

وأما الأحاديث النبوية الشريفة التي تذكر (العين) الرُّقية منها، فكثيرة نذكر منها عن صحيح مسلم. حدثنا " أبو بكر بن أبي شيبة " و " أبو كُريب " و " إسحاق بن إبراهيم "... عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يأمرنا أن تسترقي من العين. حدثنا " إبن نمير "... عن " عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمرني أن أسترقي من العين. وحدثنا " يحي بن يحي " أخبرنا " أبو خيثمة " ... عن " أنس بن مالك "، في الرُّقى قال: رُخصَ

في الحُمَة والنَّمْلَة والعين. وعن " أم سلمة " زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لجارية في بيت أم سلمة، رأى بوجهها سَفْعَةً، فقال: " بها النَّظرة، فسترقوا لها "، يعني بوجهها صُفْرَة (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 37 – 38 – 39 – 40 – 41 – 42 – 43).

لذا جميع الأمم في العالم وعلى إختلاف مللهم لا يمكنهم إلغاء خطر النَّظرة الشريرة، تلك " النَّظرة المحدقة Outlook " والمخيفة التي ينبعث منها أذى قد يوصل إلى الدمار والقتل السريع، كما بين " جابر بن عبد الله " – رضي الله عنه – عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: " أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين "، آخذين أفراد (المجتمع التّبسي) بهذا الحديث النبوي الشريف، مع خوف شديد وحرص زائد نجده باديا في الأواسط الشعبية، أين ساد الإعتقاد في سُمية " العين الإنسية Eye of the Missile" أكثر من نظيرتها " العين الجنية Fairy Eye ": وسبب ذلك يرجع إلى مواقف الأفراد التي نجدها متناقضة مع إختلاف المستوى الثقافي والمركز الإجتماعي، التي ندرجها ضمن مظاهر شكلت صراعات بين فئات المجتمع أفرزتها علاقة هؤلاء الناس بهذا المعتقد، ويتم تقسيم هذه الفئات إلى أربعة أصناف:

- **الصنف الأول:** تتبناه فئة كبيرة من الناس يعتقدون في وجودها إعتقادًا جازمًا، حيث يرجعون أي مرض، أو سوء حظ، أو أي خسارة في الحياة إلى الإصابة بسحر (توكال العين) لدرجة الوسواس القهري، فخلقوا لأنفسهم تبريرات دائمة ومستمرة، وعالمًا خاصًا عند الشعور بإقتراب خطرها المفاجيء، فتتجه الأنظار تجاه الأواسط العائلية، ومحاولة حماية الطفل الصغير ليس بالضرورة من أرواح ما وراء الطبيعة التي هي أشد منه، وإنما من أرواح بعض البشر المتمثلة في نوعية دم العائن المعتدي الظاهرة من خلال تركيبتة البيولوجية الخبيثة في جسمه وروحه ودمه.
- **الصنف الثاني:** يحتوي على أفراد متذبذبين في مواقفهم تجاه الطاقة السحرية للعين الحاسدة، فهم في قرارة أنفسهم يعتقدون بها، لكن الواضح من تصرفاتهم يظهرون العكس خوفًا من إتعاب أنفسهم إن فكروا بالعكس وفي وجودها، فيظهرون أنهم غير مبالين سواء في إيمانهم أو في ممارستهم اليومية الوقائية والعلاجية.

- **الصنف الثالث:** هو نقيض للصنف الأول، حيث لا يعتقد أفراده مطلقًا بوجودهما، ويعتبرون ظاهرة العين والحسد مجرد وهم وخرافة شعبية تتحكم في بعض الذهنيات، يعود فيها أصل الإيمان بهما إلى التخلف والجهل الفكري ونقص الوازع الديني الإسلامي.
- **الصنف الرابع:** تمثلة فئة قليلة جدًا من الأفراد التباسَّة، الذين لا يعتقدون أصلاً بها كظاهرة موجودة، لا من المنظور الشعبي السحري ولا من المنظور الديني، وإعتبار رؤيتهم هذه على أنها علمية ولا تحتمل الإعتباطية لخضوعها للمنهج العلمي، وإرجاع أسباب الإصابة الفعلية بـ سحر (توكال العين) إلى مرض طبيعي ناتج عن خلل حدث في الجسم بصفة عادية، لا لأسباب مرضية روحية وشريرة.

أغلب أبحاث علماء الأنثروبولوجيا؛ خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تثبت أن لكل شعب من تلك الشعوب الإنسانية نسق من التفكير الغيبي الذي يشتمل على قوى ما فوق الطبيعة ووجود كائنات خارقة للعادة من عفاريت وأشباح العالم الآخر، وهذا ما أثبته العديد من " الرُّقاة الشرعيين " من أصحاب الإختصاص، بإعتبار البيئة التْبسيَّة بيئة مسلمة، وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يتعوذ من أعين الجن (الجان) قبل تعوذه من أعين الإنس (الإنسان) حيث يرجع سبب تقديمه لها (العين) لشدتها بإعتبار أنها سريعة جدًا أثناء إصابة البدن أين تعمل على السيطرة والتملك فيه ما يحلو لها الأمر، بمعنى أن نظرتهم لهذا الإنسان على أنه جميل المنظر وأنهم باشعين الخلقة، ورغبتهم في الزواج منه على الرغم من أنه لا حق لجني بسكنة إنسي ولكل واحد منهم عالمه الخاص.

ويؤكدون أهل الخبرة أن حسد إبن آدم وتمني زوال نعمة الآخر عنه، تفتح مجال حظور الشيطان وإنطلاقه في النَّظرة، حيث أن أغلبية حالات الرُّقوة الرُّوحانية على المريض كثيرًا ما وجدت فيها الحالات المصابة متوكل عنها خادم وحارس لـ سحر توكال العين الحاسدة داخل البدن، وهو جني يخترق الجسد وينشر العقد فيه، حيث تزداد الحالة التطبيبية صعوبة لدى " الطبيب الرُّوحاني " إذا عرف من التشخيص أن الإصابة قديمة. فينصح المترددين عنده بعدم إنتفاء البركة ووجوب التبريك عند الإستحسان، في قول –

مشاء الله – أو – الله يبارك – عند النَّظر، وما لوحظ لدى أفراد المجتمع التبسي أن غالبيتهم يتلفظ بالكلمة الخاطئة في قول – صلي على النبي – لإعتقادهم أن النبي يدفع الأذى، فلا دافع لأذية " السَفْعَة " إلا حماية الله عزَّ وجل، ونجد أن أعراض سفعة توكال العين: هنا يتغير من خلالها لون الوجه الطبيعي للمعيون، وترافقها صُفرة يطلق عليها أفراد مجتمع البحث تسمية (مرض الصُّفير) الذي يظهر على وجه المعيون المصاب بـ توكال شيطان العين، أو نجدها تظهر على شكل علامة سوداء تكون واضحة على مستوى الجبهة وبالتحديد ما بين الحاجبين، وبعيدًا عن أنواع العين والأعراض الجسمية التي تسببت فيها هذه الأخيرة، نفصلها لكم في الجزء الذي بعد هذا والجزء الأخير من البحث الخاص بالرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة لـ الطبيب الرُّوحاني التّبسي.

وفي الجزء ما قبل الأخير؛ نختص فيه للتطرق إلى بعض القصص الشعبية التي تتبنى مدى التصديق الجازم بمؤثراتها السلبية في فقدان المنصب والوظيفة، نجدها موضحةً من خلال قصة أحد المبحوثين من كبار السّن: بإعتبار هذا الأخير على أنه فقد تجارته وماله الكثير في قوله: " عَيْنُونِيْ الَّناسْ كِيْ دْرْت الدْرَاهمْ يَاسرْ بمعنى (أصابته العين عندما جمع النقود الكثيرة)، وْهَزُوْنِيْ فِيْ فْامْهُمْ بمعنى (حمل في أفواه هؤلاء الناس المعيانيين)، حَكْمتْ فِيَّا اَلْعِيْنْ كِيْ كُنْتْ نْسَافرْ وْنُدَخلْ دْرَاهمْ يَاسْر وْمَنُقْعدْشْ خْلَاصْ منْ بْلاَدْ لْبْلَادْ بمعنى (أصابته العين لأنه يسافر كثيراً ويدرر الأمول الكثيرة ويرجع ذلك لمعرفتهم أنه يتنقل من بلد إلى بلد وهو في كامل حيويته التجارية)، وْبَعْدْ قدَّاشْ منْ عَامْ بْديْتْ نخْسر فِيْ دْرَاهْميْ دْرْجَة دْرْجَة بمعنى (أنه بعد عام بدأ يخسر أمواله تدريجياً دون وجود سبب بائن).

فحسب هذا المبحوث أن أذى العين وقعت عليه لأن الناس لا يتلفظون بكلمة – الله يبارك – وأنَّ نظراتهم إليه كانت تصحبها الشَّهقة وبعض كلمات المدح والإعجاب مع وجود علامة تعجب وإستفهام، وإعتبر أن " العين المالحة Salty Eye " مسلطة عليه من جميع الجوانب حيث ضربة عائلته وثروته، ويحكى في التراث الشعبي السحري في مدينة تبسة؛ أن هناك إمرأة معروفة (بْعينْهَا ليْ تْفَحْمْ لْحْجَر)، بمعنى تلك " العين الحارقة Scorching Eey " للممتلكات، وعند مرورها على أرض مُخضَرَّة بالسَّنابل في

فصل الرَّبيع شهقت عليها وقالت: " آهْ هَاذيْ مُولاَهَا قْبَاليْ يْتْمَتْعْ بالصَّابَة هذا العام" بمعنى أن صاحبها محظوظ وسيتمتع هذا العام بأرض تدرر عليه عسلاً وأموالاً كثيرة، فإحترقت الأرض بسنابلها قبل أن تغادر تلك المرأة المعيانة مكانها، ويحكى أن إبنة هذه المرأة تلك البنت الوحيدة من بين شابين إثنين، عرف أنها توارتث " ضربة العين Blow the eye "، وأنها شاهدت ذات يوم إمرأة بيضاء البشرة وأثناء عودتها إلى منزلها قالت لبناتها أن " فلانة " بيضاء البشرة وبشرتها تشبه قشرة بيضة الدجاجة العربية (الدجاج البلدي) فبلغها في اليوم الموالي أن وجهها تشوه بالحبوب الحمراء التي تشبه مرض الحَصْبَة.

وتضرب " أمراض توكال العين " و " أمراض توكال الحسد " عند الأفراد التْبَاسَة: المزيود الجديد خاصةً الذكور منهم، وتصيب أيضاً ضربتهما الناس في الأفراح والمناسبات بصفة عامة، وحتى الجنائز عند رؤية ما يعجب ويحلو في العين من أشخاص حتى عن غير قصد فتصيب جمالهم وقدرتهم على العمل، وتوفيقهم في الدراسة، وكذلك منازلهم ومركباتهم من سيارات وأراضي فلاحية ومصانع، فصاحب " العين القاسية Harsh eye " أو " العين المتسعة Wide eye " أو " العين المسودة Eye draft " هو بالضرورة إنسان معيان، حيث أن هذه الأخيرة تظهر عند أصاحب المومو أو (البؤبؤ) الأسود، تلك العين الأكثر شيوعًا لدى أفراد المجتمع التّبسي والتي يثبت الإعتقاد في أذيتها على عكس المومو أو (البؤبؤ) الأزرق، والأخضر، والبني التي هي بعيدة كل البعد عن التحديق والنظرة المؤذية، لأنه غالبًا ما نجد هذه الفئة الأخيرة (العين الزرقاء والخضراء) هي المستهدفة بنظرات الإنس والجن أكثر من نظيرتها السوداء والبنية، بإعتبار شيطان العين يحب الإنسان الجميل والزُّهري (الرُّوحاني) حتى يتمكن من إصطحابه إلى عالمه عالم الماورائيات.

1-أسباب الإصابة بـ تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) السحري:

- **(القوى ما فوق الطبيعة) و الإصابة بـ سحر توكال العين والحسد:**

إن الأنثربولوجيين في أبحاثهم التي قاموا بها منذ نهاية القرن التاسع عشر ذهبوا إلى أن لكل شعب من الشعوب نسق من التفكير الغيبي المرتبط أساسا بالكائنات الخارقة أو الكائنات الإعتقادية من أرواح وأشباح وجن وشياطين... وقد إنعكس هذا بوضوح في معتقداتهم حول السحر والخرافة والعين الشريرة، وعلى حد تعبير " Bamovw " أن كثير من الناس في أمريكا وأوربا والإتحاد السوفيتي أو مناطق أخرى لا يعتقدون في الآلهة أو الأرواح أو حتى في الحياة بعد الموت لكن يعتقدون في مثل هذه الكائنات الخارقة (إسماعيل، س. ن. غ. م، ص 150).

كما تكلم الكتاب المقدس تكرارا عن تحرك الملائكة غير المنظور (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر دانيال 10: 1-21). أحيانا يتفاعل هؤلاء الملائكة مع الأحياء من البشر أن الأرواح الشريرة أو الشياطين يمكنها أن تمتلك البشر، وتسكن فيهم وتتحكم بهم (الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مرقص 5: 1- 20). تسجل ظهور الملائكة الأخيار لمعونة المؤمنين، أن الملائكة الأخيار والأشرار يمكن أن يسببوا حدوث ظواهر فائقة للطبيعة (الكتاب المقدس، العهد القديم و العهد الجديد، سفر أيوب 1- 2، الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا 16:1:15:5:1:7).

في واقع الأمر، أن العين مجرد آلة وظيفتها " الرؤية Vision " ولأنها تقع في مقدمة الوجه فإنها تقوم باستقبال الضوء، ليمر من خلال عدسة العين لتقع الصورة على شبكية العين، فمن الممكن أن يسمع إنسان عن آخر خيرا ورغم أنه لم يره من قبل، ولا يراه أثناء سماع الكلام عنه، إلا أنه يصاب بالأذى، فمن الممكن أن يصيب آخر بالعين رغم أنه فاقد العينين تماما، إذن فعين الإنسان بريئة، والحقيقة أن عين الشيطان هي السبب في الإصابة بالعين. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " العين حق ويحضر بها الشيطان وحسد ابن آدم ". وفي مقاييس اللغة: وتأول الناس قوله تعالى: " وقل رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ " (المؤمنون: 97

– 98). أي أن يصيبوني بسوء، فيكون معنى الحديث أن العين حق، ويصيب بها الشيطان الإنسان بسوء، إذن فالشيطان هو من يصيب بعينه إن أدرك وجود نعمة على المعيون، وليست عين الإنسان هي المسؤولة عن وقوع الأذى (جند الله، 2017/06/11، 13:02 د).

وفي المجتمع التّبسي؛ يحدثنا أحد المبحوثين من الرُّقاة الذين يقومون بالرقية الشرعية للمصابين بالعين و الحسد، على أنه هناك علاقة وطيدة بين الجن وشياطين النظرة أي (شياطين خدام العين والحسد)، فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ يتعوذ من عين الجان ثم أعين الإنس، لأن سب تقديم الرسول (صلى الله عليه وسلم) عين الجن على عين الإنس لشدتها وخفائها وأنها سريعة جداً خاصة أثناء إصابة المعيون بها، ويقول الراقي أيضا على أنها ناتجة عن حسد إبن آدم وتمني زوال نعمة الآخرين عنهم، ويكمن ذلك في إنطلاق الشيطان من عين العائن أم من نفس الحاسد لتقوم بإصابة المعيون أو المحسود بسُميتهما، ويقول أيضا ففي بعض الأحيان وأثناء الرقية على بعض الحالات تكون غالباً الحلات المصابة بهذا الداء مستعصية نظراً لوجود خادم من الجان داخل بدن المصاب حيث يكون هذا الخادم لا يستجيب للخروج وترك الجسد ورغبته في إمتلاك ذلك المريض، ومن هنا نقول أن لقوى ما فوق الطبيعة علاقة أكيدة في إصابة البشر بتسميم العين الشريرة و الحسد.

- **(إنتفاء البركة) و الإصابة بـ سحر توكال العين والحسد:**

الأصل في تسلط الشيطان بالعين والحسد هو إهمال التبريك، أي الدعاء بالبركة، ليس هذا فحسب بل الغفلة عن تجديد التبريك أول بأول، يكون سبب في تراكم موانع ونواقض البركة بمرور الوقت، من معاصي وذنوب، وغفلة عن طاعة الله عز وجل، لذلك فتجد الدعاء بالبركة عند كل مناسبة، مطلب هام لحفظ أنفسنا، وما نملك ومانع دون وقوع أذى العين، فالشيطان المعيان يحسد الإنسان، ولا يوقع الشيطان أثرة النظرة المدمرة على المعيون إلا إذا غفل الإنسان عن الدعاء بالبركة، فإذا حلت البركة إمتنع الشيطان عن إلحاق الأذى. لذلك عاتب النبي – صلى الله عليه وسلم – " عامر بن

ربيعة " ليس على النظرة، ولكن على عدم التبريك فقال: " هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت".

دائما ما تقترن العين بالحسد، فالحسد سبب في الإصابة بالعين، مما دل على أن كل حاسد معيان، وليس كل معيان حاسد، فالإنسان لن يحسد نفسه. ولن يتمنى لها الشر أبدا، لكن قد يصيب صاحب النعمة نفسه بنظرة فيصاب بالأذى، فالدعاء بالبركة لن يمنع عين الإنسان من النظر ولكنه يمنع الشيطان من إقتناص الفرصة ليؤذي الإنسان، لإنتفاء إجتماع البركة والأذى، فالضدان لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان معاً، فإنتفاء وقوع الأذى معلق بالدعاء بالبركة، وترك الدعاء بالبركة إما يكون نسياناً أو كسلاً أو حسداً، فوجب الحذر من أذى العين و الحسد وذلك بالدعاء بالبركة سواء على ممتلكات الآخرين أو ممتلكاتنا، فالعين ليست باطلاً أو خرافات أو خزعبلات كما يقال عنها أحياناً، بل العين حق، لقوله صلى الله عليه وسلم: " استعيذوا بالله من العين فإن العين حق " (جند الله، 2017/08/16، 15:45 د).

- **(الحسد) و الإصابة بـ سحر توكال العين:**

الحسد آفة من أسوأ أمراض القلوب، وداء يصيب النفس البشرية، وسلوك مشين يصدر عن الإنسان، ويضيع الحسد الحسنات ويبددها، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إن الحسد يطفئ نور الحسنات ". إذا كان الشيطان مسؤول عن الإصابة بالعين، فإن الشيطان يستغل حسد إبن آدم فيندفع لتحويل الحسد من مجرد أمنيات شريرة إلى أذى حقيقي يصيب المحسود، فالعلاقة بين العين والشيطان والحسد ثابتة في قوله (صلى الله عليه وسلم): " العين حق، ويحضر بها الشيطان، وحسد ابن آدم ". والشيطان يستغل أمراض القلوب ليسيطر على البشر وتوجهاتهم، فيحركهم كما يريد، وخطوات الشيطان تؤدي بنا إلى الوقوع في العداوة والبغضاء لقوله تعالى: " إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ " (المائدة 91)، ولننتبه أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين ويحرش بينهم، ويغريهم ببعضهم البعض، لذلك نجد النزاعات بينهم، فتوجب علينا أن نقول القول الحسن كما أمرنا الله تعالى لرد كيد الشيطان في قوله: " وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا " (الإسراء: 53) (جند الله، 2017/08/16، 16:01 د).

- **(كلام) في سحر توكال العين و سحر توكال الحسد:**

قالوا: ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسن إلى بدن المستحسن، حتى يكون ذلك الداخل عليه هو الناقض لقواه لما جاز أن يلقي مكروها البتة. وكيف يلقى المكروه من انساق في حيزه وموضعه، والذي أصابته العين في حيزه أيضا من غير تماس ولا تصادم، ولا فاصل ولا عامل لاقى معمولا فيه. ولا يجوز أن يكون المعتل بعد صحته يعتل من غير معنى بدنه. ولا تنتقض الأخلاط ولا تتزايل إلا لأمر يعرض، لأنه حينئذ يكون ليس بأولى بالانتقاض من جسم آخر. وإن جاز للصحيح أن يعتل من غير حادث، جاز للمعتل أن يبرأ من غير حادث، وكذلك القول في الحركة و السكون. وإذا جاز ذلك كان الغائب قياسا على الحاضر الذي لم يدخل عليه شيء من المستحسن له. فإذا كان لابد من معنى قد عمل فيه، فليس لذلك المعنى وجه إلا أن يكون أنفصل إليه شيء عمل فيه. وإلا فكيف يجوز أن يعتل من ذات نفسه، وهو على سلامته وتمام قوته، ولم يتغير ولم يحدث عليه ما يغيره. فهو وجسم غائب في السلامة من الأعراض سواء. وهذا جواب المتكلمين الذين يصدقون بالعين، ويثبتون حقيقتها (الأسمر، س. ن.غ. م، ص 48).

- **من (أثر) سحر توكال العين الحاسدة:**

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وإن اختلفوا في سببه، ووجهة تأثير العين الحاسدة. فقالت طائفة: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين، فيتضرر، قالوا: ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى، تتصل بالإنسان فيهلك وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي: أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن. وقالت فرقة أخرى: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه، فيحصل له الضرر. وقالت قئة أخرى: قد أجرى الله العادة

بخلق ما يشاء من الضرر، عند مقابلة عين العائن لمن يعينه، من غير أن يكون منه قوة، ولا سبب، ولا تأثير أصلا.

ولا ريب أن الله خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن للإنسان العاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام: فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه: كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفر صفرة شديدة: عند نظر من يخاف إليه.

وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه. وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين، ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها، وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بينا، ولهذا أمر سبحانه رسوله (صلى الله عليه وسلم): (أن يستعيذ به من شره). وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة، تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود فتؤثر بتلك الخاصية (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 46 – 57).

ثالثاً: أنواع و أعراض سحر توكال (العين الحاسدة) لدى أفراد المجتمع التّبسي

1-(أنواع) سحر توكال العين الحاسدة:

إنَّ الذين لا يحتاطون للإصابة بالعين عن طريق التَّعوذ، أو لبس الأحجبة، أو تعليق الخرزة الزرقاء، أو غيرها من الوسائل التي عددناها منذ قليل، قد تُصيبهم العين، فتلحق بهم أذية كبيرة، وشرًا عظيمًا. وعلاج المصاب بالعين يتم غالبًا عن طريق الرُّقية ويقوم بها عادةً شيخ معروف أو عجوز، " فيتلو بعض الآيات والرُّقى على خرقة ملفوفة بالزَّيت ويدهن بها المصاب، أو على قطعة سكر يأكلها، أو قليل من الماء يشربة، أو على حزام يشدُّ به وسطه " (إبن قدامه، 1983، ص 116).

ليس نادرًا أن يصادف راكب الطريق أمامه رسم " عين " أو " كف " عند أسفل مؤخرة شاحنة أو عربة نقل، وقد كتبت إلى جانبها عبارة " عين الحسود فيها عود ". أو أن يرسم البعض على أبواب الدُّور والدكاكين يدًا بأصابع مجتمعة أو متفرقة، أو يعلق

حدوة حصان على الجدران، بينما تضع النّسوة لبناتهن في سلسلة اليد أو العنق، التميمة المعروفة لدى شعوب المغرب العربي بإسم " خميسة " والتي تكون مصنوعة من معادن رخيصة أو نبيلة، وحسب " هوبر " فإن المغاربة كانوا يشيرون إلى من يخشون " عينيه " بالعضو التناسلي المذكر، أما " إدموند دوتيه " فيرى بأن " يد فاطمة " لها علاقة بزوج قَرْنَيْ بعض الحيوان من جهة، ومن جهة أخرى بحدوة (صفيحة) الحصان، التي هي طلسم آخر يستخدم بكثرة لصد أذى العين الشريرة (وأعراب، 2007، ص ص 191 – 194).

تعرضنا سابقًا حسب أصحاب الإختصاص من أصحاب الرُّقية الشرعية عند (الأفراد النْبَاسَة) حول " أنواع العين " والتي أبقوا فيها على نفس التصنيف الذي ورد في السنة النبوية الشريفة وهو كالآتي: " العين الإنسية "، و " العين الجنية " سواء من حيث جهة العائن أو من حيث التأثير والفعل ودرجة خطورتها على بدن المعيون ويمكن أن نوضح ذلك فيمايلي:

- **من حيث جهة العائن:**

قال " ابن القيم ": " والعين عينان: عين إنسية، و عين جنية "، فقد صح عن أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: " إسترقوا لها، فإن بها النظرة " (متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه).

وقال أيضا في الطب النبوي: قال " الحسين بن مسعود الفراء ": وقوله سفعة، أي النَّظرة يعني من الجن، يقول بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسنة الرماح " (المعاني، 2000، ص 72).

- **من حيث التأثير و الفعل:**

حالات العين الموجودة من حيث تأثيرها على المعيون، حيث توجد أربعة أنواع رئيسية، والتي تنقسم بدورها إلى عدة أنواع فرعية، تتعلق سواء بالأسباب، والأمراض الخاصة بها، أو بطبيعة هذا التأثير، إن كان دائما أو مؤقتا، كليا أو جزئيا، والتي تتفاوت من حيث درجة خطورتها وتأثيرها.

- **سحر توكال العين القاتلة (السمية أو النارية):**

يؤدي هذا النوع من العين لقتل المعين، وذلك بسبب التأثير الشديد الحاصل من العين السمية، أو لإحداث أمر لا يمكن تداركه أو علاجه، حيث يؤدي إلى حدوث تلف شديد في مناطق حساسة في الجسد.

وفي مجتمع التّبسي؛ صادفنا مثل هذا النوع من الأعين من خلال قول إحدى المبحوثات: " فِي يُومْ مِنْ الأَيَّامْ جَتْنَا نسِيبَتْنَا لِلدَارْ، وكَانَتْ بنْتِي لَمْيَاء تَلْعَبْ وتَجْرِي فِي الدَّارْ، وبَنْتِي بَاهْيَة يَاسَرْ أي (جميلة)، كَانَتْ مرِيضَة مَنْ زِيَادَتْهَا بمعنى (كانت البنت مريضة منذ ولادتها) ومَاتَكَلْشْ أَيْ حَاجَة إِلاَّ المَاكْلَة المَخْدُومَة بالنْشَاء أي أن (تلك البنت لا تقدر على أكل جميع المأكولات الثقيلة فقط تقوم بتناول المأكولات الخفيفة والمصنوعة من النشاء)، لِأَنُو عَنْدْهَا جُرْحْ فِي لَمْصَارَنْ تَاعْهَا بمعنى (أن لديها جرح على مستوى الأمعاء)، وكِي شَافَتْهَا لَعْزُوزْ أي (عندما رأتها تلك العجوز نسيبتهم التي زارتهم في المنزل)، قَالَتْ آآآه، شَهْقَتْ علِيهَا شَهْقَة وَحْدَة بمعنى (شهقت عليها شهقة واحدة)، وقَالَتْ: بْدَتْ تَكْبَرْ وبْدَتْ تَرْتَاحْ، ومَا بقَتْشْ رْبُعْ سَاعَة حَتَّى تصرْغَتْ بمعنى أن تلك البنت (لم تلبث ربع ساعة من الزمن حتى باشرت في الصراخ بصوت عالي من شدة الألم الذي هو في بطنها)، وكِي رُحْتَلْهَا لقِيتْهَا مَمْدُودَة أي (عندما ذهبت أمها وجدتها حتى ينظران ما خطبها إذ وجداها مستلقية باكية على الأرض)، وفِي هَذَاكْ اليُومْ تْوَفْتْ رَبِّي يَرْحَمْهَا" بمعنى (أن تلك الفتاة المعيونة توفت بعد ذلك اليوم رحمة الله عليها)، حيث صاحبتنا أيضا علامات التعجب والزعل حين لاحظنا أذى غريب من هذا النوع يروى على لسان أفراد قد خسروا أولادهم بتوكال ضربة العين.

- **سحر توكال العين المعطلة (المتلفة):**

يؤدي هذا النوع من العين إلى إتلاف العضو وتعطيله عن العمل وبشكل دائم، وينقسم إلى نوعين:

✓ توكال (العين المعطلة) نتيجة التعرض لأسباب حسية:

يؤدي هذا النوع إلى تعطيل دائم للعضو بسبب تلف حسي معين، كأن يصاب الفرد بالعمى نتيجة التعرض لحادث معين، وهذا النوع لا تفلح معه الرقية الشرعية، بسبب عدم تدارك النتائج التي تتركها العين.

الملحق رقم 1: صورة ملتقطة من الميدان التبسي تبين؛ إلتهاب على مستوى (شبكية العين) يرجع سببه إلى الحسد بمعنى تلك (النّفس الحاسدة) التي إستهدفت جمال زرقة عيون ذلك الرجل فتسببت له في إحمرار وآلام وعطل دائم قد حجب عنه عملية الرؤية، حيث أصبحت الشَّبكية عنده ضعيفة جدا ولا تنقل الرؤية للدماغ، وهذا ما عجز عن تفسيرة أصحاب الطب الحديث، ويرى مطببي الطب الرُّوحاني أن ذلك يرجع لـ سُميَّة سحر توكال ضربة (شيطان الحسد) الذي عمل على إتلاف الحاسة تماماً

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/02/12. على الساعة؛ 15:17 د

✓ توكال (العين المعطلة) دون التعرض لأسباب حسية:

يأتي هذا النوع فجأة ودون التعرض لأية أسباب حسية محددة كالإصابة بالعمى أو الشلل، مع عدم وجود الأسباب العضوية عند إجراء الفحوص الطبية، وهذا النوع تنفع معه الرقية الشرعية بإذن الله تعالى، إن لم تصل درجة العين وقتها إلى حد العين السمية (المعاني، 2000، ص 73).

ومعنى ذلك أن التشخيص الطبي ينفي وجود أي مرض حسي ملحوظ، وهذا الذي يفسره المطببون الرُّوحانيون إلى أنه يعود إلى المس الشيطاني وقوى ما وراء الطبيعة، فأثناء إنتقال هذا الأخير من عين العائن الذي هو في الحقيقة مصاب بـ (مس شيطاني) موجود في جسمه وقتها ينتقل ذلك المس بطريقة آلية إلى المعيون فيصيبه بغشاوة كلية وعدم وضوح أثناء الرُّؤية سواءً على مستوى عين واحدة أو على مستوى الإثنتين معاً، لكن هذا النَّوع حسب المعالجين الروحانيين و المعالجين الشرعيين تنفع معه الرُّقية الشرعية فيسترجع المصاب بصره بإذن الله تعالى.

وفي المجتمع التّبسي؛ نجد تأكيد في قول المبحوثة السابقة أثناء تعرضها شخصيا إلى مثل هذا النوع من الأعين الحاسدة، في قولها: "أنها من عائلة معروفة بالعز والأصل والجمال، وأنهم كثيراً ما يتعرضون إلى أذى العين و الحسد من طرف الناس الذين ليس لديهم أموال، وفي يوم من الأيام جاءت جارتها إلى منزلها وكانت تقوم بعملية التنظيف. فقالت لها الجارة " تُبْرْقِي بَرْقَانْ " يعني ذلك أن المبحوثة تتسم بالنظافة وأنها تبرق مثل البرق، وحسب قولها عند مغادرة تلك الجارة لمنزلها أصيبت بألم شديد في عينها اليمنى، ولما ذهبت إلى الطبيب، فحص لها عينها ووجدها سليمة ولا تعاني من أي شيء، فتوجهت فوراً نحو ما يسمى بـ " اَلْطَالْبْ "[1]، وحينما فتح عليها " اَلْكْتَابْ "[2]؛ قال لها أنك أصيبت بعين، وأعطى لها صفات تلك الجارة، وحسب قول الطبيب الرُّوحاني أن المعيونة سوف تبقى تعاني من مرض دائم في عينها يشبه الغشاوة والوخز، أين فسر أن تلك العين إنطلقت من عين المعيانة وأصبحت عبارة عن (جن) ضرب تلك المعيونة وأصابها في شبكة العين حيث قام بتعطيلها، ومن ذلك اليوم حسب قول تلك المبحوثة أنها ترى بعين واحدة فقط.

[1]-**اَلْطَالبْ:** هو ذلك الطبيب الرُّوحاني الذي يقوم بالكشف عن ضربة العين الحاسدة عن طريق فتح الكتاب على المعيون قصد معرفة سبب الإصابة وسبب المرض.

[2]-**اَلْكْتَابْ:** هو كتاب من الكتب الصفراء المتواجدة لدى المطببين الرُّوحانيين حيث يستعمله أغلبيتهم في عملية الكشف عن الأمراض والأسحار.

- **سحر توكال العين المؤثرة بتأثير مرضي:**

يؤدي هذا النوع من العين إلى الإصابة بالأمراض المتنوعة، والتي قد تظهر بعض أعراضها على المريض، وينقسم هذا النوع إلى نوعين آخرين:

✓ **توكال (العين المؤثرة بالأمراض العضوية) المعروفة:**

يؤدي هذا النوع من العين إلى أمراض عضوية، كمرض السرطان والسل، ولكن الأصل في إحداثها يكون نتيجة الإصابة بالعين والحسد وتكون هذه العين مؤثرة إما بإحداث الآلام والأسقام للمعين، والتي قد تصيب جميع أنحاء الجسد (تأثير كلي)، فيشعر من خلال ذلك بالتعب والإرهاق والخمول وعدم القدرة على القيام بالأعمال المعتادة، أو ترتكز على جهة محددة منه (تأثير جزئي) أو يحس بالآلام متنقلة، فتارة يشعر بالألم في الرأس أو في المفاصل. كما يمكن أن تحدث تشنجات عصبية من فترة إلى أخرى دون أن تحدد بزمان ومكان، وتستمر تلك التشنجات لفترات طويلة أو قصيرة، وقد ترتبط تلك التشنجات أحيانا مع المؤثرات الاجتماعية للمريض، كالغضب والفرح، فهي تعتمد في قوتها على قوة العين و الحسد. وتوجد أيضا العين المؤثرة بالخمول، فيشعر المعين بنوع من الفتور، قد يكون دائم فينتاب جميع أنحاء الجسد، أو يكون مؤقت فينتابه ببعض الفترات فقط، وتتراوح نسبة ذلك الخمول بحسب قوة العين وتأثيرها، كما توجد العين المؤثرة في حصول الإستحاضة، ويصيب هذا النوع النساء عدم المتزوجات أو المتزوجات (المعاني، 2000، ص 74).

هذا النوع من العين منتشر كثيرا حسب مجتمع البحث؛ وذلك في قول إحدى المبحوثات: " خْرَجْ رَاجْلِي وقْعَدْ فِي عَتْبَة الدَّارْ بمعنى (خرج زوجي من المنزل وقام بالجلوس في عتبته)، وكَانْ هَذَاكْ اليُومْ فِي رَمْضَانْ بمعنى أن (ذلك اليوم في شهر رمضان)، قْعَدْ فِي العَتْبَة يَسْتَنَّى فِي الأَذَانْ باه يَفْطَرْ بمعنى (جلس في عتبة المنزل ينتظر تأذين المؤذن للقيام بعملية الإفطار)، عَقْبَتْ علِيهْ سَلْفْتِي تُسْكَنْ بَحْذَانَا أي (مرت عليه زوجة أخ زوجي تسكن بجوارنا) ، وقَالَتْلُو بَعْدْ مَا شَهْقَتْ عْلِيهْ لِأَنُّو كْبِيرْ فِي السِّنْ ومَحْكَمْشْ فِيهْ رَمْضَانْ آه مَا حْكَمْشْ فِيكْ رَمْضَانْ خْلَاصْ عَادَك بِيهْ كَمَّلْتِيهْ بمعنى أن تلك السلفة (شهقت عليه وقالت له لم يؤثر فيك شهر رمضان وأنك سوف تكمله بكامله

في إعتقاد منها أنه يتمتع بصحة جيدة ولا يخترق جسمه المرض أبداً). وعندما دخل الزوج إلى المنزل قالت زوجته المبحوثة: أنه " كَانْ يَحسْ بِالنُّعَاسْ وَيَتَثَاوَبْ يَاسَرْ وعَنْدُو الفَشْلَة، عْرَفْتُو تْعَيَّنْ وخَاصَّة كِي قَالّي رَاهِي عَقْبَتْ عْلَيَّا فْلَانَة وقَاتْلِي هَكَّا، رُحْتْ نَجْرِي وسَبَّعْتْ عْلِيهْ بَالشَّبْ فَخَرْجَتْ لِيَّا عِينْ سُبْحَانَ الله مْدَوْرَة ومَرْسُومَة فِيهَا لَحْوَاجَبْ و المُومُّو حيث تأخذ شكل (وسط العين)، وبَعْدْ الآذَانْ وَلَّا لَابَاسْ عليهْ أي (أنه عند دخول زوجها إلى المنزل وأخبرها أن فلانة مرت عليه وقالت له ذلك الكلام ذهبت الزوجة مسرعةً حتى تقوم بعملية التسبيع عليه علماً منها أن تلك (السلفة) معروفة بحسدها وعينها القاتلة، وذكرت أنه شفي بفضل الله سريعاً بعد (طقس التسبيع) عليه بقطعة الشَّب ".

الملحق رقم 2: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ بكاء طفل رضيع مصاب بالحمى من جراء إصابته بـ سحر توكال العين الحاسدة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/06/03. على الساعة؛ 18:01 د

✓ توكال (العين المؤثرة بالأمراض العضوية) الغير معروفة:

حيث أن طبيعة هذه الأمراض لا تشخص من قبل أطباء الطب الحديث في مدينة تبسة؛ بإعتبار أنها لم يعرف لها سبب حقيقي واضح، وقد يكون لهذا النوع تأثير كلي دائم فيؤدي إلى آلام وأوجاع مستمرة وعامة، وقد تنتقل من عضو لآخر دون تحديد

وتشخيص من الناحية العلمية، أين يكون لها تأثير جزئي دائم، فتكون الآلام وقتها مستمرة وفي عضو معين من الجسد.

الملحق رقم 3: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ جسم فتاة مصابة بحبوب تشبه مرض (الجرب) حيث يتشارك هذا النوع من حيث أعراضه مع أعراض السحر المأكول (سحر التوكال) الحواسي التي تظهر عادةً بعد عملية التَّسميم مباشرةً، فكانت الإصابة عند هذه الفتاة على شكل تشوه في مستوى الجلد، وفي هذه الحالة علاج الأطباء لم يعطي أي نتيجة إيجابية فقط يزيد من حجم الألم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/11/08. على الساعة؛ 14:14 د

- **سحر توكال العين السببية الوقتية:**

يصيب هذا النوع من العين الإنسان بسبب مظهره، ونشاطه، وحركته، ويكون إما بتأثير يتعلق بالعمل والفعل، فيؤدي إلى الصدود عن الدراسة بسبب التفوق الدراسي، أو كره التدريس وكل ما يتعلق بهذا الجانب، أو كراهية المنزل والشعور بضيق شديد أثناء التواجد فيه.

كما يمكن أن تؤدي العين إلى تأثير يتعلق بالمظهر والشكل، فيؤدي توكال ضربتها إلى الكراهية وعدم القدرة على لبس الحلي خاصة الذهب بالنسبة للنساء، فتشعر المرأة

حينها بضيق شديد في الصدر، أو عدم الارتياح أثناء التزين به، فتسعى إلى فقدانه أو إلى كسره، أو إلى عدم القدرة على إرضاع مزيودها الجديد، حيث أن عدم قبول الأم بعملية الرضاعة الطبيعية لطفلها ويكون ذلك سببه عادة نظرة أصيبت بها أثناء قيامها بتلك العملية أمام بعض النسوة، كما قد يؤدي سحر توكال تلك العين إلى سقوط الشعر أو الصلع في كثير من الأحيان... إلخ.

الملحق رقم 4: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ أمراض سحر توكال العين وسحر توكال الحسد الظاهرة على جسم المعيون أو المحسود، والتي تفسر كالآتي:

صورة ملتقطة يتبن؛ مرض خبيث يظهر على شكل (دائرة العين) في أسفل قدم الشخص المعيون

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/01/05. على الساعة؛ 14:14 د

صورة ملتقطة تبين؛ تساقط في الشعر وظهور مرض يسمى بـ (الثعلبة) ظاهر من خلف الرأس يأخذ شكل دائرة العين

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/07/14. على الساعة؛ 01:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ طفح جلدي يظهر على شكل (دوائر) منتشر في جميع أنحاء الجسم بالكامل حيث يصحبه إحمرار يرجع سببه لـ (العين الحارة) النارية

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2020/10/10. على الساعة؛ 15:17 د

صورة ملتقطة تبين؛ تشوه في الجسم يظهر في البطن على شكل حبوب حمراء اللون يسمى تبسيًا بـ (اَلْتْجْرَابْ) الذي يصحبه حكة شديدة أين عجز أطباء الطب الحديث من معرفة سببه المباشر بينما نجع أطباء الطب الرُّوحاني في تفسيره وفي تطبيبه حيث أرجعوه إلى أنه يعود لـ تسميم (شيطان العين) الشريرة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/02/19. على الساعة؛ 17:20 د

- **سحر توكال العين أو النفس العارضة (الإعجاب – الغبطة):**

عادةً ما يصيب هذا النوع من العين الإنسان أو الأمور العينية كالبيت أو السيارة والحيوان، وعادة لا يتمنى العائن أو يقصد زوال النّعمة للشيء المعين، بقدر إعجابه وحبه لتملكه، فيقع تأثيرها بإذن الله تعالى (المعاني، 2000، ص ص 74 – 75).

الملحق رقم 5: صورتان ملتقطتان من الميدان التّبسي تبينان؛ ممارسات طقوسية لدفع سحر توكال العين الشريرة عن الممتلكات كـ المنازل والأراضي الزراعية

صورة ملتقطة تبين؛ تميمة على شكل (عجلات سيارات) تحيط بجوانب منزل لمنع دخول سحر توكال العين الحاسدة إلى ذلك المنزل وبالتالي منعها من القيام بفعل التَّسميم وسحر أفراده

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/07/16. على الساعة؛ 12:12 د

صورة ملتقطة تبين؛ أرض زراعية تحيط بها (عجلات السيارات) من جميع الجوانب لكثرة إنتاجها

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/04/04. على الساعة؛ 12:07 د

وهذا النوع من العين سيتم التعرض له بالتفصيل في العنصر ما قبل الأخير من هذا الفصل أي من خلال عنصر " قصص حول أسحار سموم (العين الحاسدة) في التراث الشعبي التّبسي ".

2-(أعراض) سحر توكال العين الحاسدة:

- **الأعراض الجسمية:**

عادةً ما تظهر قبل أو أثناء الرقية نذكرها في ما يلي:

- صفار الوجه وشحوبه.
- شعور المصاب بضيق شديد في منطقة الصدر، أو ألم شديد في الأطراف.
- صداع متنقل مع الشعور بزيادته أثناء الرقية الشرعية.
- تصبب العرق خاصة في منطقة الظهر.
- التثاؤب المستمر وبشكل غير طبيعي وملفت للنظر والبكاء دون سبب واضح.
- إرتجاف الأطراف، وتحركات لا إرادية، وذلك بسبب قوة العين وشدتها.
- خفقان القلب، وتمغص العضلات أو ما يسمى بـ (التمطي).
- الشعور بالخمول بشكل عام، وظهور كدمات مائلة إلى الزرقة أو الخضرة بدون تحديد أسباب عضوية.

- **الأعراض الإجتماعية:**

- فقدان التجارة والمال.
- كره وبغض الأهل، والأصدقاء، والمعارف.
- فقدان المنصب والوظيفة (المعاني، 2000، ص 121).

وفي المجتمع التّبسي؛ ذكرت أحد المبحوثات: في قولها " صَابَتْنِي العِينْ فِي وْلاَدِي، وْلاَدِي مَعْرُوفِينْ فِي (La famille) بمعنى (العائلة الكبيرة) يَقْرَاوْ مْلِيحْ بمعنى (أن أولادها متفوقين في الدراسة). ورَبِّي يْبَارَكْ عْلِيهُمْ وَاشْ مْلاَحْ وبَاهْيِينْ فِي المَنْظَرْ والزِّينْ، حَسْدُونِي النَّاسْ عْلِيهُمْ وْأَنَا قَلْبِي طَيِّبْ و (Jamais) دَرْتْ فِي بَالِي إِنْهُمْ قَاعْدِينْ يْعُسُّو ويَحْسْدُو فِينَا، وبَعْدْ مُدَّة مَنْ الوَقْتْ بْدُو ولادي يَتْعَارْكُو بِينَاتْهُمْ بمعنى (أنه بعد مرور فترة قصيرة من الزمن باشروا أولادها في المشاجرة فيما بينهم بعد إصابتهم بتوكال

العين الشريرة) وْمَا عْرَفْتَشْ وَاشْ نْدِيرْ وحطيتهم فِي مَرْحَلَة المُرَاهَقَة، ولَكِنْ كِي قُمْتْ بالرُّقْيَة الشَّرْعِيَّة لِيهُمْ تْوَضْحَتْ لَيَّا الأُمُورْ كِي قَالّي الرَّاقِي وْلَادَكْ مَحْسُودِينْ ومْعَيْنِينْ مَنْ النَّاسْ مَا تْبَطْلِيشْ عْلِيهُمْ الرُّقْيَة خْلَاصْ ومَنْ هَاذَاكْ اليُومْ وأَنَا نَرْقِي لِيهُمْ والْحَمْدُ لله" بمعنى (أن تلك الأم عندما قامت بالرقية الشرعية على أولادها تماثلوا جميعهم للشفاء)". وفي قول مبحوثة أخرى أيضا: " عَيْنُولِي وْلَادِي وكْثُرْ عَنْدِي الحُسْ فِي الدَّارْ بمعنى (أن الناس المعيانين ضربوا أولادها بالعين فكثر عندها الشجار في المنزل)، ورَاجْلِي يُضْرَبْ فِيَّا دِيمَا بمعنى (أن زوجها يقوم بضربها دائما)، وكِي رُحْتْ للشَّوَافَة[1] بمعنى (عند زيارتها للمرأة التي تقوم بكشف الطالع)، شَافَتْلِي وضَرْبَتْلِي لَخْفِيفْ بمعنى (أخبرتها المرأة التي تقرأ الغيب بالرصاص المصهور على أنها أصيبت بالعين الحاسدة) الشيطانية".

فضرب الرَّصاص المصهور؛ هنا ليست قديم في المغرب فهذه الطريقة والتقنية معروفة لدى عرافي وعرافات المغرب العربي، واليوم هي من أكثر الطرق إنتشاراً في مدينة تبسة؛ فهي تقنية سحرية تستعمل ضمن طقوس قطع التابعة والكشف عن العين الحاسدة وهذا ما وجد في سيدي عبد الرحمان الجمار بالدار البيضاء. ومثله منتشرا كثيرا في مجتمع البحث، حيث يقوم بهذه العملية النساء من خلال أخذ بناتهن إلى تلك الشوافات للكشف عن سبب وجود مجمل الأمراض والعكوسات، وفي قول أحد المبحوثات: " كُونْ مَا رُحْتَشْ لِلشَّوَّافَة وشَافَتْلِي بِلَّلْدُونْ مَا نَعْرَفْشْ وَاشْ صَابْنِي وصَابْ بْنَاتِي مَنْ سِحْرْ وَعَيْنْ " بمعنى (أن هذه المبحوثة وجدت كشفاً وتشخيصاً مقنعاً لدى الشوافة التي أعلمتها بوجود عين في بناتها وكان ذلك عن طريق تقديم المنجمة لتلك المرأة قراءة تبصيرية صحيحة مصحوبة ببراهين واضحة وأكيدة) من حياتها الشخصية ومن حياة بناتها ".

وعلى أثر هذه الأعراض الصَّائبة لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ تظهر على جسم المعيون أو المحسود مخلفات كثيرة من جراء ضربتهما من خلال هيجان تلك الأمراض وزيادتها، فمثلاً الأعراض " الجسمية " منها التي نجدها تؤثر بـ : سموم و أسحار

[1]-**الشوافة:** بمعنى العرافة أو القزانة، وهي جمع شوافات، وهن هؤلاء النّسوة اللاتي يقمن بعملية الكشف للمعيون والمحسود والمسحور ذلك عن طريق قراءة الطالع سواء بضرب الكارطة (قراءة التاروت) أو بضرب الرصاص المصهور أو بضرب خط الرمل أو بقراءة الكف وغيرها...

عضوية خطيرة كـ (صفار أو إسوداد في الوجه، ضيق في التنفس يشبه في الحقيقة مرض (الرَّبُو)، صداع يتزايد أثناء عملية الرُّقية كـ (الصَّرْع)، تصبب العرق، وخز كالإبر المتفرقة على مستوى الأطراف، التثاؤب المستمر ما بين أذان العصر والمغرب، مع بكاء مستمر وسيلان الدُّموع بكثرة خاصة أثناء سماع آيات من القرآن الكريم، ونجد كذلك أعراض تتمثل في سقوط الشعر قد تشبه (مرض الثَّعلبة) في تشخيص الطب الحديث، وبالإضافة إلى ذلك ظهور حبوب صغيرة قد تغزو كامل مناطق الجسم أو جزء منه تشبه حبوب (الحَصْبَة) ومن ضمن أعراضها أيضا إرتجاف شديد ونبض يسري في الجسم بصفة دائمة وحالما يزول بتلاوة الرُّقوة القرآنية، وبالإضافة إلى ووجود ضربات على مستوى القلب مع تقلص في العضلات يدعى بـ التمطي بمعنى (الْتَّكْسِيْلْ) حسب اللغة الشعبية التبسيَّة.

حيث يضاف إليه بروز كدمات وإعتداءات جنسية مستمرة أثناء النَّوم يقوم بها خادم العين الحاسدة، ومع مرور الزمن يصبح هذا الأخير عاشقًا للمريض ومسيطرًا عليه في جميع مناطق جسمه ومفاتنه سواء كان ذلك عند الرجل فتكون (جنيَّة عاشقة) أو كان ذلك عند المرأة فيكون (جني عاشق) وفي هذه الحالة ينشر هذا المس ضرباته بظهور كدمات زرقاء أو خضراء على مستوى الأفخاض وعلى مستوى الرجلين دون وجود أدنى سبب طبي وعلمي، وهذا حسب ما تقدم به مطببي الطب الحديث أثناء تشخيصهم لحالات المرض.

أما الثانية " الأعراض الإجتماعية " فلهذه الأخرى عواقب وخيمة قد لا تقل عن سابقتها، مخلفة ورائها خسارة في التجارة وفقدان في العمل، ونبذ وكره من طرف العائلة ومشاكل مع الناس الآخرين، على الرغم من أن الشخص المعيون لم يتسبب في أي أذية لهؤلاء الأشخاص، فنجد هذا المسكين محتار، متعجب، ويتسائل ماذا يحدث لي؟، ماذا فعلت لهم؟، لم أفعل أي شيء... يستحق هذا الكره، الله أعلم بما في قلبي...إلخ، فهذه الأمراض والأعراض يُفعلها خادم العين الشريرة الذي يسحر ويعقد العقد داخل الجسد حيث يكون ذلك بالتمريض الباطني وبالعكوسات المتنوعة...، فلا يكتمل شيء في وجود ذلك النجس، إذ يشخص نوعه أنه يدخل ضمن أنواع الشياطين التي تحمل: الصفات،

والألوان، والدين، والشكل، حيث تعرف صفاته في كوابيس الأحلام أو في سؤال قد يطرحه المعالج على الجن في حد ذاته وهو في حالة تلبس للمريض ويكون شكله كالآتي: إما على شكل (قطط، أو كلاب، أو ثعابين وحيات)، وبالتالي يأخذون الألوان إما (الأصفر، أو الأحمر، أو الأسود)، فيتوكل عن تلك الإصابة خادم يسمى بـ " خادم عين " أو " شيطان عين " أو " شيطان حسد " حيث يقوم هذا اللعين بسكنة بدن المعيون أو المحسود ودينه إما (نصرانيًا، أو يهوديًا، أو ملحدًا)، ويكون عبارة عن عارض (بناء، أو طيار، أو غواص) بمعنى إما يكون جن أرضي أو جن هوائي، أو جن مائي.

حيث تظهر ميزاته عندما يسأل " المعين " من طرف الرَّاقي المطبب: ماذا ترى في منامك؟، فتكون الإجابة: إن رأى إنسانًا أو كلبًا أو قطًا يقوم بعضه أو يطارده وهو يهرب ويتخبى منه، هنا الجني عبارة عن " تابعة " أو " أم الصبيان " خادمة للعين أيضا وهي تأخذ اللون الأسود ومن النوع الطيار اليهودي، فإذا لم تدخل الجسم هنا يسهل معالجتها ولا تطول مدة الشفاء بإذن الله تعالى، لكن إن تأكد أنه ثعبان أو حيَّة ويأخذ كل منهما اللون الأسود بمعنى (جني يهودي) فهذا النوع من أخطر أنواع الجن الذي يستقر في الجانب الأيسر ويزني بالمعيون وهنا يصعب خروجه، ويستوجب حرقه والنيل من سمية نفخاته في البدن، وحتى وإن خرج ولم يتحصَّن المعيون بأذكار الصباح والمساء يعود هذا النَّجس لسكنته مرة أخرى، فهذا الأخير يعمل على نشر مادتة السحرية أي رغوة العين و الحسد بمعنى تلك الرغوة السحرية المسمومة والأخلاط النَّجسة لتعم جميع أنحاء الجسم فتمرض وتقتل وتعقد وتنفث وتسمم بالتجديد.

رابعاً: قصص حول أسحار سحر توكال (العين الحاسدة) في التراث الشعبي التّبسي

يهتم الباحثون الأنثربولوجيون في مجال التراث الشعبي بدراسة كل ما ينتقل إجتماعيا من الأب إلى الابن ومن الجار إلى جاره، مستبعدين المعرفة المكتسبة عقلياً، سواء أكان بالمجهود الفردي أم من خلال المعرفة المنظمة والموثقة التي تكتسب داخل المؤسسات الرسمية، وهي تشمل أربعة ميادين رئيسية أولها المعتقدات والمعارف الشعبية

والمقصود بها المعتقدات السائدة فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي سواء أكانت نابعة من رؤيته أو إلهامه أو كانت لها أصول دينية إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر الأولياء والسحر والحسد، وثانيها العادات والتقاليد الشعبية، وتنطوي تلك العادات على فعل ملموس ومعتقد مشترك وشيء مادي، ويرى " دورسون "؛ " أن هذه العادات غالبا ما ترتبط إرتباطاً وثيقاً بمعتقدات عميقة الجذور عند ممارسيها "، أما الميدان الثالث فهو الأدب الشعبي ويشمل الأمثال والقصص والأغاني وغيرها من الأنواع الأدبية الشعبية، أما الميدان الرابع من ميادين التراث الشعبي فهو الثقافة المادية والفنون الشعبية، حيث يذكر " يشارد باتيل "؛ في قاموسه عن الفلكلور " إننا لا ندرس سوى الأشياء والمعدات والمنتجات التي تتجاوز مجرد النفع العملي المباشر، وتتمتع بقيمة طقسية أو جمالية أو فنية معينة، أو ترتبط إرتباطاً مباشراً بأسطورة أو تراث أدبي أو معتقد معين.

إن قصص " الإصابة بالعين "، أو " العين الصائبة "، أو " العين الشريرة " (Mauvais oeil) كثيرة جدا تكاد لا تحصى، وقد ملأت الصفحات الطوال في الكتب والمجلات على مرّ الأجيال، وأوضحت، في بعض الأحيان، موضوع روايات فكاهية إنتقادية مضحكة، أشهرها رواية (La vérité selon Marx Groncho). وفيمايلي بعض هذه القصص ننقلها دون التعليق عليها (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 59).

ومن خلال المجتمع التّبسي؛ هناك قصص كثيرة ومتعددة تتناول موضوع العين و الحسد وإنتقالهما من جيل إلى جيل آخر، لذا سنروي لكم رواية عجيبة: والتي تقول أن أحد الأشخاص يدعى بـ " إبراهيم العيَان " أطلق عليه هذا اللقب عند أفراد مجتمع البحث لأنه معروف بعينه الصائبة والحاسدة، التي يمكن أن تصل في أغلب الأحيان إلى القتل وإتلاف الأشياء، بمعنى أنه ما إذا رأى شيء في شخص وأعجبه حينها يتلفظ بألفاظ التعجب والانبهار على ذلك الشخص ومن ذلك الشيء وفوراً يقوم بضربه وتعيينه بسهامه الملعونة التي تشبه السكاكين والإبر، فحسب قول أحد المبحوثين أن هذا الشخص لا يغلبه أحد من ناحية ضربة عينه الحاسدة لأنها تحمل قوة خارقة للطبيعة، ويقول مبحوث آخر عن نفس هذا الشخص " حْكِتْلِي يَمَا وبَابَا عْلِيهْ، أَنُو في يُومْ مِنْ لِيَامْ

جَاء عْلَى أَرْضْ فِيْهَا الزَرْعْ يَاسِرْ وَمَا قَالِشْ الله يْبَارِكْ، وْقَالْ عْلِيْهَا إِهْهْهْهْهْهْ، وَتْعَجِبْ فِيْهَا يَاسِرْ وَمَا قْعَدْتِشْ خَمْسَة دْقَايِقْ حَتَىْ شِعْلَتْ بْكُلْهَا "، ويروي لنا مبحوث أيضاً عنه " رَبِيْ يُسْتُرْنَا مِنُو هَاذَاكْ الرَاجِلْ الله لَا يِشَوُفْ فِيهْ حَتَى لِعْدُو لِأَنُوْ عِيْنُو كِي النَارْ وَالرَصَاصْ تَاكُلْ الوَاحِدْ حَتَى يْمُوتْ وَمَا يَبْقَى فِيهْ شَيْء "، ومعنى ذلك أن الأشخاص في مجتمع البحث يتجنبونه ويحاولون أن يبتعدوا كل البعد عن اللقاء به، لأن نظرته كالسَّهم الذي يُصوَّب به نحو الفريسة أثناء عملية الصيد، وبالإضافة إلى ذلك لا ننسى وجود علامات التعجب والغبطة في نفسه ونظرته الخبيثتين، ويصرح المبحوثان تجاه هذا الشخص، أن جميع الناس في مدينة تبسَّة يحلفون بالله على أن عينه صائبة وتجلب النَّحس وتفقد الرزق وتنزل الهم والغم، وأنهم يخافون منه وعند رؤيته في الشارع على فورهم يقومون بالهرب والإختفاء.

وقد ذكرت أحد المبحوثات روايات وقصص أخرى عن تأثير النَّظرة الحاسدة المصحوبة بالشَّهقة أو المصحوبة بكلمات الإعجاب، والتي يُرجع إليها الإصابة بالمرض الداخلي والخارجي أو ذلك العجز البدني والإجتماعي، وتروي المبحوثة القصة الآتية عن توارث صيبة العين الحاسدة في الموروث الشفهي التبسي؛ " وَلْدَتْ مَامَا بْخُويَا الصَّغِيرْ، وكَانْ بَاهِي يَاسَرْ، وكَانَتْ صَحْتُو مْلِيحَة، وجِسْمُو جِسْمْ وَاحَدْ أَكْبَرْ مَنْ سِنُّو، وفِي يُومْ مَنْ الأَيَّامْ بْدَا يَبْكِي مَا يُسْكُتْشْ خْلَاصْ، قَاتْلِي مَامَا خُوكْ لَابَاسْ عْلِيهْ فِي صَحْتُو، بِيهْ عِينْ ومَا عْرَفْنَاشْ شْكُونْ لِي عَيْنُو، وكِي دِينَاهْ " لِلْطَّالَبْ " حَلْ عْلِيهْ الكِتَابْ وقَالْ لمَامَا، الصْغِيرْ تَحْسَدْ وتْعَيَّنْ، وْعِينِيكْ أَنْتِي هُمَا السَّبَبْ، لِأَنْ الأُمْ تَحْسَدْ وَلْدْهَا بَالْخُصُوصْ كِي يْعَزْ عْلِيهَا وْيَعْجَبْهَا يَاسَرْ، كْتَبْلُو الطَّالَبْ كْتَابْ فِيهْ مَجْمُوعَة مَنْ الأَوْرَاقْ، وقَالْهَا اَغْسْلِي جِسْمْ الطْفُلْ بْكَامْلُو بَعْدْ المَغْرِبْ بْهَذِهِ الأَوْرَاقْ لِمُدَّةْ سَبْعَ أَيَّامْ مْعَ البْخُورْ، وْكِي كَمْلَتْ مَامَا " النْفُولْ "[1] حَتَّى خُويَا بَطَّلْ البْكَاءْ ورَجْعَتْلُو صَحْتُو "، ووجدنا رواية مبحوثة أخرى؛ " قَبْلْ شْهَرْ تْخَطْبُوا بْنَاتِي الثْلَاثَة وْبْدِينَا نَبْنُوا فِي دَارْنَا الجْدِيدَة وْحَسْدُونَا النَّاسْ مَرْضُولِي بْنَاتِي مَنْ العِينْ وَصْرُولِي مَشَاكِلْ كْبِيرَة معَ رَاجْلِي، وْكِي رْتَاحُوا لَبْنَاتْ زَادْ تْكَسَّرْ رَاجْلِي

[1]**النْفُولْ:** هو عبارة عن أوراق بيضاء يكتب عليها الطالب أو الفقيه الذي يقوم بعملية الرُّقوة الرُّوحانية للمريض كلمات غير مفهومة وبعدها توضع مع مجموعة من الأعشاب ويأمر المريض بالتبخير بها.

وْدْخَلْ لَسْبِيطَارْ، عَمْلُولُو عَمَلِيَّة لِأَنْ النَّاسْ الْحَسَّادِينْ سْتَكْثْرُوا عْلِينَا نَتْهَنُّوا وْنَبْنُوا دَارْ جْدِيدَة، وْكَانُوا يْقُولُوا هَالِي فِي وَجْهِي وْعِينِيهُمْ فِيهَا الْغِيرَة وَالحْسَدْ ". ومن القصص أيضا التي ذكرتها إحدى المبحوثات في شأن تأثير الشخص الحاسد أي بمعنى ذلك الشخص الخبيث المسؤول عن إصابتهم بالمرض والشلل؛ " رَاحَتْ بَنْتِي وَحْدْ اليُومْ لْدَارْ عَمْهَا، وْمَرْتْ عَمّهَا مَعْرُوفَة أَنْهَا عِينْهَا تَحْكَمْ وَحْسُودِيَّة وْمَا تْحَبَّشْ الزِّيَادَة لِلنَّاسْ، كَانَتْ بَنْتِي تَقْرَا فِي الجَامِعَة، وْبْنَاتْهَا هِيَ كَامَلْ قَاعْدِينْ فِي الدَّارْ وْمَا قْرُوشْ، قَالَتْلِي بَنْتِي يَا مَامَا رَاهِي قَعْدَتْ تْشُوفْ فِيَّا بْعِينِيهَا وْمَا نَحَّتْهُمْشْ مَنِّي، عْرَفْتْ بَنْتِي حَكْمَتْ فِيهَا الْعِينْ الحَاسْدَة، لِأَنُّو مَا عَدَتْشْ تْشُوفْ بْعِينِيهَا، وْفِي الْيُومْ الثَّانِي دِيتْهَا لِلطّبِيبْ تَاعْ العِينِينْ عْطَاهَا الدَّوَاءْ، سُبْحَانَ الله يَا بَنْتِي رَاهِي زَادَتْ حَالَتْهَا بَالْمَرَضْ، وْهِيْ مْغَمّضَة عِينِيهَا سْمَانَة كَامْلَة، وْبَعْدْ سْمَانَة عْرَفْتْ حَالَتْهَا مَاهِيشْ تَاعْ طْبِيبْ، دِيتْهَا للطَّالَبْ إِلّي يْنَحّي بَالْعَظْمَة، دَارَلْهَا العَظْمَة عْلَى رَاسْهَا وْكْتَافْهَا وْقْرَى الرُّقْيَة...، وْمْعَ الّلِيلْ مَا صَدَّقْتَشْ كِيفَاهْ رَجْعَتْ بَنْتِي تْشُوفْ بْعِينْهَا، قْلَقْتْ وْرُحْتْ لْمَرْتْ عَمْهَا يَزّي بَرْكْ بْلَا حْسَدْ وْعِينْ رَانَا كْرَهْنَا مَنَّكْ، مَعْجَبْهَاشْ الْحَالْ وْتْغَشْشَتْ"، هذا لأن إتهام الحاسد بالحسد يعد إهانة كبيرة له وخاصةً من طرف هؤلاء المحيطون والمقربون منه، وهذا الإحساس يرجع تفسيره في قرارة نفس ذلك المعيان الحاسد أنه شخص غير مرغوب فيه لما قرر الحسد والغبطة والغيرة وتمني زوال نعمة الغير عنهم.

أما عن موقف أفراد المجتمع التبسي من الحاسدين؛ منهم من يرى تجنب إثارة حسدهم والابتعاد عنهم وعدم دعوتهم في المناسبات والأفراح، لكبح عدوانيتهم وأذيتهم، ومنهم من يرى محاولة كسب ودهم ومجاملتهم، حتى تخف حدة الكراهية والحقد في نفوسهم فلا تؤذيهم تلك النظرات، وإلى جانب ذلك وجدنا إستخدام التمائم والوسائل الأخرى لصد ودفع أذى الحسد. كما أن هناك أشخاصاً أعينهم أكثر خطورة من غيرهم، حيث أن هناك بعض الأشخاص والحيوانات والأشياء هي الأكثر تعرضاً عن غيرها لتلك السُّموم الكهرو – مغناطيسة المؤذية، ومن تلك الحالات حسب مجتمع البحث نجد الأم وطفلها حديث الولادة، وكذلك التوأم الذكور، وتلك الممتلكات والأشياء التي لها قيمة مادية كبيرة، أوالمحاصيل والطعام والمواشي لما لها من بركة وخير على أصاحبها، كما

يخشى على العروسين من مخاطر السحر و الحسد لأنهما على أعتاب مرحلة جديدة من الحياة، فيرجع أعضاء المجتمع أي ضرر أو أي مرض يصيبهم إلى تأثير العين الحاسدة وخاصة إذا ظهرت على الشخص المحسود بعض الأعراض؛ مثل الضيق والتعب وآلام تشبه الكسر على مستوى أنحاء الجسم دون وجود أي سبب عضوي ظاهر، ونضيف إلى تلك الأعراض كثرة التثاؤب والرغبة المستمرة في النوم، وعدم القدرة على بذل أي مجهود، وكذلك البكاء المستمر لدى الأطفال حديثي الولادة من خلال مرضهم المفاجئ، وموتهم أحياناً، وأيضاً نضيف وجود تلك الخلافات والمشاحنات العائلية الناتجة عن الحسد، والرسوب الدراسي والخسارة في التجارة وضياع الممتلكات دون وجود سبب مقنع.

ونظرا لأن إنجاب الأطفال الذكور من القيم المرغوبة في المجتمع التبسي؛ إلا أن الخوف عليهم من الحسد أكبر، لذا نجد في حالة إنجاب السيدة لعدد من الأبناء الذكور فإنها تلجأ لأساليب عديدة لدرء الحسد عنهم مثل إلباسهم ملابس رديئة وبالية وليست جميلة، ومن الطرق القديمة التي لم تعد الأمهات تلجأ إليها في الوقت الحاضر وضع خاتم من الذهب أو من الفضة حسب مقدرة الأسرة في أصبع ذلك الولد، وأيضاً عقد الخيوط الخضراء والسوداء في صرة صغيرة تحتوي على الحبَّة السوداء والملح ثم توضع على زنده أي على مستوى معصمه بهذف الوقاية من أعين وحسد المغبطين الذين سيأتون في المباركة، ويرجع عدم العناية بنظافة الأولاد للخوف من سُمية سحر توكال الحسد بالإضافة إلى ذلك وجدنا في مجتمع البحث ممارسة طقوسية أخرى تتمثل في تعليق خمسة من الفضة أو من الذهب على الطفل المزيود سواء كان ذلك الطفل جميل أو قبيح أين توضع له فوق لباسه مباشرةً في منطقة الصدر، كما تعد تلك الرُّقى التُبسيَّة من أكثر الوسائل إنتشاراً والتي تمارسها جميع تلك الأمهات المرعوبات من توكال الحسد وتوكال العين الشريرة.

سوف نتناول صيغاً شعائرية عديدة في مجتمع البحث؛ والتي هي من المعتقدات الشعبية المرتبطة بسبوع المولود أي ما يسمى تبسياً بـ طقس " العقيقة " وهي رواية أخرى ترويها لنا مجموعة من المبحوثات من هؤلاء النّسوة اللآتي يمارسن هذا الطقس

الوقائي من خلال قولهن؛ أنه يتم في هذه المناسبة ذبح أضحية وبالتحديد في اليوم السابع من ولادة ذلك المزيزد الجديد، مع حضور مجموعة من سيدات العائلة من كبار السن وغيرهم، حيث تأخذ واحدة من تلك العجائز الطفل ثم تقوم بعملية التَّسبيع عليه بالملح والفاسوخ والسينوج أي (الحبة السوداء) وتمررها بشكل دائري على جسمه (سبع مرات) ثم تنثر ذلك الملح في جميع أنحاء البيت وتقول " الملح في عينين الحساد ".

ومن المعتقدات الشعبية في مجتمع البحث؛ أيضاً أن يأخذ الأب الطفل حين ولادته ويقوم بقراءة الأذان في أذنه وأن يقول له إسمه ثلاث مرات، لإعتقادهم أن ذلك يمنع عنه توكال الحسد والعين الشريرة ويمنحه العمر الطويل، والأيام الجميلة، كما تحرص الأم على إلباس طفلها اللَّون الأزرق الفاتح ووضع خمسة من الفضة على صدره بهدف الوقاية، وإضافة إلى ذلك وجدنا ممارسة وسائل أخرى لدرء الحسد و منها وضع الحجاب الصغير الذي يحتوي آيات الحفظ أو مصحف صغير تحت رأس ذلك المولود، أو تعليق بعض الكلمات الدينية التي تستخدم للوقاية من الحسد مثل " الله أكبر"، " بسم الله الرحمان الرحيم "، " صلي على النبي ".

وبالإضافة إلى بعض الطرق الشعبية التي تلجأ إليها معظم السيدات التبسيات وهي ترك أولادهم دون نظافة توقياً من الخطر، وتحرص الأم على أن تصنع صرة صغيرة تحوي على (الشب، الملح، السينوج، التفيفرة) ثم تعقدها بواسطة خيط أسود وتضعها له حتى لا تصيبه عين الحاسد خاصة أثناء الرضاعة، وقد ذكرت المبحوثات العديد من الروايات عن إصابة أبنائهن بالحسد منها " كُنْتْ نْرَضَّعْ فِي وَلْدِي وْجَتْنِي جَارْتِي قَاتْلِي حْلِيبَكْ حْلُوْ وْبَاهِي حَتَّى الطْفُلْ سْمَنْ وْفِي سَاعَتْهَا غْضَبْ وْمَا عَادَشْ يَرْضَعْ مَنْ صَدْرِي وْكَرْهُو" وأخرى ذكرت "دَخْلَتْ قَرِيبْتِي وْلْقَتْنِي نْرَضَّعْ وْكَانْ وَلْدِي سْبُوعِي (عَنْدُو سَبْعْ شْهُورْ) شُوفِي الطْفُلْ قَاعَدْ يَرْضَعْ زَيْ الفَلُّوسْ وْمَنْ يُومْهَا وْهُوَ يَبْكِي لِيلْ مْعَ نْهَارْ، وْدِينَاهَا للشِّيخْ قَالَلْنَا بِيهْ النَّفْسْ تَاعْ لَمْرَا لِي جَاتَكْ البَارِحَة "، حيث تحتاط تلك النسوة عند رؤية طفل وهو يرضع من ثدي أمه في قول " بسم الله " أو " الله يبارك عليه " أو " صلاة محمد عليه " أو " خموس عليه " وكلها عبارات لدفع الحسد وإبعاد النَّظرة الشريرة في مدينة تبسة.

أما بالنسبة للمواشي؛ وهي مصدر رزق للفلاحين فهي من المجالات التي حرص أصحابها على المحافظة عليها حيث لجؤوا إلى إستخدام مختلف الوسائل التي قد تقي هذه الثروة الحيوانية من شرور السهام الخبيثة والملعونة، حيث يرجعون إلى هذه الأخيرة (عدم الإنجاب أو عدم وجود اللَّبن أو رفض إقتراب صاحبها منها من أجل الحلب)، حيث يفضل أن تتم عملية حلب اللَّبن في مكان بعيد عن أنظار المترددين على ذلك المسكن، وقد ذكرت إحدى المبحوثات أنها تخلط اللَّبن بالماء قبل أن تعطيه للجيران حتى تخف درجة دسمه فلا يتردد بين الجيران أن لبن أغنامهم دسم فتصاب بالعين، ومن وسائل صد العين الحاسدة عمل قلادة تحتوي على حجاب أو جرس للحفظ حيث توضع على رقبة الحيوانات وخاصة ذكر الماشية الذي يسمى عندهم بـ (الكبش الفحل) و (النَّعجة التي تدرر الحليب بكثرة وتلد التوآئم). ومن قصص الإخباريون؛ في هذا المجال أن " الكَبْشْ الْفْحَلْ يَتْعَرَّضْ يَاسَرْ لَلْعِينْ وَلِأَنُّو يْقُومْ بْعَمَلِيَّة التَّزَاوُجْ مْعَ النَّعْجَاتْ، وْفِي يُومْ مَنْ الأَيَّامْ جَانِي رَاجَلْ وْشَافُو قَالِّي أَنْتَ يَصْلْحُولَكْ الْفْحُولْ، وْمَنْ الْيُومْ هَذَاكْ مَاتْ وْمَابْقَاشْ يَصْلَحْلِي تَرْبِيَة الْغْنَمْ بِسَبَبْ الْعِينْ وْالنَّفْسْ". الْعِينْ الرَّمَادْ ذَرَّاتو ".

وتعد مناسبات الزواج؛ من أكثر المجالات التي يخشى أصحابها عين الحسود التي تفسد أفراحهم وتصيبهم بالأحزان، لذا يلجأ أصحابها إلى وسائل عديدة مثل (نثر الملح والحلوى)، فالحلوى بهدف شغل الناس بشيء محبب فلا يحدقون في العريسين، والملح ليؤذي العين الحاسدة التي سوف تنطلق حيث وجدناهم يرددون " الملح في عينيهم "، وكذلك لا ننسى ممارسة طقوسية أخرى تتمثل في إلقاء بعض النقود المعدنية في صينية الحناء و إطلاق النار أي ما يسمونه محلياً بـ " ضرب البارود " أثناء زفة العروس وأثناء نقل جهازها إلى مسكن الزوجية.

وكلها وسائل لشغل أعين الحاسدين بالنظر إلى تلك الأشياء بعيداً عن الزوجين، كما يغنى ببعض الأغاني التي تحمل معنى الخمسة ويرددون " الصلاة على النبي " أو " صلوا على محمد "، كما ترتدي العروس الحلي الذهبية على شكل كف مبسوطة كتعويذة، ويفضل أثناء إقامة الحناء في يد العروس أن يقوم بمسح يد المرأة التي قامت بوضع الحناء على كفيها خوفا من سحر التوكال الحواسي، حيث يحرص أيضا حرصاً شديداً على أن لا يبقى أي أثر لتلك الحناء في يد تلك المحنيَّة خوفا من إقامة تعاويذ

سحرية تؤذي العلاقة الزوجية بعد ليلة الدُّخلة، وكذلك نجد نفس الممارسة الوقائية تلك تقام بالنسبة للعريس أين تتخذ كافة الاحتياطات لحمايته، خوفاً من ربطه (ليلة الدَّخلة) وكذلك يحرص الأهل يوم مجيء العروس إلى بيت زوجها على أن ينظفوا المكان جيداً وينثروا الملح والحبة السوداء خاصة في مكان جلوسهما أو في مكان نومهما وذلك يكون بغرض إبطال الأعمال السحرية، وشر أعين المتربصين التي بالضرورة تصيب الأفراح وتقلبها إلى أحزان.

أما فيما يخص النجاح والتفوق الدراسي؛ وجدنا رواية أحد المبحوثات في قولها " عَنْدِي بْنَاتِي يَقْرَاوْ مْلِيحْ وْمَتْخَرْجِينْ مَنْ الجَامْعَة، وْعَنْدِي سَلْفْتِي تُسْكُنْ بَحْذَايَا دِيمَا تَحْسَدْلِي فِيهُمْ لَخَاطَرْ وْلَادْهَا كَامَلْ مْبَطْلِينْ وْقَاعْدِينْ فِي الدَّارْ " بمعنى أن بنات المبحوثة إتحسدوا من طرف زوجة عمهم لأنهم يدرسون بصفة جيدة، وفي الأخير هؤلاء الأولاد تركوا الدراسة باكراً بسبب توكال ضربة العين وتوكال ضربة نفس تلك المرأة المُغَبطة.

خامساً: الرُّقوَّة الرُّوحانية لـ (توكال المعيون) و (توكال المحسود) في مدينة تبسة

1-وسائل لدفع سحر توكال العين الحاسدة:

- **التعويذة:**

تعني منظومة من الكلمات يرددها الشخص الذي يقوم بالرُّقى للمحسود مصحوبة ببعض الممارسات الخاصة بغرض إبطال تأثير العين الحاسدة أو إتقائها، ويرى " إيفانز برتشار Evans Pritchard ": " أن التعويذة هي مخاطبة العين الشريرة وتصحبها بعض الشعائر والطقوس المرتبطة بها " (لطفي، 1987، ص 176).

كما وجد " وسترمارك " في دراسته للمغرب عديد من التعاويذ التي تستخدم للحماية منها في " هيانا Hiaina " عندما يشك أحدهم في إصابته بعين حاسدة، وخاصة الشخص ذي الحواجب المتصلة فوق قصبة الأنف فإنه يقص شعرات قليلة من حواجبه ولحيته، ويحرقهم ويجعل الدخان يمر على ملابسه، وفي " Aglu " فإن المصاب بالعين الحاسدة يحاول الحصول على قلامة الظفر أو قطعة من ملابس الحاسد ويحرقها

ويستنشق الدخان ثم يرمي الرماد خارج المنزل مع قول بعض الكلمات ليرجع تأثير الحسد لصاحبه (باسكوم، 1980، ص ص 352- 353).

ونلاحظ من خلال هذه الممارسة الطقوسية التي تحمل الطابع السحري أن الهدف منها هو محاولة تطبيب شعبوي سحري لتلك العين الحاسدة، لكن هي في الحقيقة تستدعي حظور الجان، ومن خلالها المعيون أو المحسود يصاب بـ (سحر التوكال) وبطريقة غير مباشرة عن طريق حاسة الشَّم ويسمى بـ (التوكال المشموم)، حيث يتشكل هذا التَّسمم بتفاعل تلك الأجزاء من جسم الإنسان أو من أثره مع الخادم الموكل لإحداث المرض عن طريق التَّسميم بـ السحر الأبيض، وتعتبر في إعتقاد الفرد التّبسي على أنها ممارسة تطبيبية تحمل الطريق الأيسر في شفاء المعيون.

- **الرُّقى و البخور:**

إحدى صور التعاويذ التي تمارس للحماية من الحسد وأذى العين الشريرة، ولقد مارس المصريون القدامى الرقى لإبعاد الأذى عن أطفالهم، وهي صيغة شعائرية تتلى أثناء القيام ببعض الطقوس والممارسات بدءا بوضع البخور المكون من مجموعة أعشاب لها رائحة زكية وكسبرة والحبة السمراء (عين العفريت)، اللبان، والشيح، بالإضافة إلى الملح على النار، توجد رمزية الإحتراق للعين الحاسدة في أغلب المجتمعات، ويخطو عليها الشخص المحسود أو تدور بها السيدة في أنحاء المنزل، أو فوق رأس الطفل المحسود سبع مرات، مع ذكر بعض الآيات القرآنية وبخاصة المعوذتان، وكلما ازداد تثاؤب الشخص الذي يقوم بالرقوة، مما يجعل المحسود يتثاءب بالإيحاء، كان دليل على شدة تأثير العين الحاسدة على المحسود، ومن المعتقدات الشعبية السائدة في المجتمع المصري أثناء رقوة الطفل الصغير أنه إذا تثائب الطفل كان معينا أو محسودا من إمرأة أما إذا لم يتثائب تكون العين الحاسدة لرجل ومن الأيام المفضلة للرقى يومي الخميس والجمعة وأفضل الأوقات بعد صلاة المغرب وأثناء صلاة الجمعة، وأشهر الرقى هي رقوة عاشوراء المعروفة بالميعة المباركة –الميعة هي صمغ عطري يسيل من " شجرة الأصطراك Styrax efficinals " وكانت للتطبيب (شريف، 2008، ص 184).

ومن الرُّقى المتداولة والتي لها مفعول أكيد في المجتمع التّبسي ما يسمونه باللغة الشعبية (بْخُوْرْ لَشْفَاعْ) أو (بخور 27)؛ وهو ذلك البخور الذي يخلط يدويًا في اليوم السابع والعشرون من شهر رمضان، حيث يأخذ هذا البخور المكون من: (العرعار، الشعير، الشَّب، الفحم الأسود، الملح، الكسبر) إلى المسجد وفي تلك الليلة الروحانية المباركة، ليصلي عليه المصلون من الرجال والنساء.

الملحق رقم 6: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ ممارسة طقوسية تطبيبي – روحانية تسمى بـ (بْخُورْ لَشْفَاعْ) أو (بْخُوْر سَبْع وْعْشرِيْن) بمعنى ذلك البخور الذي يؤخذ ليصلى عليه في المسجد يوم 27 من شهر رمضان ثم يبخر به المصاب بالعين والحسد فيشفى بسرعة كبيرة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/02/02. على الساعة؛ 14:10 د

- **الملح:**

يعد الملح بصفة عامة ضار بالعين الحاسدة، وهناك العديد من الممارسات يدخل فيها الملح لصد أذى العين والحسد في أوربا، كما في دراسة " سلجمان Seligman " ودراسة " لاوس Lawson " لليونان المحدثون، و " مارجريت هاردي Margaret Hardie " لمقدونيا، ودراسة " هامر Hammer " للسويد، وأيضا يستخدم الملح الصخري مع الشبَّة

والبخور و " الكبريت Sulphur " في الجزائر والمغرب ومصر (غنيم و شريف، 2001، ص 44).

وفي المجتمع التبسي؛ يعد طقس " الملح الصخري " أو " ملح الطعام " ضارًا بالعين الحاسدة فيعمل على إمتصاصها من جذورها، لذا كثيرًا ما تردد عبارات: (ذْرْ لْمْلحْ فيْ عيْنيْهُمْ، لْمْلحْ فيْ عيْنيْنْ لْحُسَادْ)، كما ينثر الملح في المناسبات كالأفراح بصفة عامة، وجهاز العروسين، وسبوع المولود، ويستخدم هذا الفعل الطقوسي اليدوي بالتسبيع المباشر على المعيون (سبع مرات) ثم يوضع على النار حتى يحدث صوت أو إنفجار غريب يلاحظ فيه فلق أذى العين الشريرة من خلال تفكك أجزائه، فتنفجر معه اللعينة، كما يستخدم ماء البحر بإعتباره مالح الطعم وكذلك لتميزه بالطهارة الربانية، فمن خلاله ترجع الحياة للأشخاص المرضى بالأمراض الرُّوحية المستعصية وخاصة تلك منها التي هي شديدة الخطورة، فتفك عن طريقه المواجع والأسقام.

الملحق رقم 7: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ ممارسة طقوسية تمثل طقس (تفجير الملح) فوق النار بعد تسبيعه على الجسم (7 مرات) بحركة دائرية وأثناء حدوث ذلك الصوت المدوي يعتقد أن سحر (توكال العين الحاسدة) قد زال وبطل

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/03/05. على الساعة؛ 17:12 د

- **الغطاء:**

من وساءل دفع أذى العين الحاسدة إخفاء كل ما يلفت نظر الحاسد، ويرجع وسترمارك التحجب للنساء عند العرب الأوائل قبل الإسلام ليس بغرض الإحتشام فقط ولكن أيضا لحمايتهن من العين الحاسدة ومن الطرق المستخدمة لدرء الحسد بين " قبائل الأمهارا Amhara " إخفاء الوجه بنقاب رقيق وخاصة الأنف والفم (شريف، 2008، ص 185).

ومن الملاحظ في المجتمع التبسي؛ تحرص الأمهات على تغطية وجه المولود بغطاء شفاف لإخفائه عن أعين الحساد، وكذلك يحاول إخفاء نوع المولود إذا كان ذكر بعد ولادته مباشرة وخاصة في حالة إنجاب الأم للأبناء الذكور، وأيضا من الملاحظ في مجتمع البحث وجود تلك الدلالة الرمزية التي تظهر واضحة حين تترك الأتربة على السيارات لعدة أيام لكي لا تلفت أنظار الناس لهذا المركب، حيث نجد المعتقد لديهم يقول بأن الأشياء النظيفة هي الأكثر تعرضا لإصابة العين الحاسدة.

الملحق رقم 8: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ ممارسات طقوسية لدرء العين الشريرة على مستوى سيارة سوداء اللون مكتوب عليها آيات قرآنية بهدف الحفظ مع تعمد ترك الغبار عليها تجنباً للإصابة بسهامها الملعونة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. في؛ 2017/08/03. على الساعة؛ 10:20 د

- **الشّبَّة:**

وهي قطعة من مادة الشب تحمل للأولاد والبنات والنساء والرضع لحمايتهم من " العين و الحسد "، تغلف الشبة أحيانا بغلاف من الخرز، ويعلق بطاقية الطفل، ويحمل حرز (الشّبَّة) منفردا أو مرفقا بحروز أخرى (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 86). تعتبر معالجة " المعيون " و " المحسود " وغيره كانت معروفة منذ قديم الزمان، إذ نهى الله العبرانيين عن الأخذ ببعض معتقدات الذين خالطوهم، ومنها الرُّقية والعرافة والسّحر (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 89).

فتعرف الرُّقية عند " **إبن الأثير** " هي " العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة: كالحمى والصرع، وغير ذلك من الآفات " (القرني، 2019/08/19، 15:19 د).

ولعلاج " العين " يحدد الفقيه نوعين من الإصابة بالعين الشريرة، حين يكون المعيان معروفًا أو حين يكون مجهولاً للمصاب، ويختلف العلاج بحسب الحالة، ويكون صعبًا حين يجهل المصاب هوية المعيان. وفي هذه الحالات الصَّعبة، يأخذ الفقيه قطعة كبيرة من حجر الشَّب (الشَّبة) ويقرأ عليها بعض العبارات السحرية ويمررها حول المريض سبع مرات، ثم يرمي بها مع جمر متقد في إناء، ليتبول عليها المريض، بإنطفاء الجمر، تنطفيء العين الشريرة المجهولة، أما إذا كان المعيان معروفًا فإن العلاج يصبح في غاية اليسر، فإذا عرف المعيان يؤمر بالإغتسال ثم يؤخذ الماء الذي إغتسل به ويصب على المحسود من خلفه فيبرأ. وكان للمغاربة اليهود طقوس يقاسمون إخوانهم المسلمين الإعتقاد في قدرتها على معالجة العين و الحسد، ونذكر منها الوصفة التالية: بأخذ الشخص المعين حفنة من الحمص وكوب ماء ويذهب ليمسح عتبات أبواب الملاح والبيعة والحمامات، بواسطة ثوب مبلل بذلك الماء، ثم يترك حبَّة حمص فوق كل عتبة، ويعصر المعين الثوب من مائه ليمسح جسده به فيتخلص من أذى العين الشريرة، وكانت هذه الطقوس تمارس من طرف النساء اللواتي أصابتهن " العين الحاسدة " خلال إحدى زيارتهن، وكذلك الرجال الذين أصيبوا بها خارج بيوتهم. وبالنسبة للمسلمين فقد كانوا يغيرون فقط البيعة بالمسجد وباب المدينة، ويكملون مفعول الطقوس ببعض

الكتابات السحرية (الحروز) التي تتضمن بدون شك الرُّقية (وأعراب، 2007، ص ص 195 – 196).

بينما نجد هذه الممارسة الطقوسية التطبيبية منتشرة كثيرا في مجتمعنا التبسي؛ وكحد قاطع لأثر العين الحاسدة، التي تقوم بها الأمهات في حالة الإعتقاد بمرض أحد الأطفال وإصابته بعين أو بحسد، حيث تأخذ قطعة من الشَّب وتتركها ليلة كاملة تحت وسادته، ثم تسبع بها (سبع مرات) في اليوم الموالي على رأسه وجسمه ثم تضعها فوق النار حتى تفيض وتفقأ العين، فتتشكل عادةً نظرة حسب إعتقاد أفراده أنه ما إذا كانت العين متقوية بشيطان دخل جسم المعين نجدها في صورة (عين إنسان) أما إذا كانت العين لا تحتوي على شيطان فتكون صورة الشَّب عبارة عن (مسامير) أو (ثُقب) صغيرة الحجم، وبعد ذلك توضع بين كفي المعيون ويستمر بالضغط عليها حتى تتفتت تماما وهو يردد الكلمات " لْعيْنْ مْشتْ وْصَحْتيْ جْتْ " بمعنى (العين ذهبت وصحتي جاءت)، ثمَّ يرميها في المرحاض ويتبول عليها بعد ذلك، أو يقوم برميها خارج المنزل، فيحس حينها المعين بعد هذا الطقس التطبيبي بإنطفاء حرارة العين الشريرة التي سببت له الكسل والخمول.

الملحق رقم 9: صورتان ملتقطتان من الميدان التّبسي تبينان؛ ممارسة طقوسية تمثل طقس (حبَّة الشَّب) الحارق لـ سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) الحواسي

صورة ملتقطة تبين؛ قطعة من الشَّب فوق النار بعد تسبيعها على كامل أنحاء الجسم (7 مرات) بشكل دائري مع قراءة بعض الآيات القرآنية والنفث فيها من روح المعيون أو المحسود ثم توضع فوق النار

صورة ملتقطة تبين؛ ظهور العين الحاسدة في شكل عين الشخص العائن أو الحاسد ويمكن من خلالها التعرف على ذلك الشخص أثناء عملية (التَّبصير) التي تقوم بها العرافة أو الشوافة حيث أن من خلال هذا الشكل يظهر لنا جلياً سحر (توكال شيطان العين) داخل بدن المعيون متشكلا في صورة عين بشرية واضحة داخل قطعة الشب

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/03/05. على الساعة؛ 17:12 د

2-مقتنيات و تمائم لمواجهة العين الحاسدة:

- **الحجاب:**

يعد من المقتنيات القديمة التي كانت تستخدم لمواجهة الحسد وأذى العين الشريرة في أغلب المجتمعات، يرى " إدوارد وليم لين E.W.Lane " في كتابه " المصريون المحدثون " أن من أهم السمات في خرافات المصريين المحدثين إعتقادهم بالتمائم والأحجبة التي يستند أكثرها على السحر، ويتألف معظمها عادة على آيات قرآنية وأسماء الملائكة والجن والرسل أو الأولياء المشهورين، واسم الشخص الذي يكتب له الحجاب، وإسم أمه، وهناك أحجبة ترسم فيها خطوط منحنية ومستقيمة، ودوائر وترصع بأشكال هندسية.

ويضع الحجاب ضد العين أيضا على النحو التالي: يؤخذ اسم الشخص واسم أمه، وتجمع أحرف الإسمين على حساب الجمل، ولنفترض افتراضا أن القيمة العددية لأحرف

الإسمين هي 150 يفتش في أسماء الله الحسنى (رحوم، رحيم، شفوق، شفيق، شافي، كافي...) عن أسماء مجموع حروفها في حساب الجمل 150، ثم تجعل هذه الأسماء في مربع تسمى أضلاعه بأسماء الملائكة: جبرائيل، إصرافيل أو (إسرافيل)، ميكائيل، وعزرائيل، وعزرائيل، وهكذا:

جبرائيل

ميكائيل

إصرافيل

عزرائيل

ومن الأحجبة المستخدمة لرد أذية العين أيضا حجاب يحتوي على بعض الآيات القرآنية ويكتب كالتالي: يكتب على ورقة بيضاء بقلم أحمر (قلم غاز) مايلي: " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ عَيْنُ الْمَعْيَانِ عُوِّرَتْ، إِذَا السَّمَاءُ اِنْفَطَرَتْ عَيْنُ الْمَعْيَانِ طُّيِّرَتْ، وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينْ عَيْنُ الْمَعْيَان حَقِّينْ، إِذَا السَّمَأُء اِنْشَقَّتْ عَيْنُ الْمَعْيَانِ دُقَّتْ، وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجْ عَيْنُ الْمَعْيَانِ تَمُوجْ، وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقْ كُلُّ عَيْنٍ بَارِقْ، سَبِّحْ اِسْمَ عَيْنُ الْمَعْيَانِ تَعْمَ، هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَة عَيْنُ الْمَعْيَانِ مَاشِيَة فَسَيَكْفِيكَهُمْ الله الْعَلِيمْ " (الأسمر، س. ن. غ. م، ص ص 75 – 77)، ثم تطوى الورقة وتعلق على الثياب.

الملحق رقم 10: صورتان ملتقطتان من الميدان التّبسي تبينان؛ ممارستان طقوسيتان لشكل (اَلْكْتَابْ) أو (اَلْحْرزْ) الأولى لدى الأطفال والثانية لدى النساء حيث تستعمل هذه الممارسة بهدف درء العين و الحسد

صورة ملتقطة تبين؛ (كتاب) أو حرز أخضر يعلق للأطفال حديثي الولادة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/02/04. على الساعة؛ 12:12 د

صورة ملتقطة تبين؛ (كتاب) أو حرز أسود يعلق للفتيات العازبات والمتزوجات

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 16/ 06/ 2017. على الساعة؛ 10:18 د

وفي المجتمع التبسي؛ يلجأ أفراد المجتمع إلى بعض المشايخ المعروفين بخبرتهم في عمل الأحجبة للحماية من الحسد خاصة عند الأطفال والعرائس ولقضاء الحوائج كالنجاح والزواج والإنجاب بحيث تتخذ الأحجبة أشكالا مختلفة حسب قول أحد المبحوثين من الذين يقومون بعمل تلك الأحجبة أن: " كِتَابَة الْكُتُبْ رَاهِي مَعْطِيَّتْلِي وْرَانِي مْعَاهَدْ قُدَّامْ رَبِّي مَانَدِّيرشْ لْحَاجَة لْخَايْبَة خْلَاصْ ".

بمعنى أنه عندما يقوم بكتابة الحجاب لا يكتبه من أجل الفساد ولكن من أجل الحماية والصلاح، وأنه عاهد الله تعالى عندما أعطاه الحكمة ووعد أن يسخرها في الشيء الذي يجلب النفع للناس لا للضرر. ويستخدم في الكتابة قلم عبارة عن ريشة وتغمس في حبر مخلوط في مزيج من المسك وروح الورد والزعفران يسمى بـ (الصْمَقْ) أو (الدْوَاءْ) حيث يصنع من (صُوفْ موجودة على إبط الماشية) وهي تلك الصوف التي ليست مغسولة، ثم يقوم الشيخ بحرقها وصنع دواء يتم الكتابة به عن طريقها، ونجد الحجاب يحتوي على بعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث، ويصرح أفراد المجتمع أنه من الصعب شرح تلك الكتابات التي تأخذ أشكالا متعددة فهي تفسر إلا من طرف هؤلاء الأشخاص الذين تتواجد لديهم معرفة بالعلوم الرُّوحانية، وهناك صور عديدة للحجاب في مدينة تبسة.

- **التمائم:**

يعرفها العلامة " إبن الأثير " في النهاية؛ التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تُعلقها على أولادهم، يتَّقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام. ومثلها الودّع؛ وهو شيء يخرج من البحر، شبه الصدف، يتقون به العين أيضاً. ومثلها ما يعلق من خيوط أو من أوراق تكتب فيها بعض العبارات من غير ذكر الله تعالى (القرضاوي، 2011، ص 125). ومن أكثر التمائم شيوعا تلك المصنوعة من الذهب أو الفضة على شكل العين والكف والأصابع الخمسة كـ:

- **العين و الأحجار الكريمة:**

وقد أتخذ للوقاية من شر العين منذ أقدم العصور، غعرفه الفينيقيون، وتركوا آثارا كثيرة تدل على استخدامهم له، كذلك وجد بين أطلال مدينة أور في العراق بعض الخرز

المصنوع من " حبات العقيق المجاور لحبات اللازورد الأزرق، لا سيما حجر اللازورد يقي من العين " (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 81).

الملحق رقم 11: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ خواتم وقلادات فضية صنعت من أحجار كريمة مضاف إليها طاقة روحانية لدفع توكال العين و الحسد بالتحديد عن هؤلاء الأشخاص الروحانيون الذين هم أكثر عرضةً للمرض

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 08/08/ 2018. على الساعة؛ 12:15 د

- **الكف و الأصابع الخمسة:**

لقد لعب المغاربة اليهود الذين كانوا يشتغلون في صياغة وتجارة المجوهرات دورا رئيسيا في ترويج الخميسة أو الخُمْسَة؛ إذ أن الإعتقاد في خصائصها السحرية مشترك بين المسلمين واليهود المغاربة قديم جدا، حيث وجدت بعض البقايا الأثرية الشبيهة بيد فاطمة ضمن المجوهرات التي عثر عليها بموقع شالة بالرباط وتعود إلى العهد الروماني (وأعراب، 2007، 193 – 194).

الملحق رقم 12: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ فتاة تحمل تعليقة (الخمسة) بمعنى أصابع اليد البشرية مصنوعة من الفضة معلقة في عنقها قصد الحماية من أذى سحر توكال العين الحاسدة المتربصة بالفتيات العازبات

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/01/15. على الساعة؛ 08:40 د

- **وسائل أخرى:**

منها البولادة وهي عبارة عن سلك فولاذي مجدول على شكل درع يعلق للأطفال في الطائية، والحديدة وهي قطعة حديد مدببة من جهة وعريضة من جهة أخرى، تثقب من الجهة العريضة وتعلق. ومنها أيضا بزرة الكمون الأسود، وبزرة الدراقن، ورأس الثوم، والحذاء (أو قطعة منه)، ويضع اللبنانيون في رقاب حيواناتهم قلائد من ودع في أطرافها الجلاجل، والأجراس، وعيدان من شجر الميس بشكل أهلة تحتها شراريب مختلفة الألوان، أو قشور البيض ويرفعون عليها الرايات الزاهية الألوان (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 87).

تحفل المعتقدات السحرية في المغرب بكم هائل من أساليب الوقاية من أذى العين الشريرة، فهناك حيوانات لها القدرة على الحماية من العين كالسلحفاة البرية التي تدجن وتترك لتدور في البيت، والخنزير الوحشي الذي تعلق أنيابه في أعناق البشر والخيول، والعين اليسرى للثعلب أو الذئب والبوم، وإعتقد المغاربة في أن اللون الأسود يبطل سحر

العين ولذلك يعلقون لأطفالهم خميسة سوداء اللون على الجبين أو في صميم اليد، بواسطة خيط أحمر. كما يلفون في ثياب رضعهم (صُرَّة) من ثوب أسود بها قليل من الشَّب والفاسوخ والحرمل وحبوب القزبر، كما يضعون تحت سرير نومهم سكينًا أو كيسًا به ملح وشب وحرمل، ولأنهم يعتقدون في وجود أشخاص أعينهم شريرة (معيانين) فإنه إذا وجد أحد الخائفين من العين نفسه في مرمى عيني معيان بسبب الجوار في السكن، فإنه ينثر أمام عتبة باب بيته الشَّب والحرمل، حتى يوقف تأثير نظرات المعيان المؤذية ويمنعها من الدخول. وإذا حضر المعيان إلى العرس، فإن أصحاب العرس ينتظرون إنصرافه بفارغ الصبر، حتى إذا غادر الحفل، جرى أحدهم إلى موقد النار ليأخذ منه جمرة يلقيها في قدر ماء، وهو يردد: (الله يطفي عينين فلان، كيف ما طفأت هذه الجمرة).

ومن تلك الممارسات الوقائية تحمل الفتاة الخائفة من العين في حمالة صدرها سبعة فصوص من الثوم، أو قليلاً من الملح في حقيبة يدها، ويعلق الرجل (خميسة) صغيرة في سلسلة عنقه الذهبية، أو يحمل مع مفاتيحه رصاصة نحاسية تم إطلاقها من البندقية، يوم الأربعاء الأخير من الشهر القمري.

الملحق رقم 13: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ شاب يرتدي قلادة تحتوي على رصاصة نحاسية بهدف إبعاد سحر توكال العين الحاسدة المتربصة بالشباب العزاب

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/01/01. على الساعة؛ 10:48 د

الملحق رقم 14: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ حمالة مفاتيح سيارة تحتوي على رصاصة نحاسية تمارس لحماية المركبات من إنتقال سحر توكال العين و سحر توكال الحسد إلى مالكيها

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/12/09. على الساعة؛ 22:05 د

ولدفع أذاها كان المغاربة في بعض المناطق يحملون عقربًا حية في وعاء من القصب يعلقونه على صدورهم، لكن أكثر أساليب رد أذى النظرات المؤذية يظل هو الرُّقية التي إبتدع المعالجون طقوسًا وطرائف عديدة لإستثمار خصائصها الوقائية، وهي من الكثرة بحيث سنكتفي بالوقوف عند أشهرها، هي أن تقول في "الرُّقية": " بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك، ومن كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك "، وتستعمل بكثرة على شكل حجاب يعلق في العنق، أو تتلى أثناء التَّبخر بالملح، كما يرددها الفقية المعالج ثلاث أو خمس أوسبع أو تسع مرات، بينما يضع يده اليمنى على رأس المصاب بالعين، أو " يحتويها " الماء المقروء عليه، وهو الذي قرأت عليه الرُّقية، قبل أن يفرغه الفقيه على رأس المحسود من جهة الخلف (وأعراب، 2007، ص ص 196- 197- 198).

لا يخلو فكر الفرد التّبسي؛ من الإعتقاد في مدى أذية توكال العين وتوكال الحسد الحواسي، حيث نجد هذا من خلال تلفظه اليومي بـ العبارات: (عيْنيْهُمْ كـ رْصَاصْ، عيْنيْهُمْ كـ لْبَارُودْ، عيْنيْهُمْ ثْقَلْقْ لْحْجَرْ) وعلى إثر هذا الصدد تأكدنا من إتفاق أغلبية أفراده على أن ضربة العين والحسد وراثية، في حين المنظور العلمي ينفي هذه الفكرة ولا يجعل لها مجال من الصحة، بينما الفرد المحلي يحملها كافة العواقب المترتبة عنها، وبالأضافة إلى ذلك تحمل أذيتها أيضا إلى أعين الأقارب والجيران الذين هم من أقرب الناس للمعين أين يتشاركوا معه في الأفراح وحتى في الأحزان، فيُخاف من تلك الفئة التي قد يلحق ضررها المحدق حتى بالحيوان المسكين والنبات والجماد، وحتى بالمركبات المختلفة من خلال الممارسات الطقوسية الوقائية المتداولة لديهم، كتعليق التمائم والأحجبة المتنوعة لصد أذى شياطين وسحر العين الحاسدة المتسلطين، لذا يعلق فوق أغلبية المنازل عجلة سيارة تم تنحيتها سابقًا، وهي في إعتقادهم أنها ترمز إلى الرقم خمسة (٥) في أعداد اللغة العربية والتي تأخذ الشكل الدائري مثل دائرة العين الواحدة، ويتقارب معناها أيضًا في التشابه مع (اَلْخُمْسَة) بمعنى تتقارب مع رمز الكف البشرية من حيث المعنى المعتقدي التّبسي، وعند آخرين يعتبروها على أنها ترمز للعجلة التي

هي تدوس على الأشياء عند مرورها وهي جزء لا يتجزأ من السَّيارة، وبالتالي لها القدرة على أن تسحق كل ما يأتي أمامها وتزيحه.

والملاحظ من أول وهلة، أن الإنسان الجزائري بصفة عامة و التّبسي بصفة خاصة؛ هو إنسان طقوسي وأداتي بطبعه، دائما ما ترافقه هاتين الأخيرتين لذا نجد أثرهما حتى من خلال سلوكه اليومي، وخاصة فيما يتعلق بطقوس طرد الشَّر والأرياح السلبية المؤذية، لذا يلجأ أغلب أفراده الذين يعتقدون في العين و الحسد إلى ممارسة العديد من الوسائل والمقتنيات الجيدة منها والرديئة من أجل إتقاء تلك الشرور، فتوارث (الأفراد التْبَاسَّة) لتلك الرُّقى والتعاويذ التي هي تصنف من ضمن المأثورات الشعبية، قد إنتقلت بدورها جيلاً بعد جيل عبر العادات والتقاليد، حتى أصبحت العلاقة توارثية من صلب إعداد الذهن والفكر الشعبي. ومن تلك الوصفات والمقتنيات ما هو مجرب ونافع في التمثل الشعبي التّبسي، حيث تأخذ تلك الطقوس والممارسات دلالة رمزية متشابكة فيما بينها، الأولى وقائية والأخرى علاجية، تمثل يقين معرفي وباطني في قدرتها السحرية لصد أذى كل ما هو من عالم خفي وما ورائي ويريد أن يتربص بالمخلوقات سواء من قريب أو من بعيد.

ومن المعلقات السحر – تطبي – روحانية في مدينة تبسة؛ نجد أيضًا " كْتَابْ "، أو " اَلْطْفيْفَة "، أو " صُرَّة خضراء " أو " رْصَاصَة " كحمالات تحمل على جسم (المعيون) سواء توضع فوق صدره، أو في رقبتة، أو على معصمه، أو توضع في شكل تميمة في يد الفتاة قبل خروجها من المنزل، وكذلك توضع قرون " فلفل الزَّيَانَة " داخل البيوت أو على مقدمة أبوابها.

فالحرز أي " الكتَابْ " الذي يباشر في عمله المعالج المتخصص في مجال الغيبيات سواء كانت تلك التطبيبات (سحرية) أو (روحانية) يحمل في طياته إما طلاسم أو تعاويذ سحرية أو جداول، أو آيات ورقى قرآنية مع أدعية مباركة بهدف التَّحصين والحماية، حيث تكتب هذه الأخيرة بقلم روحاني ودواء (الصْمَق) وهو عبارة عن مداد يصنع من الصُّوف المتَّسخة (الصُّوف الْمْوَذْحَة) ومن خلاله يطلب "الطالب" أو " الشيخ " المطبب إسم المريض وإسم أمه ليباشر في عملية كتابة الحرز الذي يحمل

(النجمة الخماسية) وهو ختم سيدنا سليمان النبي (عليه السلام) حيث يسمى تبسياً بـ " الطابع " بمعنى البصمة السليمانية، ويكتب كالآتي: " – بسم الله الرحمان الرحيم– لا إله إلا الله إيمانًا وإستسلامًا، والله أكبر إكبارًا وإعظامًا والحمد لله إفضالاً وإنعامًا ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم توكلاً وإستسلامًا في خلق السماوات والأرض إلى ما لا يعلمون، اللهم أردد عين المعيان في نحره عن حامل كتابي هذا، " إذا الشمس كورت " لكل عين نظرت، " إذا السماء إنشقت " لكل عين تلفت " ويل للمطففين " لكل عين رامقين، " والسماء ذات البروج " لكل عين تموج، " والسماء والطارق " لكل عين بارق، " والسماء ذات البروج " لكل عين كحلاء ورامقة، بسم الله وبالله ومن الله لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ".

أو يحمل الحرز أسماء الملائكة الأبعة: (جبرائيل، ميكائيل، إصرافيل، وعزرائيل) وتكتب الأسماء فوق مربع يحتوي على تسعة مربعات صغيرة داخل المربع الأكبر، فيكون كل جانب مقابل لإسم أحد الملاكة يحتوي ثلاثة مربعات من الأعلى والأسفل ومن الجانبين الأيمن والأيسر. أما عشبة " الطُفَيْفَة " فدلالتها الرَّمزية تأخذ معنى طَفْطَفَت، ودفعت، وفلقت كل ما جاء بهدف أذية حاملها، بينما طقس " الصرة الخضراء" فيحتوي على عقاقير مشكلة من (ملح خشن، سينوج، كسكسي البَارُوْدْ) تشكل في وصفة روحانية تستخدم لحماية المزيود الجديد عن طريق وضعها في معصم يده اليمنى آخذة اللون الأخضر الذي يحبه الملائكة والجن النُّوراني المسلم، أما طقس " الرَّصاصة " المطلوقة من " كُوْلْطْ " أي (سلاح شرطي) فهي ممارسة طقوسية تعمل على إخافة تلك الأعين المتربصة بالمعيون، ونجد أن دلالتها الرمزية هذه تتمثل في رمز الموت بعد الإيذاء، حيث تفسر تلك التميمة في ما إذا أرادت عين المعيان من الإقتراب من حياة الأشخاص الذين يحملون (تميمة الرصاصة) في هذه الحالة نجدها كثيرا ما تلهى بتلك المقتنيات، ومن إعتقادهم أنها تخفف من حجم الأذية وتمنع دخول ضربة اوكال العين و الحسد إلى تلك الأشياء، حيث تستمر بثبوت قوة الإعتقاد واليقين في مدى نجاعة تلك الطقوس الوقائية من طرف ممارسيها.

الملحق رقم 15: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ مقتنيات و تمائم أخرى تعلق لدفع سحر توكال العين الحاسدة

صورة ملتقطة تبين؛ تميمة (الحوتة) موضوعة على جبين رضيعة قد ولدت حديثا

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/05/04. على الساعة؛ 20:17 د

صورة ملتقطة تبين؛ (خُمسَة) في سخاب موضوعة في شكل حلي يعلق كتميمة في عنق العروسة.

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/10/10. على الساعة؛ 20:08 د

صورة ملتقطة تبين؛ (صُرة) بيضاء تعلق في قماطة المزيود الجديد.

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/12/18. على الساعة؛ 20:12 د

صورة ملتقطة تبين؛ تعليقة عشبة (الطفيفة) تعلق على الصدر من الداخل لإبعاد سحر توكال العين الحاسدة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/01/14. على الساعة؛ 10:05 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقوس (مائدة النفاس) تحمل شكل الخمسة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/04/09. على الساعة؛ 22:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ حنة العريس على شكل (حوتة) بمعنى أنها تأخذ شكل السمكة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/12/19. على الساعة؛ 20:14 د

صورة ملتقطة تبين؛ نوع آخر من تميمة عشبة الطفيفة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/06/13. على الساعة؛ 23:07 د

ومن المعتقدات الشعبية التّبسّيَّة؛ أثناء سُكنة المنزل الجديد أو شراء سيارة جديدة تذبح شاة ويسيَّح دمها فوق تلك السيارة أو في جميع زوايا ذلك المنزل قصد دفع أذى العين والحسد على أفراده، ثم تقوم تلك العائلة بإقامة عشاء يتلاقى فيه الأقارب والجيران، فهي ممارسة طقوسية ذات طابع سحري تهدف لدفع أذى " النّفس " التي يعتقد في قدرتها على صد توكال العين الحاسدة، في حين أن هذه الممارسة شعبذية تعمل على جذب الجن الكافر إليها، بإعتبار هذا الأخير يتغذى من النَّجاسات والدماء، وإضافة إلى ذلك وجدنا طقس خلط " الحناء " السَّائلة في " صحن فخار " حيث تخلطها عجوز كبيرة من العائلة يتبرك بكبر سنها، فتباشر حينها بطبعها فوق باب منزل من الجهة الخارجية على شكل يد بشرية بمعنى أنها تأخذ شكل " الأصابع الخمسة " والتي ترمز عندهم إلى قوة الإنسان صاحب هذه اليد في تخطي الصعاب، أما دلالة كبر سّن تلك العجوز فيرمز إلى دوام الحال السَّعيد والبخت الجميل، وبإعتبار الحنَّاء تحمل صفة الحنان في الموروث الشفهي والأغنية الشَّعبية التبسيَّة في قولهم: (يَالْحْنَّة يَالَحْنيْنَة فيْ صْحَنْ لْفُخَارْ) وبإعتبار ذلك الإنسان خلق من طين يترتب آلياً عن رمز (الصحن) الرَّأفة والخير تجاه نظيره الذي يرافقه في هذا العمل الطقوسي التفاؤلي ذا الطابع الرَّوحاني البحت، ونجد أن هذه الممارسة تختلف عند فآت أخرى إذ توضع الحناء على شكل دائري آخذة شكل العين البشرية.

والملاحظ من النَّظرة الأولى، أنها لا تخلو تلك الممتلكات المتنوعة من معلقات تشد لفت عين النَّاظر إليها كالعين الزرقاء، أو الخمسة الفضية والذهبية، وتميمة الحوتة التي تعلق خارج المنزل. حيث يحرص الأفراد على تربية السلحفاة أي ما يسمى بـ " الْفَكْرُونْ "[1]، وحسب إعتقادهم أن وجود هذا الحيوان يمنع دخول الشيطان إلى المنزل ويبعد ما يسمى بجان (الْقْرِينَة) بإعتبار أن تلك الشيطانة لا تتحمل رؤية هذا الحيوان وتخاف منه، ونجد ممارسة طقوسية أخرى هي تميمة " شوك القنفذ " توضع داخل أو خارج المنازل وقاية من أذى توكال العين الشريرة ومن أذى توكال أصحاب النفوس الحاسدة.

[1]- **الفكرون:** هو السلحفاة البرية.

الملحق رقم 16: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ سلحفاة برية (فكرون) يعمل على تربيته داخل المنازل قصد إبعاد؛ توكال الشياطين و توكال التابعة و توكال العين و توكال الحسد

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/05/12. على الساعة؛ 16:15 د

حيث تلبس تلك التمائم كحلي في الرَّقبة، وبالإضافة إلى وجود تمائم تحتوي على العبارات: (مشاء الله، صلي على النبي، بسم الله الرحمان الرحيم، عين الحسود لا تسود أو عين الحسود فيها عود...) على السيارات، والحوانيت، أو لوحات مكتوب عليها بالخط الذهبي والفضي سورة (الفلق) وسورة (الناس) إعتقادًا منهم أن "شيطان العينذ" لا يقترب من هذين المعدنين، ويحرص مجتمع البحث على إتخاذهما كـ (كوادر) و كـ تعاليق للزينة توضع عادةً في (البيوت) من الداخل.

الملحق رقم 17: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ شكل تميمتين، الأولى معلقة فوق مقدمة باب منزل من الخارج، والثانية في مقدمة شاحنة من الداخل

صورة ملتقطة تبين؛ (خمسة) تحمل تعويذة الحوتة موضوعة فوق باب منزل من الخارج

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/07/16. على الساعة؛ 11:00 د

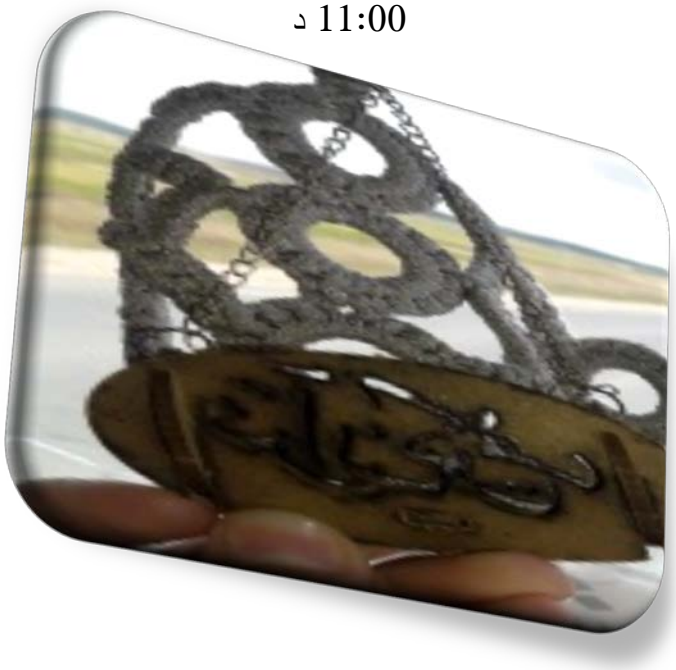

صورة ملتقطة تبين؛ تعليقة على شكل (حلقات دائرية) متلاصقة تحمل (دعاء) معلقة في مقدمة شاحنة من الداخل

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. في؛ 11/ 07/ 2018. على الساعة؛ 10:10 د

كما تغسل عتبة البيت، وترش زواياه ليلة الخميس بالملح الخشن والخل الأبيض والحرمل، وينظف بعد هذا الطقس التطبيبي ذلك المنزل وفي اليوم الموالي قبل صلاة الجمعة، راجيين مالكيه أن تكون ساعة إستجابة وحسبهم ذلك الدعاء يكون قبل طلوع المؤذن على المنبر وإقامة الصلاة، راغبين من الله العظيم أن يطفيء بقدرته عز وجل حرارة تلك الأعين القديمة المتراكمة والمعطلة للأرزاق، فتمارس غالبًا هذه المكونات في غسل المنزل عند الأفراد (التْبَاسَّة) خصوصًا بعد زيارة إمرأة أو رجل يُعرفان بملفظهما الحار " اَلْقَاوِيْ " أو (المدوي)، وفي قول أحد الرُّوحانيين: (لْعِيْنْ رْمَاذْ وْ ذَرْاتُو) بمعنى (أن أذى العين تزيد الرَّماد حرقًا ثم زيادة على ذلك تنثره مرة أخرى).

ولكي لا ننسى تلك الممارسات الوقائية في الأواسط الريفية أين توجد الثروة الحيوانية التي يخاف عليها أيضًا بإعتبارها مصدر رزق وحيد، فيعلق على رقبة " الكبش الفحل " الذي هو مسؤول عن التزاوج مع النّعاج " جرس " حديدي أو بلاستيكي أو " حرز " مدقوق بين حجرين في وعاء حديدي، فالدَّق بمعنى ضرب النّفس العائنة، والغطاء الحديدي لكي لا يتلف ويبقى محفوظ مدى الحياة في عنق سيّد القطيع، وفي حين آخر نشاهد " جرس " آخر يعلق على رقبة " النَّعْجَة " التي هي أنثى الماشية تلك التي تنجب التوأم بكثرة في قولهم (النَّعْجَة ليْ تَاوْمْ يَاسْرْ) أي بمعنى تلك الحلوب التي تدرر الحليب بدون إنقطاع، بينما في الأفراح وبالتحديد " حنَّة العروسة " أو " حنَّة العريس " أو " طهور الطفل الصَّغير " تنثر النسوة " السّيْنُوجْ " تحت أرجل العرسان وفي لباسهم وفي فراش " ليلة الدخلة " ومكان جلوس النَّاس المعزومين في الفرح، حتى يبعدن من خلال هذا الطقس أعين المباركين المُنصبَّة صوب الزوجين حتى وإن كانت نظراتهم السامة دون قصد.

الملحق رقم 18: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ ممارسات طقوسية لدرء العين الشريرة عن الممتلكات الحيوانية

صورة ملتقطة تبين؛ ذكر الماشية (الكبش الفحل) معلق في عنقه تميمة (الجرس) قصد إبعاد سموم العين الحاسدة عنه بإعتباره هذا الأخير يسلط عليه النظر لأنه هو المسؤول عن عملية التزاوج مع (النعجات) من إيناث الماشية

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/01/08. على الساعة؛ 10:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ أنثى الماشية (النَّعجة) في عنقها جرس أقل حجماً من جرس (الكبش الفحل) حيث تستخدم هذه الممارسة الإتقائية قصد إبعاد سحر توكال العين الحاسدة عنها بصفتها مسؤولة عن إنجاب التوأم وإدرار اللبن

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/01/08. على الساعة؛ 14:20 د

صورة ملتقطة تبين؛ ذكر الماشية (الكبش الفحل) يحمل في عنقه تميمة (الحجاب) و تميمة (الجرس) في حمالة مع بعضهما البعض بهدف إبعاد قوة (سحر توكال العين الحاسدة) عنه

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/01/09. على الساعة؛ 09:10 د

3-التَّطبيب بـ الرُّقوة الشعبية المقدسة:

- **الرُّقوة الشعبية الرُّوحانية:**

علاج العين والحسد بالرقية كانت معروفة منذ قديم الزمان، ويقوم بها عادة شيخ معروف أو عجوز، فيتلو بعض الآيات والرقى على خرقة ملفوفة بالزيت ويدهن بها المصاب، أو على قطعة سكر يأكلها، أو قليل من الماء يشربه، أو على حزام يشد به وسطه وغيرها من أساليب العلاج الشعبي، ومن الرقى نذكر:

- **الرُّقوة الأولى:**

نأخذ بيضة دجاج، ونكتب عليها سبع مرات: " بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى بكزبرة ناشفة، ونحن نقرأ سورة الإخلاص حتى تق**ف** البيضة في يدنا، وعند ذلك نكسرها، فإذا وجدنا فيها نقطة دم حمراء، فهذا يعني أن الشفاء من العين قد تم، وعند ذلك ندهن جبهة المصاب بقليل منها ".

- **الرُّقوة الثانية:**

يشعل الراقي نارا، ثم يلقي فيه قطعة من الشبة الزرقاء، وعندما تذوب الشبة في النار تأخذ أشكالا متصاعدة، فيدعي الراقي أنها صورة امرأة أو رجل ثم يذكر اسمها واسمه من بين الأسماء التي تتردد على ألسنة أهل المصاب بالعين ثم يتناول دبوسا أو إبرة ثم يغرزها في هذه الصورة قائلا: إنه فقأ عين الحسود، ويكرر هذه العملية سبع مرات، ثم يحضر الراقي قطعة قماش من ملابس الحاسد الذي يحدده الراقي نفسه، ثم يضعها على النار، ويبخر المصاب بالعين عن طريق عبوره فوق وعاء الرقية سبع مرات، ثم يحرك الراقي المبخرة فوق رأس المحسود سبع مرات، ويده أمام عيني المصاب، مرددا هذه الكلمات: الأولى بسم الله، والثانية، والثالثة بسم الله، والرابعة بسم الله، والخامسة بسم الله، والسادسة بسم الله، والسابعة لا حول ولا قوة إلا بالله، رقيتك واسترقيتك من عيني وعين أمك وأبوك وعين الناس الذين حسدوك، رقيتك واسترقيتك مثلما ما رقى محمد ناقته، حط لها العليق ماداقته، كانت عسير، المصاب بالعين قد تخذر جسده تماما، فيستسلم للنوم وإلا يعود الراقي للتبخير حتى ينام، فتكون العين الشريرة قد خرجت منه.

- **الرُّقوة الثالثة:**

أولا بسم الله، ثانيا بسم الله، ثالثا لا حول ولا قوة إلا بالله، حَوَّطْتِكْ بِالله مِنْ عُيُونْ خَلْقْ الله، مِنْ عِينْ أُمَّكْ، مِنْ عِينْ أَبُوكْ، مِنْ عِينْ إِللِّي بِيْحِبُّوكْ، مِنْ عِينْ الْجَارْ، أَحَدْ مِنَ النَّارْ، مِنْ عِينْ الضِّيفْ، أَحَدْ مِنَ السِّيفْ، مِنْ الْعُيُونْ الزُّرْقْ، مِنْ السِّنَانْ الْفُرْقْ، مِنْ الزَّلَمَة الْكُوسَا (الأَجْرُودِي)، مِنْ الْمَرَا الْمَشْعَرَانِيَّة. طَلْعِتْ الشِقَّة مِنْ الْحَجَرْ إِلْتَقَتْ بِسُلَيْمَانْ اِبْنْ دَاوُدْ قَالْ لَهَا إِلَى أَيْنْ رَايْحَة يَا لَعِينَة يَا مَلْعُونَة؟ قَالَتْ لَهْ: رَايْحَة أَهْدَمْ التِّنُّورْ، وَلِأَهْدُمْ الدُّورْ، وَكَثِّرْ الْقُبُورْ، وْآخَذْ الطِّفِلْ مِنْ سَرِيرُه، وِالْعَرِيسْ مِنْ إِكْلِيلُه، وِالْعَرُوسْ مِنْ جَلْوِتْهَا، وِالْعَنْزَة مِنْ جَدْيِتْهَا، وِالدَّجَاجَة مِنْ بَيْضِتْهَا، وِالْفَدَّانْ مِنْ نِيرُه، وِالْجَمَلْ مِنْ حَدَاجْتُه، وِالْحِمَارْ مِنْ جَلَالُه. يَا حِيصْ يَا بِيصْ يَا حَلْمَاسْ يَا مَلْيَانَة أَنْجَاصْ، وْمَا بْتَعْمْلِي شِيءْ بِرْضِي النَّاسْ، لَحُطَّكْ فِي بَحْرِ مِنْ الْقِرْطَاسْ، وَصُبْ عَلِيكْ أَلْفْ حِمْلْ رَصَاصْ، حَتَّى لَا يْعُودْ إِلَكْ لَا مَلْجَأْ وِلَا مَنَاصْ، رَاحْ الشَّرْ وِانْتَشَرْ عَلَى الْبَرَارِي وِالشَّجَرْ، الْقَضَاءْ وِالقَدَرْ يَصَيِّرَكْ لَعِينَة مَلْعُونَة وْيِنْزْلَكْ مَعَ الْفَنْفُونَة، تتلى ثلاثة مرات، أو خمسة مرات، أو سبعة مرات (الأسمر، س. ن. غ. م، ص 95 – 96 – 97).

وفي المجتمع التّبسي وجدنا رقوة شعبية روحانية؛ وهي رقوة (حبَّة البيض) كما ذكرنا سابقا ولكن بطريقة أخرى، حيث ذكر لنا أحد المشايخ من الذين يقومون بعملية الرقية بحبة البيض، يؤكد هذا المعالج الرَّباني؛ أنه يستخدم هذا الطقس الرُّقوي، على أربعة أنواع من ضربة العين الحاسدة: (عين كحلة رامقة، عين رامقين، عين تموج، عين بارق)، فالأولى العين سوداء اللون التي نجدها ترمش كثيرًا، والثانية عين تتحرك هنا وهناك، أما الثالثة فهي عين ترقص، والرابعة منها تبرق وتحدق إلى درجة الخوف، فهذه الأعين عنده توقد النار في الأشياء، وفي حالة الشك بأن الشخص أصابته النَّظرة حينها يأتي ذلك المعين ومعه حبَّة بيض ليس شرط أن تكون قد باضتها دجاجة عربية، تغسل بالماء ثمَّ يقول " – بسم الله الرحمان الرحيم – ويضعها على رأس المريض، ويستمر في تمريرها على كتفيه، ورجلية، وصدره، وبطنه وهو يردد: " قل هو الله أحد... إلخ، ثمَّ بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع

العليم – سبع مرات – ثمَّ يثقب البيضة من الفوق، ويأمر المعين أن ينفخ فيها من نفسه ويقول بلسانه " يالله، يارب، يا حفيظ، يا مانع " عدد (سبع مرات)، ثمَّ يأتي المطبب بعدها بصحن أفطح ويكسر تلك البيضة فيه، وينظر حتى تتبين له نقطة حمراء اللون تتواجد بالتحديد في أصفر تلك البيضة، ويقوم بعدها المعيون بوضعها فوق النار القوية حتى تتفحم، فتنطفيء العين " الشريرة حينها يحس المعيون بعد هذه الرقية وكأنه كان يكذب ولم تصبه ضربتها أبدا، فحسب قول المطبب أن يده طيبة ومباركة، وأنه زاول إمتهان هذه المهنة وهو في عمر الثلاثينات إلى غاية عمره الحالي85 سنة، حيث يرجع شرط نجاع هذا الطقس إلى توفر النّية الخالصة والصافية وذلك بهدف تحقيق الشفاء المبارك لـ سحر توكال المعيون أو سحر توكال المحسود.

الملحق رقم 19: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس تطبيبي روحاني بـ (حبَّة البيض)

صورة ملتقطة تبين؛ شيخ (مطبب روحاني) يقوم بعملية الرُّقوة على المريضة من خلال تمرير حبَّة البيض على منطقة الظهر واليدين والرجلين مع قراءة آيات قرآنية معطاة له كحكمة في المنام

صورة ملتقطة تبين؛ كسر حبَّة البيض في صحن أبيض بعد تمريرها على جسم المعيونة حيث ظهرت فيها نقطة حمراء مثلت فقأ سحر توكال العين الحاسدة

صورة ملتقطة تبين؛ الطبيب الرُّوحاني يباشر في النظر إلى حبة البيض وتأكده من خروج العين من خلال ظهور تلك النقطة الحمراء

صورة ملتقطة تبين؛ وضع حبَّة البيض في سطل (طاسة) على النار حتى تحرق وتتفحم تماما ثم بعد هذا الطقس التطبيبي يتم العلاج النهائي للشخص الموكل بالعين الشريرة

صورة ملتقطة تبين؛ (صمق روحاني) يقوم من خلاله الشيخ بكتابة الحرز الحامي من توكال العين و الحسد حيث يصنع هذا الأخير من صوف متسخة تتواجد تحت إبط الماشية

صورة ملتقطة تبين؛ الشيخ الرُّوحاني يباشر في عملية كتابة (الحجاب) للمعيونة الذي يحوي على آيات قرآنية ثم يلف بعدها في قطعة قماش خضراء أو بيضاء أو سوداء ويعلق فوق الصدر من الداخل لمدة 40 يوما

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/05. على الساعة؛ 15:10 د إلى غاية 17:02 د

أما بالنسبة للرقوة الثانية في المجتمع التبسي؛ وهي رقوة شعبية روحانية تسمى بـ (رقوة اللَّدون) أو الرَّصاص المصهور وتدعى شعبيا أيضاً بـ (الْخْفيْفْ الْبَكُوْشْ) بنزع الألف تصبح (لْخْفيْفْ لْبَكُوْشْ) وهو طقس صهر الرَّصاص وهنا المطبب والمعين يكونان في حالة صمت وسكون، حيث لا يحتاج هذا الفعل الطقوسي إلى قراءة تبصيرية وعرافة في تلك الجلسة العلاجية، وهذه الممارسة تكون كالتالي: " يؤتى بطاسة ويوضع بها اللَّدون ليحمى فوق نار قوية جدًا، ثم يوضع داخل المهراس النُّحاسي القليل من الماء والسّينوج، ويؤمر المعين بأن يكون واقفًا ويفتح قدميه الإثنتين فوق المهراس ليتم سكب الرصاص داخله، ويترك حتى يبرد قليلاً ويأخذ شكلاً معينًا، ثم تعاد العملية مرة ثانية ويسخن فوق النار القوية، ثم مرة ثالثة حتى يصبح على شكل مسامير، ثم تقوم المطببة الرُّوحانية بنزع قطع الرَّصاص المتبقية، وتنصح المعيون أن يشرب ذلك الماء الذي أُرقيَّ من طرفها لمدة ثلاثة أيام متتالية، ويرش بالمتبقي منه الفراش وقت الخلود إلى النوم ". وبعدها يشفى توكال المعيون أو توكال المحسود تماماً. في حين آخر توجد طريقة ثانية لـ (لْخْفيْفْ لْبَكُوْشْ) حسب الحكمة المعطاة للمعالج الروحاني وهي أن

يصهر بنفس تلك الطريقة السابقة لكن يضاف إليه قراءة وعرافة تبصيرية من طرف تلك المطببة الروحانية حتى تتمكن بدورها من الكشف عن هوية الشخص العائن أو الحاسد، وهذا الطقس الممارس هو في الحقيقة يجمع بين ما هو روحاني وما هو سحري، وتسمى بالرُّقوة الشعبية الروحانية ذات الطابع السحري.

الملحق رقم 20: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس (اَلْلَّدوُنْ) أو (اَلْخْفيفْ اَلْبَكُوشْ) أو (الرصاص المصهور) وخطوات علاج المصاب بـ سحر توكال العين الحاسدة مأخوذة من الطب الشعبي الرُّوحاني ذا الطابع السحري

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الأولى لضرب (اَلْخْفيفْ اَلْبَكُوشْ) حيث يفتح المعيون أو المحسود رجليه ثم يسخن (اَلْلَّدوُنْ) في طاسة من النحاس بمعنى إستعمال طقس (المهراس النحاسي) ويوضع معه القليل من الحبة السوداء والماء المرقى عليه ثم يترك حتى يبرد في صمت ودون قراءة تبصيرية من طرف تلك المطببة

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الثانية وفيها يتم إعادة تسخين (اَلْلَّدوُنْ) مرة أخرى وظهور شكل إمرأة واقفة لها جسم ورأس، وشعر يعتقد أنها عين وشكل تلك المرأة المعيانة

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الثالثة وفيها يتم ظهور (اَلْلَّدوُنْ) على شكل مسامير وشفاء البنت المعيونة بـ سحر توكال العين و الحسد

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الرابعة والأخيرة فيها يتم تصفية المطببة الرُّوحانية للماء من (اللَّدون) وإعطاءة للمريضة حتى تشرب منه وترش بالمتبقي فراشها قبل الخلود إلى النوم

المصدر: الإخباريون. في؛ 2017/11/15. على الساعة؛ 15:20 د إلى غاية 16:07 د

وفي الرقوة الثالثة هي الرُّقية الرُّوحانية الشعبية للعين الحاسدة بـ طقس (ضرب اَلْعْصَابَة) وهو طقس متوارث حكمته أبًا عن جد، شرط أن يكون المتلقي لهذه الحكمة إنسانًا صالحًا ومتدينًا، سواء كان ذلك المطبب الحكيم رجل أو إمرأة. وهي كالأتي:

تأتي العجوز المطببة بمنديل أي (مَحْرْمَة) خضراء أو حمراء اللون، ثم تقوم بلويها على مغزل الصُّوف بشكل دائري، ثم تبدأ في التَّسبيع على المعيون (سبع مرات) وهي تردد كلام غير مفهوم، حيث يكون ذلك المعيون مستلقي على ظهره، وبعد ذلك تحمل المغزل بين يديها حتى تسقط المحرمة على شكل عمودي، فإن سقطت بسرعة فالمعين هنا يشفى في وقت قصير، وأما إن كان سقوطها فيه صعوبة فإن المريض حالته تكون مستعصية، فتباشر المطببة الرَّوحانية بإعادة الكرة مرة ثانية، ثم مرة ثالثة، وإن ثبت أن تلك المحرمة لا تسقط على الأرض، يثبت هنا أن حالة " المعيون " أو "المحسود" بقيت في إستعصائها الأول، وفي هذه الحالة تعمل المعالجة على غسل المعيون في أطرافه وبالتحديد ما يسمى لديهم بـ (الْوْضُوْء الأَصْغرْ) الذي يمارس قبل كل صلاة، ويكون ذلك بداية بالوجه والكفين والرجلين، لتأتي بعدها المعالجة بحفنة من

الدقيق وتضعها في ملعقة كبيرة الحجم، وتقسمها إلى ثلاثة أجزاء متساوية وسطها، وكل جزء من تلك الأجزاء تشكله على شكل هرم، ثم تقوم المطببة بالتَّبَصُر فيه وقراءة ذلك الدقيق، ومحاولة فهمه وتفكيك رموزه الدلالية، وذلك من خلال ما أعطي لها من حكمة في منامها، حيث تفسر بعدها للمصاب وبالدليل القاطع نوعية الأذى الذي تعرض له، وتعرفه كذلك بصفات الشخص الذي قام بضربه بتلك النَّظرة الحاسدة التي أهلكت صحته، حيث تقرب له شكل العائن ومواصفاته الفعلية، وفي المرحلة الأخيرة تقوم بأخذ (كَمْشَة) بمعنى حَفْنَة من الملح وتسبعها على جسم ذلك المعيان بالكامل، ثم تضع الملح مع الماء الذي توضَّأ فيه من قبل وتضيفه إلى الدقيق الذي تمَّ قراءته ، وتعمل بعد ذلك على رمي جميع تلك الوصفات التَّطبي – روحانية بعد جذبها للعين الشريرة في الشارع، حيث وجدنا الصورة واضحة بشفاء المعيون تمامًا من تلك الأمراض وهذا كان بصفة سريعة بعد إتمام طقس العصابة مباشرةً، فلا يسعنا كباحثين أنثروبولوجيين في الميدان التّبسي إلاَّ قول سبحان الله من هذه الرُّقوة الإستشفائية التي هي في الحقيقة تحتوي على أدوات بسيطة وجيدة.

الملحق رقم 21: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس (اَلْعْصَابَة) وخطوات علاج المصاب بـ سحر توكال العين الحاسدة مأخوذة من الطب الشعبي الرُّوحاني ذا الطابع السحري

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الأولى لـ ضرب (اَلْعْصَابَة) حيث تكون بالتسبيع عدد (7 مرات) على المعيون بمنديل روحاني يسمى بـ (المحرمة الرُّوحانية) التي تحمل اللون الأحمر ثم توضع بعدها في مغزل بشكل دائري وبالتالي تكمل بعدها تلك المطببة العملية عن طريق تدويرها ببطىء وتلاوة بعض الرُّقى بصوت خافت وضعيف

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الثانية لـ ضرب (اَلْعْصَابَة) بعد تسبيعها عدد (7 مرات) على المعيون للمرة الثانية أين تباشر تلك المحرمة في سقوطها على الأرض

صورة ملتقطة تبين؛ الخطوة الأخيرة لـ ضرب (اَلْعْصَابَة) تمزج فيها المطببة الرُّوحانية الملح مع الدقيق وتشكله على شكل هرم داخل تلك الملعقة ثم يرمى بعدها خارج منزل المعيون فيتشافى بسرعة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. في؛ 2019/05/13. على الساعة؛ 13:02 د إلى 14:18 د

وبالإضافة إلى الرُّقوة الرُّوحانية الرابعة وهي طقس آخر يسمى بـ (خيْطْ النّيْرَة) ويسمى تبسياً أيضاً بـ (صُوف السَّداية) بمعنى صوف الآلة التقليدية التي تستخدم في نسيج البرانيس والزرابي، ويعمل على هذا الطقس التطبيبي أشخاص متخصصين في مجال الرُّقية الشعبية الرَّوحانية ذات الطابع السحري، هؤلاء هم أصحاب (الحكمة) التي أعطيت لهم في المنام، وحسب رواية أحد المطببين؛ أن مثل هذه الممارسة الطقوسيه أعطيت له من طرف شيخ كبير في السن يلبس البياض وهو مستلقي في النهار مستلقي، حين زاره ذلك الرجل الصالح وأعطاه (حكمة خيط النّيرة) وعمل على وضعها في كفوف يديه، وأمره في أن يباشر في إسترقاء الناس المرضى روحيًا بالعين أو بالحسد، حيث أخبره ذلك الشيخ على أنه يستطيع أن ينمي قدراته الذاتية باللجوء إلى الله وطلب الرحمة منه و طلب شفاء الناس على يديه المباركتين، حيث؛ " يقاس خيط النّيرة على طول ذراع اليد، حوالي نصف متر، ثم يسبع على المعين (سبع مرات) ويوضع فوق رأسه، ويقرأ عليه فاتحة الكتاب مرة واحدة، وسورة الهمزة (سبع مرات) ثم يتلوا " الطَّالبْ " أو الفقيه التوكيل: (توكلوا ياخدام هذه الآية الشريفة وبينوا لي فلانة بنت فلانة، إذا كانت بها عين مدد في هذا الخيط، وإذا كانت بها عارض أرضي قم بتقصيره، وإذا لم يكن بها لا عارض ولا عين أترك الخيط في طوله الأول)، فإذا ثبت أن هناك طول في الخيط فإن المصاب به عين، ثم تكرر العملية (ثلاث مرات) على التوالي حتى يرجع خيط السَّداية إلى طوله الطبيعي وهو طول (نصف متر) هنا يتأكد المعالج المطبب من تمام عملية الشفاء بإذن الله تعالى.

الملحق رقم 22: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ كُبَّة (خيْطْ النّيْرَة) بمعنى ذلك الخيط الذي يستعمل في نسيج الزرابي والبرانيس والذي عن طريقه يعالج سحر توكال المعيون أو المحسود بإعتباره طقس مأخوذ من الطب الشعبي الرُّوحاني الذي يحمل الطابع السحري

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/11/01. على الساعة؛ 22:03 د

- الرُّقوة الشعبية الشرعية:

ونصل في نهاية الفصل إلى الرُّقوة الرُّوحانية الأخيرة وهي رُقوة شعبية شرعية؛ والتي تصحبها عادةً تلك الروحانيات المباركة التي يعمل عليها من طرف هؤلاء المتخصصون في الفقه والدين، والتي تشتمل على رُقى من كتاب الله وسنة رسوله، وتحتوي كذلك على وصفات لعلاج السحر الباطني من الطب النبوي الشريف المتواجدة في باب علاج تسميم العين و الحسد، ومن تلك الرُّقى أحاديث نبوية خاصة قد ذكرت فيها لفظة العين وفي القرآن الكريم نجد ذكر لفظة الحسد، ويصحب ذلك الطقس قراءة أدعية روحانية فيها مناجات لله عز وجل. وبمتابعةً شخصية منا لكثير من الحلات المعيونة تأكدنا من أن " سحر توكال العين " أو " سحر توكال الحسد " يظهر على المصاب أثناء الرُّقية الشرعية ويتم ذلك عن طريق خروج تلك العين الحارة أو تلك العين الباردة مباشرة من فم ذلك المعيون أو من فم ذلك المحسود، حيث تخرج كالوحش

المفترس في عملية التثاؤب الكثير ويرافقها سيلان في الدموع يشبه في درجة كبيرة البكاء دون سبب.

الملحق رقم 23: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقوس مرافقة لـ (الرُّقوة الشعبية الشرعية) حيث تتمثل تلك الطقوس في مقتنيات مختلفة؛ وصفة من الأعشاب توضع على الجسم، ووصفة مشكلة من الماء وزيت الزيتون مرقى عليهما آيات من القرآن الكريم يستعملان للشرب وللدهن، وكذلك وصفة ماء الورد للدهن على الوجه ،ووصفة عسل النحل للأكل وتكون جميعها بهدف حرق (شيطان العين) أو (شيطان الحسد) المتسبب في المرض و التسميم

صورة ملتقطة تبين؛ رقوة (ماء الورد) تتم بعد قراءة سورة يوسف عليه قصد إبعاد شيطان العين الحاسدة الذي يتسبب في تشويه جمال الوجه والمنظر

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/12/10. على الساعة؛ 12:09 د

صورة ملتقطة تبين؛ رقوة الملح الخشن، الزعتر، الحرمل، المرة، خل التفاح، المسك الأسود وهي وصفة توضع على الجسم قبل الخلود إلى النوم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/12/11. على الساعة؛ 14:07 د

صورة ملتقطة تبين؛ رقوة عسل نحل، سدر، قسط هندي، سينوج، (وصفة تؤكل على الرّيق) بهدف حرق خادم العين الموكل الذي ينشر رغوة سمومها النَّجسة داخل بدن المعيون

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/12/11. على الساعة؛ 15:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ رقوة زيت الزيتون تستخدم للدهن على الجسم قبل النوم حيث تستعمل مع ماء للشرب ويكون مرقى عليهما آيات إبطال الحسد

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. في؛ 2020/12/12. على الساعة؛ 14:15 د

وعندما نريد أن نناقش جميع هذه المقتنيات الوقائية والرُّقى الروحانية، نرى أن الأولى تأخذ طابع خرافي شعبوي تراكمي، توارثه الأفراد التْبَاسَّة منذ الإنسان التّبسي القديم، حيث يعتقد أغلبية أفراده في قوة تصديها لتوكال ضربة العين الحاسدة، وبالتالي هي ممارسات لا زالت قائمة إلى يومنا هذا في نفوس من يؤمنون بها حيث يمارسون طقوسها بكل ترحيب ويقين منهم، أما الطقوس " الرُّقَوية الشعبوية " من خلالها نرى أدوات ووصفات بسيطة، لكن تستوجب هذه الرُّقى وجوب توفر النّية من المطبب والمريض في نفس الوقت حتى تتم عملية الإستشفاء، فهذه الطقوس لها مفعولها القوي والفعال عندما تكون ضربة العين في بدايتها، لكن إن تأكد أنها قديمة، هنا يعرف المطبب أو المطببة أن المعين متوكل عنه خادم سحر من شياطين العين متواجد داخل جسده، فلا يستطيع الرَّوحاني إخراجه بهذه الأدوات البسيطة، لذا يضطر أن ينصح المريض على أن يتجه تلقائيًا إلى الرُّقية الشرعية، وبإعتبارها الوسيلة الوحيدة التي تطرد

المس الحاسد، فهذا الأخير إن أطال جلوسه في البدن يعمل على نشر سُمّه ورغوة توكاله السحرية التي توصل إلى القتل التدريجي مع مرور الزمن.

الملحق رقم 24: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ علامات خروج العين و الحسد من بدن الشخص (المعيون) أو (المحسود) بعد قراءة الرقيَّة الشرعية عليه حيث تتصور تلك العين الحاسدة في شكل (عين بشرية) ذات مومو وحواجب

صورة ملتقطة تبين؛ خروج سحر توكال (العين الحاسدة) عن طريق الركبة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/12/17. على الساعة؛ 14:00 د

صورة ملتقطة تبين؛ خروج سحر توكال (العين الحاسدة) عن طريق المرفق

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/07/13. على الساعة؛ 15:20 د

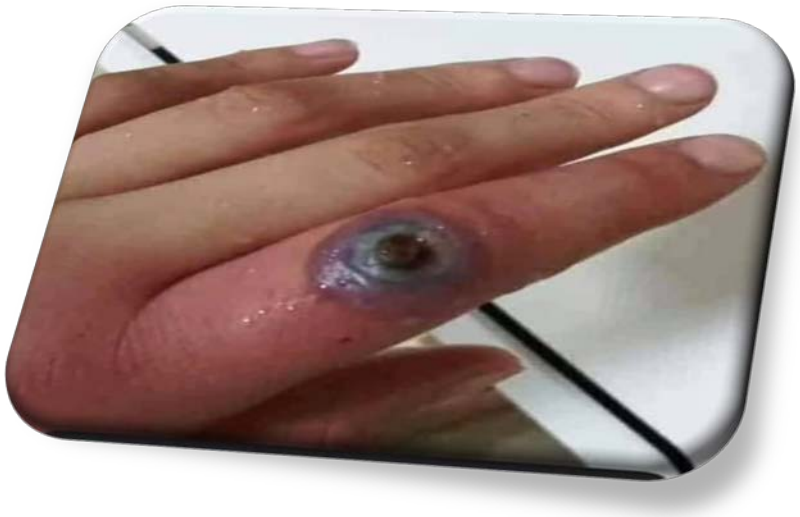

صورة ملتقطة تبين؛ صورة ملتقطة تبين؛ خروج سحر توكال (العين الحاسدة) عن طريق أصبع من أصابع اليد اليسرى

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2021/12/18. على الساعة؛ 16:18 د

صورة ملتقطة تبين؛ خروج سحر توكال (العين الحاسدة) عن طريق الأصبع الأكبر في اليد اليمنى

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/04/16. على الساعة؛ 09:07 د

ومن هنا نتوصل إلى حقيقة واضحة ولا تحتاج إلى إطالة في الحديث، أن سحر توكال ضربة العين وسحر توكال ضربة الحسد مرتبط كليهما إرتباطًا وثيقًا بالنسق الديني الذي يضمر فيه المعتقد بتلاشي الأسطورة ليستقر محل هذه الأخيرة تلك الرُّقى والتعاويذ والتمائم الطقوسية الممارسة من طرف هؤلاء الأفراد بهدف الإتقاء والتطبيب، كآيات الحفظ المذكور فيها لفظ الجلالة: (مشاء الله، بسم الله الرحمان الرحيم، الله أكبر، صلي على النبي) بمعنى أنه إعتقادًا متوارثًا جيلاً بعد جيل عن طريق الإتصال الثقافي عبر الثقافات، حيث ترتب عنه أساليب حماية وذلك بإعتبار العين والحسد في ظاهرهما أنهما سحريتين في طبيعتهما الأصلية. بإعتبارأن الغيبيات تلعب معهما دور المرافق الطبيعي أثناء عملية الإبصار وفي عملية الإنتقال لتحدثا بدورهما الضرر سواء عن قصد أو عن غير قصد.

وأخيرًا؛ إن التَّحصين من سحرهما هو حقيقة واجبة ولا بد منها في كل ما يمتلك الإنسان وحتى في حياتة اليومية، كالمداومة على أذكار الصباح والمساء، وقراءة القرآن الكريم بصفة مستمرة لعدم ترك منفذ لشيطان العين الحاسدة في أن يستمر في الدخول وإنتهاك حرمة البدن، وكذلك يجب المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها وأن يتعلم

الناس جميعهم التَّبريك عند الإعجاب بالشيء، لأن العين حق، حيث يعمل على قضاء الحوائج في السّر والكتمان. بإعتبار " شياطين الإنس " و " شياطين الجن " يعيشون معنا، فيجب الحيطة والحذر من نظراتهم، حتى في حين وجهت تلك النّفس الخبيثة إلى أبسط الأشياء التي هي في العادة لا نعيرها أي إهتمام، كالنَّظر مثلاً إلى طعام الإنسان بنظرة غريبة تصحبها غبطة وحسد من نفس ذلك العائن، فيترتب عنها " سحر عين " أو " سحر حسد " يشبه في مخاطره مرض " السحر المأكول " الذي يدخل إلى جسم المصاب مع أكله بطريقة غير مباشرة حيث تتراكم تلك السموم داخل المعدة والأمعاء، وهذا ما يطلق عليه أصحاب الخبرة من أصحاب الرُّقية الشرعية على أنه: " توكال عن طريق الإنس " أو " توكال عن طريق الجن " فكليهما يمرض الإنسان أمراضًا عضوية خطيرة عجز الطب الحديث عن تشخيصها وعلاجها.

خلاصة الفصل:

وفي ختام هذه المقاربة التي حاولت الكشف عن الذهنية الشعبية التُبسْيَّة، التي تحمل في طياتها مجموعة من المعتقدات، والأفكار، والممارسات، والتصورات التي تعكس ثقافته المحلية، وقد سعى هذا البحث الميداني إلى تناول موضوع تسميم سحر توكال " العين " وسحر توكال " الحسد " وأهم الممارسات المرتبطة بهما، وكذلك لدفع أذاهما المحدق والمخيف بإعتبارهما نسق ثقافي ديني من خلال الهيكل الإجتماعي. ومحاولة منا للكشف عن القيم والأبعاد الأنثروبولوجية من خلال إستيعاب الصور الذهنية للعناصر الطقوسية من الممارسات المتنوعة لصد أذيتهما، والتي تفرز بناءات وعلاقات إجتماعية وروحية، ورموز ثقافية يختزلها المخيال الإجتماعي التبسي ويترجمها آليًا في مجموعة من المراحل، التي تصور في أساليب الوقاية والعلاج من هذه الظاهرة. وقد تبينت صورة الإصابة بالعين الحاسدة في الإعتقاد والمخيال الشعبي بداية من التنشئة الإجتماعية، وتظهر بارزةً في كيفية ممارسة تلك الطقوس المعتقدية التي تؤمن رمزية متشابكة بين أفراده والعالم الميتافيزيقي.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المقاربة الأنثروبولوجية

تمهيد الفصل:

- **أولاً: المقاربات النظرية في البحث.**
- **ثانياً: أنثروبولوجيا السحر المأكول (سحر التوكال) في وجهات النظر التاريخية.**
- **ثالثاً: وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المعتقد السحري التّبسي.**
- **رابعاً: كتابة وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) لدى أفراد المجتمع التبسي.**
- **خامساً: ممارسة وصفات معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة**

خلاصة الفصل:

تمهيد الفصل:

يعتبر " التغير الإجتماعي " و " التغير الثقافي " صفة ملازمة لكل المجتمعات البشرية، ومع هذا التغير الذي حدث في المجتمعات الإنسانية بقيت بعض العناصر الثقافية المواكبة لهذا التغير، وظاهرة السحر المأكول (سحر التوكال) من بين هذه العناصر، فهي ظاهرة عالمية وشكل من أشكال الفكر الإنساني، ولما كان هذا النوع من الأسحار هو من أهم الأمور التي إعتقد في وجودها الإنسان التّبسي وتوارث معتقدها وطقوسها وتعاليمها منذ أول وسيلة إتصالية وهي النَّقش على الصخور ثم الكتابة، حيث أعتبر هذا الفعل التسميمي على أنه يأخذ المنحى الحواسي أثناء عملية الإنتقال إلى بدن المتسمم بمعنى مروراً بـ الحواس الخمسة، فهذه الواقعة الإجتماعية تلقى إيماناً شديداً في أنفس الأفراد التباسَّة، ولعلى إنتشارها وإستمرارها على نطاق واسع يعود إلى درجة الإعتقاد فيها حتى إتخذت قاموسًا يرجع إليه في تفسير السلوكات والأدوار الإجتماعية، فشيوعه في مدينة تبسة؛ لم يعد يقتصر على المناطق الريفية والنائية ذات المستوى الثقافي والعلمي المتدني، بل تغلغلت حتى داخل المدينة وبين تلك الفئات التي هي تشكل المجتمع الحضري الذي يحمل المستوى التعليمي العالي أين توجد أفكار وإتجاهات حديثة، وبالإضافة إلى ذلك إعتبار مجتمع البحث على أنه مجتمع تسوده الثقافة الإسلامية كقوة دينية متأصلة في نفوس مجمل أفراده، لذا لجأ أغلبيتهم إلى الصلوات والنوافل والعبادات لإرضاء الله عزَّ وجل، ويكمن ذلك في تحقيق ما يتطلعون إليه من حلول، ومن خلال هذا الطرح لا حظنا أثناء تقصينا الحقلي أن أغلبية أفراده على الرغم من إعتقادهم في القوة الإلهية، إلاَّ أنهم يلجؤون إلى مختلف الأعمال السحرية والممارسات الطقوسية لتحقيق حاجاتهم وحل مشكلاتهم، فيقبلون على هؤلاء المستهدفون في محاولة تسميمهم بالسحر المأكول وهذا لإدعائهم قدرته على الإتصال بعالم الغيبيات وإدراك خفاياه والمقدرة على إستعجال المؤجل وإعطاء الحلول المناسبة والتفسيرات المقنعة. ويظهر ذلك جلياً من خلال مؤسسة التنشئة الإجتماعية والتي تعتبر عاملاً مهماً في الحفاظ على إستمرار وجود الإعتقاد و الممارسة السحر – تسميمية.

أولاً: المقاربات النظرية في البحث

1- النظرية الأنثروبولوجية:

كانت الأنثروبولوجيا أكثر فروع المعرفة تناولاً للسحر، في الواقع كان السحر هو جوهر هذا الفرع الجديد من فروع المعرفة وهو الذي شكل تطوره في باديء الأمر، كان علم الأنثروبولوجيا مهتماً بإكتشاف جذور البشر، لكنه خلال القرن العشرين بدأ يركز أكثر فأكثر على الحاضر. وتفرغ إلى عده مسارات، ترسم بالتفصيل خريطة السلوك الإجتماعي والثقافي والطبي والبيولوجي، وصارت النظريات الكبرى الخاصة بالسحر والدين محل هجوم، أو على الأقل تعديل جذري بمجرد أن راح علماء الأنثروبولوجيا يخضعونها للفحص والتدقيق من خلال دراسة " الحضارات البدائية " التي أشار كل من تايلور وفريزر إلى عاداتها كما وصلتهما من المؤرخين الأوائل. في هذه العمليه، طرح الباحثون الجوانب العنصرية والإزدرائية التي ميَّزت النظريات التطورية الثقافية. وما عادوا يسلمون دون جدال بحقيقة أن السحر شكل (بدائي)، وأثر باق مناقض للدين والعلم (الحقيقين)، كما قدم علم الأنثروبولوجيا أيضاً مفردات ومصطلحات جديدة مثل: (الخير المحدود) و (الرؤية الكونية السحرية) في محاولة لتفسير السبب في (نجاح) السحر مع الناس (ديفيز، 2014، ص ص 28 – 29).

يؤكد الأنثروبولوجيون مسألة خصوصية السحر وسريته، فيقول في ذلك " موس هوبرت Mauss Hubert ": " أن السحر كي يكون مؤثراً يجب أن يمارس بطريقة سرية خاصة وبفاعل يكون في حالة طقوسية خاصة "، ولقد قيل أنه سمي سحراً لأنه يمارس بعد السحور. كما ذهب " فريزر Freizer " إلى ذلك، بل يعد على العكس من ذلك لأن الفن والمعرفة الإنسانيين لهما حدود معينة، وهكذا فإن السحر والفن العلمي واقعان في إستقلال تام بعضهما عن بعض، ولا يمكن أن يلتقيا أو أن يتدمجا، فعندما يظهر للإنسان عجزه عن التحكم في الواقع الموضوعي المطروح، فإنه يبدأ في اللجوء إلى السحر كبديل للفن العلمي. كما أن " تايلور " ميز السحر عن الدين لغرض كل منهما لا لأسباب منطقية حيث كان يشهد على العنصر العقلاني في ما كان يسميه الركام من المخلفات،

فالساحر يخطيء لأنه يستخلص أحكامه للتشابه بين الأشياء لوجود صلة غيبية بينهما، بينما يعتبر الأحكام المتصلة بالنجاح والإخفاق قي أمور السحر أحكاماً مطاطة (الساعاتي، 1998، ص ص 56 – 57 – 58).

ويظهر " إدوارد بيرنت تايلور " (1832 – 1917) أنه هو الذي أثار مخيلة الدارسين، بصفته أول أستاذ في علم الأنثروبولوجيا في جامعة (أكسفورد)، وأكد أن السحر موضوعاً رئيسياً في بحوث الأنثروبولوجيا؛ فقد وضع في كتابه المنشور في مجلدين " الثقافة البدائية " (1871)، نموذجاً يذهب إلى أن الحالة الإنسانية كانت عالمية، لكنها تطورت بمعدلات مختلفة، وعلى حد قوله: فإن " الفكر الهمجي " يمكنه أن يتواجد في المجتمع المتحضر الحديث، بل وتواجد بالفعل. ويرى تايلور أن السحر كان موجوداً في باديء الأمر بإعتباره تعبيراً عن فكرة (الإحيائية)، التي ترى أن الأشياء وكذلك البشر لها أرواح أو جوهر روحاني، وكان الفكر الإحيائي والسحر سمة للشعوب " التي تحتل مراتب دنيا على مقياس الإنسانية "، ثم تطور الدين كفئة مستقلة من مفهوم الروح البشرية. صك تايلور أيضاً إلى مصطلح " العلم الزائف " لوصف السحر، وكان يعني بهذا أن السحر على غرار العلم يفسر العلاقة السببية بين الأشياء ويستغلها، لكنه علم فاسد؛ لأن إفتراضاته البدائية حول السبب والنتيجة كانت دائماً خاطئة.

أحدت وجهات نظر تايلور تأثيراً هائلاً، لكن أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة (كامبريدج) " جيمس فريزر " (1854 – 1941) هو الذي قدم النموذج التطوري لنطاق أوسع من الجمهور؛ فقد ترك فريزر الذي طرح بأنه إستلهم عمله من أعمال تايلور بصمته الخاصة على النظرية؛ فقد وضع في مرجعه الكلاسيكي المؤلف من ثلاثة عشر مجلداً " الغصن الذهبي " (1890 – 1915) نموذجاً واضحاً من ثلاث مراحل لتطور الفكر الإنساني: من السحر إلى الدين إلى العلم، وجميع المجتمعات تحقق التقدم في نهاية المطاف عبر هذه المراحل الثلاث. وكان فريزر أيضاً أكثر وضوحاً من تايلور في التمييز بين السحر والدين، وقال بأن السحر جاء قبل الدين، وأن الدين الذي عرفه بأنه: " إيمان بقوى أعلى من قدرة البشر، ومحاولة لإسترضائها أو إستعطافها "، يتعارض عموماً مع السحر الذي يفترض أن السيطرة للبشر، لكن الدين نشأ عن إدراك أن السحر قد

فشل، وبقوله هذا نفهم أنه تقبل أن " ممارسات " السحر لا تتعارض مع " الأفكار " الدينية. وقد وسع فريزر بين السحر والعلم؛ فالسر بمنزلة " أخت غير شرعية للعلم "، قائم على قانونين مغلوطين: أولهما قانون العدوى؛ أي أن الأشياء التي كانت في وقت ما على أتصال مع بعضها تظل تربطها علاقة حتى ولو فصلت بينها المسافات، أما الثاني فهو قانون التشابه: الذي يذهب إلى أن النتائج تشبه مسبباتها، لكن إذا ما ثبت يوماً أن السحر صحيح وفعال، " فهو ليس سحراً إذن، وإنما علم ".

كان عالم الأنثروبولوجيا البريطاني الجنسية البولندي المولد " برونسلاف مالينوفسكي " (1884 – 1942) رائداً في هذا النوع من الأنثروبولوجيا الميدانية، وكان عمله الميداني في منطقتي المحيط الهادي وإفريقيا، وحين شق طريقه إل "جزر تروبرياند" (جزر كيريوينا) اليوم قبالة الساحل الشرقي لبابوا غينيا الجديدة، وعلى مدار السنوات القليلة التالية، إنغمس مالينوفسكي في عالم صيادي ومزارعي تلك الحضارة (البدائية)، وبات يعتقد أن الطقوس السحرية التي يمارسها سكان الجزر معقولة وقابلة للفهم إذا ما شوهدت في سياقها البيئي والإجتماعي؛ فقد كانت طقوس السحر تمنح المرء التمكين النفسي في مواجهة الخطر، وتوحي بالحلول حينها لا تكون مصادر المعرفة الأخرى (بما فيها العلم) قادرة على ذلك، بإختصار؛ كان السحر يؤدي وظيفة نافعة، وقد إكتشف مالينوفسكي غير متأثر " بفيتجنشتاين " أيضاً دور اللغة في السحر، والمعنى الكامن في "إستخدام الكلمات"، وقد تحول إنتباهه إلى هذا الأمر بينما كان يحاول ترجمة الصيغ السحرية التي يستخدمها سكان جزر تروبرياند، فقد كان سكان الجزيرة يؤمنون بقوة الكلمات (ديفيز، 2014، ص ص 23 – 24 – 29 – 30).

وتكمن الرؤى العالمية السحرية في مطلع ستينيات القرن العشرين، كان الشعور بعدم الرضا تجاه (المدرسة القديمة) التي كانت لا تزال سائدة في التنظير عن السحر والدين والعلم؛ سببا دفع " موراي" و " روزالي " واكس لأن يقترحا ما يبدو تحولا جوهريا في دراسة السحر، كان الزوجان واكس اللذان أجريا دراسة ميدانية وسط شعب (أوجلالا سو) في محمية (باين ريدج) الهندية بولاية " ساوث داكوتا " قد إنتقد ما ذهب إليه

فريزر و دوركايم من التفريق بين السحر والدين إستنادا إلى مفاهيم مسيحية يهودية غربية لا تصلح لفهم مجتمعات أخرى؛ إذ يقولان:

- لقد أخفقت المحاولات الأكاديمية السابقة لتفسير السحر لأنها قي خضم تركيزها على الطقوس أو التعاويذ أو تحقق الأمنيات، لم تتمكن من أن تدرك حقا كيف كان الأشخاص قيد الدراسة يتصورون العالم، والمكانة التي تحتلها الرغبة أو الرقية أو العاطفة أو الطقوس في ذلك العالم.

ومن ثمَّ، فإن دراسة أفعال السحر أو رموزه ليست كافية، بل يجب تفسيرها داخل إطار رؤية للعالم تختلف إختلافا جوهريا عن الرؤية الغربية العقلانية. أقتبس مصطلح " الرؤية العالمية السحرية " من عمل أدبي للمؤرخ اللاهوتي النرويجي " سيجموند موفينكل " (1884 – 1965)؛ فقد قال في كتابه (الدين و الثقافة)، 1953، منطلقا من قراءته العهد القديم " بأن السحر ليس شكلا من أشكال الدين وإنما هو " رؤية للعالم "، و "طريقة معينة للفهم الأشياء وترابطها المتبادل " لكن تلك " الطريقة المعينة " قائمة على المفاهيم التي وضعها الغرب الحديث.

تضمنت نظرية " الخير المحدود " التي وضعها عالم الأنثروبولوجيا "جورج فوستر" (1913 – 2006) في ستينيات القرن العشرين نوعا آخر من أنواع الرؤية العالمية، كان فوستر قد إستلهم هذه النظرية من دراسته لمجتمعات الفلاحين المكسيكيين، كان فوستر يدرك دور السحر والعرافة والتشخيص الطبي الشعبي في تفسير المحن في مجتمع الخير المحدود، وضرب غيره من علما الأنثروبولوجيا والفلكلور والمؤرخين أمثلة في الماضي والحاضر من جميع أنحاء العالم، كانت أساطير الكنوز من ربيرو إلى السويد تبدو مناسبة لهذا النموذج، لا سيما مع إحتوائها على عنصر إمتلاك المعرفة السحرية بوصفه إحدى وسائل العثور على الكنوز وتأمينها، وقد شرحت تفسيرات الخير المحدود أساس الكثير من الإتهامات بممارسة السحر... ففي بعض مجتمعات الخير المحدود، يظهر الحسد في صورة (العين الحاسدة)، وبحسب هذا المفهوم، يستطيع أشخاص بعينهم بث النَّحس أو الأذى بمجرد النظر إلى أشخاص آخرين أو إلى أملاكهم.

ففي أوائل خمسينيات القرن العشرين، وبعد إجراء دراسات ميدانية في شرق إفريقيا، أجرى عالم الأنثروبولوجيا الإجتماعية " جوليان بيت ريفرز " (1919 – 2001)، الذي كان تلميذا لإيفانز برتشارد، وضع دراسة مفصلة عن الحياة في إحدى قرى منطقة أندونيسيا، تضمن الكتاب الذي تمخضت عنه هذه الدراسة فصلا عن " الأمور الخارقة للطبيعة " المتعلقة بدور ما يطلق عليه (سابياس) أو المرأة الحكيمة، وعلى المنوال نفسه لكم يكن السحر المحور الرئيسي لعمل " ريتشارد " و " إيفا بلوم " عندما أجريا دراسة ميدانية عن مفاهيم الصحة والحياة والموت في الريف اليوناني أوائل ستينيات القرن العشرين، لكن المنهج الأنثروبولوجي الذي سلكناه بين مدى ترسخ مفاهيم (السحر الطيب)، و (السحر الأسود)، و (الشعوذة) في الخبرة الدينية والطبية للفلاحين اليونانيين الذين خضعوا للدراسة؛ إذ كانت الإصابة بالأمراض تعزى إلى السحر والشياطين والجنيات وعفاريت الأموات والأشباح وأرواح الطبيعة، وكان الفلاحون يكافحون هذه البلايا بالإستعانة بطائفة متنوعة من المعالجين والنساء الحكيمات والسَّحرة. وعلى غرار ماري و دوجلاس إكتشف الزوجان محورية الدنس والطهارة للعلاج الشعائري، ولا حظنا أيضا كيف كان الكهنة جزءاً أصيلا من هذه الثقافة السحرية للوقاية والتداوي، وهو ما يشير إلى أن الدين و السحر يعملان جنبا إلى جنب.

طبَّق " إرنستو دي مارتينو " (1908 – 1965) في كتابه (الجنوب و السحر)، (1959) نُهَجاً أنثروبولوجية وسياسية وتحليلية نفسية على معنى السحر وسط الفلاحين الفقراء في منطقة الجنوب الإيطالي، التي يعتبرها مثقفو شمال إيطاليا منطقة بدائية وبعيدة عن الشمال على المستوى الثقافي، وقد حاول عمله أن ينقذ ثقافة الجنوب من هذا التعالي والإمتهان، فكان أحد المفاهيم الأساسية التي إستخدمها لفهم السحر مفهوم " أزمة الوجود "؛ أوضح أن الحياة لحظات حاسمة يواجه فيها الأشخاص المستعبدون من (الثقافة الرفيعة) العقلانية أزمة وجودية حول عدم وجود وفقدان أرواحهم، ومحو وجودهم من التاريخ، والسحر بإعتباره من الطقوس دفع هذه الحالة إلى الصدارة ومكن الفقراء من التغلب على هذه الأزمات، وكذلك مواجهة مشاعر فقدان الشخصية والإغتراب؛ وبهذا المعنى، يعمل السحر بمثابة صمام للضغط النفسي.

كانت الأكاديمية الفرنسية " جين فافري سادا " (مواليد 1934) إحدى أوائل علماء الأنثروبولوجيا الذين ركزوا على تقليد السحر الباقي في أوربا، على الأقل بمفهومه من حيث ممارسته والتحرر منه؛ ففي أواخر ستينيات القرن العشرين، ظلت قابعة لفترة في قرية في (نورماندي السفلى) في فرنسا، وإنغمست في العالم الخاص بإتهامات ممارسة السحر والتعاويذ وسط القرويين، ويستطيع المرء أن يجد بعض الموضوعات الأنثروبولوجية المألوفة في التحليل الذي قدمته سادا؛ فقد إعتبرت الإتهام بممارسة السحر وممارسة السحر المضاد سياقا رمزيا يرتبط بإمتلاك قوة فردية: " فالسحر عبارة عن كلمات منطوقة، لكن هذه الكلمات المنطوقة تشكل القوة، وليس المعرفة ولا المعلومات " وقد صنفت القوة إلى نوعين: " القوة الحيوية " التي يمتلكها أي شخص (وتشمل الممتلكات والمنزل والأرض)، و " القوة السحرية " التي تستخدمها الساحرات للإستحواذ على " القوة الحيوية ". كشفت دارسة الفلكلور " إنجا شوك " أن السحر لا يزال حيًّا ، بل ونشطا في جنوب غرب ألمانيا (ديفيز، 2014، ص ص 32 إلى غاية 39).

لقد برز السحر في العلاج من أجل مساعدة الإنسان على التخلص من الآثار السلبية لإستحواذ قوى شريرة عليه، والعمل على طردها، ويقول الأستاذ " غليو نجي ": "إن الإنسان واجه على مر التاريخ نوعين مختلفين من الظروف أحدهما: قابل للتكهن والإستقراء، كالأجواء ومراسم الزراعة، والفيضان وتأثير أنواع الطعام والشراب، وكل العوامل الخارجية: كجروح السيوف والرماح والفؤوس. وثانيها: لم ير له سبباً باديء بدء: كالرعد، والقحط، والأوبئة، والسكتة القلبية، والصرع، والزلزال فلم يسعه إخضاعها لقانون، ولم يريقه إسنادها إلى الصدف، فافترض لها أسباباً خفية. وقد واجه النوع الأول بالوسائل التي أملتها عليه خبرته، وأستنتجها عقله المنطقي. ثم أخضع تلك الوسائل إلى التصحيح بالملاحظة والتجربة، أما الثانية فقد ظلت عالماً مبنياً على الخبرة الصوفية لا على البرهان التجريبي أو المنطقي، وعالجها بما كانت توحيه إليه عقائده وأحاسيسه أولى الوسيلتين وكونت العالم، بينما تجمدت الثانية وأصبحت ما نسميه السخر " (يحيا، 2021/04/14، 18:59).

2-النظرية الإجتماعية:

ربما شكل النموذج التطوري الثقافي حجر الأساس بالنسبة لبدايات علم الأنثروبولوجيا، لكن الوزن الهائل لمواد المقارنة التي راكمها " تايلور " و " فريزر " لم يتمكن من إخفاء الطبيعة التبسيطية للنظرية الأساسية؛ فكان من السهل تقويض التعريفات التي إستندت إليها. ففي مقال عن " السحر و الدين " سفَّه " أندرو لانج " وهو ناقد حاد الملاحظة وشرس للنظريات المتعلقة بالقوى الخارقة للطبيعة رؤية فريزر بأن الدين تطور من فشل السحر، وقد فعل ذلك عن طريق هدم تفسير فريزر للتقارير الإثنوغرافية، والذي إفترض غياب الدين بين سكان أستراليا الأسليين.

تدفق نقد آخر أكثر قوة من قلم عالم الإجتماع الفرنسي " إميل دوركايم " (1858 – 1917) الذي رفض في كتابه " (أشكال أولية للحياة الدينية)، (1912) وفي غيره من أعماله فكرة تعريف الدين من منظور ينحصر في نطاق الآلهة والكيانات الروحية؛ وبهذا أطاح في وقت واحد بتعريفي تايلور وفريزر للسحر، وبدلا من ذلك، رأى دوركايم أن الدين (نظام موحد من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة) لكنه لم يتكبد عناء تقديم تعريف واضح يحدد ما يقصده بصفة (مقدسة)، عدا أنه قال إنها (عكس مدنسة)، الأمر الذي أتاح مجالا واسعا للجدل حول رأيه فيما بعد، ومن منظور دوركايم كان الذين يتسم بالإندماج الإجتماعي وتشارك القيم والخبرات، وأن الكنائس تعبير عن المجتمع. ومن ناحية أخرى، يهتم السحر بالمعاملات بين الأفراد، وبصفته نموذجا من نماذج الإعتقاد، فإن السحر لا يلعب أي وظيفة في التلاحم الإجتماعي، وبصفته ممارسة، فإنه كان يهتم بتقديم خدمة للزبائن؛ فيقول دوركايم: " السحر لا كنيسة له " صحيح أن السحر و الدين تجمعهما معتقدات وطقوس وعقائد متشابهة، لكن إختلاف وظيفة كل منها الإجتماعية هو الذي فرق بينهما.

وبينما تعامل دوركايم مع السحر على إعتبار أنه جزء ملحق برؤيته الإجتماعية للدين، تعامل إبن أخته " مارسيل موس " (1872 – 1950) مع السحر تعاملا مباشرا؛ ففي كتابه (نظرية عامة عن السحر) (1902 – 1903) إتخذ موس من

تعريف خاله للسحر بأنه نشاط خاص، وللدين بأنه نشاط جماعي نقطة إنطلاق، ثم تناول بالفحص جوانب من الطقوس المقدسة التي تمارسها مجتمعات مختلفة وخلص إلى أن "الطقس السحري هو ذلك الذي لا يلعب أي دور في طائفة منظمة، لأنه شخصي وسري وغامض" حتى هذا الحد لا فرق بين رؤيتي موس ودوركايم، لكن الأول لم ير إختلافا جوهريا بين الدين و السحر، وكان شخصيا بفضل الحقائق على النظريات، وذهب إلى أن الطقوس السحرية والدينية قد تؤدى من قبل شخصيات مختلفة في ثقافات عديدة، لكن كلاهما غالبا ما يكون قائما على المفاهيم نفسها؛ فهناك أنواع من السحر إرتبطت بالإبتهال إلى الآلهة وبالدين، وهناك طقوس مثل طقس إستنزال المطر مثلا تؤدى جماعيا وفي مساحات مفتوحة، ويمكن إستخدام النصوص الدينية والصلوات في أغراض سحرية، وكانت بعض جوانب الدين قائمة على التعاطف من منظور فريزر، وهذا على عكس السحر الذي لم يكن قائما على التعاطف (السحر الديني) في كثير من الحالات، وقد إنتشر المصطلح على نطاق واسع منذ ذلك الحين، وذلك جزئيا بغرض تجنب أي جدال، الأمر الذي كان خيارا حكيما في أغلب الأحيان (ديفيز، 2014، ص ص 24 – 25).

تعد النظرية الوظيفية واحدة من أهم النظريات التي قدمت تفسيراً لظاهرة السحر، وتعد جذورها إلى الفكر الوظيفي الذي يؤرخ له مع بدايات القرن (19) وقعت أن تعانقت المرحلة الوظيفية مع العلم، ووقفت موقفاً معارضاً من الأفكار اللاهوتية والميتافيزيقية غير أن نشأتها الأولى ترجع إلى النظرية العضوية التي من خلالها إستطاعوا أن يصلوا إلى أن المجتمع مثله مثل الكائن الحي له مجموعة من وحدات التي لكل منها وظيفة محددة، ومن روادها نجد " دوركايم "؛ " الذي يرى أن ما هو إجتماعي يستقل عن الأفراد ويحدده التصورات الجمعية التي هي بمثابة الجمعية "، تمثل لمحة الحياة الإجتماعية أو هي بالأحرى عوامل تماسك الجماعة وإستمرارها وعلى ذلك فهو يرى الطوطمية نسق الديانات وحيث كان التقديس للرمز الذي يمثل الروح الثانية في كل أنحاء الكون، وهو تجسيد مادي، وإسقاط للروح الجماعية، وصورة العقل الجمعي في غيابه، لقد كان التوتم رمزاً لقوى غيبية مقدسة إلتفت حولها الجماعة ففرضت مجموعة من الأخلاقيات التي من شأنها أن دفعت إلى الإيمان بوجود قوى حقيقية تمارس سلطتها

وضبطها عليهم، هذا ويروي " دوركايم "؛ " أن ثمة فرقاً جلياً بين الدين والسحر حيث أن الأول يعود إلى مشاعر جمعية بينما الآخر هو نتيجة إدراك فردي "، فالدين هو نظام متماسك من المعتقدات والممارسات، التي تتعلق بأشياء مقدسة ومحرمة تعرض دائماً على طائفة معينة وأنه بذلك يكون الدين لديهم أمر جماعي، ويتميز عن السحر الذي يكون فرجي وينسب عليه مفهوم المدنس، الذي لا يخضع لحيز الممنوعات الدينية، ويرى أن أصول الدين لا ترجع على عبادة الطبيعة والقوى الكونية وإنما تعود إلى أقدم عنصر من عناصر الدين وهو ما يطلق عليه بالطوطمية.

وإذا كان دوركايم قد أطلق صفة السحرية على الطقوس والممارسات البدائية في الدين، فإن " هربرت سبنسر " كان قد شيَّد رؤيا تتطابق مع ما قدمه وهي التي تستند على مساهمة الأرواح في تكوين الدين وتعرف بإسم نظرية المانيزم، إنه من خلال هذه الرؤيا يرى سبنسر أن الثقافات البدائية تعتقد أن أرواح الموتى التي كانت للسحرة والزعماء تلعب دوراً محورياً في حياة أسرها السابقة سواء في الخير أو الشر والمتفق فيما طرحه سبنسر يجد أنه يتقارب مع ما قدمه تايلور وخاصة في سياق نظريته المعروفة بالتسمية أو بالأتيزم الذي مفادها أن الأرواحية هي أقدم أشكال الدين وأن الأشياء في هذا الكون لها روح وأن الإنسان البدائي أنتج أفكاراً بدائية طغت على المعتقدات الدينية تلك التي خلفها عبادة السلف.

ويمكننا أن نضيف في إطار النظرية السابقة أن سبنسر يرى أن الإنسان الأول آمن بأن له نفساً واحدة مرئية والأخرى خفية، وتساءل عن قيود فكرة الأرواح أو الجانب المرئي في الحياة تلك التي لا تأتي من خلال نفسه الخافية، بقدر ما تأتي من خلال الإيمان بقدرة أرواح الموتى والحيوانات والنباتات، على جلب الخير أو الشر، أو الصحة أو المرض، ولكي تقوم الأرواح بأي مما سبق، فكان عليها إستقطابها أو تمالكها إما عن طريق الصلاة أو تقديمك القرابين تلك التي تمثل عند سبنسر بداية.

مرحلة العبادة، من ثم تقر بآلية هذه الأرواح، وهو ما ساهم في تفعيلها الرهبان الذين سارعوا في فن الطقوس والإتيان بالفوارق والمعجزات.

لقد حاول " موس " رصد العوامل المختلفة في الفعل السحري، فإنه أيضاً حاول توضيح الفرق بين الدين وفعل السحر الأسطوري، إذ رأى في محاذاة ما قدمه فريزر أن المفهوم الأخير ينصب على قانوني التشابه والعدوان، أي يسميها هو بالتعاطف، أنه يرى لأن هاذين القانونين كافيين لإحداث الطقس السحري بفاعلية أي أنه لا يحتاج إلى وساطة، أي تحميل روحي كما هو في التضحية، التي هي بمثابة الفعل الديني، لقد عارض موس هنا بين الدين و السحر إذ رأى أن الأول يتجه إلى قطب الأذى والضرر.

لقد حاول هو أن يربط بين السحر والأشكال السحرية التي هي على غرار المانا فرأى أنها تعتبر الفعالية الحقيقة للأشياء، وفي ذلك يقول؛... هكذا بينهما يتجه الدين بإتجاه الميتافيزيقيا ويتصرف إلى خلق الصورة المثالية يخرج السحر عبر ألف شق وشق من الحياة الصوفية التي يستمد قواه منها لينخرط في الحياة الدنيوية ويضع نفسه في خدمتها... إنه يتجه بإتجاه العياني الملموس كما يتجه الدين بإتجاه المجرد.

إذ ما سبق يوضح إلى أي حد عارض موس بين الأضحية من جهة والسحر من جهة أخرى، فبينما يرى أن الأضحية تعتبر ظاهرة مجتمعية بالأساس فإن السحر يعتبر كذلك حيث ينطوي على حالات عاطفية أكثر منها شعائر وسلوك، وهذا ما يجعله قريب من أعمال وتصورات دوركايم خاصة حيثما رأى أن فعاليات السحر في المجتمعات البدائية بمثابة ديانة تعويضية، تستطيع الذات من خلالها أن تعوض نفسها بعملية السحر المزيفة، إذ تكون الطقوس محض وهم، إن موقف موس من الفعاليات السحرية البدائية جعله يوسمها بأنها ما هي إلا جزءاً من الفلسفات أو نوع من التأمل المنهجي، الذي هو جزءاً مكوناً من أجزاء العقيدة، وأساليب الممارسة في هذه المجتمعات.

وإذا كنا قد تحدثنا في إطار الوظيفية عن مساهمات موس و دوركايم و سبنسر فإنه لا يفوتنا مساهمامات " مالينوفسكي " الذي خالف رؤية دوركايم وأرجع السحر إلى إنفعالات الأفراد من خلال التمثيل الجسدي الذي يفرض عليه رغبةً في النصر أو الإنتقام، إن نظر مالينوفسكي إلى السحر في ضوء الإنفعالات جعله يرى أن مثل هذه الأفعال هي بمثابة ويسكي للفقراء، ذلك الذي يجلب عليهم المرح أو السعادة، وكذا يتغلبون بها على المصاعب التي يواجهونها.

لقد كان السحر الدستور الإعتقادي الذي عمل به العقل الأول لكي يعيش الحاضر ويؤمن المستقبل. إن الأسطورة السحرية كانت بمثابة غابات عملية تهدف إلى ترسيخ عادات التأثير في الكون من خلال الطقوس والشعائر والكلمات والقدرة التي كانت تمثل جهداً حركياً يقوم به الإنسان لترضيه قوة ما لإشباع إحتياجاته، ذلك الجهد الذي يعتبر نوعاً من محاكاة الظاهرة الطبيعية أو أنه يعد تضرراً مسبقاً من منظور ثقافي معين تقوم به الجماعة بناءاً على إيمان خاص بها، إنه وفق ذلك تكون الأسطورة أو الفعل السحري ذو علاقة وثيقة لكل ما يفرزه الخيال البشري سواء كان يتخيل ما هو قائم، أو حتى من أجل تجاوزه.

وإذا كنا في هذا المقام قد أشرنا إلى مالينوفسكي فإنه يتوجب علينا ألا نغفل عن مساهمات " إيفانز بريتشارد " حول الموضوع؛ لقد تعارض بريتشارد مع مالينوفسكي وأخذ منه موقفاً رافضاً مما طرحه حول عملية الربط بين خوف الإنسان الأول من غوائل الطبيعة وتعليه عليها من خلال السحر حيث أن الأفراد في إطار المجتمعات التي درسها الذي يصابون بمس سحري كانوا لا يخافون أو حتى يصابون بالسخط والإحباط، لأن ثمة إعتقاد لديهم بأن الإله صديق حميم لهم وهو سوف يعينهم على الخروج من أزماتهم.

إنه في إطار ما تقدم، فإننا يمكننا القول أنه على الرغم من الإختلافات البسيطة وليست الجوهرية بين أصحاب الرؤى السابقة إلا أن ما يجمع بينهم ما يلي:

- أن الأسطورة السحرية هي حقيقة إجتماعية ثقافية تدخل في إطار الحقيقة المجتمعية التي تربط بقيم ثقافية وطقوس معينة، تتخذ من خلال علاقة الذات بالآلهة وأرواح الأسلاف.
- تعتبر الأسطورة جهداً فكرياً لتفسير العالم أو أقل إنها علماً بدائياً، يسعى إلى تفسير الواقع والطبيعة والإنسان بطريقة غيبية سابقة على المنطق.
- تساهم الأسطورة السحرية في التعبير في المعتقدات ومعتنقيها في إطار إجتماعي – ثقافي، ناهيك عن رصدها لمجموعة من القواعد والسلوك الممارس في زمان ومكان معين.

- تأتي الأسطورة السحرية وفق لغة خاصة، وأشكال تعبيرية، وتخيلات وتأملات وأحكام ترتبط بزمان ومكان معين، أو أقل أنه المكبوت أو المسكوت عنه أو رؤى العالم في سياق ثقافي – إجتماعي خاص.
- جاء الدين في مرحلة تالية للسحر، أو أن السحر هو مقدمة لبدايات الدين ناهيك عن أن ثمة تبايناً بينهما، خاصة فيما يتمثل بما هو فردي وما هو إجتماعي (شهيب، 2021/04/13، 17:44).

أما " إبن خلدون " فيؤكد بقوله: " وأعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء "، من أجل التأثير ذكرناه وقد نطلق به القرآن، ويقول: " إن العملية الخرافية لا تختفي بمجرد الإنتقال من بيئة متخلفة إلى بيئة متقدمة (حضارية) ولا تختفي بمجرد الحصول على شهادة عليا، بل أنها جزء أساسي من التركيب الذهني والنفسي للفرد الذي نشأ في بيئة مختلفة في علاقتها الإجتماعية والإنتاجية، وبالتالي خرافية في تصوراتهم العقلية ".

لقد ميز إبن خلدون بين السحر فقال: " إن النفوس الساحرة على ثلاث مراحل، أولها المؤثرة في المهمة فقط من غير آلة ولا معين، وهذا الذي يسميه الفلاسفة (السحر)، والثانية يستعان فيها بالأفلاك والبروج أو بالعناصر الثلاثة: التراب، الماء، النار، كما يستعينون بخواص الأعداد ويسمونها بالطلسمات، والثالثة تأثير قوي في الخيال والمحاكاة ويعتمد صاحبها إلى القوى المتخيلة (إبن خلدون، 1984، ص 438).

3-النظرية السيكولوجية:

حسب المدرسة السيكولوجية فإن السحر خرافة لأنه يبتعد عن الواقع الموضوعي، كذلك يفتقر السحر إلى العليا والمنطقية أو العلمية، وممكن أن نربط إنتشار السحر إلى طبيعة الفرد نفسه، فللإنسان ميل قوي إلى قبول الخرافة طمعاً في إكتشاف الحجب وتوضيح الغامض، إذن فالسحر خرافة ووهم، والمسحور يعتقد بأنه كذلك لأن لديه خصائص يتميز بها وهي قابليته الشديدة للإيحاء أكثر من التنويم المغناطيسي دون أن يدرك الشخص الخاضع لتلك العملية أنه واقع تحت تأثير المسيطر الذي يصدر عنه الخوف بحيث يفتقد كل القدرة على المقاومة النفسية ويصبح نهبا لكل ما يلقى عليه من

إيحاءات، إذ كلما كان الإنفعال راسخاً في النفس وأكثر عمقاً كانت القابلية للإيحاء أعمق وأشد، والشخص الموحى إليه يكون أكثر تصديقاً بالشيء، والذي يقال بغير براهين وبغير أدلة يستدل بها، فهو إذن سيطرة وجدان على وجدان آخر، ويؤكد علماء النفس أن الأشخاص المصابين بإنفصام الشخصية أكثر عرضة وقابلية للسحر. ويعتبر " فرويد Freud " السحر مرضاً نفسياً يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات، وهو بمثابة رده إلى التفكير البدائي أو هو رده إلى المرحلة الطفيلية، وبذلك يكون عرضاً نكوصياً.

ويتفق تعريف فرويد مع " مالينوفسكي Malinowski " في أن السحر فعال لأنه يعد نوعاً من التفريغ الإنفعالي بلغة التحليل النفسي، فيقول مالينوفسكي: " أن السحر يستخدم في علاج كثير من سوء التوافقات والصراعات الفكرية، وذلك أنه يصف الفكرة المناسبة ويعين النغمة الإنفعالية الملائمة ويرسي نمطاً من السلوك يحمي الإنسان من لحظات الخطر، كما أنه يمد الإنسان بالقوى الدافعة إلى العمل والإتحاد والإرتباط، وهو ينمي صفات لازمة لكل عمل ناجح مثل النظام والثبات والدقة والتنبؤ.

وبلغة علماء النفس يمكن القول أن السحر يساعد على الإرتياح النفسي تجاه بعض الضغوطات الإجتماعية، فالذي يلجأ إلى السحر لإيجاد الراحة والذي يجد نفسه عاجزاً بدونه كما يقول " Kemph ": " إن معتقدات السحر تعد مجهودات نفسية علاجية لتهبيط الضغوطات الفسيولوجية التي تحدث في محيط إجتماعي وقد صنع الإنسان أساليبه الثقافية ومعتقداته في السحر لكي يضبط تلك الوظائف الفسيولوجية وبالضبط آلام الجوع كما أخبرته الأم على أن يختزن طعامه لوقت الحاجة " (الساعاتي، 1983، ص ص 56 – 57 – 58).

قال المتشككون في السحر مثل المفكر الفرنسي الكاثوليكي " ميشيل دي مونتين " (1533 – 1593) بأن القصص حول الأعمال السحرية المذهلة التي إتهم بعض السحرة بإرتكابها والتي إعترفت بها بعض الساحرات المشتبه في ممارستهن للسحر في أغلب الأحيان تكون نتاج الخيال؛ فقد كتب مونتين بعد زيارة مجموعة من النساء العجائز المدانات بتهمة السحر يقول: " في نهاية الأمر وبكل صدق ما كنت لأصف لهن " نبات الشوكران السام " وإنما زهرة الخربق " وهو يقصد بذلك أنهن يستحققن العلاج لا الموت،

ويستطرد مونتين مستشهدا بالمؤرخ الروماني " تيتوس ليفي ": " إن حالتهن تبدو أقرب إلى نوع من الجنون منه إلى سلوك إجرامي " وقد قدم الطبيب الهولندي " يوهان فاير " في كتابه (عن السحر) نقاشات مفصلة تذهب إلى أن الخداع التي تمارسها الساحرات فيما يتعلق بقدرتهن السحرية ناجمة من تخيلات وهلاوس.

إعتقد فاير و " ديلا بورتا " وغيرهما أن بعض هذه الحالات الهذيانية ناجمة عن نباتات سامة ومخدرة، كان البعض يظنون أن هؤلاء السحرة المدعين يستخدمونها في تحضير مراهمهم وممارسة طقوسهم، ونبات الشوكران أحد هذه النباتات التي كانت السبب في منحهم إحساسا بالتحليق عاليا، وقد يكون الناس الذين إعتقدوا أنهم تعرضوا للسحر قد تناولوا (دون قصد) من هذه المواد المخدرة؛ إذ يحكي فاير أن إمرأة أطعمت من يعملون لديها خبزا من طحين الجاودار، وبعد أن تناولوه " أصابهم مس من الجنون " وغطوا في سبات ممتد وعميق، وحينما توقفت عن إطعامهم خبز الجاودار، تعافوا من هذه الأعراض، ربط فاير بين هذه الأعراض وخبز الجاودار، لكن ما لم يكن يعلمه هو والمرأة أن العمال على الأرجح تناولوا الفطريات التي تنمو على نبات الجاودار والمعروفة بإسم (الأرجوت)، الذي يحتوي على بعض الخصائص التي تسبب الهلوسة، والذي استخرج منه في القرن العشرين عقار الهلوسة المعروف بثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك (إل إس دي). وقد أدى إكتشاف هذه الحقيقة إلى تفشي الدعوات التي ترى أن خيالات إجتماعات السحرة (المعروفة بإجتماعات السبت) وأوهام التحرر من المس على أيدي السحرة يمكن عزوها جميعا إلى التسمم بالأرجوت، لكن التفسير الرئيسي كما كان فاير يدرك جيدا الذي يبرر إعترافات السحرة بالعربدة الشيطانية هو التعذيب الذي تعرضت له الكثير من المتهمات بممارسة السحر في أوروبا وفي إسكتلندا، فقد إنتزعت الإعترافات القسرية ما أراد الجلادون سماعه من السحرة، من خلال طرح الأسئلة التوجيهية التي توحي بالإجابات التي يريد السائل سماعها.

حدد فاير وغيره أن الحالة المعروفة بالكآبة مصدر رئيسي للإيمان بالسحر، وفي حين أن هذه الفئة الطبية من الأمراض العقلية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث تشمل ما نطلق عليه اليوم الإكتئاب، فقد كان ينظر إليها أيضا من منظور فلسفي وأدبي

وقانوني وروحي أوسع، وكان " نبات الخربق " يستخدم لعلاج بعض أعراض الإكتئاب، وأيضا لدرء الساحرات والأرواح الشريرة التي كان يُظَن أنها قادرة على إصابة الفرد بالكآبة، وكان يعتقد أن النساء لا سيما العجائز منهن أكثر عرضة للكآبة من غيرهن؛ وبالتالي أكثر عرضة للإعتقاد بأنهن إلتقين في خيالاتهن البائسة بالشيطان، وينطرن لحضور إجتماعات السبت، ورقصن مع الجنيات، وألحقن ضررا بجيرانهن من خلال السحر...، في القرن التاسع عشر، عزز مجال الطب النفسي من قوة الربط بين النساء والإضطراب العقلي والسحر؛ فقد حلل الطبيب النفسي الفرنسي الرائد " جان مارتن شاركو" (1825 – 1893) وزملاؤه في مستشفى " سالبيتريير " للأمراض العقلية للسيدات في باريس؛ الروايات التي روتها المدانات بالسحر في المحكمة عن المس والشعوذة ومشاعر النشوة التي أحسسن بها، فإكتشفوا أوجه تشابه واضحة بين ما وصفنه، والأعراض ' الهيستيرية " التي تعانيها المريضات من السيدات، وهكذا نشأ مفهوم "الإعتدال الشيطاني"، أو حالة المس الشيطاني بإعتبارها نوعا من الجنون، وقد أشار "شاركو" وأعضاء الوسط الطبي النفسي الأوائل بفاير بإعتباره أول طبيب نفسي، الأمر الذي يجعله طبيبا سبق عصره بكثير، أما حقيقة أن فاير نفسه كان يؤمن بالتدخل الشيطاني، وبقدرة الشياطين على إلحاق الضرر بأجساد البشر، فقد كان من اللياقة أن تجري تجاهلها.

إن مشكلة هذه المحاولات المبكرة لإضفاء طابع الطب النفسي على السحر بدرجة تكاد تلغي وجوده في الواقع؛ هي أن عددا كبيرا جدا من الأشخاص آمن بصحتها كي يستطيع تبرير الإعتقاد بالسحر، والمرور بتجربة السحر على أساس الوهم والخداع والسذاجة والخدع البصرية والمخدرات والكآبة والهستيريا...، إتخذت رؤى " فرويد " بشأن السحر والدين إطارها من التصنيف التطوري للسحر على أنه تعبير عن أقدم مراحل الثقافة البدائية؛ وبالتالي، نجح الإيمان بهذا التصنيف في البقاء على قيد الحياة، وإن كان له شكل نفسي أكثر منه ثقافي، كان فرويد في أعماله يستخدم مفردة (السحر) دون تقيد، خاصة فيما بعد يتعلق الكلمات؛ فقد قال على سبيل المثال عن الفترة التي أمضاها مع شاركو أن " السحر كان يتدفق من نظراته ويدوي في صوته " وقد تطلبت محاولته

تعريف هذه المفردة أن يفرق تفريقا جوهريا بين " الشعوذة " و " السحر "، رغم أنه كان على دراية بالمسافة اللغوية الإشكالية بين المفردتين، وهكذا كانت الشعوذة في نظر فرويد " بالأساس هي فن التأثير في الأرواح من خلال التعامل معها بنفس الطريقة التي يتعامل بها المرء مع البشر في ظروف مماثلة " أما السحر فهو " يتجاهل الأرواح ويستخدم إجراءات خاصة لا أساليب سيكولوجية معتادة " وهكذا فإن السحر سبق الشعوذة على درجات السلم التطوري؛ فالسحر بدلا من أن يضرب بجذوره في التفاعل الإجتماعي، كان يضرب بجذوره في الحالة العاطفية الفردية: أي إنه إرتبط بالنفس، وإن لم يخلُ هذا الإرتباط من عواقب إجتماعية.

إتضح التفسير التحليلي النفسي للسحر من منظور فرويد في أدق تفاصيله في مقاله " الإحيائية والسحر والقدرة الكلية للأفكار " الذي ظهر فيما بعد فصلا في كتابه الشهير (الطوطم و الخرام)، (1913)، إعتمد فرويد إعتمادا شديدا على عمل إب بي تايلور و فريزر وغيرهما ممن أدلوا بدلوهم في الجدل حول السحر و الدين و العلم، وإستنتج أفكاره من خطابهم عن السحر المعدي و السحر القائم على المحاكاة؛ فقد صرح فرويد بثقة كبيرة بأن " من السهل التوصل إلى تفسير شاف للسحر بمجرد دراسة نظرية الربط بمزيد من التفصيل والعمق " وقد فعل ذلك بأن قارن بين ذوات البدائيين المستعبدة للسحر، وبين العمليات العقلية للمصابين بأمراض عصبية والتطور المبكر عند الأطفال، وقال إن الفئات الثلاث أظهرت سمة نرجسية مماثلة، وهكذا فإن السحر قائم على إقتناع أفراد هذه الفئات بالقدرة الكلية لأفكارهم، وعلى الثقة المطلقة في قوة أمنياتهم، بإختصار؛ فإن السحر خداع للذات تحل فيه الأفكار بديلا عن الواقع، ولوضع إطار النظرية بشكل أرحب أو أكثر جموحا رأى فرويد أن السحر مرحلة عامة قبل أوديبية في التطور الثقافي والعقلي.

رأى العديد من علماء الأنثروبولوجيا من جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى أن تحليل فرويد ذو قيمة كبيرة، وقد أكد الباحث المجري " جيزا روهايم " (1891 – 1953) الذي كان ممارسا للأنثروبولوجيا والطب النفسي أكد على أهمية الجوانب الجنسية للممارسات السحرية أكثر مما فعل فرويد، وإستكشف الجوانب الفمية والشرجية لحالتي

الإحباط والإثارة الجنسية، أما عن أصل السحر، فقد جعل علاقة الأم بالطفل محورا لنظريته؛ فقد شرح في مقال له نشر بعد وفاته بعنوان " أصل السحر ووظيفته " كيف إنبعث المبدأ السحري الأصلي والثابت من الأفكار القوية المسيطرة لدى الرضيع الذي تُشبع رغباته المعبرة الكلامية وما قبل الكلامية من خلال تجاوب الأم؛ وعلى هذا النحو يمكن تفسير التعاويذ، خرج روهايم عن قالب النموذج التطوري؛ وبالتالي إبتعد عن رؤية فرويد، ورأى أن السحر قوة نفسية تحررية، وأنه ليس إمتدادا للبدائية، وإنما عنصر أساسي من عنصر الفكر و " المرحلة المبدئية لأي نشاط " (ديفيز، 2014، ص ص 68 إلى غاية 73).

السائد في المجتمع أن هناك السحر وإذا أردنا أن نفتح العيادة النفسية على أبوابها لوجدنا أنه لا يخو يوم من أيام عمل الطبيب النفسي في العيادة النفسية من حالات تأتي بعد أن كانت تعرض على الكثير من السحرة وهؤلاء يحاولون بشتى الطرق أن يعالجوا ولكن تتعقد الأمور حتى يصل هذا المريض إلى العيادة النفسية.

الهستيريا... على أوسع أبوابها ما هي إلا ناحية من نواحي سرعة الإيحاء... يأتي المرض بسرعة إيحاء ويزول بسرعة الإيحاء. ونشر الأستاذ الصحفي " رضا عكاشة " تحقيقاً في جريدة اللواء الإسلامي أيضاً... في العدد (82 ص 18 – 19، بتاريخ 1983/8/18)؛ عن السحر والتنبؤ بالغيب... والأشياء التي تسللت إلى المجتمع الإسلامي نتيجة بعد المسلمين عن ربهم... كقراءة الكف... والكوتشينه... وتعليق التمائم... وإقامة الزار (الطهطاوي، 2006، ص 77).

لقد عقدت جريدة (اللواء الإسلامي) ندوة عن السحر ناقش فيها علماء الإسلام، وعلماء النفس موضوع السحر، وقد أعد الندوة الأستاذ الصحفي الهمام... عبد المنعم قنديل. وقد ألقى علماء الإسلام و علماء النفس المعاصرين الضوء على موضوع السحر وحقيقته وجاء في الندوة ما يلي: " السحر من المعتقدات الراسخة في وجدان كثير من الناس؛ لأنه حقيقة موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولكي يعرف المسلمون على حقيقة السحر وجذوره وأسراره التاريخية ورأي الإسلام فيه وفيمن يمارسونه (الطهطاوي، 2006، ص 176).

الإعتقاد الخاطيء؛ " أن الطب النفسي لا يؤمن بما جاء في القرآن أو في (الكتب السماوية) من فعل الجان والسحر والحسد ". والحقيقة هي أن هذا الإعتقاد خاطيء تماماً، وعلينا أن نتذكر أن الإيمان بالجن والسحر والحسد يمكن أن ننظر إليه على ثلاثة مستويات:

- الإيمان بوجود الجن وحقيقة السحر والحسد (وهي ظواهر غير مرئية).
- الإيمان بتأثير الجن والسحر والحسد (كما ذكر في الكتب السماوية).
- الإيمان بالأعراض والعلامات التي يصفها ويرجعها بعض المعالجين لأثر الجن والسحر والحسد.

فالأطباء النفسيون لا يختلفون في ذلك عن غيرهم من الناس، حيث يوجد العديد من الناس من غير الأطباء ينكرون تلك الأمور الغيبية جملة وتفصيلا، أما الطب النفسي فإنه يؤمن بقوة الدين والإيمان والجانب الروحاني في المرض والعلاج، وحتى الجانب غير المرئي في الحياة والمشاعر، كما يجرى عديد من الدراسات المنظمة عن الأمور الغيبية وخارج الحسية، والتي لا نشعر بها ةلا ندري عنها شيئاً، وهكذا نرى أنه لا يوجد تعارض بين الطب النفسي أو مفاهيمه، وما ورد في الكتب السماوية، ولكن الحقيقة تكمن في خطأ الإعتقاد بأن الأمراض والأعراض والإضطرابات النفسية (التي تظهر على بعض المرضى أو المعاناة من التقمصات المختلفة أو نوبات الإستحواذ أو الأصوات أو الخيالات) إنما هي نتيجة للسحر والجن والحسد، والحقيقة أنها إجتهادات بشكل خاص، تجد لها البيئة الشعبية أرضاً خصبة وأساطير شائعة ويستغلها كثير من المشعوذين والدجالين ولا علاقة لها بالطب البديل (عكاشة، 2011، ص 305).

وينظر إلى (السحر) في علم النفس على أنه قادر على شفاء الأمراض؛ تعتبر من أهم الأسباب التي تدعوا الناس إلى الذهاب إلى السحرة حيث يعتقدون أن الساحر يملك وصفات سحرية في علاج الأمراض المستعصية، وتأتي في مقدمة الأمراض التي يعتقد الناس أن بإمكان الساحر علاجها: أمراض الصرع والسحر والجنون وأمراض الأطفال كسوء الخُلُق أو الإنحرافات الشاذة أو البكاء والصراخ الدائم أثناء النوم وبول الصبي في الفراش وحماية الجنين في بطن أمه من إسقاطه أو تشويه خلقته، وعلاج

الرضيع من العين وحماية الأطفال من أُم الصبيان وذلك بوضع (صُرة) في يده وعلاج تأخر النطق عند الطفل...، وهناك من يكون مصاباً بأمراض نفسية فيذهب إلى هؤلاء السحرة لعلاجه (ليزول، 2011، ص 22 – 23).

ثانياً: أنثروبولوجيا السحر المأكول (سحر التوكال) في وجهات النظر التاريخية

هذا النوع من السحر يعتمد في تركيبته الطبيعية على المقتنيات؛ (النباتية، الحيوانية، المعدنية و أخرى ببقايا من جسم الإنسان)، وهنا تأخذ عملية إنتقال تلك السموم إلى بدن المتسسم إنسان كان أو حيوان بدايةً بالعبور عن طريق الحواس الخمسة فيسمى بـ (سحر التوكال) حسب معتقد الفرد التّبسي؛ وفي هذه الحالة يشتمل بدوره على جميع أنواع السحر؛ من (كتابة) و (ممارسة) سواء من طرف هؤلاء الممارسون " المحترفون " أو من طرف هؤلاء الممارسون " العاديون "، وهو يشتمل بدوره كذلك على صنفان: توكال؛ (السحر الأبيض) وتوكال؛ (السحر الأسود) حيث نلاحظ فور ممارسة هذا " الطقس التوكالي " أنه سريعا ما يترتب عنه أشكال من سحر توكال؛ إما (مأكولا، أو مشموما، أو مسموعا، أو منظورا، أو ملموسا) أو يجتمع إثنين مع بعض أو يجتمع أكثر من شكل في وقت واحد داخل جسد الضحية.

ومن هنا يمكننا طرح التساؤل التالي: من أين أتى السحر؟ قبل ظهور علم الأنثروبولوجيا بوقت طويل، ظل المثقفون يفكرون مليًّا في إجابة هذا السؤال، وغالبا ما كانت الإجابة أنه أتى من الشرق، لكن ما مدى بعد هذا الشرق الذي أتى منه السحر؟ يقدم لنا المفكر الروماني المناصر لمذهب الطبيعة " بلينيوس الأكبر " (23 – 79 م) أول محاولة مدروسة لتصور تاريخ السحر؛ فقد ورد في كتابه (التاريخ الطبيعي) أنه كان هناك " إجتماع عالمي على أن السحر بدأ في بلاد فارس بظهور زرادشت " وبناءً على حسابات القرن الرابع قبل الميلاد التي أجراها عالم الرياضيات الإفريقي "يدوكسوس" و الفيلسوف " أرسطو "، قدر بلينيوس أن زرادشت قد عاش قبل ستة آلاف عام من زمن " أفلاطون " الذي ولد في القرن الخامس قبل الميلاد، لكن السحر لم يجد طريقه إلى

الغرب إلا خلال الحملة الحربية الفاشلة التي شنها الملك الفارسي " خشايارشا " على الإغريق، وقد كان هذا العام (480 ق. م)، وكان هناك ساحر يدعى " أوستانا " والذي إعتمد بلينيوس أنه أول من دوَّن السحر يرافق خشايارشا " ونشر الوباء في العالم أينما حل خلال رحلتهما "، وهكذا أصيب الإغريق كما يذهب بلينيوس متحسرا بإشتهاء السحر والجنون به، وذكر أن " فيثاغورس " و " أفلاطون " و " إيمبيدوكليس " و "ديموقريطوس" إرتحلوا جمعيا إلى الشرق ليعرفوا المزيد عن السحر الذي نشره أوستانا ورفيقه المجوسي، اللذان إعتبرهما بلينيوس محتالين وأحمقين.

تميزت أعمال ديموقريطوس (460 – 370 ق. م) بأنها الأكثر تأثيرا في نشر منهج السحر الفارسي، ويعزى تركيز بلينيوس على ديموقريطوس الذي إعتبره البعض "أبو العلم" إلى أنه كان مقتنعا بما نسب زورا لهذا الرجل من ممارسة أعمال السحر والخيمياء (السيمياء)، وكان من بين أبرز النصوص " كيروميكتا " الذي شرح الخصائص السحرية للنباتات والأحجار والحيوانات، كان المؤلف الفعلي لهذا النص على ما يبدو مصريا نال تعليمه في اليونان ويدعى " بولس الميندسي "، عرف بلينيوس فيما كتبه عن تاريخ السحر فروعا أكثر حداثة من السحر، أحدها تفرع من " موسى وينيس ويمبريس واليهود، لكنه كان حيا بعد زمن زرادشت بآلاف السنين "، وظهر فرع آخر في قبرص.

حذا بعض الكُتَّاب المسيحيين الأوائل حذو الإغريق والرومان في رد أصول السحر إلى عالم البشر، وتحديدا إلى زرادشت وأوستانا، لكن ثمَّة أسماء أخرى كانت بارزة، منها ملكان مصريان ساحران إسمهما " نخت أنبو " و " بختانيس "، لكن لما كان تاريخ السحر مغمورا بالكامل في " رؤية عالمية " مسيحية، كان لا بد أن يحتوي العهد القديم نسبة السحر إلى أصول ومواقع جغرافية، ظهر السرد الرئيسي في أدب مؤثر وملفق، مثل الرسالة الإكليمندية الزائفة التي تنسب للأب " كليمنت " أسقف روما، والتي إنتشرت خلال القرن الرابع الميلادي، تقول الرسالة إن شياطين هي التي علمت البشر السحر، ويتوافق هذا مع تراث يهودي ورد في جزء من (سفر أخنوخ) يحمل إسم " الملائكة الساهرون " الذي ربما يعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد؛ إذ يظكر هذا الكتاب أن الشياطين هبطت من عند الرب مدفوعة بدوافع الفسق التي جعلتها تتمرد وتهبط إلى الأرض لتتزوج

من بنات البشر، وأنجبت عمالقة، وقد لقنت تلك الشياطين رفيقاتها الإناث السحر وعلم الأعشاب بينما كانت تستمتع بحريتها.

كان تركيز المسيحية منصبا بشدة على إنتقال السحر عبر سلسلة من الذكور؛ إذ ورد في " إقرارات " الرسالة الإكليمندية الزائفة أن " حام بن " نوح " كان أول من مارس هذا الفن الشيطاني الفاسق الجديد، وقد ظل عمله بالسحر باقيا بعد " الطوفان العظيم " ووصل إلى " مصرايم " إبنه، ومن إبنه إلى ذريته من المصريين والفرس والبابليين، وهكذا شُبه مصرايم بزرادشت (وإن كانت مصادر أخرى تذكر أن حام هو نفسه زرادشت "، لكن " إبيفانيوس " أحد آباء الكنيسة في القرن الرابع كان يعتقد أن السحر ظهر قبل حام وإختار أن ينسبه لـ " جرايد " إبن الجيل الخامس من ذرية آدم. يعد " النمرود " أيضا شخصية بارزة في هذه الحكايات التاريخية الأولى عن السحر؛ إذ يقول العهد القديم أنه حفيد " حام "، وأنه عاش بالقرب من المراكز الحضرية الهامة في بابل وأوروك (الوركاء)، وقد إكتسب شهرة أسطورية كصياد بارع وثائر في وجه الرب، يقول إبيفانيوس إن النمرود وضع أسس علم السحر، وتروي " الإقرارات " كيف تلقى علمه بالسحر في لمح البصر من أعلى من السماء، وكان بعض الكُتاب الأوائل أيضا يعتبرون أن النمرود هو نفسه زرادشت، وبصرف النظر عن السلالة التي إنحدر منها، كانت الرؤية المسيحية اليهودية تذهب إلى أن السحر أنتجه البابليون أو الفرس أو المصريون، الذين تعلم موسى منهم حيلة أو إثنتين.

أضاف العهد الجديد شخصيات جديدة إلى قصة بداية إنتقال السحر؛ إذ يظهر " سيمون المجوسي " أولا في العهد الجديد في سفر أعمال الرسل، الذي يصفه بأنه رجل سامري " كان قد مارس السحر في المدينة من قبل "، ويروي لنا السفر قصة تعميده، وعتاب " بيتر " إياه لأنه عرض المال مقابل الحصول على سر الشفاء من خلال الروح القدس بحيث يشفي من يضع يده عليه، ليست هناك تفاصيل أخرى أكثر من ذلك، لكن تحول " سيمون " إلى مجوسي وساحر بارع وأب لكل البدع أوردته نصوص كتبت في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وتزعم إحدى مخطوطات القرن الرابع الميلادي على

سبيل المثال أن سيمون توفي بعد محاولته الطيران، ظلت الأسطورة تخضع للإضافة والمبالغة والتحريف على مر القرون الثمانية عشر اللاحقة.

خلال العصور الوسطى؛ برز " سليمان " المذكور في الكتاب القدس والذي طالما أستخدم إسمه في ممارسة السحر في الصدارة على إفتراض أنه أصل السحر أو الحكمة، إعتمادا على وجهات النظر المعاصرة المختلفة في هذا الصدد؛ فقد صيغت كتب السحر التي تدَّعي أنها تحوي تفاصيل بشأن طقوسه والسحر الذي إستخدمه لإخضاع الجان وتحقيق التنوير الروحي، ثمة رمز أسطوري آخر من رموز السحر هو " هرمس طريسميجيسطيس " الإسم الذي ظل حيا في هذا المجال لعدة قرون الذي قيل عنه أنه ألف آلالف الكتب في العلم والغيبيات أو " الفنون الغامضة "، فلما كان هرمس شخصية متعددة الهويات بإعتباره إلهاً وبشراً، ومزيجاً توفيقياً من الإله المصري " تحوت " والإله المصري " هرمس "، أصبح شخصية بارزو في تراث السحر إبان عصر النهضة في القرن الخامس عشر، لا سيما عقب العثور على مخطوطات عن الفلسفة الغيبية زُعم أنه مؤلفها وتُرجمت إلى اللاتينية.

في محاضرة ألقيت بإحدى الجامعات في عام (1636)، طرح شخص يدعى " سايمون رافنزبرج " السؤال البلاغي التالي: " هل يمكن تقديم معلومات حاسمة بشأن أول مصدر للسحر، أعني أين نشأ ومتى كان ذلك ... إلخ؟ " ثم أجاب: " لا، لا يمكن " وأردف أنه ثمة أمر واحد فقط يقيني، وهو أن السحر " ولد مع الوثنية، وكأنهما خرجا من نفس الرحم " بإختصار؛ لقد كان السحر إختراع الشياطين، لكن هذه الآراء اليقينية تعرضت للتشكيك في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حينما بات السحر نفسه يحظى بالدفاع أو على الأقل بات تاريخه يخضع للمراجعة.

في عام (1625)، ألَّف أمين المكتبة والطبيب الفرنسي " جابرييل نودي " (1600 – 1653)، كتابا بعنوان (إعتذار لكل الحكماء الذين أتُّهموا زورا بممارسة السحر) ترجم إلى الإنجليزية عام (1657) تحت عنوان (تاريخ السحر)، وكان نودي يهدف لتبرئة شخصيات مثل: زرادشت، وسقراط، وفيثاغورس، وفيرجيل، وعالم القرون الوسطى " روجر بيكون "، مما وصموا به من شائعات كاذبة وإتهامات على مدار

قرون، وإبان ذلك، أضفى تألقا إيجابيا على السحر نفسه، وقال أن هؤلاء الرجال العظام في مجالي الفنون والعلم وغيرهم طالتهم الشبهات بسبب " إنخراطهم في السياسة وتعلُّم العلوم الجديدة والرياضيات، وبسبب معلومات من كتب ملفقة وملاحظات خرافية، وهرطقة وحقد ومنافسة، وجهل وسرعة تصديق من جانب القراءض، وإفتقار الحصافة ومَلَكة التمييز من جانب الكُتَّاب "، ميَّز نودي بين السحر المشروع وغير المشروع، وقال إن السحر المشروع يشمل السحر الإلهي؛ أي: النبوءات والمعجزات والتكلم بالألسنة، ثم هناك السحر " العلوي " الذي يتحقق أثره بالتواصل مع الملائكة، وهذه الأنواع من السحر فاقت القوى البشرية ومصدرها هو الرب، وكان يتقبل السحر الطبيعي أو قدرة الفيلسوف على فهم الخصائص الغامضة الذي " صار رائجاً " على يدي زرادشت وسالموكسيس، الذي هو بشر إله من تراقيا مثل: طريسميجيسطيس، أما نوع السحر الوحيد الذي أدانه نودي فهو سحر (الشعوذة) أو السحر الشبطاني؛ إذ يقول: " لا ينبغي للمرء أن يتصور أن هذا السحر المؤذي والمحرم كُتب بيد أي كائن إلا إبليس ".

تبنَّى الخيميائي الويلزي " توماس فون " (1621 – 1666) موقفا متشابها في كتابه الذي نشر تحت إسم مستعار بعنوان (العصور القديمة للسحر)، (1650)، وقد فصل فون بين أصول المشروع والمحرم، وقال: " ليس السحر سوى حكمة الخالق التي تودع في المخلوق وتتكشف من خلاله "، و " ما من كلمة يمكن أن تكون فاعلة في السحر، ما لم تستمد فعاليتها من كلمة الله " لطالما كان العالم في الماضي والحاضر حافلا بالسحرة الدجالين والمشعوذين، لكنَّ السحرة القدماء الحقيقيين كانوا ملوكا وأنبياء؛ ومن ثمَّ كما يذهب فون بما أن الله هو أصل السحر، فليس للسحر نقطة بدء، وإنما نقطة كشف الله عندها السحر للبشر، وكما يشير عنوان كتاب فون وكما إقترح آخرون قبله فإنه يعتقد أن السحر كُشف لآدم وهو في الجنة قبل أن يهبط إلى الأرض، وهو يرى أن " السحر الملعون الشيطاني " ظهر بعد ذلك، وحدد كما يليق ببروتستانتي ملتزم فرعا شيطانيا منه تمثل في طقوس التكريس وطرد الأرواح الشريرة التي تمارسها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

خلال القرن الثامن عشر، عملت ثلاثة مؤثرات أخرى على تشكيل مفهوم أصل السحر، أحد هذه المؤثرات تمثل في الماسونية، وهي عبارة عن مظلة تشمل مجموعة متنوعة من الأخويَّات العلمانية والسرية، وظهر الإهتمام بالممارسة السحرية واضحا في جوانب الماسونية، لكن الإفتتان بالرمزية القديمة كان قابعا في قلبها، وقد تركز الجانب السري الغامض للماسونية في هندسة هيكل سليمان، وفي الأساطير التي نُسجت حول قصته، إزداد إلقاء الضوء على هذا الغموض بحلول نهاية القرن نتيجة لتزايد الإهتمام بالآثار المصرية، وكذلك زاد مذهب (الكابالا) اليهودي أو بتعبير أدق، الصيغ المسيحية منه التي نشأت في عصر النهضة الإهتمام بالطقوس والرموز التي يمكن أن تكشف أسرار الحكمة القديمة، وهكذا شكلت الماسونية في بعض الأوساط المثقفة دافعا جديدا لإستكشاف تاريخ السحر.

شهد القرن الثامن عشر تطورا آخر وجَّه قصة السحر نحو أتجاه مختلف؛ إذ إزدهر الإهتمام الأوروبي بثقافة الهند وتاريخها على خلفية نجاح شركة (الهند الشرقية) وزيادة قوة السيطرة البريطانية على القارة، وقد نال هذا التوجه تشجيع " وارن هاستينجز " (1732 – 1818)، أول حاكم بريطاني عام للهند، وشرع الباحثون لأول مرة في ترجمة النصوص الهندية السنسكريتية القديمة إلى الإنجليزية؛ وبذلك فتحوا عالما جديدا من عوالم المعرفة الدينية والسحرية أمام جمهور المثقفين في بريطانيا، ثم حذا حذوهم علماء فقه اللغة والمستشرقون الألمان والفرنسيون.

شهد أواخر القرن الثامن عشر أيضا ما بدا أنه طفرة علمية عظيمة بشَّرت بإجابة السؤال عن أصل السحر بإعتباره (تأثيراً)؛ فقد إفترض الطبيب " فرانز أنطوان ميسمر " (1734 – 1815) من فيينا أنه يوجد داخل جسم الإنسان سائل مغناطيسي غير مرئي يمكن توجيهه للتأثير على أجسام أخرى، وإستخدم هو وأتباعه ما يعرف بإسم "المغناطيسية الحيوانية" لعلاج المرضى عن طريق إزالة العوائق من مجرى السائل، أما من خلال قوة الإدارة أو الإتصال الجسدي، ثم إعتمد آخرون المفهوم الرئيسي لهذه العملية فعدلوه وطوروا فيه بعدة طرق، والتنويم المغناطيسي له أصله العلمي في المغناطيسية الحيوانية طابع غامض قوي، وقد قدمت الطبيعة الشاملة المفترضة لهذا

السائل المغناطيسي تفسيراً لحالات النشوة التي تميز الإنجذاب الديني والإتصالات بعالم الأرواح، وبعض القوى غير الإحتيالية الي نسبت للسحرة على مر التاريخ.

كان أستاذ الفيسيولوجيا " جوزيف إنموزر " (1787 – 1854) أحد المحققين الألمان الذين تأثروا بكل التطورات التي ذكرناها سابقا، وقد نشر كتابه (تاريخ المغناطيسية الحيوانية)، (1844)، باللغة الإنجليزية عام (1854) تحت عنوان (تاريخ السحر)، كان هذا العمل المكون من مجلدين قد ترجمه العالم الروحاني " ويليام هويت " وإبنه أثناء رحلة إلى أستراليا عام (1852)؛ " عندما لم تكن إنجلترا قد سمعت شيئا يذكر عن وجود الروحانية الأمريكية، ولم نكن نحن نحلم بأن يكون لها وجود "، وتوصل " إنموزر " خلال إستقصائه للأدب الكلاسيكي، وأدب عصر النهضة عن تاريخ السحر إلى إستنتاج جديد إعتمادا على درايته بالديانات والأساطير الآسيوية؛ إذ خلص إلى أن أصل السحر لم يكن في بلاد فارس أو مصر أو وسط اليهود، وإنما أبعد من ذلك في أقصى الشرق، وإن السحر " بمعناه الحقيقي والأصلي " بإعتباره إتصالا بعالم الأرواح ودراسة للطبيعة، وبإعتباره " هبة إستثنائية وفطرية في النفس البشرية "؛ قد نشأ في آسيا.

كان إنموزر قد إستمد أدلته من ترجمات النصوص الدينية السنسكريتية الهندية القديمة مثل: (قانون مانو) الذي يعود تاريخه إلى النحو ألفي عام أو يزيد وكتاب (الفيدا)، فضلا عن مجلدات أخرى مقدسة ذات صلة، مثل: نصوص (الزندافيستا) الزرادشتية، ونصوص أخرى صينية، ووفقا لإنموزر، فإن السحر بحلول زمن زرادشت كان قد أصابه الفساد وأسيء إستخدامه، وتفرع إلى نوعيه الأبيض والأسود، وذهب إلى أن " تعازيم سحرة مصر والإسكندرية والعصور الوسطى التي ظهرت لاحقا تأسست على رؤى العصور القديمة الشرقية واليهودية والإغريقية ولم تتغير وتتنوع إلا لكي تناسب عصرها "، لكن دورية " وستمنستر ريفيو " رفضت كتاب إنموزر رفضا حمل طابعا هجوميا شرسا:

- إننا نشعر أنه من قبيل التساهل والتمادي أن نمنح أي مكانة في الحقل العلمي ولو كانت على هامشه لكتاب إنموزر (تاريخ السحر)، فهكذا موضوع تناوله مفكر علمي كفؤ تناولا مناسبا ربما يكون مثارا خصبا للتعليقات، لكننا لا يسعنا إلا أن

نأسف لأن تخمينات الدكتور إنموزر الساذجة والجنونية لم تعد قابعة في عتمة اللغة البدائية.

لكن هذا الكتاب كان في نظر الكثيرين مصدرا لقدر كبير من الإلهام والمعرفة، وظل مرجعا لعلماء نفس ومؤرخين وعلماء أنثروبولوجيا ومشعوذين، ومثيرا لفضول شخصيات بارزة في مجال الأدب مثل: " تشارلز ديكنز " و " إليزابيث جاسكل ".

وبينما نال كتاب إنموزر تقديرا ثقافيا واسع النطاق، تحول كتاب آخر صدر في القرن التاسع عشر يحمل أيضا عنوان (تاريخ السحر) من تأليف الساحر الفرنسي "ألفونس لويس كونستان" (1810 – 1875) والمشهور بإسم " إليفاس ليفي " إلى أحد أحجار الأساس التي أسست لعلم دراسة القوى الخارقة المعاصر، وقد كرر ليفي (تاريخ السحر) الذي نشر عام (1860)، الرواية التقليدية المألوفة عن أصل السحر التي وردت في كتاب هو (العلم الغيبي الخارق والعلم المطلق) الذي تمتع به إبراهيم وكونفوشيوس وزرادشت، والذي نقشه على الحجر أخنوخ وهرمس طريسميجيسطيس، لكن ليفي لم يستطع تجاهل النصوص الدينية السحرية السنسكريتية القديمة التي باتت في المتناول، ولما كان ليفي مقتنعا بأن من أنشأ الهند هم ذرية قابيل الذي وردت رواية نفيه في الكتاب المقدس، إعتقد بأن هذا البلد هو موطن السحر الأسود (الشعوذة) وممارسي الدجل المؤذين، والهند موطن لكل المذاهب الوثنية، وأصل السحر الزائف الموصوف بـ "ألف عاهة، والذي يرهب العقول الحصيفة، والباعث على اللعنة من أي كنيسة واعية".

يمثل ليفي الذي إستلهم رؤيته من مذهب الكابالا والمذهب الكاثوليكي الذي يعتنقه هو شخصيا رافدا رئيسيا من روافد علم دراسة القوى الخارقة المعاصر الذي جعل من التبصر السحري تراثا مسيحيا يهوديا غريبا، وثمة رافد آخر في الشرق، وقد نال التأييد الأكبر في الحركة الثيوصوفية التي أسستها الوسيطة الروحانية " هيلينا بيتروفنا بلافاتسكي " (1831 – 1891). كانت بلافاتسكي قد جابت العالم سعيا وراء المعرفة الروحانية، وتلمست سبيلها عبر مختلف فروع التراث الصوفي؛ فتوصلت إلى أن أصل كل الحكمة القديمة يكمن في الهند والتبت، تجسد هذا من خلال الحكماء أو القدسين "المهاتما" الغامضين، بإعتبارهم بشرا إرتقوا إلى مرتبة روحانية أسمى، وهؤلاء إدعت

بلافاتسكي بأنها تستمد منهم قوى روحانية، وكانت تعتقد بأن الهند هي مهد العرق المصري، ولم يكن من المستغرب أن نجد أن بلافاتسكي قد إعتمدت في فهمها لتاريخ السحر إعتمادا كبيرا على الترجمة الإنجليزية لكتاب إنموزر، وهو الأمر الذي لا شك في أنه صاغ مفهومها عن المعرفة الغيبية الممتدة من الشرق إلى الغرب، وقد حررت أحدى أتباعها الأوائل وإسمها " إيما هاردينج بريتن " (1823 – 1899) الوسيلة الروحانية الأمريكية بريطانية المولد كتابا عنوانه (فن السحر: أو الروحانية الدنيوية وفوق الدنيوية)، تناول موضوع التوجه إلى أقصى الشرق بحثا عن أصل السحر، وجاء فيه: " لا يوجد كثير من أمم الشرق تفوق في إهتمامها بالسحر الأمة الصينية؛ الشعب الذي يشكل تراثه لعزا تاريخيا، وينازع حتى الهند في عراقة الأصل ".

مع أن جميع محاولات التأريخ المنشورة عن السحر تهتم تقريبا بأوروبا والعالم القديم، ثمَّة حضارات أخرى كثيرة في جميع أنحاء العالم لها تاريخها السحري أيضا، وإن كان لم ينل سوى نصيب قليل من المؤلفات التي كتبت عنه، في الكثير من المجتمعات، يجري التعبير عن هذا التاريخ شفويا من خلال الأسطورة والخرافة؛ فسكان جزر تروبرياند مثلا الذين درسهم " مالينوفسكي " كان لديهم تفسيران أسطوريان، أحدهما أن أول من أوجد السحر هي أرواح الأسلاف التي تستقر في عالم سفلي تنبع منه الحياة كلها، وتمَّة أسطورة أخرى تفسر كيف قُدم السحر للناس أولا من خلال الشخصية البطولية " تودافا "، الذي خلق بعض الجزر بأن ألقى الحجارة في البحر، والذي وهب البشر نعمة الزراعة. وقد ورد في دراسة قديمة كان عالم الأنثروبولوجيا " الهاوي لويس فوري " قد أجراها عن (البوشمن) الذين يعيشون في صحراء كالهاري؛ أن هؤلاء الناس آمنوا بأن السحر مستمد من روح شريرة تدعى " جاوا "، التي تستقبل أرواح أولئك الذين يموتون " ميتة شنيعة "، ساوى لويس فوري بين " جاوا " وإبليس، الأمر الذي يثير مجددا مسألة الوعي بأن الرغبة في إيجاد أوجه تشابه بين تلك الحضارات وتاريخ المسيحية الغربي، قد تؤدي إلى تشويه معتقدات الثقافات الأخرى أو سوء تمثيلها (ديفيز، 2014، ص ص 41 إلى غاية 50).

ثالثاً: وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في المعتقد السحري التّبسي

يعتبر فن السحر هوفن توظيف الوكالات الروحية غير المرئية أوما يسمى الحصول على رؤية معينة النتائج، هذه الوكالات ليست بالضرورة كيانات غير مرئية، تنتقل في مكان شاغر جاهز للمجيء بأمر من أي شخص من خلال تعلم بعض التعويذات والإحتفالات؛ لكنهم يتألفون بشكل أساسي في التأثيرات غير المرئية ولكن قوية العواطف والإرادة من الرغبات والفكر والخيال والحب والكراهية والخوف والأمل والإيمان والشك... إلخ، إنهم قوى ما يسمى الروح؛ يتم توظيفهم في كل مكان ومن قبل الجميع في كل يوم، بوعي أو بغير وعي، عن طيب خاطر أوعن غير قصد، ولدى أولئك الذين لا يستطيعون السيطرة أو المقاومة مثل التأثيرات، ولكن يتم التحكم بها من قبلهم، فهي أدوات سلبية " الوسائط " التي من خلالها مثل هذا الغيب تتصرف السلطات، وغالبا ما يكون عبيدها غير راغبين؛ أولئك القادرين على توجيه السيطرة على مثل هذه التأثيرات من خلال إكتساب السيطرة على أنفسهم، بما يتناسب مع قدرتهم على التحكم نشطون وقويون، والسحرة الحقيقيون قد يوظفون قواهم للخير أو للشر. لذلك نرى ذلك عندنا بإستثناء الأشخاص غير المسؤولين، كل من لديه أي قوة إرادة بقدر ما يمارس هذه الإرادة، قوة ساحر نشط؛ ساحر أبيض إذا وظفهم للأبد، ساحر أسود إذا إستعمل لهم لأغراض الشر (Hartmann, 1924, P 12).

يمارس السحر الأسود في أي مكان نحن تحت التنفيذ لما حدد " إستخدام القوات للشر سحر الطبيعة " إذن فهو يختلف عن العلوي والإلهي، فالسحر في ثلاث نقاط أساسية: يختلف عنه أولا من خلال تنوع النوايا، ثم في درجة العلم أو الجهل بالوسائل المستخدمة (Stanislas, 1920, P 5 – 6).

تعتبر تلك النزعة الطقوسية والأداتية المستخدمة في معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) حين يتم تسليطها على جسم الشخص " المغدور "[1]، أو " المطعوم "، أو

[1]– الشخص " **المَغْدُورْ** ": مقتطف من مقابلة شخصية مع الراقي الشرعي (ذياب)، 51 سنة، في بلدية الشريعة، 2019/03/08، وتعني الكلمة؛ (غَدَرَ) بفلان بمعنى خانه، وأعطاه طعام فاسد.

"المرهوج"[1] لتأخذ " المنحى الحواسي "[2] أثناء عملية الإنتقال، حيث يكون إنتقال السُّم الوصفاتي السحري إلى الأجساد بدايةً من الحواس الخمسة، فيترتب عنه حينها أشكال من سحر التوكال إمَّا يكون: (مأكولاً، أو مشمومًا، أو ملموسًا، أو مسموعًا، أو منظورًا)، وبدوره يأخذ نوعين من التوكال داخل جسم الشخص المتسمم؛ إما يكون (توكال عن طريق الإنس) أو (توكال عن طريق الجن) يكون القائم بالفعل السحري؛ إما إنسيًا أو جنيًا، أو يجتمع بين الإنثين معًا في آن واحد، فيتوكل عن تلك المادة السحرية السَّامة في كلا الحالتين؛ " خادم " أو " حارس " أو " تابع " سحر من عالم الجن، فيسعى هذا الأخير لحراسة تلك السموم داخل بدن الشخص اَلْمَوَكْلْ.

حقيقة أن هذا الشكل البدائي من الإنتقام الجبان يتم دون مجابهة معروف منذ القدم وفي العديد من الحضارات، وتكفي نظرة على مصنفات الطب القديمة اليونانية والعربية لنكشف مدى إهتمام الأطباء العرب واليونانيين بأنواع السموم، وطرق معالجة " التَّسميم Empoisonnement"، ولا تزال تستعمل حتى الوقت الراهن بعض الوصفات التي عرفت قديما لعلاج أعراضه (وأعراب، 2018/12/30، 19:14).

فالإنسان من نظرة أنثروبولوجية هو كائن طقوسي بإمتياز مثلما هو كائن رمزي (المحواشي، 2017/06/16، 15:02)، نقول أن ماضي الإنسان التّبسي الأسطو-طقوسي؛ هو جزء من حاضره الحالي فكانت العلاقة توراثية منتقلة من جيل إلى جيل آخر مرورًا بالعادات والتقاليد، حين يضمر فيها المعتقد بتلاشي الأسطورة ليحل محلها

---

[1]- الشخص " **المرْهُوجْ** ": مقتطف من مقابلة شخصية مع المعالجة الروحانية (خالتي الطاوس)، 50 سنة، في منطقة العقلة قرب بلدية الشريعة، يوم 2018/01/03، تعني الكلمة عندها: أنها مشتقة من (الرَّهْجْ) بمعنى ذلك السُّم الذي يندرج ضمن السموم ذات الأصل المعدني.

[2]- مصطلح " **المنحى الحواسي** ": مقتطف من مقابلة شخصية مع الروحاني (عمي عمر)، 56 سنة، في منطقة بئر العاتر، 2018/01/17، والراقي الشرعي (رضا)، في منطقة مرسط وبالتحديد في مكان عمله، 2017/02/03، حيث شرحا كليهما أنواع تلك المواد السامة التي تستخدم في السحر المأكول بمعنى تلك المقتنيات الطبيعية التي تنسق عملها التَّسميمي مع (خادم سحر) من الجن يوكل داخل بدن المتسمم فتضرب تلك الأخلاط السحرية النَّجسة الجهاز المناعي مروراً بالحواس الخمسة.

التعويذة والمادة السحرية، حتى تكون هذه الأخيرة جزء من السحر والطقس السحري (نجي، 1999، ص 15).

إذ تصدرت طائفة من الدراسات العلمية والأنثربولوجية الحقلية التي صنفت من أكثر فروع المعرفة تناولاً للمواد السامة والمركبات السحرية في الواقع المعاش، إذ شملت العديد من الدراسات الميدانية منها دراسة: " مالينوفيسكي برونيسلاف Bronislaw Malinowski "، (الحياة الجنسية للبدائيين في شمال غربي ماليزيا)، لندن، 1968، فقد إستخدم مصطلح الشعوذة لوصف السحر المؤذي بوجه عام، ثم أدرجه على أنه يستخدم لعقاب اللصوص، أما الصحفي الأمريكي " إيزاك ماركوسون Isaak Markuson "، (مغامرة إفريقية)، الكونغو، 1961، وصف كيف أشتهر مشعوذ بعلاجاته السحرية بإستخدام مادة حمراء تبيَّن لاحقاً أنها لحوم بقر معلبة مع مواد و أشياء لها غرابة سحرية، وقد تميزت أعمال " دموقريطوس " (420 – 37047 ق. م)، في نصه (كيروميكتا)، الذي شرح فيها الخصائص السحرية للنباتات والأحجار والحيوانات وتأثيراتها العلاجية والسُّمية، فاعتبره البعض أبو العلم (ديفيز، 2014، ص ص 32 – 42)، فكان موضوع " علم السموم Toxicology " قديم النشأة، فذكرت بردية (إيبرس)، (أقدم مخطوطة علمية مكتشفة حوالي 1500 ق. م)، معلومات متعلقة بالعديد من السموم: (نبات الشكران Hemlock، خانق الذئب Aconite، الحنظل L'amer، الأفيون Opium) والمعادن: (الرصاص Conduire، والنحاس Cuivre، والأنتموان Antimoine)، وحسب نصه أن نبات الشكران هو السُّم الرسمي عند اليونان، و قد وضع لـ "سوقراط Socrate"، في شرابه وتمَّ إعدامه، ومنها دراسة: " موسى بن ميمون " في العصر الحديث (السموم و ترياقاتها)، 1198، والذي يعتبر مرجعًا للإسعافات الأولية في مجال " التَّسميم Poisoning " والإنتحار بسموم الحشرات والأفاعي والكلاب المسعورة، وحتى لا ننسى كتاب " إبن سينا " (980 – 1037 م)، (القانون في الطب)، أورد فيه سموم من أصل نباتي وحيواني (الحيالي، 2018/12/29، 15:12)، والعديد من الدراسات الأخرى أثناء الحقبة الإستعمارية في المغرب، منها دراسة: الطبيب الشرعي " شارنو "، (وصفات التَّسميم الشعبية المعروفة بإسم التوكال)، و " شارل لوكور Charles Lokur "،

(الطقس و الأداة)، والطبيب النفساني " موشون " الذين بحثوا في كل ما يخص وصفات السحر والأسطورة والمخيال الشعبي.

نحاول من خلال هذا الفصل أن نعرض للقارئ الجانبين؛ الطقوسي التَّسميمي و التطبيبي السحري لظاهرة معتقد السحر المأكول. وكذلك نعمل على التركيز بشكل رئيسي على أكثر الوصفات السحرية شيوعًا وإيذاءًا، وما يترتب عنها من أمراض عضوية، وروحية، وعقلية.

لذا سننطلق من طرح السؤال الفرعي الثاني: هل يعتقد أفراد المجتمع التّبسي بوجود معتقد التسميم بـ وصفات السحر المأكول؟، ولماذا يستعين المعالجين السحرة في مدينة تبسة بـ تطبيب الطب السحري الذي يعتقدون في إمكانية خواصه وقدراته العلاجية؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة ولتحقيق الأهداف المرجوة في المجتمع التّبسي؛ تمَّ الإعتماد غلى " الإثنوغرافيا Ethnography " بإعتبارها الأرضية الخام في البحوث الوصفية والأنثروبولوجية، هذا يعني أننا سوف (نصف و نحلل و نسجل) كل ما يتعلق بالظاهرة بدقة متناهية من أجل التفسير بما يتفق وطبيعة السؤال المركزي. وقد إرتأينا " الملاحظة بالمشاركة " كأداة أساسية لجمع المعلومات، و " المقابلة المعمقة " حتى يسهلان علينا رصد كل ما يتعلق بالممارسات الطقوسية الشعبية التسميمية منها والعلاجية المرضية، وملاحظتها عن كثب، وبالأخص حالات الإصابة رغم حساسية الموضوع لأنه يعتبر من (الطابوهات) المسكوت عنها تبسيًّا، والتي يصعب التصريح عنها، وذلك دون أن نثير الرَّهبة والشَّك في نفوس هؤلاء الأفراد.

هدفت هذه الدراسة الأنثروبولوجية إلى تفسير ظاهرة معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) في المجتمع التّبسي، وذلك بإستخدام " المنهج الوصفي " لنصف من خلاله كل ما يسمع من طرف فئة المبحوثين، ولأن الظاهرة تعتبر من ضمن المحرمات إجتماعيًا ودينيًا تمَّ إستنطاقنا لأفراده المختارين بتقمص الدور ذلك عن طريق محاولة التردد على المبحوث الواحد العديد من المرات إلى حين كسب ثقته التامة وأخذ ما يلزم

أخذه منه من معلومات، وبالتالي يتسنى لنا التفريق بين: (الطقوسي التَّسميمي، الأداتي و العلاجي السحري) الذي يعتبر مخفي عن الأنظار ومحاولة كشفه ونقله للعلن.

وموضوع معتقد " السحر المأكول " أو " التَّسميم الشعبي " أو " التَّسمم الإجرامي " يكمن في؛ ممارسات وطقوس ومشاعر غامضة حين تعتبر وصفات وجرعات سحر التوكال دافع فيها. فيعرف على أنه أول وسيلة لجأ إليها الإنسان القديم حسب الكثير من الأنثروبولوجيين لما له من تأثير جسدي معدي سريع المفعول خاصةً أثناء إصطياد الضَّحية المغدورة، وغالبًا ما إرتبط هذا الفعل بالمرأة الذي ينظر لها شعبيًا بنظرة سلبية تحت شعار (المرأة الساحرة)، لذا يستقطب موضوع السحر العنصر النسوي أكثر من نظيره الذكوري، هذا الذي توصلت إليه العديد من الأبحاث، التي إهتمت بإبراز الوضع الدُّوني للمرأة في المجتمعات العربية، فتعاطيها للسحر نوعًا من اللجوء إلى سلطة خفية تتيح لها الدفاع عن نفسها والإسترجاع السري لما ينتزع منها من نظيرها الذكوري، هنا تكون (حالة حرب) متأصلة ضحيتها الرجل، فإحتماء المرأة وراء سلطة السحر تمكنها من إعادة تشغيل العالم بكيفية تجعله بـ (المقلوب)، حيث تأخذ المرأة وضع المتسلطة القادرة وحدها على نفخ الرجل بالحب أو بالكراهية، فيأخذ الرجل وضع الخاضع الذليل الممتثل دون أن يملك أي سلاح للدفاع عن نفسه (بلانطارد، 2018/12/12، 12:12).

وهذا يعني أننا لا نقصي دور الرجل من الممارسة العملية للسحر، لكن نجد النساء أكثر تعاطي لهذا الفعل الطقسي المنزلي المخيف، نتيجةً لخوفهن من المستقبل لأنهن يعشن حالة من اللَّا إطمئنان، يرى " إدوارد وسترمارك E.Westermark ": " أنَّ ما يربط المرأة بالجن هو الدم، على أن تفضيل هذه الكائنات لمنابع المياه، والمواقد النارية التقليدية أين تعمل المرأة وتوجد بإستمرار، يجعلها عمليًا أكثر الإصابة بأذاها "، فالمطبخ السحري النسوي له وظيفتين، أولهما الدور الغذائي وثانيهما الدور البيولوجي المتمثل في المعمل التجريبي لسحر المرأة ففيه تعد وصفاتها العلاجية والسحرية البسيطة والمكونة عادةً من الأعشاب التي يتم جمعها والإحتفاظ بها في البيوت (أعراب، 2017/05/16، 18:03).

كـ (تفاح الجن، بيض الغول، شدق الجمل) فهذا الأخير يكفي غرام واحد منه لقتل الإنسان، وتضاف إليها بعض المواد الحيوانية الخاصة كـ (شحم القنفذ، عظام الحنش، خصيَّة الذئب و زبله، قشرة الأفعى ورأسها، عين الهدهد ودمه وريشه، دم الخفاش، دم العصفور، الحرباء وبيضها، مرارة الغراب ودمه، عش الخطاف...) هذا بالنسبة للحيوانات البرية، أما الأليفة منها نذكر: بعر الماعز، وأضلافه ومرارته، روث الحمار، بول الكبش والبغلة، مخ الديك الأسود ومخ الحصان، الفئران، ودم أضحية العيد... (وأعراب، 2018/12/30، 20:10).

وقد تضاف إليها بعض المعادن كـ الملح، القطران، الشبَّة، الكبريت، الرصاص، الحديد، اللَّدون، و " الزَّهج "[1]، وهي مواد يعتقد أنَّ إحراقها وإستنشاق روائحها يدفع إلى الكثير من الأمراض التي مصدرها السحر والجن، فيترتب عنها نوع من التوكال يدعى " التوكال المشموم "[2] الذي يستهدف بقوة الجهاز التنفسي مخلفًا بذلك إضطرابات في التنفس تشبه مرض (الرَّبو) دون سابق إنذار، والتي لا يعرف لها سبب طبي وتشخيصي عند أصحاب الطب الحديث، حيث يعتقد أن هذا السحر إحتيالي غير موحى به، كتأثير بعض العطور والعقاقير في البصر والمخيلة ما يسمى بـ " السحر الضَّار With craft " الناتج عن " الشعوذة Sorcery " التي تستخدم في إنزال الشر بالأخرين (غنيم و شريف، س. ن. غ. م، ص ص 7 – 8).

---

[1]– مصطلح " **الزَّهجْ** ": سم من أصل معدني، هو حجر دائري أصفر اللون في نفس حجم حبة الحمص يباع عند العشابين.

[2]– مصطلح " **التوكال المشموم** ": مقتطف من مقابلة شخصية مع الراقي الشرعي (لعموري عبد السلام): 53 سنة، يقطن في وسط مدينة تبسة، 2018/05/08، حيث قسم لنا سحر التوكال إلى خمسة أشكال منها: التوكال المشموم يدخل من الأنف ويستهدف الجهاز التنفسي كالأبخرة والعطور، والمأكول منه والمشروب يدخل الفم ثم الجهاز الهضمي كالمكروبات والجراثيم والسموم عن طريق الطعام والشراب، أما المسموع فينتقل عبر الأذن ثم إلى الجهاز السمعي كتغطيره فيها أو سماع تعاويذ سحرية، في حين المنظور يدخل حاسة العين ويستهدف الرؤية كالكحل المسموم، أما إن كان ملموسًا فيتسلل عبر مسامات الجلد ثم إلى الدم والعروق كالمراهم ومصافحة اليد المطلسمة. هنا يكون القائم بالتوكال إما (إنسيًا) يسمى توكال مباشر أو (جنيًا) يسمى توكال غير المباشر.

ويضيف الطبيب الشرعي " شارنو " أن؛ " أنواع السُّموم ثلاثة: (نباتي، حيواني، معدني) التي نجدها تباع عند العطارين.

الملحق رقم 25: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ مقتنيات توكال " السحر النباتي " التي تستخدم في التوكال المباشر الأبيض و التوكال المباشر الأسود

صورة ملتقطة تبين؛ عشبة (اللُّوبان) تستخدم في السحر المأكول الأسود نظرا لـ مرارتها وقوتها داخل بدن المتسمم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/02/04. على الساعة؛ 09:01 د

صورة ملتقطة تبين؛ عشبة (السَّاكتة و المسكوتة) تستخدم لتسكيت الرجل المتمرد على زوجته

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/07/10. على الساعة؛ 11:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ عشبة الفلفل الحار (فلفل الزيانة) يستخدم للزيادة في حرارة المحبَّة بين الرجل والمرأة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/05/09. على الساعة؛ 10:01 د

الملحق رقم 26: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ مقتنيات توكال " السحر الحيواني " التي تستخدم في التوكال المباشر الأبيض منه و الأسود

صورة ملتقطة تبين؛ (حرباء حيَّة) يعتقد تبسيًّا أنها تعالج مرض الحنجرة بعد ذبحها وأكلها على الريق

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/02/02. على الساعة؛ 12:03 د

صورة ملتقطة تبين؛ (ريش الهدهد) يعتقد في قدرته التوكالية الخطيرة عندما يدس في وصفات السحر المأكول الأسود

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/09/20. على الساعة؛ 11:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ (رأس شاة الحلال) يفتح بين قدمي العروسة يعتقد من خلال هذا الطقس ومن خلال هذه الممارسة دوام بقاء سيطرة المرأة وتنفيذ كلامها من طرف زوجها

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/09/11. على الساعة؛ 10:02 د

صورة ملتقطة تبين؛ (قلب و ساق كبش العروسة) يعتقد في توكاله الأبيض القوي عند العروسة التبسيَّة وأهلها أين يوجه هذا الطقس التوكالي تجاه العريس وأصحابه أو العريس وأهله فيمارس من أجل حصول تلك المرأة على القبول الدائم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/04/12. على الساعة؛ 08:10 د

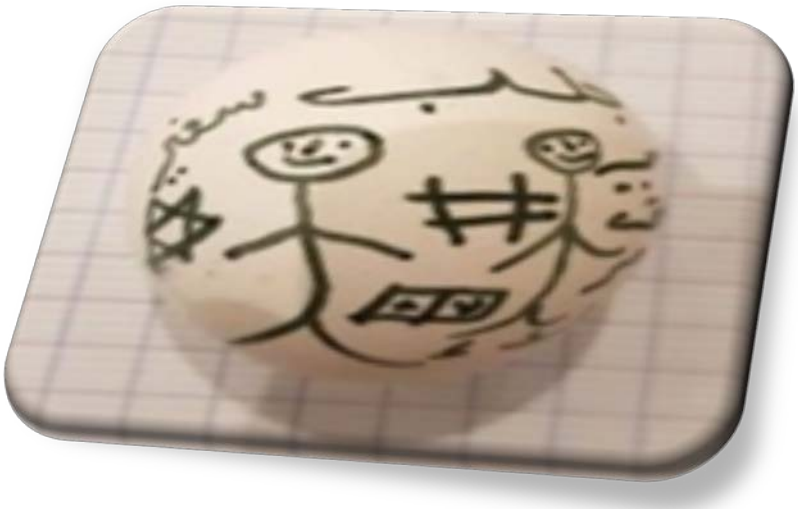

صورة ملتقطة تبين؛ (حبَّة بيض) رسم عليها شكل رجل وإمرأة مع تعويذة المحبة تستخدم هذه الممارسة الطقوسية في معتقد وصفات السحر المأكول بهدف التهييج والجلب السريعين

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/07/10. على الساعة؛ 11:11 د

صورة ملتقطة تبين؛ (مرآة، سكر، حليب) وضعوا في فم شاة الحلال قبل ذبحها لتقوم تلك الممارسة الطقوسية بتوكال الحيوان أولا ثم تنتقل بعد ذلك بصفة آلية إلى توكال الإنسان

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/05/09. على الساعة؛ 11:13 د

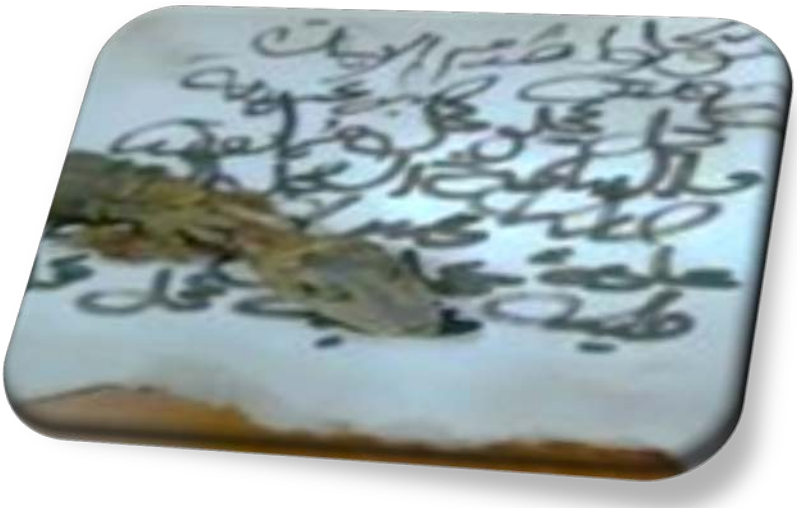

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (حرباء عذراء) مع طلسم مكتوب يمارس هذا التوكال لـ تبوير الفتاة ومنعها من الزواج

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/02/04. على الساعة؛ 01:13 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (شحمة شاة الحلال) بمعنى (شحمة الغرنوق) كما يطلق عليها تبسيًّا؛ تقلى في الزيت والسكر ثم تأكلها الفتيات العازبات وهي ساخنة بعد ذبح كبش العروسة مباشرة حينها نجدهن متفائلات بهذه الممارسة التوكالية البيضاء

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/07/10. على الساعة؛ 10:15 د

صورة ملتقطة تبين؛ (فرج ضبعة) يستخدم من طرف المرأة المحرومة فيوجه تجاه زوجها المارد بهدف زيادة محبته الجنسية أثناء العلاقة الحميمة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2020/08/17. على الساعة؛ 14:07 د

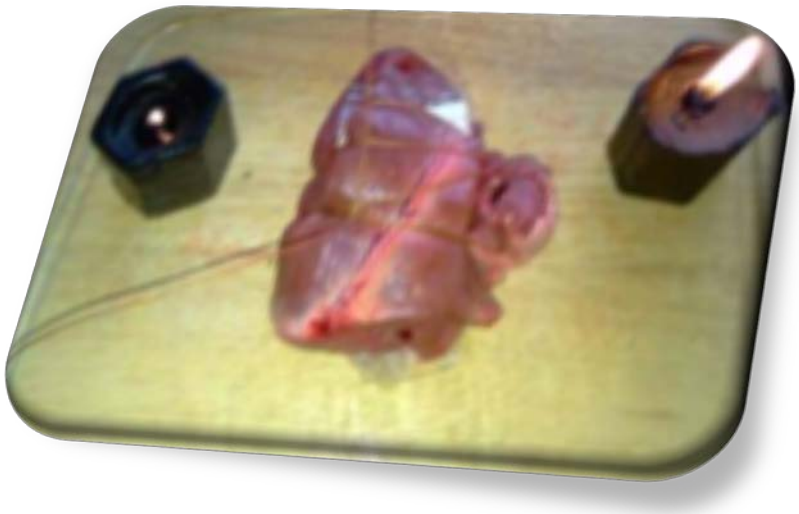

صورة ملتقطة تبين؛ (قلب شاة عيد الأضحى) ربط بواسطة خيط وتعاويذ سحر – توكالية من طرف ساحر مسمم حيث يمارس هذا الطقس في معتقد السحر المأكول الأسود منه والأبيض حسب التوكيل والنيَّة المطلوبين

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/12/04. على الساعة؛ 12:20 د

صورة ملتقطة تبين؛ أفعى (حيَّة) تصطاد لتباع لدى العشابين

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/03/09. على الساعة؛ 13:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ (حبَّة بيض) مطلسمة تستخدم في توكال الانتقام

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/14. على الساعة؛ 12:01 د

صورة ملتقطة تبين؛ (عسل نحل) يحتوي على تعاويذ سحرية يستخدم في توكال المحبَّة من طرف أهل العريس تجاه أهل العروسة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/07/17. على الساعة؛ 13:10 د

الملحق رقم 27: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ مقتنيات توكال " السحر المعدني " التي تمارس في طقوس التوكال الأبيض و طقوس التوكال الأسود

صورة ملتقطة تبين؛ (خاتم فضة) يدهن عليه سحر التوكال الملموس الذي ينتقل عبر مسامات الجلد إلى الدم والعروق

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/02/16. على الساعة؛ 22:03

صورة ملتقطة تبين؛ (قطران) يحتوي على مادة الشَّب يمارس في السحر المأكول الأبيض والسحر المأكول الأسود

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/10/20. على الساعة؛ 12:10 د

أما النوع الرابع حسبه يتمثل في بقايا من جسم الإنسان كـ (دم الحيض، تراب سبع مقارب، وماء غسل الميت، وأضلع الموتى وعظامهم...) "، يتيح هذا الأخير بالموت فتستعمل المكونات مذابة في الوجبات المحلية الشهيرة كـ (الكسكس و الحريرة) وبعض المشروبات كالقهوة دون حليب (وأعراب، 2018/12/30، 22:23).

الملحق رقم 28: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ مقتنيات السحر المأكول المصنوع من " بقايا جسم الانسان " الذي نجده يمارس في التوكال الأبيض و التوكال الأسود

صورة ملتقطة تبين؛ (وسخ الأذنين) تتلى عليه تعاويذ سحرية منزلية ليمارس في توكال المحبَّة من طرف تلك الزوجة المجروعة والمقهورة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/07/09. على الساعة؛ 12:14 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (تراب القدمين) ما يسمى تبسيًّا؛ بـ (تراب خطوات الرجلين) يمارس هذا الفعل التوكالي في معتقد السحر المأكول لجلب الحبيب الهارب من حبيبته أو العكس

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/12/10. على الساعة؛ 11:13 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (بقايا الأظافر) شديد التَّسميم يمارس طرياً في معتقد السحر المأكول المنزلي الخاضع للخبرة والتجربة لا للإختصاص والعلم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/06/03. على الساعة؛ 10:15 د

صورة ملتقطة تبين؛ صورة (مقبرة) يعمل على الأخذ من ترابها حيث يمارس هذا التسميم القاتل في معتقد السحر المأكول المنزلي وغير المنزلي

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/23. على الساعة؛ 14:05 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (شعر الرأس) يمارس في طعام الحبيب أو العشيق

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/06/07. على الساعة؛ 12:10 د

تمارس تلك المقتنيات رطبةً طريةً في ضوء ممارسات وطقوس مرافقة للعملية التوكالية في مدينة تبسة؛ بمعنى هي تلك الممارسات المستخدمة في معتقد السحر

المأكول والتي تستهدف الضحية مباشرةً، ونوضحها عن قرب من خلال الصور الفوتوغرافية التالية:

الملحق رقم 29: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقوس مرافقة لعملية السحر المأكول التي تمارس في التوكال المباشر الأبيض و التوكال المباشر الأسود وكذلك في التوكال غير المباشر الأبيض و التوكال غير المباشر الأسود

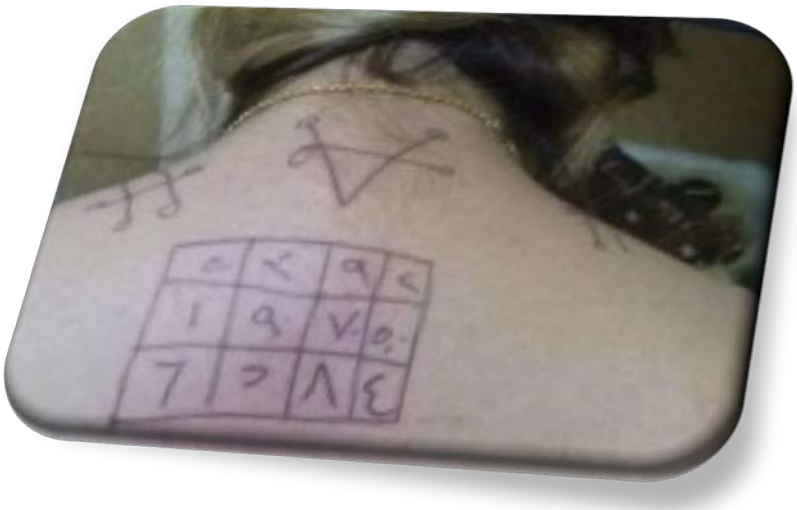

صورة ملتقطة تبين؛ كتابة (طلسم مربع و نجمة خماسية) بقلم أسود من طرف ساحر رسمي على رقبة وظهر إمرأة تريد الزواج في وقت قصير حيث تعتبر هذه الممارسة في معتقد التّبسي أنها توكال غير مباشر أبيض يظهر مع مرور الزمن في شكل أمراض روحية وعضوية لا تعد ولا تحصى

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/02/02. على الساعة؛ 12:03 د

صورة ملتقطة تبين؛ شكل من أشكال (التعاويذ) السحر – توكالية التي تكتب على الجهة الداخلية من لباس النوم يمارس هذا الطقس بهدف التوكال الملموس غير المباشر الذي هدفه التطبيب

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/09/20. على الساعة؛ 11:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (مجمر النار) متكون من الفحم الطبيعي يمارس من خلاله فعل التبخير بهدف سحر التوكال المشموم الذي ينتقل عن طريق حاسة الشم ويكون هذا الفعل عن غير قصد بإعتبار أن الهدف الرئيسي منه هو التَّطبيب

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/09/11. على الساعة؛ 10:02 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (مقص) عبارة عن أداة مرافقة للعملية السحر – توكالية يستخدمه ساحر مسمم مضافاً إليه طلسم سحري وشمعة بهدف الربط والعقد ووقف الحال

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/04/12. على الساعة؛ 08:08 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (خلوة المرحاض) عبارة عن حضرة يستعين بها أصحاب "سحر التوكال الشعبي" و "سحر التوكال الرسمي" من هؤلاء الأشخاص المجرمون

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/07/10. على الساعة؛ 11:11 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس عبارة (طلسم توكالي) كتب من طرف ساحر رسمي مختص في السحر المأكول الأسود حيث يمحى في الماء أو في طعام الضحية خفيةً

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2020/05/09. على الساعة؛ 11:13 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (أدوات السداية) يرافق سحر التوكال في جميع أنواعه المختلفة المشموم والملموس والمنظور والمأكول والمسموع

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/02/04. على الساعة؛ 01:13 د

فقد قدم " السيوطي " في كتاب " الحكمة " وصفات عديدة بأعضاء الحيوانات خصوصًا المرارة، فهذه الأخيرة ما وجدناه مماثلاً في مدينة تبسة؛ عند ساحر مسمم يزاول

مهنته في قرية المزرعة، وحسب مصادرنا الشفوية أن الرجل إذا أراد أن يجلب عشيقته أو زوجته النَّافرة للفراش ولعقد لسانها، عليه أن يذهب عند " شَوَافَة " أو " سَاْحرْ " أو " طَالبْ " فيعطيه مرارة كبش ذكر (فَحْلْ اَلْمَاشيَّة) أو مرارة (كَبْشْ اَلْعيْد) لما لأيام العشر الأولى من ذي الحجة والعشر الأواخر من شهر رمضان وشهر شعبان بمعنى (اَلْعْوَاشيْر) من طابع سحري فعال وقوي، سواء لعمل السحر، أو تجديده، أو فكه من كل عام، فينصحه بطلي عضوه الذكري قبل بدء عشيقته بلعق قضيبه بسانها، وتقريب عضوه من فرجها حينها تنشأ سخونة كبيرة أثناء العلاقة الحميمة.

الملحق رقم 30: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس (مرارة كبش العيد) الذي يستخدم في وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) بهدف ترييض الزوج أو ترييض الزوجة من خلال " توكال السحر الأبيض " وتمارس أيضا هذه الوصفة بهدف الإنتقام وتمرير المعيشة في " توكال السحر الأسود " شديد التَّسميم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/06/06. على الساعة؛ 18:01 د

فهذا الفعل الشعبذي عادةً ما يتوكل عنه خادم سحر يدخل بالمص الفموي مرورًا بالبلعوم ووصولاً إلى المعدة والأمعاء، فتنتشر مادته الخبيثة إنتشارًا كبيرًا لتعم في كامل أنحاء الجسم، ناهيك عن إمراضه بأمراض عضوية خطيرة، يُفعلها وينشرها أكثر خادم

السحر الموكل من طرف الساحر المسمم تحت عهد إتمام المهمة داخل جسم المصاب، فهذا الخادم يكون من " الجن الأرضيين "[1] بمعنى هم هؤلاء الأرواح الخبيثة من شياطين الجن الذين يوكلون في بدن المتسمم كـ " الجن اليهودي " الذي يعمل على حراسة مثل تلك النَّجاسات، حيث يأخذ هذا الطقس السحري هنا رمز ذكر الماشية الذي يتميز بالفحولة والذي يعتبر سيد القطيع وبالتالي يقوم بقيادة النعاج والتزاوج معهم، ومن خلال هذا الطقس المعدي تصبح الزوجة أو العشيقة راكعة طائعة.

وإضافة إلى ذلك نذكر وصفات طقوسية أخرى أثناء ربط الفتيات عن الزواج أي ما يسمى تبسيًّا بـ طقس " التَّصفيح " [2] أو " التصفَاح " بمعنى ربط الفتيات قبل سن البلوغ، وهذا النوع الذي تحفل به مصنفات السحر من باب حماية عذرية البنت من ذلك الشخص الغريب الذي يريد أن يتربص بها، فيترتب عنه ثلاث مخلفات سحرية؛ " ربط " [3]، " عكس " [4]، سحر مأكول " أو " سحر مشروب " حيث نجد أن هذا " الطقس Rite " المتوارث والممارس من أيام الإستعمار الفرنسي هدفه الحماية، حين يعمل في هذه الوصفة من طرف الأهل دون قصد سحري منهم أو دون قصد توكالي، لكن في الحقيقة هذا " الفعل الشعبذي " مؤذي لإستعانته بالغيبيات.

---

[1]- مصطلح " **الجن الأرضيين** ": هم تلك الأياح أو الأرواح السلبية الذين يستعين بهم الساحر المسمم قصد إتمام مهمة السحر حيث يقوم بتسخيرهم في حراسة المواد السحرية بصفة مستمرة داخل الجسد، فهذا النوع من الأرواح الخبيثة هو مختص في حراسة النجاسات.

[2]- مصطلح " **التَّصْفيحْ** ": بمعنى ربط الفتيات عن الزواج قصد حماية عذريتهن من من يتربص بهن من هؤلاء الأشخاص الغرباء.

[3]- مصطلح " **الرَّبط** " و " **الثَّقَافْ** ": بمعنى عقد ومنع عن مجمل أفراح الحياة بأنواعها ويستخدم هذا النوع من التعطيل سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة.

[4]- مصطلح " **العكس** ": بمعنى (**النَّحس**) أو (**التَّابعة**) أو (**أم الصّبيان**) أو (**الملْعُونَة**)؛ ويقصد به تلك الجنيَّة التي هي من أخطر أنواع الجن المتسلط والتي كثيرًا ما نجدها في أغلب حالات التطبيب على أنها عبارة عن جن مكتسب و تارةً أخرى نجدها عبارة عن جن متوارث من الجدات ثم الى بنات الجدات ثم إلى الحفيدات وبنات الحفيدات... إلخ.

ف " الوصفة " كما نعرف تعني تفصيل المواد والظروف والطقوس التي تدخل في تحضير العملية السحرية، وتتضمن عناصر وطقوس يحدث تفاعلها السحري (حسب المعتقد) في تحقيق الغرض، فهناك طقوس يدوية (كتابة الأسماء على قطع ورقية، تعليقها على الهواء والرأس، إعداد الحناء وتخضيب اليد بها، وطقوس شفوية، تضاف جميعها إلى العناصر المؤثرة الأخرى كالبخور لإحداث نتيجة ما) ". حسب " دوتيه ": "(نجاح تلك الطقوس والوصفات السحرية على الواقع في الإعتقاد بوجود (الجن) أو (الخادم) تتطلب إستمالته القيام بطقوس وشروط معينة" (طواهري، 2016، ص 66)، وفي هذه الحالة تأخذ العجوز (المُصَّفحَة) ـ ثلاث أو سبع حبات تمر أو ثلاث أو سبع حبات زبيب ـ ثم تقرب صوبها الرُّكبة اليمنى للفتاة الصغيرة لتضع لها _ سبع شرطات _ بالمشرط، واحدة تلوى الأخرى من اليمين إلى اليسار، وتمزج ذلك الدم الذي يخرج منها بالزبيب أو بالتمر وهي تردد (القُرَايَّة) بمعنى التعويذة السحرية؛ (وْلْدْ اَلْنَّاسْ خيْطْ و أَنَا حيْطْ) _ سبع مرات _ ثم تعطيه بعدها للفتاة حتى تأكله، وعند إقامة مراسيم زواجها يعاد الطقس التوكالي مرة ثانية لتفك من خلاله تلك الفتاة بطريقة عكسية من اليسار إلى اليمين من طرف نفس تلك العجوز وهي تردد (وْلْدْ اَلْنَّاسْ خيْطْ وْ أَنَا حيْطْ) _ سبع مرات _ حتى يسهل على زوجها فض بكارتها في ليلة دخلتهما، حيث تكون هنا حل الشعوذة بشعوذة أخرى مثلها، إعتقادًا من أفراد المجتمع التّبسي في نجاعة هذا التطبيب الشعبي السحري وخاصةً من خلال الحالات المستعصية وأثناء إبعاد خادم السحر الموكل والمانع عن الزواج.

الملحق رقم 31: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس (التَّصفيح) أو (التصفَّاح) الذي يمارس في وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) غير المباشر ويكون الهدف منه هو حماية عذرية الفتاة من ذلك الشخص الغريب الذي يريد أن يعتدي علها، حين يدخل هذا الفعل الشعبذي في إعتقاد الممارس التّبسي في شكل " توكال السحر الحلال "، لكن هو في الحقيقة المرة يدخل في شكل " توكال السحر الحرام " الذي يتسبب في أمراض باطنية خطيرة و أعراض؛ ربط، عكس، ووقف عن مجمل أرزاق الحياة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/08/07. على الساعة؛ 14:15 د

ولتشويه جمال المرأة أو الفتاة البكر وصرف الخطاب عنها (تَبْويْرهَا) تؤخذ أحد هذه العناصر (حرباء عذراء بمعنى حرباء بكر، جلد حية، بقايا من روث الغنم، كيس مخاض البقرة، عشبة الحيَّة و الميتَّة، والرَّوْامَة...إلخ)، أين توضح هذه الأخيرة (الرَّوامة)؛ هي غشاء جنين البهيمة تلك التي وضعت حديثًا، حيث تجفف وتدق بأداة (المهراس النُّحاسي) التقليدي كطقس ضروري مع إضافة القليل من اللعاب أي (البُزَاقْ) ويقرأ عليهما: (عْطيْتْك ريْقيْ تَبْعْ طرْيْقيْ) فتصبح الوصفة جاهزة لتدس في القهوة بهدف تمرير المعيشة وتنكيدها حيث تسود حياة المتسمم بعد هذا الفعل التوكالي لتأخذ لون القهوة تمامًا.

الملحق رقم 32: صورتان ملتقطتان من الميدان التّبسي تبينان؛ طقس (الرَّوامة) و أداة (المحراس النحاسي)

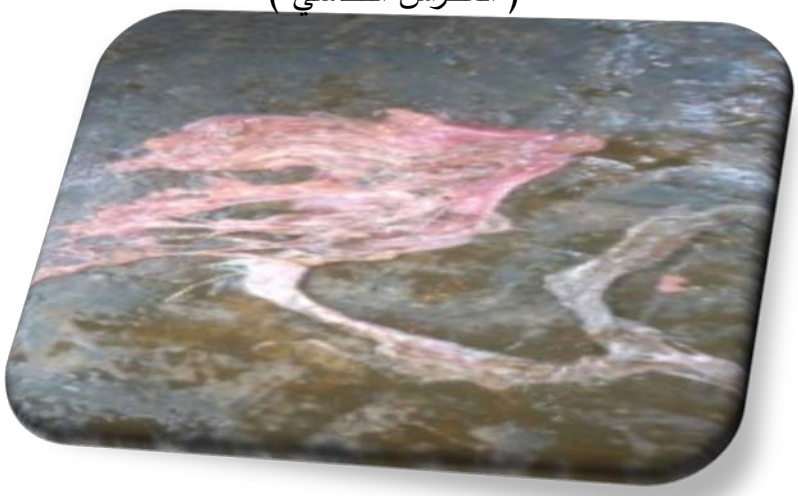

صورة ملتقطة تبين؛ طقس (الروامة) وهي غشاء جنين البهيمة التي وضعت مولودها حديثا

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/03/04. على الساعة؛ 12:13 د

صورة ملتقطة تبين؛ أداة (المهراس النحاسي) طقس ضروري يدق من خلاله تشكيلة المستحضرات السحرية التي تمارس في معتقد السحر المأكول

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/08/16. على الساعة؛ 10:15 د

ولعقد المرأة عن الولادة وهي على دراية بذلك لعدم قدرتها على أخذ دواء منع الحمل لأسباب مرضية، تنتظر ليأتي رأس الشهر وموعد نزول (حيْضْتْهَا) بمعنى دم حيضها، ثمَّ تمسح به على أسنانها عدد الأعوام التي لا تريد أن تنجب فيهم، وهي تردد: (مْسَحْتْ سْنَيَا بحْيضْتيْ تَحْبْس عْليَّا ضْنَايْتيْ) فإذا أرادت مثلاً (ثلاث سنوات) تمسح على (ثلاث من أسنانها) ثم تبتلعه على الفور، وحسب مصادرنا من إخباريين أن هذا الدم السحري قوي وكفيل بإحداث إضطرابات صحية خطيرة لدى المرأة قد تصل في أغلب الأحيان إلى فقدان القوى العقلية، وغالبًا ما تمارس هذه الوصفة بهدف الإنتقام حين يكون هذا العمل التوكالي سببه الحسد والغبطة، فلا تنجب المرأة إذا مسحت على أسنانها كاملة إلاَّ إذا إقتلعتهم جميعا بعدها تسترد خصوبتها، فلا يمكننا العبور إلاَّ بعد تفسير الدال والمدلول من وراء هذا الطقس التَّسميمي السحري الذي يستهدف الأسنان والخصوبة، نجد هذا الرَّمز واضحًا في تفسيره حتى من خلال رموز تفسير الأحلام حينما يعبر رمز (السن) في الرؤى على أنه يرمز إلى الأبناء والأعمام والأخوال.

وبالإضافة إلى ذلك نذكر وصفة أخرى تستهدف عقم المراة، وهو توكال يعبر إلى الجسم عن طريق مسامات الجلد ليلة حنَّة العروسة، ففي ليلة العمر تلك نلاحظ حراسة مشددة من أهل العروس تجاه المقربين منها خوفًا من هذا النوع الخطير الذي يوضع في الحناء من تلك المواد الخطيرة أو من الطلاسم التي يكتبها الساحر وما يرافقها من تعاويذ سحرية تنتهي بإستحضار القوى غيبية، حيث تمحى وتخلط مع بعضها البعض، ثم توضع على شكل دائري في كفي وفي قدمي العروسة، فيعمل هذا التوكال من منع العروسة من ذوق الفرحة مرة ثانية.

الملحق رقم 33: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس (حنَّة العروسة) الذي يمارس بهدف " توكال السحر النباتي " في ليلة الحنة حيث يكون الهدف منه الإنتقام من خلال الوصول إلى فك رابطة الزوجية أو عدم الإنجاب والعقم الدائم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. في؛ 2018/02/06. على الساعة؛ 17:16 د

ومن الوصفات الشعبية السحرية الشائعة تلك التي تعتبر تسميميَّة والتي تستهدف الأطفال الرُّضع أثناء علاجهم من مس (القْرِيْنَة) أو (أم الصبْيَانْ) بمعنى ما يسمى باللغة الشعبية المحلية بـ طقس نزع (اَلْخْيَالْ) هذا المرض الذي تظهر أعراضه من خلال: (البكاء الشديد، كوابيس الأحلام المزعجة، الخوف والوخز أثناء النوم، وجود بريق زائد في العينين مع إسهال حاد)، ولقطعه تأخذ (الرْجَايْبْيَة) معالجة الأطفال (شفرة حلاقة) وتشرط لذلك الطفل _ ثلاث شرطات _ في جبينه ويديه وقدميه وأسفل ظهره أي (زُكه) ثم تأخذ القليل من دمه وتخلط معه عشبة (الزنزار وكسكسي البارود) ليحتسيهم بعد ذلك الطفل الممسوس في شكل (غْرُورْ) حينها يشفى ذلك الرضيع بعد هذا الطقس الدَّموي.

الملحق رقم 34: صورتان ملتقطتان من الميدان التّبسي تبينان؛ طقس نزع (اَلْخْيَالْ) و عشبة (الزنزار) هذه الأخيرة تضاف إلى كسكسي البارود ثم يضاف إليهما كذلك قطرات من دم الطفل المريض بخيال التابعة ثم يعطى له كوصفة مباشر في أكله حيث أن هذا الطقس الدموي الخطير يستخدم بهدف فلق جنيَّة " أم الصبيان " التي تلازم المزيود الجديد وتقوم بإمراضه

صورة ملتقطة تبين؛ طقس نزع مرض (اَلْخْيَالْ) يستخدم لحماية الأطفال حديثي الولادة من جنية أم الصبيان

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/03/05. على الساعة؛ 12:20 د

صورة ملتقطة تبين؛ عشبة (الزنزار) التي تأخذ اللون الأزرق السماوي

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/06/18. على الساعة؛ 11:21 د

فالدلالة الرمزية من هذا الفعل الشَّعبذي هو التطبيب لكنه هو في الحقيقة (توكال غير مباشر) يعمل حسب المعتقد التّبسي في فلق (القْرِيْنَة) بعشبة كسكسي البارود كما يفجر البارود في الأعراس وينتهي بالصوت المدوي، فهذا الطقس يمارس غالباً قصد إخافة القرينة وإسكاتها داخل جسم الرضيع عن طريق إعطائها القليل من دمه، حيث أن هذا النوع من الجن هو وراثي وخطير يتلذذ بأكل الدماء وينتقل أبًا عن جد حيث ينتقل أيضا من تلك الجدة الكبيرة إلى بناتها وإلى حفيداتها ثم بعد ذلك إلى بناتهن وأولادهن حديثي الولادة.

رابعاً: كتابة وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) لدى أفراد المجتمع التبسي

1- السحر بالكتابة بين الحروف والجداول والأرقام:

يعد السحر المكتوب أكثر ضروب السحر الرسمي أهمية لدى العامة، وتنبع أهميته البالغة من حيث هو في نظر العامة " سحر عالم " بمعنى أنه يقوم على علوم مضبوطة القواعد تدرس عكس ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى السحر الشعبي الذي تتناقل وصفاته

بين عامة الناس عن طريق المشافهة، وإذا كانت فاعلية السحر الشعبي نسبية إعتبارا لكونه يتداول بشكل مفتوح بين العامة فإن سحر الأحرف والأرقام يعد " مؤكد الفعالية " بسبب توفره على شرطي الغموض والسرية الضروريين لتمام العملية السحرية ونجاحها.

- **الوفق:**

الوقف ويسمى أيضا في لغة أهل (الحرف) الجدول أو المربع ويسمى أيضا الخاتم؛ هو جدول يتكون من عدد معين من الخانات أفقيا ومثلها عموديا وتتوافق أعدادها وأحرفها وتستوي في الأقطار والزوايا وعدم التكرار لتنتج مفعولا سحريا، وتختلف أسماء الأوفاق بحسب عدد أضلاعها، ففي الحال التي يكون عددها ثلاثا يسمى الوفق مثلثا، وفي حال الأربعة مربعا وهكذا إلى المعشر الذي هو الجدول المشكل من عشر خانات عمودية وعشر أفقية. وبحسب " البوني " فإن لكل صنف من الأوفاق أغراض يتوسل به إلى قضائها وهكذا.

وتعد الأوفاق الأخرى (غير المثلث) أكثر نأيا عن الفهم العادي لعلوم الناس حيث تخضع إعدادها لـ التكعيب أو التكسير وفق قواعد بالغة التعقيد والتركيب بحيث يتم وضعها (الأعداد) في شكل " الفرد وفرد الفرد وفرد فرد الفرد " أو " الزوج وزوج الزوج وزوج زوج الزوج "، وهكذا دواليك بحيث يبلغ الأمر درجة كبرى من التعقيد لن يفقه في إستيعابها سوى " أهل العلوم بعلوم الحرف ". وكأن كل هذه التعقيدات لا تكفي لإثارة دهشة زبائن السحرة فإنه لن تكفي كتابة الوفق وحدها لكي يحقق الغرض المطلوب، إذ ثمة شروط مرافقة ينبغي أن تجتمع مع الكتابة وإلا كان المفعول المأمول منعدم النتيجة، ويلخص البوني أهمها: وهو شرط توافر التوقيت المناسب للكتابة بالقول؛ " أعلم أن الوفق إذا كتب في وقت مناسب له قويت روحانيته (ملوك الجن الموكلة لخدمة الوفق) وتضاعفت قوته ". ولأجل أن يستحسن السحرة كتابة الوفق عندما تون الأبراج مناسبة للغرض المطلوب بحسب الجن والملائكة الذين يتوسل إليهم تحقيقه، إذ لكل خادم سفلي (جني) خادم علوي (ملاك) بحسب زعيمهم يساعده في تحقيق المطلوب لكن شريطة إختيار اليوم المناسب الذي تكون فيه القيادة لـ " الخادمين "، فكما سنرى فيما بعد لكل

زوج من الخدام الروحانية يوم محدد في الأسبوع يتولى خلاله سلطة الخفاء، ويعتبر التوسل به خلال ذلك اليوم مجديا.

كما تضع مصنفات السحر لكل شكل من أشكال الأوفاق كوكبا من الكواكب السيارة السبعة يرتبط به ويستمد منه قوته السحرية وهكذا، فالشمس لها الوفق المسدس والقمر له المتسع والمريخ له الوفق المخمس وعطارد له الوفق المربع أما المشتري فله الوفق المثمن بينما الزهرة لها المسبع ثم أخيرا كوكب زحل له الوفق المثلث. ويمكن أن يكتب الوفق فوق قطعة من ورق أو قطعة جلد أو عظمة حيوان أو حجرا كما قد تخطه يد الفقيه الساحر على بيضة أو أي سند آخر، وتتداخل الكثير من العوامل الأخرى الأساسية أو المكملة لإكساب الوفق فعاليته المرجوة بعد التوفق في إستحضار " الروحانية " المتوسل بهم ونيل رضاهم لتحقيق المطلوب منهم.

ومن تلك العناصر نذكر طبعا البخور المناسب وتلاوة العزائم المرافقة (التراتيل السحرية) وتدخل المادة التي يكتب بها الوفق ضمن المواد البالغة الأهمية في العملية، فقد تكون سائلا مكنونا من محلول الزعفران في ماء الورد، أو دم ذئب أو ثعلب أو سلحفاة برية أو غيرها من وحوش البرية الذي يطاله خيال السحرة، وقد طالعت في مخطوط للسحر مجهول المؤلف مدني به صديق باحث على نماذج غريبة وعجيبة من الأوفاق التي يكفي تغيير المادة التي تكتب بها ومن دون المساس بالتفاصيل الأخرى لتغيير النتيجة المحصلة، وهذا الشكل من الأسحار يستخدم بكثرة في عملية التسميم بالسحر المأكول حيث يدس في طعام الضحية أو في شرابه. ففي إحدى الوصفات الخاصة بـ " السحر الأسود " (أي الإنتقامي) ذكر أنه إذا كتب (الفقيه الساحر) الوفق بدم الفكرون (السلحفاة البرية) على عظم جيفة فإن المستهدف بالعمل السحري الشرير سوف " يمشي مثل الفكرون " بمعنى أنه سوف يصبح مبطئا جدا في سيره من جراء مرض يلزمه نتيجة لذلك العمل، وفي هذه الحالة نجد أنه يكفي فقط فعل التسميم بدم الفكرون لوحده فهو كافي لوحده حتى يحدث التوكال المطلوب، فما بالك لما يضاف إليه الوفق والتوكيل هناك تزداد خطورة التسميم عن سابقتها.

وإذا كتب الوفق نفسه على السند نفسه لكن بالصمغ (المداد السحري الأصغر الذي يحصل عليه من نقع الصوف المحروق في الماء)، فإن المستهدف بالعمل السحري سوف " يرمي ثيابه " بمعنى أنه سيفقد توازنه العقلي ويجن، أما في حالة الكتابة بدم الضبع تضيف الوصفة فإن المعني بالأذى المسلط من خلالها يموت (كذا ؟).

- **الحرز:**

" الحرز " أو " الحجاب "؛ في الغالب عبارة عن تعاويذ وآيات من القرآن خصوصا المعوذتين (سورتي الفلق والناس)، وفي أحيان أخرى يحمل الحرز الرقية التي تقول " بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك من شر كل حاسد وعين الله تشفيك " يكتب وقاية من تسميم " توكال العين " و " توكال الحسد "، أو قد يحمل أسماء الملائكة أو بعض مشاهير الأنبياء، وتتخلل تلك الكتابات أشكال هندسية يقال أن لها مجتمعة أثرا لا يعلم سره إلا وضعوا " الحروز " وحدهم، وتكتب " الحروز " بريشة تصنع من القصب الجاف و " مدام سحري " يعرف محليا بإسم " الصمخ " أو " الصمق " أو " الصمغ " بحسب الجهات، وهو عبارة عن مداد يميل إلى الصفرة يصنع عادة بنقع الصوف المحروق في الحروز بماء الورد أوماء زهر الليمون أو محلول الزعفران في الماء وغيرها، بل أن بعض المواد الغريبة والمقرفة تستعمل أحيانا لكتابة بعض النماذج الخاصة جدا من الحروز كالنجاسة الآدمية (براز الشخص المستفيد من العملية السحرية) عندما يتعلق الأمر بإبعاد الأرواح الشريرة.

- **الفقيه:**

وعندما يتعرف الفقيه على (هوية) الجني المسؤول عن إصابة المريض يرسم الرمز المخصص له على الحرز ثم يقدمه للمريض ناصحا إياه بحمله في العنق بإستمرار إذا كانت الإصابة مست الرأس أو الصدر أو البطن، في هذه الحالة تسمى هذه الإصابة بـ سحر " توكال الجن " الذي نجده في كثير من الحلات يدخل الجسم بطريقة غير مباشرة ومن دون توكيل أي من دون فعل فاعل، أما في حال الأمراض الخاصة بالمعصم

والكعب والأطراف والجهازين العصبي والهضمي فإن طقس العلاج يقتضي من المريض تعليق الحرز المعالج في حزامه.

وهكذا لعلاج أوجاع المفاصل مثلا؛ يكتب الفقيه العلاج السحري على ورق أزوق من النوع الذي تلف داخله قوالب السكر (في المغرب فقط) فيقوم المريض بنقع ذلك " الحرز " في قليل من الماء حتى يتحلل فيه المداد الذي كتب به الحرز، وعلى مدى ثلاثة أيام يقوم بشرب جرعات من ذلك الماء السحري على الريق وحين يفرغ الإناء الذي نقع الحرز من الماء يفرغ فيه المريض بضع قطرات من الزيت (زيت الزيتون أو زيت المائدة)، ويتناول الورق الأزرق الذي كتب عليه الحرز يمسح به الإناء وقطرات الزيت ثم يحك به مفاصله المريضة، ولعلاج مرض شلل عضلات الوجه (المعروف مغربيا بإسم اللقوة) فإن الطالب يقوم بكتابة الحرز على لحم المريض مباشرة، ويتكون المداد السحري الصمغ من محلول مصنوع من مزيج الثوم المهروس والقطن المحروق المذاب في الخل.

أما في في حالات الإصابة بأمراض معدية يكتب الطالب حرزا بالقطران على الورق الأزرق لتلفيف السكر ويرميه في محرقة الأبخرة (المبخرة) بعد أن يضيف إليه قليلا من الحرمل ثم يتبخر المريض بالدخان المنبعث منها وبذلك يتم طرد الجن الأشرار الذين كانوا سبب الإصابة بالمرض فتتوقف العدوى، ولجانب الوقاية إستعمالات كثيرة أخرى حيث تذهب النسوة الحوامل اللواتي يتعرضن للإجهاض المبكر ولا يتمكن من الإحتفاظ بحملهن إلى الفقيه، فيكتب لهن حرزا آخر يحملنه تحت ملابسهن بحيث يلمس جلد البطن، ويقتضي الأمر منهن أن يعاودن عيادة الفقيه مرة كل شهر لتغيير الحرز الجديد ضمانا لفاعلية العملية.

- **الجداول:**

ويعني ذلك أن الطلاسم أو (الطلسمات) ليست شيئا آخر سوى الجداول، وتسمى الجداول في لغة السحرة (خواتم) أو حسب شكلها الهندسي مربع مخمس؛ وهي من التنوع والغرابة بشكل يرعب العامة أو على الأقل إحترامها للعمل السحري، ومن مطالعتنا لبعض كتب السحر التي تحفل بالكثير من النماذج نستخلص أن الجدول الواحد يصلح

لقضاء أكثر من غرض واحد، وطريقة الإستعمال وحدها تحدد النتيجة التي حصل عليها المستفيد من العملية، ونظرا لأن تلك الرسوم التخطيطية الغامضة تبدو متضمنة لخاصية سحرية (كل ما هو غامض هو سحري) فإن مؤلفي مصنفات السحر الأساسية بالغوا في حشو بعض الجداول يكل ما هو غريب وغامض من الرموز، بيد أن أكثر أشكال الجداول خطورة (من وجهة نظر المعتقدات السحرية) وإثارة لرعب العامة هي تلك المسماة " الجدولية "، والجدولية؛ هي رقعة ورق وضعت عليها كتابات سحرية يتم إعدادها غالبا بدافع الغيرة وبغاية الإنتقام الأسود من غريم أو عدو.

وهذه العملية السحرية تستدعي القوى الخفية على رجل أو إمرأة من قبل فقيه ساحر يتعاهد من جني لإشتراكه في العملية، بحيث يصبح الجني حارسا للجدول السحري وضامنا لإستمرار مفعوله طالما بقي المستهدف بالعمل السحري حيا، ويمكن تلخيص العملية فيمايلي: " بعد أن يعد الساحر الجدولية " يقيم عهدا مكتوبا مع الجني بأن يحرسها ثم يقوم بدفن كل من الجدولية والعهد المكتوب في الروضة المنسية بإتباع طقس معقد جدا، ويمكن إستعمال نفس عملية الطقس السحري هذا في وصفة السحر المأكول بهدف تشريب المغدور إياها ذلك بتسميمه عن طريق شرب ماء الجدول الممحى في الماء والذي توكل عنه خادم سحر من طرف ذلك الساحر الرسمي الذي وكله، وحتى يقوم هذا الأخير بحراسة تلك المادة السُميَّة داخل جسد الموكل المسكين، وحسب مصادرنا التبسيَّة هذا الشكل من التسميم يستخدم لغرض القتل الفوري والسريع خاصة عندما تضاف إلى وصفة الجدول مع التوكيل تلك مواد حيوانية أو نباتية سامة أو القليل من المعادن.

إن الأثر السحري الذي يترتب عن هذا العمل المرعب يتحدد في جعل المستهدف منه يصبح غائبا عن محيطه، وبتعبير المختصين في صرع الجن فإن ضحية الجدولية تصبح " ملبوسة من طرف الجن " وهي أخطر أنواع الإصابات التي يلحقها الجن بالبشر، وربما نجد في الأمر بعض التشابه مع المضمون الغرائبي لحكايات ألف ليلة وليلة التي أثرت بعمق في المتخيل الشعبي العربي، وتركت بصمات واضحة المعالم في فلكلورنا الوطني، وعلى الخصوص منها حكايات الجن الذي يظل مسجونا في قمقم أو حارسا

يحمي كنزا لعدة قرون، وفي زعم السحرة أن الجني الذي يحرس الجدولية يصبح متقمصا (لابسا) للضحية حتى لا تستطيع أية قوة سحرية أخرى إبطال مفعوله، وفي محكمة الجن الكبرى في (بويا عمر) يحدث أن ينهار الحارس للجدولية أثناء حصص (الصريع) فيفيد هيئة المحكمة الغيبية بمصدر الشر الذي يحرسه، وإسم صاحب الجدول السحري والفقيه الذي صنعه، وفي بعض الأحيان حتى المكان الذي دفن فيه الجدول والعهد، ولا يقتصر إستعمال الجداول بالغير فقط، بل يستعمل لأغراض نافعة أيضا، ومنها علاج لسعات الحيوانات السامة، والكلاب المصاب بالسعار، ولأجل ذلك ينقع الورق الذي كتبت عليه عبارات سحرية سرية في الماء، ثم يقدم شرابا للمريض، وفي هذه الحالة يسمى أيضا بالتوكال غير المباشر وهو توكال " السحر الأبيض العلاجي " وحسب قول عينة السحرة من أصحاب الإختصاص في المجتمع التّبسي أن هدفها هو التطبيب لا التسميم، وفي الحين الآخر يترتب عنها توكيل قوة غيبية غير مؤذية لتستقر داخل الجسم حيث تظهر أعراضه مع مرور الزمن.

1-سحر الأحرف و الأرقام و الرموز:

يعد السحر المكتوب أكثر ضروب السحر الرسمي أهمية لدى العامة، وتنبع أهميته البالغة من حيث هو في نظر العامة " سحر عالم "؛ بمعنى أنه يقوم على علوم مضبوطة القواعد تُدرَس، عكس ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى السحر الشعبي، الذي تتناقل وصافته بين عامة الناس عن طريق المشافهة، وإذا كانت فعالية السحر الشعبي نسبية، إعتبارا لكونه يُتَداول بشكل مفتوح بين العامة، فإن سحر الأحرف والأرقام يعد " مؤكد الفعالية "، بسبب توفره على شرطي الغموض والسرية الضروريين لتمام العملية السحرية، و " نجاحها ".

- **الكلمة:**

تمارس الكلمة العربية سحرها على الناس، فسواء كانت شفوية تتلى في شكل تعاويذ، ضمن طقوس سحرية أخرى، أو كانت مكتوبة على ورق خشن أو أي سند آخر، فإنها تكتسب قوتها من " الخاصية السحرية للغة العربية "، كما يرى المفكر الفرنسي

الراحل " جاك بيرك "، فالعربية؛ هي لغة القرآن الكريم، ولذلك نجد في أغلب الوصفات المكتوبة أو الشفوية آيات من كتاب الله وأسماء الله الحسنى، جنبا إلى جنب الأرقام والرموز السحرية الغامضة المعنى؛ لإعتقاد السحرة في أن إجتماعها كلها في نفس الوقت والمكان يحدث الأثر المطلوب، ويستعين الفقيه الساحر بتلك العناصر التي تكتب أو تتلى لإنجاز رسوم وترديد عبارات مع الإستعانة ببعض العناصر السحرية الأخرى، من أجل خلق حدث سار أو تجنيب الزبون (ة) حدثا مفجعاً أو حزيناً.

وإذا كانت أهمية الأبجدية العربية تكمن في كونها تعبير من وجهة نظر الساحر وسيطاً له مع القوى السماوية الدينية، فإن الأهمية التي تحتلها الرموز السحرية الغامضة، تنبع من كونها من وجهة نظر الساحر تعتبر وسيطا سحريا له مع القوى الخفية من ملوك الجان وخدامهم من عامة بني الجان. أما الأرقام التي إستهوت الولوعين بالحساب منذ القدم، فإن لبعضها خاصيات سحرية تبعث على الدهشة، وتدخل في " الحسابات " الضرورية لإعداد بعض الوصفات العلاجية أو الوقائية، كما سنرى بعد قليل.

- **سحر الأرقام:**

تحظى بعض الأرقام لدى المغاربة بمكانة سحرية لا تقبل الجدال، وهي على الخصوص 5 و 7. وبالنسبة للرقم 5؛ سنرى أصل قيمته السحرية حين الحديث عن العين الشريرة، أما الرقم 7؛ فيبدو بحسب " موشون " أنه يستمد قوته الغامضة من كونه يشير إلى عدد قبائل الجن (عددها سبعة وفق بعض الأساطير المحلية)، ولأن الجن هم أصل المعتقدات السحرية كلها لدى المغاربة، فإن العدد سبعة يحظى لديهم بقية سحرية فريدة من بين غيره من الأعداد، وسيتكرر كثيرا في العديد من الوصفات السحرية التي سنأتي على بسطها لا حقا.

في بعض الحالات يكون العدد في حد ذاته حرزا، كما هو حال العدد خمسة، فيكفي مثلا؛ رسم العدد باليد أو النطق به، لإبطال أذى العين الشريرة، أما في حالات أخرى، فإن أهمية العدد وقوته السحرية تنبع من ضرورته البالغة في عملية " فك الخط "، التي تعني تشخيص حالة " المسحور (ة) " بعد تفكيك إسمه الشخصي وإسمي والديه

إلى الأرقام... ولتبسيط الأمر، نأخذ حالة السحر العلاجي كمثال: عندما يستعصي على مريض العلاج الطبي، يذهب به الإعتقاد إلى أنه وقع ضحية لعمل سحري شرير، فليجأ إلى الفقيه الساحر، الذي يبدأ بسؤاله عن إسمه الشخصي وإسم أمه وإسم والده، يفكك الأسماء إلى حروف، ثم يحول الحروف إلى أعداد يقوم بجمعها، ويقسم الخارج على 3 إذا كان المريض رجلا، أما إذا كانت إمرأة، فإنه يقسمه على 7.

وبعد حصة إدخال الدهشة الضرورية إلى نفس المريض، من خلال إجراء العملية أمامه بالريشة القصبية والحبر السحري (الصمخ)، يتناول الفقيه كتابا من صنف الكتب الصفراء التي تبدو عتيقة وقد تطايرت أوراقه الداخلية وتآكلت جنباتها من كثرة الإستعمال، يفتحه ثم يشرع في البحث في جدول طويل من الأعداد عن العدد الموافق للخارج المتحصل من العملية، ويتضمن ذلك الجدول السحري السري الذي يحفظه كل فقيه ساحر لديه مثل كنز نادر، لائحة طويلة من الأعداد، كتب في مقابل كل عدد منها تفسير لحالة مريض، وأصل مرضه وعلاجه...

- **سحر الحرف:**

يعتبر السحرة أن لبعض الحروف الأبجدية العربية قيمة سحرية كبرى، تجعلها أساسية لأعمال السحر المكتوب، وقد قسم واضعوا مصنفات السحر الرسمي، وأشهرهم " البوني " قواعد جد معقدة لن ندخل كثيرا في تفاصيلها الجانبية، ويختصر البوني تلك الصعوبة البالغة في فهم " سحر الحروف "، وما يمنحها من قيمة سحرية كبرى، بالأبيات الشعرية التالية:

ففي الحروف علوم لست أبديها
حتى أجد طالبا يدري معانيها
حروفها برزت من غير واسطة
وكان السر منها في معانيها
والله والله أيمانا مؤكدة
لا يلحق الخوف يوما قط قاريها

وهكذا تنقسم الأبجدية العربية إلى مجموعات أبجديات سحرية حقيقية، تقسم الحروف العربية إلى مجموعات، لكل مجموعة منها خاصينها بحسب التأويل الذي يعطى لها، فهناك الحروف المعجمة، والحروف غير المنطقة (التي لا تحمل نطقا؛ كالميم والهاء... إلخ)، ثم هناك مجموعة الحروف السبعة (لنلاحظ القيمة السحرية للعدد سبعة) التي تسمى " سواقط الفاتحة "، ويقصد بها الحروف التي لم تتضمنها كلمات فاتحة الكتاب العزيز، ويقدم جدول دعوة الشمس الشهير، (أنظر الجدول) العلاقات القائمة في دنيا السحرة بين تلك الحروف و " الخدام العلويين " (ملائكة) و " السفليين " (ملوك الجان) واليوم الذي يحكم فيه كل واحد منهم والكواكب المؤثرة... إلخ، وبذلك يكشف العلاقات الخفية المتداخلة بين العناصر السحرية.

- **الرموز السحرية:**

ليست " الخواتم السبعة "، الرموز غير العربية الوحيدة في ترسانة السحر الرسمي في المغرب، فثمة أبجديات أخرى؛ هي في الغالب عبارة عن رموز غريبة المصدر والمعنى، بيد أن إستعمالها شائع في وصفات السحر المكتوب، على نحو ما تؤكده النماذج المرفقة، والتي تم إختيارها بشكل إعتباطي وليس إنتقائيا...

ويقدم الجدول التالي الأبجدية السحرية المعروفة بإسم " الحروف ذات العيون " أو "ذات النظارات"، والتي تدخل في إعداد " الجداول "، وهي رموز يزعم السحرة أنها تمثل الحروف الأولى لأسماء بعض الأرواح المؤثرة في دنيا السحر، ويُتَوسَّلُ إليها من أجل التدخل لتحقيق غرض من الأغراض (علاج مرض من الأمراض المستعصية، زوال العكس لتحقيق زواج أو نجاح في الأعمال... إلخ)، ووسيلة التوسل تلك؛ هي إستعمال الرمز الذي يمثل الروحانية المتوسل إليها في " الجداول " أو " الحرز " السحري.

وهناك أبجديات سحرية أخرى مثل " السبع خواتم " السالفة الذكر، التي تتضمن "خاتم سليمان"؛ وهي من تأثيرات السحر اليهودي: إذ المعروف في المغرب أن سحر اليهود (المغاربة) متفوق على غيره... ثم هناك أبجدية أخرى أوردها الدكتور " مصطفى

أخميس "، وهو طبيب جراح وباحث أنثروبولوجي مغربي، إستقاها من أوساط السحرة في منطقة (سوس) بجنوب المغرب أثناء عمله هناك.

- **أربعة ملوك:**

وهي رموز تخص أربعة من بين ملوك الجن السبعة، بواقع ثلاثة رموز مميَّزة لكل واحد منهم، كما في الجدول التالي: ملك الجن مرة وبرقان وشمهاروش وميمون، ولها رموزها الخاصة التي سنعرضها في صورة أو جدول خاص برموزها وحروفها، وإن جميع هذه الأحرف والأعداد والرموز التي قدمناها بشكل مقتضب تمثل بعضا من أهم عناصر ترسانة السحر الرسمي، وتجد لها إستعمالات شتى في وصفات قضاء أغراض السحر الأبيض (النافع وغير المؤذي) أو الأسود... (وأعراب، 2018/12/30، 12:28).

ومن الأسحار التي تدخل في وصفات السحر المأكول ويكون سببها تطبيبي؛ هي في الحقيقة المرة تنتج لنا العكس ما يسمى بـ " سحر التنبؤ " و " سحر العلاج " حين تذكر ذلك " سامية حسن الساعاتي " في (السحر والمجتمع)، 1983، أن "وليام هاولز" بين أن نوعين من السحر المنتشر في كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالتداوي والعلاج، ويرد هاولز تلك الأهمية إلى أن المرض والشك هما دائما أشد وأقصى أسباب القلق الشخصي، والإجتماعي وهذا نفسه هو السبب في وجود المشتغلين بقراءة الكف وورق اللعب، والعرافين والمنجمين وأمثالهم بيننا، كما أنه هو السبب في أن الناس لا يزالوا يقبلون على كل أنواع طب الركة أو طب العجائز على الرغم من الطب الحديث...، والواقع أن الإستعانة بما يمكن تسميته بطب الركة أو الطب الشعبي في علاج الأمراض – وبخاصة المستعصية والمزمنة – أمر شائع في كثير من المجتمعات والثقافات على إختلاف درجات تقدمها، ويعد مكملا للطب الحديث ووسائل العلاج العملية بحيث يستخدم المريض الإثنين معا، ويرد شفاءه إليهما.

وفي المجتمع التّبسي؛ وبالضبط في منطقة المزرعة يطبب مشعوذ ساحر (السحر المأكول، المشروب، المشموم، الملموس، المسموع، والمنظور) بسحر توكال آخر يلي التوكال الأول المتواجد في جسم المريض، وذلك عن طريق قراءة (الكف) والتبصير من

خلال التحديق في اليد اليمنى وذلك عن طريق إظهار الجني المختبيء من خلال كتابة طلاسم وجداول تأخذ شكل المربع أين يباشر في كتابتها ذلك الساحر المسمم على كفوف اليدين وعلى الجسم في المناطق التالية: (البطن، الكتفين وأسفل الظهر) بمعنى هذه الأخيرة تكون فوق المؤخرة بقليل وتحت الصُّرة، حينها يعمل على كتابة جداول مربعة تحمل حروف وأرقام، ثم تمحى من طرف ذلك الشخص المتسمم في الماء ويشربها بعد ذلك، حتى تتمكن تلك الشعوذة حسبه من مساعدة المريض من إسترجاع السموم القديمة الموجودة داخل المعدة والأمعاء.

ويكمن ذلك في كبح (جرثومة المعدة D'estomac Germe) حيث وجدنا هذه الوصفة تستخدم لأصحاب التوكال القديم والمتجدد في كل مرة، ويكون ذلك بتوكيل الخدام والشياطين الذين يتعامل معهم ذلك الساحر عن طريق قطع (الْعَاهدْ) وأخذ موثق منهم قصد إتمام مهمة التطبيب السحري، حيث يباشر بعد هذا الطقس ذلك المشعوذ بضرب المريض بأداة تسمى بـ (العصى الروحانية) تشبه " الزلاط " في شكلها، حيث يكون ذلك في جلسة الحضرة والخلوة التامة مع المريض، وهو عاري الجسم وتستمر تلك العملية إلى حين إخراج خادم السحر المأكول الموكل بالحراسة، ثمَّ وأثناء معايشانا لهذا الشخص الموكل وجدنا أنه إنتقل بعدها إلى وضع _ 49 جبة _ من (الكُسبر) تحت الوسادة لمدة _ 7 أيام _ ثم وضعها في صُرة خضراء، وفي اليوم الثامن قام برميها في طريق فيه (4 طْرُقْ وْخَاليْ منْ النَّاسْ) حيث نصح المريض على أن لا يلتفت ورائه حتى ولو تمَّ مشاهدته من طرف أشخاص آخرين، أين ينتظر حتى يأتي غيره ويفتحها فتفك معه تلك العقد المربوطة من طرف الجان.

الملحق رقم 35: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقوس تطبي – سحرية تسمى بـ التوكال غير المباشر

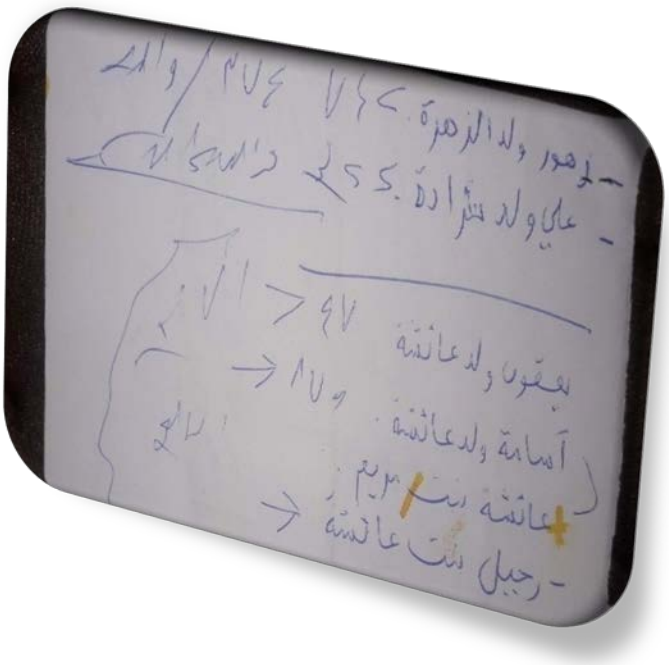

صورة ملتقطة تبين؛ ورقة بيضاء مكتوب عليها من طرف الساحر المطبب أسماء أشخاص غائبون عن الجلسة التبصيرية مع أسماء أمهاتهم بغية كشف الطالع لهم حيث يتم ذلك عن طريق إجراء حسابات عن بتاريخ ميلاد كل واحد منهم ثم تترجم بعدها النتيجة المتوصل إليها في شكل أرقام يتبين من خلالها طابع كل شخص ومستقبله وما يتواجد عنده من مرض روحي وسحري

صورة ملتقطة تبين؛ مشعوذ يباشر في كتابة (جداول و طلاسم) السحر المأكول تحت راية التطبيب

صورة ملتقطة تبين؛ رموز سحر – توكالية كتبت على كفي فتاة بقلم روحاني يحتوي على زعفران وماء ورد ومسك أبيض

صورة ملتقطة تبين؛ حجاب يمحى في الماء ثم يشرب من طرف الشخص المتسمم بهدف التطبيب لكن هو في الحقيقة ينتج عنه توكال مشروب بمعنى توكال فوق توكال

صورة ملتقطة تبين؛ بخور مقروء عليه تراتيل تطبي – توكالية يحرق مع أحجبة مطلسمة حيث يأخذ شكل سحر التوكال المشموم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/03/08. من الساعة؛ 09:30 د إلى غاية الساعة: 14:18 د

وبالإضافة إلى ذلك وجدنا طقس آخر يظهر عند نفس هذا المشعوذ المطبب؛ ألا وهو حين يقيس طول جسم المريض وطول يديه بـ (المسطرة الروحانية) سابقة الذكر

التي قد توارثها عن أبيه بهدف قطع سحر توكال (التَّابعَة) المتسببة في المس الخارجي وبمعنى آخر (هي تباع السحر من عالم الجن المتسلط من خارج الجسم) ويقول المبحوث هي عبارة عن جنيّة أنثى أكثر خطورة عن غيرها من الجن، وبعد هذا الطقس مباشرةً لاحظنا؛ هروب هذه الأخيرة وإختفائها أثناء الرُّقية، حيث ينظر وقتها جميع الناس إلى ذلك المريض الروحي على أنه سليم ويتوهم المرض، وبعد تلك الرقوة الشعبذية وأثناء رجوع ذلك المصاب إلى المنزل تأتي تلك الجنية الخبيثة حتى تلازمه مرة أخرى. ومن هنا ثبت فشل ذلك الساحر المطبب في تطبيب هذا الشكل من " توكال الجن " الذي استعمل فيه (تطبيب الشعوذة بشعوذة مثلها)، وهنا يأتي دور فعالية الطبيب الروحاني في شفاء هذا التَّسميم الخطير على عكس الطبيب الساحر الذي زاد من الطين بلَّة والذي ترتب من خلال طقسه التطبي – سحري حدوث (توكال مباشر) عن طريق ترسب تلك المادة السحرية مع الخادم الموكل في عملية الإستشفاء السحري، فترتب عنه توكال فوق توكال آخر سابق له... حيث زاد من تألم المريض أكثر فأكثر وخاصة مع مرور الزمن.

وأثناء تقصينا الحقلي وجدنا أن هذا المطبب ليس بمطبب روحاني كما يزعم وإنما هو " ساحر رسمي "؛ يزاول مهنته كساحر مطبب لتسميم الأفراد بالسحر المأكول وتمثل ذلك من خلال الكشف على أجسام هؤلاء المرضى من النسوة بواسطة تجريدهن من ثيابهن أين يكون ترك المجال مفتوح أمام الكتابة المطلسمة وبالتالي ممارسة الجنس، حيث لاحظنا أنه يكتب رموز وطلاسم وجداول على شكل مربع و مثلث داخلهما حروف عبارة عن أسماء جن كافر يستعين بهم هذا المسمم لحظور الخلوة التطبي – سحرية، ونرى في تصريح مبحوثة أخرى أن الكتابة التي يكتبها على الكفين والكتفين وعلى البطن وأسفل الظهر هي عبارة عن حروف ليست منقوطة، وعندما سألناه أجابنا أنه ليس بالشخص المتحصل على ذلك المستوى التعليمي الكبير. حيث يباشر هذا الساحر الجنائي المجرم التسميم الجسدي بقراءة الكف والتنبؤ، ولاحظنا أثناء زيارتنا له أنه يعمل أعمال سحر التوكال بغاية التفرقة بين أي إثنين من البشر، وبغاية المحبة بين المفترقين، إذن هو ليس بمطبب روحاني كما يزعم، بإعتباره لا يستعمل آيات القرآن الكريم في جلستة التطبيبة وإنما يستعمل الطلاسم والحروف والأرقام والجداول السحرية.

وحسب عدد كثير من المبحوثات من هؤلاء النسوة اللاتي ترددن لديه حسب قولهن أنهن لم يتشافوا من (المأكول) ولا من (المشروب) بل بقين في نفس الحالة المرضية المميتة التي كن عليها من قبل المجيء إلى هذا الساحر المطبب حيث إعتبرن أن حالتهن إزدادت سوءا بعد زيارته، فهو عندهن دجال، وكاذب، ويستغل أجساد الفتيات والنساء لممارسة الشهوة الجنسية، وبالتالي أخذ أموالهن بالباطل.

خامساً: ممارسة وصفات معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة

تقتضي فعالية السحر الرسمي و السحر الشعبي وجود بعض المحددات وشروط معينة لإنجاحه، وكذا بعض الوسائل و الإجراءات السحرية المستخدمة في هذا النوع من السحر، والتي يمكن توضيحها في الآتي:

1-شروط الممارسة السحر - توكالية:

وتتهيكل العملية السحرية حسب " ليفي ستراوس " حول إعتقاد ثلاثي: الأول الإعتقاد في سند إيديولوجي للمجموعة التي ينتمي إليها الفاعل، والثاني إعتقاد الفاعل في نجاعة الطقس الممارس، والثالث إعتقاد الساحر في نجاح تقنياته السحرية، أما بخصوص السند الأيديولوجي؛ فقد يكون ضريح ولي، أو يكون الساحر نفسه، فالسحر لا يعتبر سحرا إلا بتوافر شرط الإعتقاد فيه من قبل الممارس، والإعتقاد في نجاح الطقوس التي يليها، أي حصول إعتقاد مشترك ومتبادل حين يعتقد في نجاح وصدق الممارسة السحرية كل من الساحر والزبون.

وهذا الإعتقاد الذي يسميه المغابة عامة والتباسَّة خاصة بـ " النيَّة " أي الإعتقاد الصادق في أن حركة ما، أو كلمة ما ، أو مادة معدنية، أو نباتية، أو حيوانية، إذ أستعملت بطريقة ما، تنتج تأثيرا سحريا معينا، وهذا الإعتقاد الذي يسميه المغاربة النيَّة؛ وهي تلك الإرادة المضمرة أو المعبر عنها في كسب مصلحة أو تفادي شر، ويتم التعبير عنها من خلال ممارسة طقس سحري، من دون أن يطرح الساحر ولا زبونه السؤال المعقد والمحرج: كيف نفعل هذا ولماذا لكي يحصل كذا؟ فالنيَّة بهذا المعنى تعتبر شرطا

أساسيا لنجاح الممارسة السحرية في تحقيق الهدف ، أن الساحر ليس بالضرورة محتالا يمارس ضحكه على ذقون زبائنه المغفلين، إذ تفيد دراسات لبعض مؤسسي علم أنثروبولوجيا المعتقدات بأنه حتى عندما يكون الساحر معتقدا في سحره، فإنه يضمنه ممكنا: حيث يمتزج غالبا قليل من التظاهر (بالإعتقاد) مع الصدق، كما يحدث دائما في الظواهر المرتبطة بالتنويم المغناطيسي.

وبالإضافة إلى شرط توفر النيَّة، هناك شرط " السريَّة "، فإذا كانت المعتقدات السحرية جماعية، فإن ممارستها تتم بشكل فردي ما دام السحر في حقيقته شخصنة لرغبة فردية ينبغي الممارس حصولها من خلال الطقس السحري وممارسة في الخفاء هي شرط أساسي لصحته، وحسب ملا حظات الباحثين " أوبير " و " موس " فإنه: " لكي يكون للسحر أثر يجب ممارسته في سرية ".

وهناك شرط آخر يتمثل في وجوب إختيار الزمان المناسب لكل عملية سحرية، وهو ما ذكر في كتاب " البوني "، (الأصول والضوابط المحكمة): " وأعلم أن الكواكب السيارة السبعة (وهي في مصنفات السحر؛ زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد والقمر) لكل واحد منها وفق منسوب إليه (...) وفق تأثير يظهر منه بحسب تأثير الكوكب ". فالكواكب السيارة حسب السحرة، تؤثر في المخلوقات ويختلف نوع ودرجة التأثير لكل كوكب وفق موقعه في الفضاء، ولذلك يترصد السحرة المحترفون حلول " منزلة " كوكب حسب جدول " المنازل " المعروف لديهم بدقة متناهية ، من أجل القيام بالعمل السحري الذي يتوافق مع تأثير الكواكب، وبالإضافة إلى ضرورة إختيار الوقت المناسب يشترط في بعض الطقوس السحرية أن تتم في مكان معين: كالحمام البلدي، أو على شاطيء البحر، أو في المقبرة، أو غيرهما.

ولا ننسى أن الإنسان لا يتصرف بيديه وقدميه فقط وحسب، بل يتصرف أيضا بفكرة وإنفعالاته ونواياه وكل ما يطرحه عقله خارج الذات (من صور ذهنية و أفكار و رغبات)، فتجلب محتويات العقل التي يطرحها أشخاصا وأحداثا وطروفا مناسبة تحمل نفس طول المودة، وكأنها مغناطيس، فليس من دون سبب أن يقول الله تعالى في القرآن الكريم: " إن الله لا يعير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (الرعد الآية 11) وأن يقول

أيضا: " ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (الأنفال الآية 53). وأن يقول في الحديث القدسي الذي رواه نبينا الكريم (صلى الله عليه وسلم): " أنا عند ظن عبدي بي ".

وبغض النظر عن دور قانون الجذب فإن التوتر النفسي الزائد عن الحد، ومشاعر الغضب والحقد التي يوجهها السائقون إلى بعضهم البعض أو إلى سيارات الآخرين، قد تتحول " لا شعوريا ولا إراديا " إلى قوة مادية في إطار ما تسميه البارا سيكولوجيا: "المفعول السيكوكينيزي L'effet Psychokinésique" فتؤثر على شخص آخر أو سيارة أخرى فتحدث بها عطبا تقنيا، وهذا ليس مستحيلا من الناحية العلمية (ولا من الناحية الدينية أيضا). وليس من دون سبب أن تهتم الصحفية والباحثة الإنجليزية " لين ماكتاغارت Lynne MC Taggartt " بقدرة العقل والنية على التأثير في المحيط (ولو عن بعد)، وأن تدعم الأبحاث التي أجرتها في هذا الصدد بمعطيات الفيزياء الكوانطية والعلوم الجديدة، وأهم العناصر التي تدخل في العملية السحرية من مواد وعناصر مادية التي تدخل في إعداد الوصفات السحرية والتي يمكن تمييزها حسب أصولها كمايلي:

- مواد حيوانية: حشرات، جلود، قرون، وأطراف بعض الحيوانات، وكذا دماؤها... إلخ.
- مواد معدنية: بخور، صفائح فضة، رصاص، حديد، نحاس... إلخ.
- مواد نباتية: بخور، جذور، ولحاف بعض الأشجار، أزهار بعض النباتات... إلخ.
- مستحضرات خاصة: ماء غسل الميت، دم الإنسان (الحيض)، دم المغدور، الثوب المستعمل بعد الجماع، شعر وأظافر الشخص المراد سحره... إلخ.

ومن أجل إنتاج عدد غير محدد من الوصفات والطقوس السحرية التي تصلح لتحقيق كل ما يخطر، ولا يخطر على البال من الأغراض، يتم التأليف بين هذه العناصر والشروط وفق قواعد معقدة وغامضة، وكما يعتبر إحترام تراتيبة الطقوس شرطا أساسيا إذ ينجم عن عدم إحترام عناصر الطقس السحري أو الإخلال به، بطلان العمل السحري بأكمله أو حدوث تأثير عكسي (شرقاوي، 2020، ص ص 89 – 90 – 91).

ويشترط في الممارسة السحرية الخاصة بـ وصفات السحر المأكول صنفين من (سحر التوكال) وهما كالآتي:

- **توكال – السحر الأسود (الطابو):**

هناك وصفات: لتمشية الجماد، لعقد الألسنة، لعقد لسان الزوج، لعقد لسان الكلب، لعقد المرأة لكي لا يطأها (يجامعها) غيرك، لهزم عدو، لقتل عدو، لقهر الأعداء وإهلاكهم، لتمزيق شمل العدو، لإهلاك ظالم، لإخضاع الجبابرة، لتسليط جني على ظالم، لإخضاح الحاكم الجبار وتسخيره، لإيقاف المراكب والعساكر، لرجم دار العدو، لتخريب دار العدو وإخراجه منها، لإشعال النار في دار ظالم، لتعطيل سفن الأعداء، لتوقيف المركب وجعله لا يسافر أو لإعادته من طريقه، لإلحاق الأمراض المختلفة بالعدو، لإلحاق العقم برجل أو بإمرأة، لعقد ذكر الرجل، لإفراغ المكتري غير المرغوب فيه، لإخلاء برج الحمام، لعسر الولادة، لترقيد الجنين في رحم إمرأة لسنوات، لإنطاق من أردت وهو نائم، لإحضار أرواح الموتى، للتصرف بطوائف الجن وملوكها، لإبطال موانع الكنوز، لتعطيل البنت عن الزواج، لإسقاط الشعر، لإسقاط الأسنان، لتسليط سلسل البول على عدو، لمنع عدو من التبول، لتسليط الأرق الدائم أو النوم على عدو... إلخ.

- **توكال – السحر الأبيض (الشعوذة):**

توجد وصفات سحرية لتحقيق الأغراض التالية: لإزالة الهم والغم، لمنع الوقوع في المعاصي وشرب الخمر، إذا أردت نسف تل قديم، أن تختفي عن أعين الأعداء والظلمة والحساد، أن تختفي أو تمشي على الماء أو تطير في الهواء، إذا أردت نقل الصخور، لتحقيق السعادة الأبدية، للوقاية من العين، لحفظ الأشياء التي يخاف عليها من العين، لجلب الخطاب، للحفظ من التعب واللصوص والحريق، لإصلاح الفاسد من الناس والأشياء، لجلب الزبون ونجاح التجارة، لحفظ السفينة من الغرق، للمساعدة على الحفظ والفهم، لإزالة البلادة وعلاج بليد الذهن الذي ينسى ما يلقى إليه، لإزالة الكسل والعياء، لزوال النسيان، لإظهار شيء ضائع أو مسروق وإعادته، لإظهار إسم السارق، لعلاج لسعة الحية والعقرب والكلب، لعلاج عضة الكلب المكلوب (أي المصاب بداء السعار)،

لطرد البراغيث والبق والخنافس والعناكب والحيات، لذهاب النمل والناموس، لجلب الرجل للمرأة، لجلب المرأة للرجل، لجلب الغائب، لشفاء العاقر،لتسهيل الولادة، للحصول على مواليد ذكور.

للحصول على مواليد إناث، لزوال نزيف المرأة، لعلاج الطاعون، لسداد الديون، لتيسير الأرزاق، للجمع بين المتخاصمين، لرد الثيب بكرا أي (لأرجاع العذرية إلى من فقدتها من دون دراحة)، للحصول على القوة لحمل الأثقال، لعلاج أبو تليس (الذي يصيب الإنسان حتى لا يبصر بالليل شيئا)، لعلاج الغيرة للرجل والمرأة، لخلاصة المسجون، لجلب العز الدائم، لمنع الوحوش والطير عن الزرع، لنيل القبول والسعادة، لنيل المناصب والترقي، للتغلب على الأعداء، لزيادة لذة الجماع، لتهييج المرأة، لجلب الحمام إلى البرج... إلخ (وأعراب، 2018/12/30، 20:30).

2-بعض الوسائل المستخدمة في الممارسة السحر - توكالية:

- **تغسال الميت:**

سيبقى الموت هو لغز الألغاز الأبدي بالنسبة إلى بني البشر، لازمهم منذ صدمة الوفاة الأولى، وإستبد سحره المحير بهم إلى درجة أن كل المعتقدات السحرية ثم الدينية أحاطته بهالة من الغموض والرهبة، إن لفكرة الموت في المعتقدات الشعبية للمغاربة صورا وملامح غريبة لكن تترجم في المجمل رعب الناس من لحظة الوفاة وما يليها، وعلى الرغم من كون كلمة الموت مذكرة، فإن أسلافنا شخصوه في صورة إمرأة بدون كبد ولا رئتين، لا تشفق على العجوز كما لا ترحم الرضيع، وحين تكون تلك المرأة المرعبة قد أتمت مهمتها بإنهاء حياة البشر جميعا، سوف تساق إلى مكان يقع بين الجنة وجهنم كي تذبح فيه ويسيل دمها مثل الكبش، وهذه واحدة فقط من الأفكار الغريبة عن تصور المغاربة القدامى للموت.

ومن هنا يتم إستحضار طقس غسل الميت، بما فيه الأدوات والمواد التي لامست جسد الميت خلال طقوس تطهيره وإعداده للدفن، والتي تشتمل على خليط من غريب من العناصر التي تدخل في إعداد وصفات السحر الأسود، ولدى باعة مستلزمات السحر

المتخفين خلف واجهات دكاكين العطارة المعروفة بمدن وقرى المغرب يوجد كل ما يبحث عنه بأسعار مرتفعة تبررها خصائصها السحرية المزعومة، حيث صابون الدي أستعمل لغسل الميت يباع بعشرات أضعاف سعر الصابون العادي، كذلك بالنسبة للمشطة وشعرات رأس الميت وماء غسله... كل شيء متوفر في ضوء عنصر النيَّة أي الثقة في المواد المتحصل عليها من عملية غسل الميت، فكل ما يخرج من أجساد الموتى ينتج الموت.

- **طبق الكسكس بيد الميت:**

تلعب الجثة دورا رئيسيا في السحر الأسود، فالميت الذي لا يستطيع الكلام ولا الرؤية ولا السمع، يمكن أن ينقل عجزه إلى غيره من الأحياء الآخرين، مثلا تستعمل أجزاء من الجثة (أظافر، شعر الميت) أو بعض المواد التي لمست الميت، لكي تغلق الزوجة عين زوجها عن سلوكها، وبذلك تصل إلى تلك الممارسة المطبخية الشهيرة في أوساط السحرة في المغرب، " الكسكس بيد الميت "، هذه الوصفة المنتشرة في كل المجتمعات المغاربية، قد أصبحت لصيقة بالنساء اللواتي تدفع بهن ظروفهن الإجتماعية غير المستقرة إلى اللجوء إلى تقديمها لأزواجهن قصد إخضاعهم لرغباتهن في السيطرة، والذي أصبح وسيلة لبحث المرأة عن إخضاع الزوج أو العشيق، والحال أنه لم يكن في الماضي تخصص ينفرد به النساء، بل كان يمارس حتى في دوائر الحكم، فخلال الأزمنة المضطربة من تاريخ البلاد المغرب غير البعيدة عنا كثيرا، وعندما كانت القبائل تتمرد على السلطة الحاكمة " المخزن " لتلتحق ببلاد " السيبة " (المتمردة على السلطة المركزية)، كان " القائد " أو " الحاكم " كلما واجه خطر قبيلة علية، يلجأ إلى خدمات ساحرة لتعد له طبق " كسكس " مفتول بيد ميت، ثم يدعو حوله زعماء القبائل ليتناولوا منه، ونجد في الأوراق التي خلفها الطبيب الفرنسي " موشون " المقتول في بداية القرن الماضي بمراكش، أن هذه الوجبة السحرية كانت مرتبطة بغرض " إخضاع قبيلة " أولا، ثم بالمرأة التي ترغب في إخضاع زوجها، أو كل شخص يريد إخضاع الآخر بعد ذلك، وسينطق كل من أكل منه أمام القايد بنفس الجملة: " أنا خاضع لك "، وهكذا كان "

كسكس الميت " في زمن مضى أسلوبا بدائيا من أساليب التهدئة السياسية (إخضاع القبائل والزعامات لسلطة المخزن)، ثم أصبح وسيلة لبحث المرأة عن إخضاع الزوج أو العشيق.

- **مخ الضبع ولسان الحمار:**

تقاسم شعوب الشرق الأوسط والمغاربة إعتقادهم في القوة السحرية للضبع، وربما كان إقتيات هذا الحيوان الجبان على جيف غيره من الحيوانات والإنسان هو السبب فيما ألصق به من قدرات عجيبة على التأثير في البشر بمجرد لمسهم لأي جزء من جسمه لدرجة أنه يفقدهم عقولهم، ولذلك تخلط النساء الراغبات في الإنتقام من أزواجهن أو الطامحات إلى ضمان خضوعهم التام ، أجزاء من مخ الضبع وتلجأ إلى وضعه في الأكل، وكما تستخدم الأجواء الأخرى من جسمه كالجلد، واللسان، وحتى البراز والبول في إعداد تمائم لحماية الخيل وإخراس نباح الكلاب، وحسب بعض المصادر الشفوية، فإن وضع قليل من مخ الضبع فوق رأس الرجل يؤدي به إلى الجنون.

وفي الأوراق التي تركها الطبيب الفرنسي " إميل موشون " (الذي شكل إغتياله في مراكش بداية القرن العشرين المبرر المعلن للتدخل الفرنسي لفرض الحماية على المغرب)، وهناك وصفة سحرية غريبة تتمثل في وضع أجزاء من مخ الضبع، ولسان الحمار في الأكل، يجعل الزوج يرتعد أمام زوجته، فتصبح الزوجة سيدة البيت، كإرتعاد الحمار في مواجهة الضبع، وإن مخ الضبع من أندر المواد السحرية وأغلاها، إذ يصل سعر الغرام الواحد منه في الأسواق السرية إلى مليون درهم حسب روايات بعض المغاربة، بحيث أصبح هذا الحيوان الجبان الذي يطهر الطبيعة من جيف الحيوانات والبشر، موضوعا على قائمة الحيوانات المهددة حاليا بالإنقراض في المغرب.

- **سحر عاشوراء:**

تتميز مناسبة عاشوراء في الفلكلور المغربي بإحتفالاتها الكرنفالية التي تجسد رمزية الثنائية القائمة على الموت (النار) والانبعاث (الماء)، وقد رأى بعض كبار الباحثين الأنثروبولوجيين الغربيين كالفلندي " إدوارد وسترمارك " في هذه الإحتفالات مجرد طقوس

تمارس من أجل التطهر من أدران السحر وطرد الشر والحصول على البركة، وإن عاشوراء هي واحدة من أبرز أهم المناسبات في يوميات المتعاطين للسحر بالمغرب، إذ لها في إعتقادهم (منزلة) توافق أعمال السحر، وبالأخص منها تلك التي تستهدف جلب المودة والوئام بين الأزواج والعاشقين ولا تنزال منتشرة على نحو واسع عادة زيارة المقابر ورش القبور بالماء وماء الزهر خلال مناسبة عاشوراء، ومع التصدق بالتين المجفف وقطع الخبز على المتسولين الذين يحجون بكثرة إلى المقابر من ساعات الصباح الباكر

وسحر عاشوراء من أشهر الممارسات التي لا تزال رائجة حتى اللحظة الراهنة، تلك التي يقوم بها الزوجات الراغبات في كبح تسليط أزواجهن، كوصفة حرق " شرويطة " أو "مصران الحولي" (يعني الكبش)، ووصفة " الكسكس " لذيالة الحولي، وتؤكد ربات البيوت المتخصصات في إعداد هذا النوع من السحر بأنه الوجبة التي تجعل الرجل الذي يتناولها طيعا كالحرير في يد زوجته، بمعنى أن الأثر السحري المترتب عن العملية يجعل الزوج مطاوعا لزوجته ومستجيبا لرغباتها، ويدوم مفعولها عاما كاملا إلى عاشوراء الموالية وكذلك، توجد ممارسات أخرى؛ تتمثل في عرق بعض المواد والأبخرة السحرية، حيث توجد أسواق رائجة للسحر في عيد عاشوراء الذي يسمى بعيد السحر، نجد فيها الشوافات بكثرة، إلى جانب بائعي المواد السحرية (البخور، المصران، الشموع، البيض إلخ) في تلك الأسواق.

ونافلة القول، يعتبر الإسلام ديانة توحيدية، وهو في ذلك يشترك مع اليهودية والمسيحية في شجب السحر وتحريمه، بيد أن الوضع الإعتيادي الذي أخذه الخفي في مجتمعات هذه الديانات أخذ أشكالا مختلفة، مثلا ففي المجال اليهودي تمكن السحر من التسلل إلى النص الديني وأعطى لنفسه شرعية ما، وفي السياق المسيحي عرف التحريم ترجمته التراجيديا في إطار عملية مطاردة الساحرات التي عرفتها أوروبا إبان قرون، بتزكية من الكنيسة لحفظ الكاثوليك من البدع، وعكس الإسلام الذي لم يعرف شيئا من هذا أو ذاك، على الرغم ما يحوم حول هذه الممارسة من شبهات وتحريم، إنها لازالت تمارس إلى اليوم، وهو ما يعكس حجم تناقض بين الخطاب والممارسة؟ بين الوضع الإعتيادي الديني والوضع الإجتماعي السيكولوجي؟ ولهذا شكل السحر واحدا من القضايا

التي إستحوذت على تفكير الإنسان منذ القدم، وهو واحدا من المجالات الواسعة والخصبة التي يمكن تناولها من زوايا متعددة، وذلك أنه وعلى الرغم من التقدم العلمي الذي أحرزه الإنسان في مجالات الحياة، فإنه لم يتخلص من المعتقدات والممارسات العلاجية الروحية ذات الصلة بالسحر والتي لم يتمكن التقدم العلمي والتقني الذي حققه الإنسان من تجاوزها. فالإعتقاد في السحر مازال قائما بكل ألوانه وصوره ومازال له حضوره الواسع في تفكير ومعتقدات الإنسان حتى اليوم، بإعتباره وسيلة علمية لها قدرها في تحقيق نجاح أي عمل يعجز عن تحقيقه ذلك الإنسان بالوسائل العملية المنطقية.

وشكل المعتقد أو الطقس السحري، كما يعاش ويمارس من طرف العامة ، قضية أساسية في أوساط الساحة العلمية وأحدث ضجة بين الخبراء والمفكرين والمختصين في مجال الطب وعلم النفس وعلم الإجتماع، حيث أخذتهم الدهشة حول الكثير من الممارسات والطقوس العلاجية المستخدمة من قبل هؤلاء المعالجين والتي تستهدف إحداث تأثيرات خارقة للمألوف من القابليات كعلاج بعض الأمراض المستعصية على الطب الحديث بدون عقاقير أو أي من وسائل العلاج الحديثة، وهذا ما زاد دهشة الأطباء والمختصين في علم الإجتماع وعلم النفس والطب النفسي، إذ أن من الحقائق التي لا شك فيها كون هذه الطقوس والممارسات العلاجية الروحية غير المألوفة ذات أثر كبير في صياغة معتقدات الناس وصياغة سلوكاتهم وطقوس حياتهم اليومية.

وأمام هذا الواقع ظهرت إشكالية الأسباب الغيبية في المستشفيات والعيادات النفسية والمصحات العقلية نتج على إثرها فوضى زعزعت مصداقية العلاج الحديث، وسحبت الثقة المتبادلة بين الأطباء والمرضى، حيث أصبح المرضى ينظرون إلى الوسائل العلاجية الحديثة على أنها تتسم باللادقة في وصف الأمراض وتشخيصها ومن ثم طرق علاجها لاسيما بعد عجز الطب الحديث عن علاج الكثير من الأمراض التي باتت تقلق نسبة كبيرة من الناس في العالم، في حين قد نجحت تلك الممارسات العلاجية غير المألوفة في علاج البعض منها (شرقاوي، 2020، ص ص 94 إلى غاية 98).

والملاحظ من النظرة الأولى إعتقاد المجتمع التّبسي؛ في عدد كثير من الممارسات العجيبة و الغريبة المستخدمة في تسميم السحر المأكول الإنتقامي و غير الإنتقامي،

حيث يتمثل ذلك من خلال تصريح صريح لمبحوثات تبسيَّات قد مارسن وصفة سحر التوكال في قولهن:

- أن معتقد التَّسميم بـ السحر المأكول في وصفة (مرارة الكبش): يحرص على العمل عليه من خلال تنشيفها جيدا من الماء بمعنى (تيبيسها) ثم تقرب تلك الوصفة من فم الساحرة المسممة فتردد عليها التعويذة التالية: " مررتلك معيشتك يا فلان ولد فلانة كيما تتفلق المرارة وتمرر الدوارة "، وبعدها توضع هذه الوصفة طريةً في " طبق الكسكس " أو " طبق البركوكش " للرجل المتمرد على زوجته أو للتفرقة بين الزوجين، والهدف منها هو الإنتقام في كلتا الحالتين، والمغزى الدلالي من هذا الفعل التسميمي هو أن الرجل الذي يتناول مرارة الكبش لما ينظر في وجه زوجته يرى معيشته معها كالمرار والخراب. ومن المبحوثات الأخريات هناك مبحوثة وضعت لها وصفة مرارة كبش العيد في " طبق الشخشوخة " من طرف سلفتها (إمرأة أخ زوجها) في اليوم الذي وضعت فيه سقف منزلها الجديد بعدما أتت به مخدوم من منزلها حتى تفرق به بين المبحوثة وبين زوجها بسبب الغيرة الشديدة من رزقهما الحلال في سرعة بناء مسكنهما في وقت قصير.
- أن معتقد التَّسميم بـ السحر المأكول في وصفة قد تناولتها (القطة): حسب قول المبحوثة أنه ذات يوم هناك فتاة قد إقترب موعد خطبتها من شاب كانت تريده صديقتها المقربة كزوج لها، حيث إنتقمت منها تلك الصديقة بوصفة توكال مشكل من بقايا جسم الإنسان قد توكل عنها جني ثم أعطيت لتأكلها القطة، والوصفة كانت تحتوي على خصلات شعر أخذت من مشطها الذي سرق منها قبل أيام ثم أخذ بعد ذلك للشوافة التي أمرتها تلك الصديقة على أن تفسد الخطوبة وبالتالي تخطب هي لذلك الرجل، ونجد من خلال تصريح أدلى به هؤلاء الأشخاص المصادر من الذين كانوا حاضرين في تلك "الخلوة التوكالية" أن الساحرة رددت على تلك الخصلات من الشعر الفاسوخة[1] التالية: "شبيك لبيك الشياطين كامل يدورو عليك، وراح تفزد تخميمة راجل يفكر فيك"، ثم أعطي

[1]- مصطلح **الفاسوخة:** هي التعويذة التي تقرأ داخل المواد السحرية الخاصة بوصفات السحر المأكول والتي يتبعها النفث الشيطاني من داخل ذلك الساحر المسمم، والتي بدورها تختص بالهدم و الفساد و الإنتقام.

ذلك السم التوكالي مباشرةً لتأكله تلك القطة المسكينة، وبعد ذلك أصبحت هناك أعراض وأمراض غريبة تظهر على تلك الفتاة الضحية كـ (الوهم، رؤية خيالات مؤذية أثناء النوم وتقوم بضربها في النهار، وكذلك ترى قرينها في صورة بشعة إذ يتجسد أمامها ويقوم بإخافتها، رؤية أنها تأكل الطعام بشراهة وبصورة غريبة في المنام...). حيث يذكر لنا أنه في اليوم الموالي الذي صادف يوم زيارة أهل الخطيب لأتمام مراسم الخطبة، وفي الحين الذي تتجهز فيه الفتاة أمام المرآة شاهدت قرينها في صورة مخيفة حيث قام بضربها فسقطت على الأرض وهي ترجف وتصرخ بالصوت العالي، وعندما دخلوا أهل الخطيب ضربت العروس كأس الحليب على الأرض من شدة تأثير الشيطان عليها ثم نزلت الفتاة بركبتيها الإثنتين على الأرض وبدأت تلحس في ذلك الحليب المتسخ مثل لحسة القطة تماما، آخذةً تلك الفتاة من صفات ذلك الحيوان المغدور، ووسط هذا كله كانت تلك الصديقة الساحرة تنظر لصديقتها المطعومة بتوكال الجن المنحدر من القطة وهي تشفي في غليلها بطريقة غير مباشرة، ثم بعد ذلك بطلت الخطبة ورفض العريس الزواج من تلك الفتاة الحيوانية، ويسمى هذا الفعل من سحر التوكال بـ " توكال التشارك " الذي إجتمع فيه الأعضاء الفتاة، والقطة، والجن الموكل.

- أن معتقد التَّسميم بـ السحر المأكول في وصفة (الماء المغلي فوق النار): ذكرتها مبحوثة ثالثة جاءت في سياق هذا التَّسمم الإجرامي المتداول وسط الفتيات الجامعيات في قولها أن صديقة لها مقيمة في الإقامة الجامعية " مكاحلية إبراهيم " 1500 سرير بتبسة، حيث ذكرت على أنه لفت إنتباهها تصرف غريب قد صدر من تلك الصديقة في يوم من الأيام تخاصمت فيه مع حبيبها الذي يدرس معها في الجامعة، حين قال لها إبتعدي عني أنا لا أريدك في حياتي، فتجهت نحو موقد النار ووضعت (برمة) بمعنى إناء للطهي ثم سكبت فيه الماء وإنتظرته حتى وصل إلى درجة الغليان الشديد، ثم قربت وجهها وفمها من هذا الأخير وهي تردد التعاويذ السحر – توكالية: " برمتي يا برمتي خلي سمير ولد حيزية يغلي عليا كيما تغلي نتيا "، وفي ذلك اليوم قامت بخلط ذلك الماء المسحور بـ "طبق البسبوسة" ثم أعطتني إلياه حتى أعطيه له خفيةً ودون علم منه أنه من حبيبته السابقة، وما لبثنا يوما واحدا حتى إتصل بها هاتفيا وقال لها أنه لا يستطيع أن يبتعد

عنها نهائيا... ومن خلال تصريح أخت الفتاة المسممة التي تقطن معها في نفس الغرفة في الإقامة الجامعية أنه منذ ذلك اليوم أصبح سمير يعاني من عسر في الهضم والقيء المتواصل نتيجةً لأعراض توكال – التعاطف[1] هذا الناتج عن جلب الحبيب بالخضوع والطاعة الدائمين.

حيث بينت الباحثة " سامية حسن الساعاتي " في كتابها (السحر والمجتمع)، 1983، على أن " الإمام الرازي " يضيف في هذا الشأن من تصنيفات السحر منها ما يسميه سحر الإستعانة بخواص الأدوية، كإستعمال بعض الأدوية المزيلة للعقل، أو التي تسبب تبلد الذهن، وهناك سحر (تعليق القلب) بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف (الإسم الأعظم) فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك ويتعلق قلبه به، فيتحكم فيه الساحر، ويوجه إلى ما يشاء. فهذا الشكل من من سحر التوكال يتحد فيه المستحضر السحري مع قوى ما وراء الطبيعة من هؤلاء الجن الأرضي خدام النجاسة الكفار، حيث أن إتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من إتصالها بالأرواح السماوية، لما بينها من المناسبة والقرب، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

فالرجل التبسّي؛ يتعاطى وصفات السحر المأكول مثله مثل المرأة التبسيَّة، حيث يتمثل ذلك من خلال التردد الكبير الذي شهدناه على بيوت السحرة والشوافات، وكذلك من خلال الأسواق المتواجدة في المنطقة والتي يباع فيها جميع المستلزمات التي تستعمل في تلك الوصفات السحر – توكالية مثال على ذلك من المقتنيات الحيوانية نجد (الحية والميتة، الثعالب، القطط البرية، القنافذ، السحليات، الثعابين وجلودها، الضفادع، السلحفاة

[1] – مصطلح **توكال – التعاطف:** يختص هذا السحر بسحر الحبيب وجلبه مرغما من خلال وضع الوصفة التوكالية المشكلة يدويا و شفويا في طعامه أو في شرابه حسب المستحضر و التعويذة، فهذا المرض الباطني هو من أكثر أنواع السحر المأكول إعتقادا و ممارسة، وأشدها خبثا وإنحطاطا وإنحلالا، حيث أن أغلب من يقدمون على شراء هذا السُّم السحري هم في الغالب من المتزوجات والمخطوبات والفتيات اللاتي هن خارج نطاق الزواج، وكذلك يدس خفية بغرض الإستغلال الجنسي من طرف هؤلاء الممارسين من صنف الرجال من المثليين واللواطيين ليشبعوا من خلاله غرائزهم المريضة، وهذا راجع إلى الجهل إعتقادا منهم أنه يجلب المحبة ويؤلف القلوب.

البرية، أجزاء من جسم الفأر، مخ الضبع)، ومن المقتنيات النباتية التي ترافق الوصفة – السحر توكالية وجدناها تباع لدى دكاكين العشابة وبالتالي هي جاهزة لصيد الفريسة بكل سهولة وخاصة في تلك الأحياء الشعبية.

- أن معتقد التَّسميم بـ السحر المأكول في وصفة (الرَّوامة): حيث تعرف على أنها بقايا جنين الناقة بمعنى ما يسمى تبسياً بـ مصطلح (الخواتات)؛ حيث تروي لنا مبحوثة أن السحر المأكول بالخواتات خطير جدا وله مفعول سريع على الشخص الموكل، فتقول أن هذا الشكل إستعملته فتاة قد إبتعد عنها خطيبها بسبب سماعه كلام سيء عن سمعتها على أساس أنها فتاة غير صالحة وتمارس الفسق مع الرجال من أجل سلبهم أموالهم، فقامت بدورها بوضع تلك الوصفة له في طعامه بعد أن قرأت عليها الساحرة الرسمية الكلمات: " أرجع ليا أرجع ليا يعيا السعد وتكون تحت رجليا " عدد – 7 مرات "، وكمحاولةً منا لفهم دلالتها الرمزية نقول أن الرَّوامة ترمز لعدم الفرقة بين الزوج وزوجته وبين الخطيب وخطيبته وبين الأم وإبنها... أما الدلالة الفعلية من هذه الوصفة بإعتبار أن الجنين لما يتكون في بطن الناقة يتكون مثله ذلك الشخص الموكل بسحر الخواتات مع الشخص الذي سممه وتكون العلاقة في الأخير متينة وقوية فيما بينهما.

ونشاهد بعض الممارسات السحر – التوكالية الخاصة بممارسة طقوس العبور في المنطقة التبسيَّة؛ ألا وهي (يوم دخول العروسة إلى بيت العريس) حيث تحرص العجوز الكبيرة على أن تضع تلك العروسة زبدة الغنم فوق باب بيت أهل العريس بواسطة أصبعها الأيمن، ثم تقوم أم العريس أو أخته أو عمته... بإعطائها حبة تمر و كأس من الحليب حتى تقوم بشربه أمام الملأ من الضيوف الحاضرين، حيث يكون ذلك قبل دخولها من عتبة المنزل، وفي أعراش أخرى يقومون بإعطاء العروسة عسل نحل الطبيعي لتتناوله قبل دخولها بيت الزوجية. ومن هنا يحدث تسميم السحر المأكول وخاصة إذا كانت هناك عداوة وضغينة من طرف أهل العريس تجاه العروسة حينها تصبح هذه المقتنيات مشكوك فيها، أين تستهدف العروس المسكينة بهذا المرض بإعتبار أهل العريس غير موافقين على دخولها ضمن عائلتهم، وفي هذه المناسبة وعن طريق وصفة سحر التوكال يسهل في هذه الحالة التخلص من تلك المطعومة بعد إيصالها إما إلى

الجنون أو إلى الفرار من زوجها وبالتالي من المنزل نهائيا. ومحاولة لفهم دلالتها؛ نقول أن هذا الفعل الطقوسي يفسر منه بياض المعيشة في الحياة الزوجية الذي يتمثل في رمز الحليب حيث ترمز حبة التمر للحلاوة من خلال رمز العسل، وإذا أضيفت لهذه المقتنيات طقوس شعبذية أخرى يكون هدفها التفريق فتقوم بدورها بالإشتعال بحسب النية وقوة المعتقد إيمانا في نجاعتها، وبالتالي يحدث الغرض المطلوب في التفريق والنفور الكليين.

يؤكد الباحث الكولونيالي " إدموند دوطي " معتقد السحر المأكول " في كتابه: (السحر والدين في إفريقيا الشمالية)، كتاب ترجمه " فريد الزاهي " وصدر عن منشورات مرسم بمراكش، في الفصل الثاني الخاص بـ (الطقوس السحرية) حيث تقوم هذه الممارسات على الإعتقاد بأن جزءا من الجسد أو شيئا يكون مجاورا له أو محتكا به يمكنها أن تأخذ مكان الجسد، وأنه إذا ما مورست عليها بعض الأفعال، يتعرض الجسد الذي تنتمي إليه إلى ما تعرضت له بالطريقة نفسها، إنه مبدأ " السحر التعاطفي "، من ثم يأتي الدور الذي يلعبه في السحر كل ما إتصل بالجسد أو لامسه، وكل ما يتأتى منه، وبخاصة الشعر والأظافر واللعاب، وثم ربما تكمن العلة في كون القانون القبائلي القديم يعتبر أن البصاق في وجه شخص ما فعلا أكثر جرما من بعض الأعمال العنيفة، إنه أذية. لذا تُقبر الأظافر والشعر المقطوع بعناية كبرى خوفا من أن يعثر عليها الخصوم ويستخدموها بذلك في ممارسات مسيئة لصاحبها الأصلي. وقد تجعل الناس يتفادون ترك بقايا الطعام وراءهم، فالعلاقة التفاعلية التي توجد بين هذه البقايا والقسط الملتهم من الطعام قد تمكن من فاعلية السحر الشرير الخاص بالسحر المأكول المميت للأفراد.

وهكذا فإن التطابق أو التجاور بين المادة التي نفعل فيها وجسد الشخص المعني من جهة، والتشابه في الفعل من جهة أخرى، هما بالضبط الشرطان الأساسيان للسحر التعاطفي، إنهما يعودان إلى شكلي توارد الأفكار.

أما فيما يخص الخصومة كما تكرمنا سابقا من خلال وصفات المجتمع التبسي؛ يدلل دوطي أن يشتغل الساحر أحيانا مباشرة على جسد الضحية بطريقة يطمح من خلالها إلى إستخدام مساوئها، فمثلا لزرع الشقاق بين زوجين أو عشيقين، يكفي أن يتوصل المرء إلى أن يضع بينهما وهما نائمان مُرَّة عظاية خضراء، فلون العظاية يقوي

من لون المرة ومن ثم مرارتها، وتلك المرارة تولد مرارة أحاسيس الضحيتين، مثال آخر: حين ترغب إمرأة في أن يغض زوجها الطرف عن تصرفاتها، تأخذ قطعة من لسان الحمار، وشيئا من الحبل الذي به يربط وسبعة عقد من الحبل الذي تتكون منه البردعة، وتحرق كل هذه الأشياء مجموعة وتجعل زوجها يأكله، فيصبح الزوج خائفا مثل الحمار ومربوطا ومبردعا مثله.

في أحيان أخرى يتعلق الأمر بمنح النفس مزية يتميز بها حيوان من الحيوانات، فقد كان العرب القدماء يخشون أيما خشية الأوبئة، وحين تستشري إحداهما في مدينة ما وهم يرغبون في دخولها من غير أن يصابوا بأذى، كانوا يمشون بها على أرجلهم وأيديهم ويطلقون نعيق الحمار الوحشي، فهذا الحيوان كان يتمتع بصحة لاتلين، لذا كانوا بذلك يعتقدون أنهم يدرؤون المرض.

وتأتي البخور المحروقة في الصدارة من الصيدلة السحرية الإسلامية، فلا وجود لأي مراسيم هامة أو إستحضار جدي للجن من غير أن يطلب فيه حرق هذا البخور أو ذاك، أحيانا هناك عطور وبخور أكثر أو أقل فعالية حسب الساعات والأيام، وأكثرها إنتشارا تسمى عادة بالجزائر والمغرب البخور السبعة، وهي الجاوي الأكحل، والجاوي الأبيض، وبخور السودان، وعود القمار، والقرنفل، واللبان، والميعا، بيد أن هذه اللائحة ليست ثابتة، ومن جهة أخرى يباع تحت إسم – سبع بخورات – خليط من إثنين أو ثلاثة من بينها فقط (دوطي، س. ن. غ. م، ص ص 51 – 52 – 53 – 57).

وفي مدينة تبسة؛ يعرف شعبياً مصطلح السحر المأكول على أنه: " كل ما يتم أكله بواسطة الجسد البشري أو الجسد الحيواني فيأخذ المنحى الحواسي أثناء عملية الإنتقال "، وبإعتبار البخورات هي عبارة عن سحر مشموم يدخل ضمن هذا المعتقد الذي يخترق الجسم فيتسبب في التوكال المشموم ثم يسمم البدن، ويمرضه، ويقتله بالتدريج أو يقتله مرة واحدة، ومن هذا الفعل التسميمي نجد " البخور النتن " الذي يفترس الشخص الموكل بواسطة حاسة الشم مرورا إلى الرأس والجهاز التنفسي ثم إلى الأمعاء فالجسم ككل، حيث يتميز هذا الفرع برائحته الكريهة التي تتشكل من وصفة المواد السحرية كـ (شعر الفأر اليتيم، شارب الجرذ المطلق، قنفذ أصلع، بومة حاجبة، وتضاف إليهم أعشاب أخرى مثل

الساكتة والمسكوتة) وعادة ما يتوكل عنها حارس من الجن السفلي يتم إستحضاره من طرف " الشوافة " أو الساحرة " حتى يقوم بالحراسة وبالتالي تفعيل المرض داخل الأعضاء.

حيث أن عشبة " الساكتة و المسكوتة " تخلط بأيدي النساء التبسيَّات؛ كوصفة لتسكيت الرجل بسحر مأكول من خلال وضع سمها في الماء والحليب فيصبح الرجل المغدور ساكت و مسكوت، حينها تدخل الفم ثم تصل لتستقر في المعدة والأمعاء، فيصبح ذلك الرجل التّبسي المطعوم لا يسأل عن أي شيء فقط يقوم بالموافقة عليه...

ومن الوصفات التبسيّة المعتقدية الأكثر إنتشارا في تسميم السحر المأكول؛ تذكر لنا مجموعة من المبحوثات (دم حيض المرأة) يوضع للرجل من طرف الزوجة حتى يستمر في حبها مدى الحياة، (بول الحمار و روث البقر) يصطاد به الرجل حتى يصبح طائعا مطيعا كالحمار، حيث بينا لنا أيضا دور (مخ الضبع) في تضبيع الرجل النسواني الذي يُخَلط في النساء بمعنى ذلك النسونجي صاحب الأموال الكثيرة، حيث توصف له هذه الوصفة من طرف الساحر أو الساحرة قصد القضاء عليه وبالتالي إنهاء حياته، والدلالة المعتقدية من مخ الضبع هنا تتمثل في إفقاد العقل والإنتقام من الشخص الموكل، ومن أجزاء جسم الضبع أيضا يستعمل كبده كذلك في سحر التوكال، إذ يعرف هذا الحيوان على أنه من أغلى المواد السحرية وأندرها لدى المجتمع التبسي والذي يتم إستوراده خفية من دولة المغرب الشقيق، بإعتبار دماغه يساوي ثروة كبيرة أين يكاد ينقرض بسبب كثرة الإقبال والطلب عليه.

وتحرص الفتيات العازبات في مدينة تبسة؛ على إستعمال وصفة (كسرة الشنشانة) وهي عبارة عن طقس تسميمي غير مباشر يتم عن طريقه إستحضار الجن في الخبز التقليدي بمعنى " خبز الدار " ثم يعطى بعد ذلك للفتاة التي تريد الإستطلاع في شأن الزوج الذي سيكون من نصبيها في المستقبل، حيث تشكل تلك الوصفة على الطريقة التقليدية التالية: يطلب – سبع حفنات – دقيق (قدر حفنة اليد) من سبع منازل لم تتناول تلك الفتاة من أكلهم قبل ذلك، مع – سبع حفنات – ملح و – سبع حفنات – زيت ثم يخلط القليل من كل عنصر بواسطة " إمرأة روحانية ساحرة " وهي في حالة صمت ولا

تتكلم حيث تقوم بوضعها فوق الطاجين على شكل – سبع قرصات – صغيرة، ثم تأكل الفتاة التي تريد الإستطلاع بتوكال الشنشانة واحدة في كل ليلة، وبعدها تخرج إلى القمر والنجوم وتشور بمحرمة من جهة الشمال ومن جهة الجنوب ومن جهة الشرق ومن جهة الغرب وهي تقول: " إنتي الشنشانة وأنا نقلك حنانة بينيلي زهري ما بين الزهور وداري ما بين الديار وراجلي ما بين الرجال "، ثم تدير الفتاة جسدها للحيط وترقد دون أن تتكلم، وفي الحلم سترى سعدها من أول ليلة، وحسب قول أحد الساحرات أنها ممارسة طقوسية تستخدم من قبل مجيء الإسلام.

أما فيما يخص سحر " توكال المحبة " الذي ذكرناه سابقا حين يدس في أكل الحيوان بعد أن يكتب على " قطعة خبز " مع ذكر إسم الشخص المراد تسميمه بتوكال الجن حيث يحضر هذا الأخير على الفور بعد قراءة طلسم الجلب، وهو في قول المبحوث الساحر: " أن هذا الطلسم لا يوجد مثله على الأرض، يتلى من خلاله القسم – 61 مرة – ويؤخذ حتى خارج البلاد قصد تسميم أشخاص آخرين متواجدين في الخارج بهدف التهييج والجلب السريعين، حينها يعطى الرغيف إلى كلب ليقوم بأكله، وبعدها يتوكل عنه جني خادم داخل جسد الشخص المكتوب بإسمه هذا السحر فيصبح كالمجنون ولا يقر له قرار ولا هدى ولا إصطبار، وبالتالي لا يستطيع الصبر عن الطرف الآخر فيعود مسرعا، حيث لا يبطل العمل التوكالي هذا إلا بعد موت الكلب الموكل بتسميم " سحر الجان المأكول " وحسب قول ذلك المسمم أن هذا العمل مجرب مراراً وطلسمه كالآتي:

الملحق رقم 36: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ وصفة سحرية معتقدية عبارة عن " طلسم محبَّة " يكتب على " قطعة خبز " بـ " قلم سحري شيطاني " ثم يستخدم بعدها في جرعة السحر المأكول الذي يدس في أكل الحيوان حتى يتسمم عن طريقه الإنسان بتقنية الجان

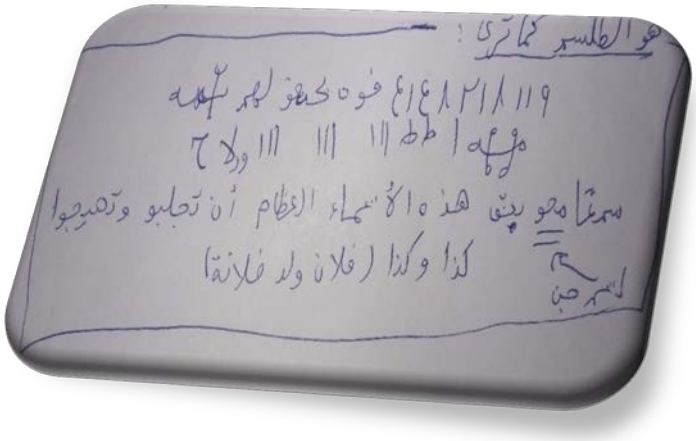

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/12/10. على الساعة؛ 14:30 د

وفي وصفات الحب تصرح أحد المبحوثات أن وصفة " حبَّة البيض " تستخدم للمحبَّة وحسب قولها أن فيها توكال خطير جدا، وصرحت لنا أنها أعطتها لشخص لا يحب إحدى بناتها وهي تريد الزواج منه ومنذ ذلك اليوم أصبح يحبها بجنون والوصفة كالآتي: يؤتى ببيضة ويكتب عليها بقلم أحمر " ربطك يا فلان ولد فلانة بعقدة حلسية لا يفكها إنسي ولا إنسية ولا جني ولا جنية إلا أنا فلانة بنت فلانة بيديا وتجي من برا وترد الشور عليا " ، ثم تفلق بعدها تلك البيضة ويقرأ عليها التعويذة التوكالية " يا فلان ولد فلانة وقفتك على مئة ولية وولية و مئة يهودية ونصرانية ومتتحل حتى يدز لبقر ويوكح البحر وينوض العزري من القبر ويقول الله أكبر يا فلان ولد فلانة وقفتك أنا فلانة بنت فلانة على جميع النسا إلا عليا " وتقول المبحوثة على أنها قامت بالنفث بداخلها من روحها وبعدها أرسلتها لإمرة قريبته حيث دستها له في طعام العشاء.

وهناك وصفة أخرى أستخدمت لمبحوث آخر وهي في شطر من " الكسرة " بمعنى خبز الدار كما تكرمنا سابقا، حيث أن تلك الوصفة التوكالية عجنت بواسطة عشبة " الزعيفرة " التي هي نوع من أنواع منكهات الطعام تأخذ اللون الأصفر، حيث قرأت عليها التعويذة: " صفرتلك معيشتك ومرضتلك بدنك " عدد – 7 مرات – وبعد هذا الفعل التوكالي تسمم المبحوث وعندما ذهب إلى المطبب الروحاني ليعالجه بالرقوة الشعبية الروحانية حينها قام بإستفرغ تلك " السموم الصفراء " ثم قال له الطبيب الروحاني " راهم جربوا فيك السحور لصفر " وهذا الشكل هو خاص بأصحاب البادية وأصحاب الريف والغرض منه هو المرض.

ومن المسممين التباسَّة من سحرة السحر المأكول؛ قد وجدنا هؤلاء السحرة الرسميون منهم من يستخدم الألفاظ البذيئة تجاه الفتيات والنساء من أولئك النسوة اللاتي يترددن لديهم، حيث يستخدمون وصفة سحر التوكال على قطعة داخلية من القماش بعد الكتابة عليها بواسطة طلاسم سحرية، ويؤمر بعدها على أن يقوم بلبسها الشخص المراد توكاله بـ " التوكال الملموس "... فينتج عن هذا الفرع قلق متواصل وخربطة في سريان الدم، وفجعة قوية يصحبها توتر على مستوى المعدة والقولون العصبي، وكذلك بروز ضربات شديدة في عضلة القلب، وغالبا ما يكون هذا الفعل للمحبة.

خلاصة الفصل:

مما تقدمنا يمكننا القول؛ أن المعتقدات السحرية الباطنية قد تكون مبنية على العقل والمنطق كما قد تكون مبنية على الخرافة والوهم، فالإنسان التّبسي مطبوع في أن يعتقد ومهيأ لقبول أي معتقد، وهذا بفضل ما يملكه من إستعدادات تجعله ميالاً بطبعه، وبإعتبار معتقد السحر المأكول متوارث نجده يدخل في عوامل دينية وتجارب إجتماعية مكتسبة من الثقافة المحلية، أين تعتبر كذلك مؤسسة التنشئة الإجتماعية على أنها من أهم مراحل تكوين شخصية الأفراد وبالتالي يتحصلون من خلالها على مباديء وقيم تترسخ في تكوينهم حيث تكون للتنشئة لها الدور الكبير في إعتقادهم، لأن الأسرة هي اللّبنة الأولى للمجتمع وهي محضن هؤلاء الأفراد الأوائل، حيث أن أثناء إحتكاك الفرد بمحيطه الأسري، والمدرسي ومحيطه في المجتمع ككل، تتنتقل تلك الممارسات الطقوسية المستخدمة في وصفات سحر التوكال الحواسي عن طريقهما جيلا بعد جيل مع الإنتقال الثقافي وهي في الحقيقة تختلف في كل مرة سمة ذلك المعتقد السحري كل منه على حسب الشكل الأول الذي ظهر عليه وعلى حسب كذلك الزمن الحقيقي الذي ظهر فيه.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

طقس التَّسميم بـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي

تمهيد الفصل:

- **أولاً: خصائص النباتات و الحيوانات و المعادن و بقايا جسم الإنسان في جرعات السحر المأكول المطبخي**
- **ثانياً: الأمراض الباطنية لـ طقس جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) في قبضة ملوك الجن والشياطين.**
- **ثالثاً: المعنى و المدلول من إثنوغرافيا جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ النّسوي التّبسي.**
- **رابعاً: سلطة القانون الجنائي كمهمش أنثروبولوجي أمام سلطة السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة.**
- **خامساً: الدلالة الرَّمزية من وراء ممارسات و طقوس السحر المأكول (سحر التوكال) لدى أفراد المجتمع التّبسي.**

خلاصة الفصل:

تمهيد الفصل:

إنطلق هذا الفصل من أنثروبولوجيا جرعات السحر المأكول بمعنى ذلك التَّسميم الشعبي الذي يبدأ من داخل المطبخ الإثنوغرافي السحري النّسوي في مدينة تبسَّة؛ ويعرف المطبخ أيضًا على أنه كإضافة لدوره البيولوجي المعمل السري لسحر المرأة، وباعتبارها جرعات قديمة – حديثة متوارثة من سحر الجدات ثمَّ إلى بنات الجدات ووصولاً إلى الحفيدات، إنتقالا عبر الأجيال مع العادات والتقاليد لتصبح ضرورة طقوسية و مشاعر سحرية غامضة تمارس آليًا من داخل البيوت، وبمعزل عن المعنى الدلالي و المعنى الرمزي الواضح أمام هؤلاء الأفراد الممارسين لمثل هذا الطقس الذي يظهر في الأفراح، المآتم، الأعياد الدينية الإسلامية، أو حتى من خلال الأيام العادية، حيث تعتمد تلك الجرعات المنزلية في تركيبها التَّسميمية على الكثير من المقتنيات: كـ " السحر النباتي، السحر الحيواني، السحر المعدني "، وإضافةً إلى نوعها الرابع وهو " السحر ببقايا جسم الإنسان " فيصاب حينها جسم المغدور إمَّا بحالة من " القتل السريع " أو بحالة من "القتل البطيء" يكون هدفه في كلتا الحالتين؛ إمَّا سحر الانتقام (السحر الأسود) أو سحر المحبَّة (السحر الأبيض) وفي حين آخر لاحظنا عن قرب كثرة إستخدام هذا السُّم لدى الأفراد التباسَّة لسهولة إصطياد الضَّحية عن طريقه، وهذا كان سواء لدى القائمين من أصحاب " السحر الرسمي " الذي يعتمد على الاختصاص أو لدى أصحاب " السحر الشعبي " المبني على التجربة. لذا وجب علينا التفريق في هذا الفصل على غرار الفصول الأخرى بين المعنى و المدلول من جرعات السحر بـ السموم الطبيعية وما تحمله هذه الأخيرة من دلالات لدى أفراد العينة القصدية الهدفية وذلك من خلال الاستعانة بصور فوتوغرافية مباشرة من الميدان المحلي.

أولاً: خصائص النباتات و الحيوانات و المعادن و بقايا جسم الإنسان في جرعات السحر المأكول المطبخي

1-النباتات و جرعات السحر المأكول:

النباتات؛ هي تلك المخلوقات السحرية التي تمتلك طاقات وقوى ومفعول سحري خاص لا يمكننا إغفاله أو الإستهانة به، فمن منا لم يسمع بمفعول النبات السحري في شفاء الأمراض وإستخدامه في التجميل وما إلى ذلك، فهي تستخدم في كثير من الأعمال والعلاجات وطرق السحر، هذه المخلوقات السحرية هي سحرية فعلا، لكن فكرة وجودها وخلقها في حد ذاته لم يكن عبثا وتأثيرها غاية في القوة وله مفعول السحر في كل شيء، فهي أكبر مكون للطاقة على هذه الأرض، والنباتات تمتلك قوة التراب والماء والهواء والحرارة وهذه العناصر هي العناصر الأربعة الأساسية في تكوين الكون، لذا يمكننا أن نسمي كل نبتة كون بحد ذاتها، وسنوضح بعض إستخدامات النبات ولكن بشكل وشرح بسيط لأننا سوف نحتاج إلى كتب ومجلدات لنكتب عنها ولكن ننتهي من ذكر تأثيراتها وفوائدها أبدا.

ولنبدأ بقصة وجود النباتات كما ذكرت الكتب القديمة أن آدم عندما هبط من الجنة، هبط ومعه ثلاثون نوعا من الثمار، عشرة لها قشر وهي الجوز واللوز والفستق والبندق والبلوط والصنوبر والرمان والنارنج والخشخاش، ومنها عشر لا قشر لها ولثمارها نوى وهي الرطب والزيتون والمشمش والخوخ والإجاص والعنب والغبيراء والدراق والزعتر والنبق، وعشرة ليس لها قشور ومنها السفرجل والتين والأترج والطماطم والفراولة، وأن أول نبات إستقر على وجه الأرض كان النخل، حيث خُلقت من فضلة طينة آدم أبو البشر.

- **(النباتات) و السحر المأكول الأسود:**

من أهم الأشياء المستخدمة في السحر الأسود هي النباتات فنجد أن بخور السحر الأسود في الغالب يتكون من 37 نوع من حبوب النباتات أو أجزاء منها ويتم ذلك بعجنهم سويا مع ماء حبات النبات التي لا يمكن تجفيفها مثل البصل وما إلى ذلك وعمل العجينة الخاصة بهم ثم يتم التبخير بها بعد ذلك بإضافة النبات المطلوب من قبل الخادم

الموكل لكل سحر من الأسحار، فيترتب عنه ما يسمى بـ سحر " التوكال المشوم " الذي ينتقل ويأكله الجسد عن طريق حاسة الشَّم بفعل من خادم أو جني مارد، ومن أهم النباتات المستخدمة في السحر هو " البصل " فيتم إستخدام مائه للكتابة في أعمال الشر والبُغض والفرقة ويتم إستخدام قشره في التَّبخير مع إضافة الحلتيت لجلب الخادم وإستقبال شروطه وأوامره لإهلاك العدو وسحر الرجم، والكندر وحصى اللُّبان واللُّبان الذكر يستخدم في سحر " العقد " و " الربط " فيُكتب إسم من يُراد عقده ببعض الطلاسم على ورقة وتوضع حبَّة اللُّبان في تلك الورقة وتوضع في النار إلى أن تذوب تماماً وتحرق الورقة ثم ينادي بإسم الخادم الموكل ويبدأ الساحر يسمع إسم المُراد سحره.

ولضمان نجاح السحر ينعقد نوم المراد سحره وتنغص حياته عليه، ولكن يجب أن نعلم أن السحر ليس له حدود وليس له حاكم ولا مقاييس، لأننا نجد أن هناك إستخدامات للنباتات أكثر شرا مما نتوقع وفي المقابل هناك إستخدامات في أعمال الخير لكن فعلها أيضا، وسأذكر لكم أن هناك طريقة لخروج قرون من الرأس بفضل السحر؛ وهي بوضع بعض من نبات الميعة الزرقاء (وهو نبات هندي الأصل) على بخور من كندر مع ترديد بعض العزائم بشرط الدخول إلى مكان نجس لفعل ذلك السحر الأسود، وكذلك يتم إستخدام نبا " الثوم " الجاف بأعواد خاصة يُشار بها إلى الإنسان وبقول بعض العزائم وإستخداماتها للمشاورة على (أعضاء معينة) في ذلك الجسد المنحوس، وذلك سيؤدي إلى ظهور " بقع حمراء " في جلد الضَّحية وسوف تتكور مع الوقت بفعل تجلط الدماء وجعلها تنفجر بشكل سريع، مما يؤدي لقتل هذا الإنسان.

- **(النباتات) و السحر المأكول الأبيض:**

– النباتات في سحر توكال الهدم و الجلب و الإختفاء:

هناك أيضا سحر بشع يجعل الضَّحية تخرج (البول من فمها) وما إلى ذلك، وهو بجعل الضَّحية تشرب منقوع الحلتيت والحنظل في بول حمار، يقرأ عليه أثناء العمل بعض العزائم ويقطر كل يوم قطرة على شكل جرعات متتالية في مأكل أو مشرب الضَّحية إلى أن يصل للدرجة المطلوبة من المرض. ومن الأعمال السحرية بإستخدام

النباتات هو السحر بإستخدام " الرمان " تلك الفاكهة العظيمة في معظم الأديان، فقد تم ذكرها في القرآن وإصحاحات الإنجيل والتوراة وكل الأديان الأخرى، فتجد أنه يستخدم في " سحر الجلب " حيث يكتب بمائه بعض الطلاسم ويتم تعليقها على قلب من يريد جلب أحدهم ومن ثم عندما يقابله ينجذب إليها الطرف الآخر بشكل كبير ويقع في حُبه، ويمكن إستخدام نفس الجرعة في التسميم بـ السحر المأكول لكن بعد محو ذلك الحرز المكتوب في ماء للشرب، ومن الأشياء الغريبة أيضا في السحر بإستخدام النباتات هو " سحر الإختفاء " وهي أن تجعل أحدهم يختفي أو تختفي أنت بنفسك، وهو بشرب " دم ضفدع " ممزوج ببعض من " عصير التفاح " المتعفن وقراءة العزيمة لمدة سبعة أيام، بشكل دوري وذكر إسم من أراد الإختفاء.

ومن الأعمال السحرية كذلك بإستخدام النباتات هي المشي على الماء فبشرب بعضا من " دماء دائر النورس " على أعواد الزنجبيل منقوع فيهما ورقة مكتوب عليه الطلسم والمداومة على العزيمة سبعين يوما، فذلك يمكن الفرد من الإتيان بخدام تلك العزائم والنباتات لحمله وجعله يمشي على الماء بكل سهولة ودون أي عناء.

- **النباتات و سحر توكال ملوك و خدام العالم السُّفلي:**

لنعلم أن لكل نبا خادم أو ملك من " الجن " و " الشياطين " السُّفلية يُجلب بإستخدام ذلك النبات في البخور مع إستخدام بعض الطلاسم و التعاويذ والرياضات الروحية الخاصة للأعمال السفاية، مثلا نجد أن مع " حب خروع ": عزرائيل. " نوى خروب ": رحبوط. " العدس ": كيزوم. " حب حرمل ": عبد لهب. " إيكر خشب ": عابد النار. " الحلبة ": " الهزيل. " الحنطة ": خالب. " النعناع ": زامر. " القرنفل ": عزار. "برسيم ": كسيون. " مستكة ": الطوش. " حصا لبان ": جلود. " البابونج ": جيدري. "سندروس ": همدوش. " لبان ذكر ": حازن خاذم. " كسبرة ": كلكال. " صبَّار ": كريد. "الفلفل ": ساكب. " نوى تمر ": لهجور. " حب بصل ": زلزال. " خزامي ": ندندان. "الزنجبيل ": فرزوق. " حب هال (حبهان) ": زعزوع. " ماء بصل ": البارق. " الكمون ": ساطع. " الحلتيت ": مطري. " أعواد ملوخية ": الفارق والخاطف. " مستكة ": ناصور.

" رجلة ": الهارق. " كمون أبيض ": الأحمر. " الكافور ": الكامن. " بزر لفت ": ميمون. " حمص ": مرجي الفول: هرجي. " شمر ": ناصري. " قشر الثوم ": الأسود. فجميع تلك النباتات وجميع هؤلاء الجن و الشياطين يستخدموا بهدف التوكيل لحراسة جرعات السحر المأكول داخل جسد الموكل (حجاج، 2021/04/27، 15:49).

2-الحيوانات و جرعات السحر المأكول:

- **جرعات (الحيوان) السحر – توكالية:**

إن الإعتقاد في وجود خصائص سحرية لدى الحيوانات قديم جدا في المغرب، ومن المعتقدات التي مازالت شائعة حتى اليوم أن صوت البوم هو نذير شؤم، وأن ذلك الحيوان الليلي الذي يفضل العيش في الخرائب، إذا حلق أو وقف فوق ملابس الطفل الرضيع، حين تكون معروضة فوق حبل الغسيل، فإن الطفل عندما يلبسها يصاب بمرض شديد، يسمى هذا النوع من التسميم بـ سحر " التوكال الملموس " الذي ينتقل إلى هذا الصبي عبر مسامات الجلد.

أما " الكبش " سيد القطيع الذي كان مقدسا لدى أسلافنا البربر في أزمنة غابرة وسابقة على الفتح الإسلامي، فإن نحره كأضحية في العيد الكبير (عيد الأضحى) ترافقه طقوس تحركها معتقدات سحرية، لا تزال تمارس حتى اليوم، فعند نحر أضحية العيد تشرب " الشوافات "؛ وهن أولئك النسوة اللاتي يمتلكن " بركة " كشف أسرار الغيب، كثيرا من دم الكبش الحار، لأنه يقوي لديهن القدرة على قراءة الغيب، كما يتم تجفيف ذلك الدم وإستعماله للتبخر به أو في بعض الوصفات السحرية الأخرى التي تقوم بها المرأة لإمتلاك قلب رجل.

وتحظى " الحيوانات المائية " بقدر غير يسير من الأهمية في معتقداتنا السحرية، فنقط تواجد الماء، ولذلك يسود الإعتقاد في قدرة الجن على الحلول في بعض الأحياء المائية، ففي العيون المالحة التي تنبع من مغارة (إيمنفري) بضاحية دمنات تسبح "سلاحف" كانت تحظى بإحترام وتقديس اليهود والمسلمين من سكان المنظقة، الذين كانوا يقدمون إليها القرابين. ولذلك ربما كان أكل " الديكة " أحسن طريقة لكي يصبح الرجل

فقيها شهيرا، في تافيلالت... بمعنى آخر فإن التغذية بهذا الطائر أو بعض أجزاء من جسمه (خصوصا الرأس) يفترض فيها أن تمنح الإنسان الخصائص العجيبة للديكة، وبالمثل يحظى الدجاج بشكل أعم (ذو الريش الأبيض أو الأسود أو الأحمر) على الخصوص، بمميزات تجعله يستعمل في مالا نستطيع حصره من الجرعات ذات الأعراض المتنوعة.

وتستعمل " الحرباء " في جرعات إبطال السحر الأسود، بينما يستخدم بيضها في إعداد (وصفات التوكال) التي تعطى (في الأكل) للغير بغرض القتل البطيء، وأيضا لكل فتاة تشتكي من العنوسة، ينصح العشاب بالتبخر بالعرعار و " تاتة عويتقة " أي (حرباء بكر كيف يميزون جنسها وعذريتها؟) ولأجل ذلك تهيء الفتاة النار في مجمر، فترمي في لهيبها الحرباء المسكينة حيَّة مع العرعار، وتعرض نفسها للدخان المتصاعد الذي يعتقد أنه يبطل مفعول السحر المعمول لها، وهذا للأسف ما يسمى بـ سحر "التوكال المشموم" الذي ينتقل عن طريق الشم ثم إلى الجهاز التنفسي، بإعتبار هذا الطقس الإستشفائي عادةً ما ترافقه تعاويذ وتراتيل شركية تجلب الجان المؤذي لحراسة النجاسة. كما تستعمل الحرباء أيضا لعلاج " التوكال " حيث يأخذ المصاب به هذا الحيوان الكسول بعد أن يذبحه ويغسله يتناول لحمه، وفي هذه الحالة الحقيقة مرة ومؤسفة جدا، لأن هذا الطقس الجرعاتي ليس تطبيبي كما يعرف في المعتقد الشعبي السحري وإنما هو طقس تسميمي خالص نتيجته توكال من نوع ثاني.

ويستخدم " مخ الضبع " و " لسان الحمار " حسب " لاوست "؛ فإن شعوب الشرق الأوسط تقاسم المغاربة في إعتقادهم في القوة السحرية للضبع، وربما كان إقتيات هذا الحيوان الجبان على جيف الحيوان والإنسان هو السبب في ما ألصق به من قدرات عجيبة على التأثير في البشر بمجرد لمسهم لأي جزء من جسمه (لدرجة أنه يفقدهم عقولهم)، ولذلك تخلط النساء الراغبات في الإنتقام من أزواجهن، أو في ضمان خضوعهم التام، أجزاء من مخ الضبع في الأكل، ويحدث " كبد الضبع " نفس المفعول. وحسب بعض المصادر الشفوية، فإن وضع قليل من مخ الضبع فوق رأس الرجل يؤدي به إلى الجنون، أما إعطاؤه له مع الأكل فينتج عنه موته فورا.

عندما يبلغ الرضيع أربيعين يوما؛ تقص خصلة من " شعر قفاه " يضاف إليها قليل من " الكبريت " و " دم أضحية العيد " المجفف ثم تخفى في حجاب يعلق في عنق الدفل.

يؤخذ " دم أضحية العيد " مع " الزعفران " الحر و " القرنفل " و " السانوج " وتمزج هذه المواد مع " الزيت " و " حليب الأم " ليدهن بها رأس الرضيع.

ولا يقتصر إستعمال دم أضحية العيد على الوقاية من الآثار السلبية المؤذية " لدم المغدور " على الرضع، بل إن المجتمعات المسلمة في دول المغرب العربي تستعمل دم الضحية طريا لعلاج بعض الأمراض العارضة التي تصيب الكبار أيضا، كما تقوم ربات البيوت بأخذ كمية من ذلك الدم لتجفيفها والإحتفاظ بها قصد التبخر بها لطرد الجن، كما يدق " الدم المجفف " ويخلط مع " الحناء " لعلاج بعض الأمراض النسائية خصوصا منها تلك التي تصيب الثدي.

والحقيقة أن " دماء الحيوانات "؛ تستعمل على نطاق واسع في أعمال السحر الداجنة منها أو المتوحشة، وتشتمل لائحتها خليطا عجيبا من كل الكميات والأصناف، ويمتد من " دم البقة " إلى " دم الثور ".

- **جرعات (التأمل) السحر – توكالية:**

" عيون سرطان النهر " و " القط الأليف " و " الهدهد "؛ إذا جففت في الظل وخلطت مع قدر وزنها من الكحل الأصفهاني ثم أستعملت كقطرة للعين قبل طلوع الشمس، فإنها تسمح برؤية الجن، فيسمى هذا النوع التوكالي حسب الفرد التبسي بـ سحر " التوكال المنظور " الذي ينتقل إلى بدن الضحية عن طريق حاسة الرؤية.

" مرارة دجاجة سوداء " و " مرارة قط أسود " و " مرارة خطاف أسود " و مرارة تيس أسود "؛ تجفف مع مقدار وزنها من الكحل مضافا إليها بعض المواد الأخرى، إذا تم تقطيرها في العينين (فإنها تسمح بالرؤية في ظلام الليل كما في النهار).

" زبل الضبع "؛ إذا دهنت به إحليلك وجامعت المرأة فإنها تجد لذة عظيمة، وكذلك إذا دهنت بلبن (حليب) الحمارة.

تأخذ " مرارة كبش سمين " وتطلي بها ذكرك عند الجماع، فإن المرأة تحبك حبا شديدا.

ينفع لتقوية الجماع أيضا؛ " بيض الديك " و " قضيب الذئب ومرارته ".

من أخذ " شعر رأس كلب " وبخر به زال عنه الإعتراض (أي فك سحره)؛ لكن هذا التطبيب السحري في طبيعة الحال ليس له أي معنى من الصحة، لأنه بعد ممارسة هذا الطقس التوكالي التطبيبي ينتج عنه على الفور سحر " توكال مشموم " ينتقل عبر حاسة الشَّم إلى جسم المتسمم عن طريق هذه المادة القذرة ليستقر بعدها داخل الجهاز التنفسي.

لعدم الحمل؛ كذلك تسقى المرأة " بول بغلة " كل شهر (أي تشربه) أو تشرب "وسخ أذن الحمار"، فيسمى هذا الطقس التوكالي الوقائي بـ سحر " التوكال المشروب " بمعنى أن المادة السحرية فيه تكون على شكل سائل، أو تعلق " قلب الأرنب " مع "النعناع" على جسمها، أو تتناول ثلاث أو خمس ذبابات بعد أن تفعصهم في مغرفة (ملعقة كبيرة) مع " الزيت " وتشربها، فإنها لا تحمل.

لرد الثيب بكرا؛ تأخذ مرارة ثور وتغمس فيها صوفة (أي قطعة من الصوف) وتدخلها المرأة في فرجها طويلا، فإنها تعود كالبكر، ويضيف " السيوطي " مؤكدا أن هذه الوصفة مجربة (كذا).

محاولة لفهم دلالاتها:

ما وجه العلاقة بين قلب الأرنب ووريقات النعناع ومنع الحمل أو بصيغة أخرى؛ كيف يتشكل الإعتقاد السائد في وجود خصوصيات سحرية لدى الحيوانات؟

بالنسبة إلى " إدموند جوتيه ": " فإنه من دون شك نجد هنا ترابطا بين أفكار غريبة لا نعرفها، ويمكن أن يحصل الترابط ليس بين الأحاسيس، ولكن بينهما وبين الحالات العاطفية المرافقة لها، أو تلك التي رافقتها مرة واحدة (...)، فالشخص الذي حقق السعادة يوم حمل شيئا معينا، نستنتج أنه كلما حمل ذلك الشيء إلا وسيحقق نفس السعادة... ".

إن الأمر لا يعدو أن يكون؛ برأي الباحث الفرنسي، سلسلة من المصادفات المتفرقة إنتهت إلى إقامة علاقة غامضة بين السبب والنتيجة.

ويشكل مبدأ التشابه المعروف لدى علماء الأنثروبولوجيا؛ قاعدة عامة تكاد تقوم عليها أغلب الوصفات التي قدمنا نماذج منها، فإذا كان ترابط الأفكار التي أنتجت لنا في نهاية المطاف الوصفات الغربية، غير واضح المعالم، فإن اللجوء إلى نظرية " السحر التشاركي " أو " سحر المحاكاة "، التي يقوم عليها المبدأ القائل بأن (الشبيه ينتج الشبيه) يسعف في تلمس بعض عناصر الفهم بخصوص موضوع الإعتقاد في وجود خصائص سحرية لدى الحيوانات.

فنقول بالنسبة للوصفة أو الجرعة القاضية بأن يطلي الباحث عن إثارة الجماع عند المرأة، قضيبه بمرارة كبش سمين؛ لأن الكبش السمين يحيل على معاني القوة والفحولة، ونستنتج من ذلك أن إستعمال عضة من أعضاء الحيوان القوي من شأنه أن ينقل الفحولة إلى الشخص الذي يطلبها من خلال العملية السحرية.

أما الوصفة أو الجرعة الأخرى؛ التي أوردها الطبيب " موشون " والمتعلقة بجعل المرأة الولود عاقرا مدى الحياة من خلال جعلها تبتلع " حبوب شعير " سقطت من " فم بغلة "... فمن المعروف أن هذا الحيوان إرتبط في ذهن المغاربة بعدم الإنجاب، إذ تنفرد البغلة من دون باقي إناث الحيوانات الدواب بالعقم، حتى درجوا على القول بأنه: " يوم تلد البغلة، ستفنى الدنيا في إشارة مجازية إلى إستحالة أن تنجب البغلة "، وكذلك الأمر حين تدعي الوصفة الأخرى؛ أن المرأة التي تسقى (تشرب) " بول البغلة " لن تحمل... فالفكرة المضمرة في كلتا الوصفتين أن المرأة التي تقاسم الغلة شعيرها أو تشرب بولها، ستصبح شبيهة بها في عدم الإنجاب، وقياسا على هذا المثال؛ تبدو الوصفات الأخرى قابلة لكشف ترابط الأفكار التي نسجت منها (وأعراب، 2018/12/30، 17:11).

3-المعادن و جرعات السحر المأكول:

من الممكن القول بأن كل مرحلة زمنية من التاريخ البشري قد تميزت بموادها السامة الخاصة بها، حيث لعبت السموم منذ أن تم إكتشافها بدور مميز من الناحية

الإيجابية أو السلبية، من الناحية الإيجابية؛ فقد كان إستخدام السموم قديما مقتصرا على الصيد ومكافحة الآفات والحيوانات الضارة كما كانت تستخدم أيضا في صورة عقاقير طبية، أما من الناحية السلبية؛ فقد تم إستغلال العديد من المواد السامة في تنفيذ العديد من الجرائم أو حتى كوسيلة للإنتحار ومن هنا وبصورة تدريجية بدأ يظهر علم السمية. وعموما، فإنه يمكن القول بأن الإنسان الأول قد تمكن من إدراك خصائص وإمكانيات السموم التي قد تكون " موادا معدنية " أو " ذات مصدر طبيعي " سواء كانت مستخلصة من الحيوانات أو النباتات، حيث إكتسب الإنسان خبرات تمكنه من التمييز الجيد ومعرفة أي من هذه المواد هي التي ينتج عنها ضرر يؤذيه وأي من هذه المواد التي لا ينتج عنها ضرر، وكما ذكر العالم (Repetto, 1997) في أحد كتبه عن نشأة علم السمية، بأن من المؤكد بشكل شبه قاطع أن من أوائل المواد السامة التي إستغلها الإنسان هي المواد ذات " الأصل النباتي " ومما يؤكد ذلك هو العثور على ثمار من " نبات الخشخاش " (Papaver) في مخلفات العصر البرونزي، وهي من فترات الحضارة الإنسانية التي بدأت في مصر وأوروبا وآسيا منذ مايزيد عن 3500 سنة (ق. م). وقد أشارت أبحاث علماء الآثار إلى أنه يرجع إستخدام وإستغلال السموم إلى العصر الحجري حيث كان يقوم الإنسان الأول بنقع " حواف الأسهم " في العديد من المواد السامة حتى تساعده في عمليات الصيد، ونجد أن هذه الطريقة ما زالت تتبع في عصرنا الحديث حيث يستخدمها بعض القناصين الذين يعيشون في الأدغال وجنوب إفريقيا. نبات (Amaryllis distichia) وأصناف مختلفة من نبات (Acocanthera) و (Euphorbium) وبذور نباتات (Strophantus hispidus) و (Strophantus kombe) كما أن هناك بعض القبائل التي كانت تستخدم " سموم الثعابين " و " العناكب السوداء ".

وفي القرن السابع عشر، إكتشف أحد العلماء المهتمين بدراسة " علم الآثار " المصرية وجود برديات تشير إلى ما يتعلق بالسموم والأدوية، تلك السموم إتضح بعد ذلك أنها كانت عبارة عن " الرصاص "، " الأنتيمونيا " و " النحاس " كما كان من أشهر النباتات السامة نبات الخشخاش وفي البرديات التي وجدت بمنطقة سقارة في مصر فقد وجدت فيها وصف لخصائص " اللوز المر " كما وجدت كتابات كثيرة تشير إلى السموم

وبعض التوصيات والنصائح لعلاج حالات التسمم حيث كان العلاج يعتمد في تركيبته على عسل النحل والزبد، وهذا في مجمله يدل على معرفة الإنسان بالسموم منذ قديم الأزل.

ومن الجدير بالذكر أن قدماء المصريين قاموا بإستخدام نبات بصل العنصل لمكافحة القوراض، كما قام اليبانيون القدامى بإستخدام مستخلصات " نبات البيريثرم " لمكافحة الحشرات. من جهة أخرى؛ فقد وجد في الآثار والكتابات الخاصة بالحضارة اليونانية (حوالي 371 سنة ق. م) ما يدل على معرفة الإنسان بالسموم وإستخدامها للتخلص من أعدائه وخصومه. وكان من أشهر العلماء العرب الذين قاموا بكتابة كتب عن السموم والمواد الترياقية، العالم العربي " إبن سينا " وقد قام العرب الأوائل سنة (980هـ – 1204م). وفي القرون الوسطى قد تم التركيز في الكتابات على " جرائم التسمم " وكان يتم التعرف على حالات التسمم من خلال ملاحظات " تلون الجثة " وكذلك " تعفنها " وملاحظة " فساد غير طبيعي " وعدم قابيلة القلب للإحتراق، إلا أن هذه الأعراض قد تتداخل في معظم الأحيان مع أعراض مرضية ناتجة عن " تلوث " أو "أمراض معدية" ومن هنا ظهرت ضرورة إنشاء " علم السمية " و " الطب الشرعي " وتلا ذلك ظهور سلسلة من الجرائم التي حدثت في أوروبا وخاصة إيطاليا وفرنسا وهونلندا وإنجلترا، حيث كانت الجرائم تعتمد على تقديم " غذاء ملوث " (مسمم) للضحية وللأسف كانت الطريقة الوحيدة لإكتشاف الجريمة هو القبض على المتهم لحظة تلويثه للغذاء وكانت الطريقة المتبعة لمعرفة ما إذا كان الطعام مسمماً أم لا هي تقديم جزء منه للحيوان. وعلى أية حال، فقد كانت " المركبات الزرنيخية " من أشهر المركبات المستخدمة لتنفيذ الجرائم، ولذلك فقد قام الصينيون القدامى بتقديم جرعات غير مميتة من الزرنيخ لأولياء العهد قبل أن يصبحوا ملوكاً وذلك لتكوين المناعة لديهم ضد المركبات السامة، إضافة إلى ما سبق فقد ظهرت جرائم قتل بالتسمم عن طريق " الروائح العطرية " والغذاء الملوث أو إضافة السم إلى مشروب كحولي أو إرتداء " تاج " سبق دهانه بمواد سامة. وحديثاً فمن خلال جرائم القتل فهناك من الوسائل الكثيرة التي لجأ إليها المجرمون

لتغطية جرائمهم إلا أنه يتم إكتشافهم بشكل سريع وفعال (عبد الخالق، 1426 هـ – 2005 م، ص ص 12 – 13 – 14).

وإضافة إلى التسمم الغذائي نذكر مكان تسمم آخر يستخدم فيه المعدن ألا وهو "التَّسمم المنزلي"؛ وهو الذي يقصد به حلات التسمم التي تحدث بداخل مسكن المعيشة والتي تعتبر أكثر الحلات تكرارية بالدرجة التي تم إستنتاج أن 5/4 المتأثرين بتلك النوعية من الحوادث كانوا من الأطفال، بيتما كبار السن كانوا في المقام الثاني، وفي هذه الحالات من التسمم، فغالباً ما تكون ناتجة عن تناول أو شرب سوائل تنظيفية أو سوء إستخدام للأدوية أو تناول مبيدات الآفات بصورة غير مقصودة.

أما في القسم الثاني من التسمم بالمعادن، فهو الذي يقصد به حالات التسمم المقصودة والتي تحدث عن تعمد، كما في حالات الإنتحار أو بغرض تنفيذ جريمة ما، فعلى سبيل المثال؛ حالات التسمم الناتجة عن إستخدام الغازات السامة في الحروب (تلك الغازات تتنوع في فعلها ما بين غازات مهيجة للجلد والأغشية المخاطية أو للجهاز التنفسي أو تلك المحدثة لشلل الجهاز العصبي). وفي هذا المجال نذكر الأمثلة التالية:

- إستخدام " مواد كيميائية " شديدة السمية لحالات الإنتحار أو لعمليات الإجهاض للتخلص من الجنين.
- تناول العديد من الأفراد لبعض المركبات الكيميائية بهدف الحصول على المتعة أو للهروب من مشكلة ما أو مواد معينة تعمل على زيادة النشاط الحيوي للجسم مما يزيد مقدرته لفترة زمنية محددة على زيادة معدلات العمل أو التحصيل الدراسي أو لزيادة معدل المجهود العضلي في المجالات الرياضية أو حتى العلاقات الجنسية، وفي تلك الحالات الأخيرة، قد تستخدم الهرمونات وبعض المركبات المنشطة والتي بإستمرار تداولها يحدث خلل في العديد من الوظائف الفسيولوجية الطبيعية للجسم مثل الخلل في التوازن الهرموني وكذلك بتوازن المركبات الناقلة للنبضات العصبية مما يؤثر على طبيعة توازن ووظيفة الجهاز العصبي (عبد الخالق، 1426 هـ – 2005 م، ص ص 61 – 62).

فما بالك إذا أضيف إلى تلك السموم المعدنية " الطابع السحري " الخفي، الذي يعمل بفعل فاعل ما ورائي من عالم الجن الخبيث، هنا يعمل هذا الأخير من الزيادة في نشر شدة السمية في جميع مناطق الجسم وبطريقة غريبة حيث تزرع الرهبة والخوف الشديدين لدى أصحاب الطب الحديث.

4-بقايا جسم الإنسان و جرعات السحر المأكول:

- **جرعات (دم المغدور) في السحر المأكول:**

يثير " الدم " في النفس البشرية مشاعر غامضة، تتأرجح بين الخوف والتقديس، فسهولة إنسيابه، حرارته، لونه الأحمر القاني، ورائحته المتميزة، جميعها خصائص تثير بعنف خيال الناس قليلي المعرفة، إن الدم هو طابو بالنسبة للمغاربة، إذ يحرمون تناوله في الأكل أو شربه، ويحذرون أن يطأوا بقعة دم منتشرة على الأرض، بل إنهم يتجنبون مجرد الإقتراب من أماكن تواجد الدم لإعتقادهم في أن الجن يتردد عليها، وبسبب كل ذلك وغيره يحظى الدم في إعتقادهم بخصائص سحرية تجعل منه أحد العناصر المهمة في وصفات وجرعات السحر سواء أكان " دم بشر " أو " دم حيوان ".

فبالنسبة للسحر بـ " الدم البشري " يحفل التراث السحري بالكثير من الوصفات التي تستعمل في الغالب، أما دم الشخص نفسه المستفيد من العملية السحرية " وصفات سحر الخب "؛ (أو دم الموتى أو دم الحبيب أو الغريم)، وسنكتفي من كل ذلك بنموذج واحد شائع حكيت حوله الكثير من المعتقدات هو " دم المغدور "؛ يعتبر دم كل شخص فارق الحياة في حادث قتل عنيف دما سحريا يستعمل في وصفات وجرعات إلحاق الأذى بالآخر.

وتتهم العجائز في شكل خاص بإقتناص فرص الإرتباط الذي يحصل بعد وقوع حوادث السير المميتة لأخذ القليل من الدم المتناثر على الاسفلت في قطعة ثوب أو في ذيول الجلباب.

وحسب إفادات بعض المصادر الشفوية؛ فإن " الدم السحري " كفيل بإحداث إضطرابات صحية خطيرة للأطفال الرضع الذين لم تظهر أسنانهم بعد، كما يستعمل من

قبل المرأة التي تريد الإنتقام من زوجها حيث يؤدي بالرجل إلى فقدانه لقواه العقلية، حيث سمعنا قولا يردده بائع أعشاب ومستحضرات سحرية ينادي على الزبائن في جوار ضريح ولي قائلا: " هنا دواء دم المغدور ديري ليه دم المغدور باش تحمقيه واخليه يدور "، وهو ما يعكس مدى إعتقاد العامة في القدرات العجيبة لهذا الدم، أما بالنسبة للطفل الرضيع فإن الأمهات يحرصن على إبقاء أطفالهن الرضع بعيدا عن النساء اللواتي لا يثقن في نواياهن، وحسب ما هو شائع؛ فإن مجرد دخول شخص يحمل وسط ملابسه " دم المغدور ".

وإلتقاط حاسة " الشم " لدى الرضيع الذي يكون حساسا خلال تلك السن المبكرة للأصوات والروائح، يكون كافيا لإصابة الرضيع بإضطرابات صحية قد ينجم عنها عدم إلتئام عظام جمجمته، وتسمى هذه العملية " الشم ".

ولأن الشيء يحدث الأثر كما يحدث نقيضه بحسب الظروف فإن دما آخر تمنحه معتقداتنا خصائص سحرية مباركة يبطل المفعول المؤذي لدم المغدور.

- **جرعات (العلاج بالموتى) في السحر المأكول:**

الشعوذة تقتل بالدار البيضاء، تحت هذا العنوان المثير، كتبت كبرى اليوميات المغربية خبرا صغيرا في صدر صفحتها الأولى؛ عن إعتقال مشعوذة ومستخدمة بـ "مستودع الأموات" على ذمة التحقيق في قضية مقتل مواطن بعد تناوله لـ (وجبة) تتضمن (مواد سامة) وضعتها له زوجته كي سحره، وجاء في تفاصيل الخبر؛ أن المشعوذة قد طلبت من سيدة جاءت إليها ترغب في الحد من عدوانية زوجها، أن تشتري نصف كيلو غرام من (اللحم)، وبعد تحضيره ببعض العناصر السحرية، ثم أخذ اللحم إلى مستودع الأموات بالحي الحسني بـ (الدار البيضاء) بالإتفاق مع إحدى المستخدمات العاملات به، كي يقضي ليلة كاملة في " فم رجل ميت "، وفي اليوم الموالي، طبخت (السيدة) اللحم تقدمته وجبة لزوجها، بعد أن طمأنتها المشعوذة إلى أنه سيغير من عدوانيته، لكن " اللحم المسحور " قضى على حياة المسكين مرة واحدة، مما دفع الزوجة إلى الإسراع بإبلاغ الشرطة التي إعتقلت المشاركات الثلاث في العملية.

قد لا يكون " لعاب الميت " المختلط باللحم هو السبب في وفاة " الزوج العدواني "، فلربما كانت المستحضرات المضافة إليه هي مصدر التسمم القاتل... لكن الذي يهمنا من إثارة هذا الخبر هو واقعة " السحر بالميت " نفسها، من حيث كونها تفضح واقعا قائما لا تعلن عن حضوره الخفي في المجتمع المغربي، سوى الحوادث المؤسفة التي تصل من حين لآخر إلى العدالة ووسائل الإعلام.

" الموت "؛ أما الماء الذي يستعمل في غسل الميت، فإن المغاربة يجلبونه ساخنا من الحمام البلدي العمومي، ولا يقومون بتسخينه أبدا داخل منزل الميت، لأن من شأن ذلك أن يجلب " وفاة " فرد آخر من الأسرة، وما يبقى غير مستعمل من ذلك الماء، ينبغي أن يفرغ خارج مجاري البيت للسبب نفسه. وبعد " غسل الميت " وإخراج جثته للدفن، ينظف مطان غسله بالماء الغزير والمطهرات حتى تزال " رائحة الموت " من أرجائه، ويتم التخلص من ثيابه إما بيعها في سوق الخردة والمستعملات أو التصدق بها، لإبعاد عدوى الموت عن أهله.

وعملا بالقاعدة القائلة بأن كل ما هو غامض هو سحري بالضرورة، تنسحب فكرة الرهبة من الموت على كل العناصر التي لها إحتكاك مباشر بالموتى، لتجعل منها جزءا من " ترسانة المستحضرات السحرية " التي لا أول لها ولا آخر، فيصبح بالتالي كل ما لمس " جسد الميت " من " ماء " و " أدوات تنظيف "، كما " تراب المقابر " و "حجارتها" و " نباتها " أو " شعر الموتى " و " أظافرهم " أو " عظامهم "... وغيرها، مواد سحرية يمكن اللجوء إليها لإحداث " موت معنوي " أو " فعلي " لدى الأحياء.

وليست مواد " تغسال النيت " وحدها التي تحدث القتل المعنوي أو الفعلي للخصم أو الغريم، بل كل ما يلامس أو يخرج من أجساد الموتى ينتج الموت، وإذا كانت لدم المغدور خصائص سحرية أثرناها في حلقة سابقة، فإن الإستدراك يقتضي منا أن نشير إلى أن تلك الخصائص المزعومة لا تنحصر في دم من توفي في حادث قتل عنيف فقط، بل يمتد تأثير موت " المغدور " ليشتمل " ثياب الشخص المقتول " والملطخة بـ "دمه " و " نخاعه " أو " مخه "، بل وإلى " زجاج السيارة " المتشظي والمتناثر حول

مكان الحادث (في حالة حادثة سير) أو " السكين الملطخ بالدم " (في حالة حادث قتل) (وأعراب، 2018/12/30، 18:53).

ثانياً: الأمراض الباطنية لـ طقس جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) في قبضة ملوك الجن و الشياطين

معظم ثقافات العالم لديها معتقدات دينية، يمكن إجبار القوى الخارقة للطبيعة أو حتى على الأقل التأثير عليها، للتصرف بطرق معينة لأغراض جيدة أو شريرة بإستخدام الطقوس، هذه الصيغ، بمعنى ما، سحرية، عن طريق أداء بعض الأفعال السحرية بطريقة معينة، قد تكون المحاصيل؛ تحسين قطعان الطرائد، علاج المرض أو تجنبه، الحيوانات والناس، هذا مختلف جدا عن التلفزيون و " السحر المسرحي " الذي يعتمد على الحيل البسيطة وإبتداع أوهام بدلا من قوة خارقة للطبيعة، لأولئك الذين يعتقدون أن السحر هو وسيلة فعاله للتسبب في أفعال خارقة للطبيعة، هناك طريقتان رئيسيتان في الذي يعتقد أن هذا يحدث بشكل شائع (التعاطف و مرض معدي)، يعتمد " السحر الودي " على مبدأ أن " المثل ينتج المثل "، على سبيل المثال؛ كل ما يحدث لصورة شخص ما، سيحدث لهم أيضا، هذا هو أساس إستخدام دمى الفودو في التقاليد الشعبية، إذا مسك شخص ما " دبوس " في بطن الدمية، الشخص الذي هو من المتوقع التشابه أحس ألماً متزامناً في جسمه أو معدته، يشار إلى السحر الودي أيضا بإسم مقلد. يعتمد " السحر المعدي " على المبدأ أن الأشياء أو الأشخاص الذين كانوا على إتصال يمكن أن يؤثروا بعد ذلك في بعضهم البعض (Boulakdem, s. n. g. m, P: 44).

1-أوائل الدراسات الخاصة بـ الأمراض الباطنية و سميتها:

بداية من القرن الخامس عشر بدأ العثور على المخطوطات التي تثبت إهتمام الإنسان بالنواحي العلمية، في هذه الفترة وبالتحديد عام 1472، ظهر كتاب للمؤلف "فيرناندو بانزيتي Fernand Panzzeti" وفيه ذكر أن العالم الكيميائي " أرنالدو دي فيلانويفا Arnaldo de Villanueva " قام بملاحظة أن هناك علاقة بين التسمم وطرق تناول المواد المسببة له وكذلك وقت التعرض. في عام 1592 ظهر كتاب آخر عن أنواع

السموم بعد ذلك قام العالم " جيرونيمو ميركوريال Jeronimo Mercurial " بإصدار كتابه الشهير (السموم وحالات التسمم). أما بالنسبة للأعمال المهمة من الناحية التاريخية هو ما قام به العالم الألماني (1541 – 1491)، (Philippus Theophrastus Aureolus von Hohenbeim) من دراسات حول الإيثير وقد تضمنت أعماله دراسات متعلقة بمفهوم " الجرعة " وقد توصل إلى إستنتاجات كان من أهمها إمكانية تناول سموم معينة بجرعات محددة لتعمل كأدوية، ولذلك فقد حصل على لقبه المعروف (Paracelsus) كلقب شرفي منحه إياه الطبيب الروماني (Celso) وهو إسم معناه (قريب من السماء) وقد طاف ذلك العالم كل أوروبا قبل أن يستقر بالبرازيل.

وكان العالم (Paracelsus) أول من إستخدم مفهوم " الجرعة "؛ بمعناها الكمي حيث قام بإستخدام كميات من الأدوية التي قام بإستخلاصها من " الكافور " و " النعناع " وغيرها من النباتات، كما قام بإستخلاص العديد من المواد التي عرف بأنها سامة فيما بعد مثل مشتقات " الزرنيخ " و " الزئبق " و " الرصاص " و الأنتيمونيا " على الرغم من أنه كان يستخدمه كعلاج لبعض الأملراض مثل " الزهرى " والذي هو شخصيا كان مصابا به، ومن الجمل الشائعة عن ذلك العالم والتي كانت في صورة حوار مكون من سؤال وجواب هو { هل يوجد شيء غير سام؟، فإن كل الأشياء سموم ولا يوجد شيء غير سام، فقط الجرعة هي التي تحدد أن شيئا ما قد يكون ساما أم لا }.

بعد ذلك فإن العالم الإنجليزي (1875 – 1789)، (Peter M. Latham) بكتابة ما مضمونه أن الأدوية و السموم أحيانا تكون من نفس المواد التي يتم إعطاؤها ولكن بهدف مختلف، ثم ناقش العالم (Zachias) في كتابه " الطب الشرعي "، حول قيمة وكمية السموم التي يمكن تواجدها في الجثث، حيث تتواجد عن طريق نفاذيتها وإمتصاصها بالسوائل المخاطية، وقد قام بالتأكيد على أن هناك أساسا عاما هو إذا لم يتم إمتصاص السم بالجسم فإنه لا يحدث أي تأثير، وفي القرن الثامن عشر قد لوحظ إزدياد عدد المهتمين بدراسات السموم.

وقد ترتب على ذلك الإهتمام ظهور أول كتاب بعنوان " طب الأمراض والسمية " لمؤلفه العالم (Stenezel)، من بعد ذلك بالتحديد في القرن التاسع عشر بدأت ظهور

سلسلة من الكتب والتي أضاف كل منها معلومة مهمة لعلم السمية، وكان من أهم المؤسسين لذلك العالم (علم السمية) في العصر الحديث هو العالم (1853 – 1787)، (Mathieu Joseph Bonavent Orfila) والذي قام بتأليف عدة كتب كان أشهرها (علم السمية العام)، في ذلك الكتاب؛ ذكر فيه علاقة التسمم بعلم الفسيولوجي وعلم الأمراض والطب الشرعي، وفي خلال تلك الفترة الزمنية نجد أن أول ما تم نشره عن " السمية البيئية " وعلاقاتها بالطب هو ما قام به العالم الإيطالي (Ramazzini)، (1700)، وقد كان ذلك العالم أستاذ بالطب في جامعات " مودينا " و " بادوا " وقد كان عنوان أحد مؤلفاته هو (أمراض العاملين) والذي أشار من خلاله إلى العديد من المهن مثل العاملين بالمناجم والكميائيين والصيادلة وعمال الدهانات والعاملين بمصانع التبغ والخبازين والمزارعين إلى غيرهم، وذلك من حيث ما يلاحظ عليهم من روائح حادة والظروف التي يتعرضون لها أثناء العمل وعلاقة ذلك بالأمراض التي قد يصابوا بها.

أما من حيث التلوث البيئي؛ فقد كانت من أوائل المؤلفات ما قام بكتابته المؤلف (Ximenez de Lorite)، (1790) والذي أشار من خلاله إلى أن من أحد الأضرار التي تؤثر على الصحة العامة هو وجود المصانع بداخل القرى، توالت بعدها زيادة عدد المؤلفات وخاصة فيما يتعلق بعلم السمية والكيمياء إلى أن قام العالم (Rabuteau)، (1874) بالمشاركة مع غيره من العلماء بعمل المؤلف الكيميائي المعروف بإسم "الكيمياء الشرعية" حيث تم نشر طرق التحليل الكيميائي للسموم، كما تم الإشارة إلى الطرق التحليلية لبقع الدم والقَذَفات المنوية إلى غير ذلك من الطرق التي من خلالها يتم الكشف عن السموم والتعرف عليها وصفياً (عبد الخالق، 1426 هـ – 2005 م، ص ص 14 – 15 – 16).

2-الأمراض الباطنية لـ (المزيود الجديد) و (الشخص العقيم) تحت تصرف الجان:

نحاول في هذه الحلقة من أمراض الرضع والعقم أن نتطرق إلى حالات يعاني منها المجتمع المغربي، وتكثر بشكل كبير في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريطانيا، ومن

هنا نبدأ بأمراض الرضع وأم الصبيان والصُرَّة.

يكون الطفل الرضيع خلال الفترة المتراوحة بين لحظة ولادته وبروز أسنانه الأولى كائنا هشا بالفعل في أطوار نموه الأولى، فمناعته الضعيفة تجعله معرضا للكثير من الأمراض والتشنجات، أو حتى الموت الفجائي المعروف طبيا، ولكن ضعف الرضيع له في المعتقدات الشعبية عواقب أخرى؛ حيث يكون هدفا سهلا لإعتداء أنواع من إناث الجن الشريرة.

كما تسهل إصابته بأمراض يتسبب له فيها (شَمُّه) للمستحضرات السحرية، ولتفادي كل ذلك، ليس ثمة أسهل من توفير الحماية الضرورية للصغير، من خلال حلق شعره في اليوم الأربعين لولادته.

- **سحر (توكال الصُرَّة):**

عادةً ما يتم إخراج الرضيع من البيت ليلا، قبل تجاوز عتبة الخطر التي تتحدد في إكماله 40 يوماً من عمره، فخلال الأربعين يوماً الأولى من حياته يكون الطفل من الهشاشة، في مواجهة القوى السحرية التي قد لا تؤثر على الكبار، بحيث إنه يكفي أن يمر طائر البوم (طير الليل) فوق الرضيع أثناء تحليقه الليلي كي يعرض الرضيع لخطر الموت.

بل حتى طيران البوم فوق ملابس الصغير المنشورة على حبل الغسيل ليلا، يعتبر كافيا لحصول الأثر الخطير نفسه، فما أن يلبس الرضيع تلك الثياب أو يلف في الخرق التي تخطاها طير الليل، حتى يصاب بالإسهال ويذوي بسرعة، أو يصاب بداء رمد العينين المزمن، لكن الإصابات المرضية التي يتعرض لها الرضع لا تكون ناتجة عن حوادث عارضة من قبيل تحليق طائر الليل فوقهم أو فوق ملابسهم فحسب... بل تكون في الغالب بفعل فاعل شرير، كما هو الحال بالنسبة للصُرَّة.

إن الصُرَّة؛ في اللغة الدراجة هي كل ما يُصَرُ فيه، ويشيع إستعمال هذه الكلمة في " التطبيب الشعبي " على إعتبار أنها تكون غالباً عبارة عن قطعة ثوب سوداء تحتوي على مواد سحرية بهدف إلحاق الأذى بشخص معين، ويصر الإنسان الشعبي على أن

الصرة هي أساس ما يصيب الأطفال من سوء التئام عظام الرأس، وتكون في الغالب عبارة عن قطعة ثوب تربط في شكل كيس صغير يعلق تحت الثياب، ويتضمن بعض المستحضرات ذات التأثير السحري، تذكر منها " نادية بلحاج ": " دم المغدور، التراب المجلوب من المقابر، جلد وعظام الحيوانات والحشرات السامة كالوزغة (أبرص)، الزجاج المتناثر خلال حوادث السير... إلخ "، أما كيف تؤثر تلك المواد على صحة الرضيع، فإن العامة تعتبر الرضيع كائنا حساسا جدا إلى درجة أن تواجد الرضيع في غرفة بها إحدى تلك المواد السابق ذكرها أو جميعها، يعتبر كافيا لإلحاق إختلالات صحية خطيرة به تتمثل في الصراخ الشديد بشكل مفاجيء مع إسهال مصحوب بقيء.

ويتم إتهام إحدى النساء، يكون معروفا عنها تعاطيها للسحر، بأنها السبب فيما جرى، وفي العادة تزور إمرأة بيت الرضيع لتجريب شدة المفعول السحري للصرة عليه، أو بهدف الإنتقام من والدته، من خلال إيذاء طفلها.

وفي العادة أيضا أن الرضيع الذي ينفلق رأسه بسبب تأثير الصرة، تعالجه إحدى النساء المتخصصات، إذا لم تكن الإصابة خطيرة وقاتلة، ويكون معروفا عن هذا النوع من المعالجات عدم تعاطيهن للسحر كشرط لازم ليتحقق إبطال مفعول الصرة، كما يعالج الفقيه " الكوَّاي " (المتخصص في العلاج بالكي) إصابة الصرة، حيث يكوي بطن وظهر وكعب الرضيع بالرأس الحادة للسفود (السيخ) من أجل الدفع الذي إستوطن الجسم الهش إلى الخروج منه، وطبعا بطرد الجني يشفى الرضيع...

وفي هذه الحالة يترتب عن طقس " جرعة توكال الصرة الملموس " الذي يلحق بهذا المزيود الجديد المغدور والمسكين، مجموع من الأمراض الباطنية الماورائية تعمل هذه الأخيرة بفعل فاعل مؤذي من الجن والشياطين، أي من هؤلاء الكفار الذين يسلطون على الرضع، حيث تكون هنا اليد الفاعلة لجرعة الصرة يد بشرية وأخرى يد جنية قد عملتا كلتيهما على الإتحاد والقوة مع بعضهما البعض، ذلك من خلال زرع شدة المرض وشدة الوجع والسقم وتارة ثانية نجد الموت الفوري والسريع.

- **سحر (توكال أم الصبيان):**

تعتبر (أم الصبيان) أو (التابعة)؛ في المغرب العربي الكبير مرضا يصيب الأطفال الصغار (الرضع خصوصا)، وفي الوقت نفسه إسم علم للجنية الشريرة التي تصيبهم بذلك المرض، وفيما يبدو فإن الإسم الأسطورة نشأ في سياق تجسيد قوى الشر التي تحملها العامة مسؤولية الإصابة بالأمراض حيث منحتها أرواحا وشخصيات خفية حتى تكون أكثر قربا من الإدراك، ولم يخرج السحر الرسمي عن السياق ذاته، حيث يسهب " السيوطي " في كتاب (الرحمة) في رسم ملامح أم الصبيان.

كأكثر المتمردين من الجن والشياطين قسوة وبشاعة في التنكيل ببني البشر، وخصوصا الأطفال منهم ولتأكيد صدق كلامه، ينسب إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله: " بينما أنا سائر في أزقة المدينة إذ لقيت إمرأة كاملة الوجه واللون زرقاء العينين، فقلت: أين تريدين؟ فقالت: جئت للذي في حجر أمه آكل لحمه وأشرب دمه وأدق عظمه فقلت: (الحديث منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم دائما): لعنة الله عليك يا ملعونة؟ فقالت: لا تلعني يا رسول الله، فإن لي إثني عشر إسما من عرفهن وعلقهن فإني لا أقربه".

وفي مقام آخر من الكتاب المذكور تقدم أم الصبيان نفسها كمايلي: " أنا التي أخلي الديار وأنا معمرة القبور وأنا التي مني كل داء وكل مضرة، نومي على الصغير فيكون كأن لم يكن...، ونومي على المرأة عند الحيض أو عند الولادة فتعقر ولا يعمر حجرها...، وأما الصغار فندق عظمهم ونأكل لحمهم ونشرب دمهم ونخلي حجور أمهاتهم ونحب من الصغار والنساء أكحل العينين أحمر الوجه...، ويصور صاحب الكتاب (الرحمة) الملامح المرعبة لتلك الجنية المتمردة في شكل (عجوز من الجن أنيابها كأنياب الفيل وشعرها كسعف النخيل، يخرج من فيها (فمها) الدخان ولها صوت كالرعد القاصف وعيناها كالبرق الخاطف ذات خلق بديع ومنطق شنيع...، تسكن الهواء بين السماء والأرض).

لقد تعمدنا الإستطراد في وصف " أم الصبيان " صاحبة الإثني عشر إسما، حسب

ما جاء في واحد من أشهر مصنفات السحر، حتى يسهل علينا تصور الرعب الذي يحدثه في نفوس العامة تسلط كائن أسطوري بهذا الحجم وهذه البشاعة على الرضع، وهو أكثر قليلا من كتلة لحم طرية تتحرك في قماط.

وفي الفلكلور المغربي تلقب أم الصبيان بـ (الخادم قمقومة)، وعندما تسلط أذاها على الرضع، يستشعر الأهل ذلك من ملاحظة (قفز) الرضيع في نومه، فهي أثناء ذلك تقوم بضربه وقرصه ليشرع في نشيج من البكاء المسترسل حتى الموت.

والحال أن أم الصبيان (حسب معتقد آخر) تصيب الطفل فيأخذه القيء وهو منكس العينين، وهذه الأعراض يكفي لعلاجها حسب النساء المجربات طلي حفرة قفا الصغير بقليل من القطران، وحتى إذا لم يسمع أحد يوما عن طفل إلتهمته أم الصبيان، أو دقت عظمه أو شربة دمه، فإن الأسطورة لا تزال مع ذلك قائمة، ومن الأمهات كثيرات يطلقن على الأعراض السابقة الذكر: الشهاقة، الجدة، الحرة، أم الليل الخنفسة أو الهمة، وهي من الأسماء التي تعرف بها أم الصبيان (نقصد أسماء الإصابة التي تحدثها لدى الرضع).

ولأجل وقاية الرضيع من الضربات القاتلة لـ (الخادم قمقومة) يتم حمله إلى زيارة أحد أضرحة أولياء (ركراكة) الأربعين بإقليم الصويرة، أو يكون غطاء الرضيع ثوبا أسود وهو (على نحو ما أسلفنا) اللون الذي يتم التوسل به إلى ملك الجن ميمون الكناوي.

- **سحر (توكال العقم):**

تكتسي عملية الإنجاب أهميتها القصوى في المغرب العربي الكبير، من كون العقلية السائدة تعتبر أن الأولاد هم بمثابة الأوتاد التي تثبت البيت الأسري (الخيمة)، فالبيت الذي بلا أولاد، بلا أوتاد، أي مجرد (خيمة) في مهب الريح، ولذلك فإن المرأة التي لا تنجب في غضون الأشهر والسنوات الأولى من زواجها ينتابها قلق حقيقي، فتخشى على حياتها الزوجية من التمزق.

إن العقم حسب المعتقد؛ قد يكون قدرا أو عملا من أعمال السحر الإنتقامي، فقد

سبق أن أشرنا إلى بعض الوصفات التي يلجأ إليها لإحداثه لدى المرأة، حين الحديث عن الخصائص السحرية للحيوانات، وفي كل الأحوال يتدرج العلاج من الوصفات الشعبية إلى الأضرحة المتخصصة، وصولا إلى الفقهاء السحرة ذوي الإختصاص في الحالات المستعصية.

ومن العلاجات الشعبية للعقم، نذكر: تناول المرأة العاقر للحليب الرائب مخلوطا بأصفر البيض والحلبة، وتناول الزوجين اللذين لا يستطيعان الحصول على أطفال لوجبة أكل مهيأة بـ " المساخن "؛ والمساخن هي عبارة عن خليط من سبعة توابل تطحن، وتستعمل كعناصر علاجية مع العديد من الأطباق، وهي معروفة أكثر في صفوف العامة تحت إسم (رأس الحانوت) ولعلاج العقم يطبخ طائر دجاج بلدي أو طبق الكسكس أو طاجين (طبق مرق) باللحم مع إضافة رأس الحانوت، وبعد أن يعود الزوجان من الحمام البلدي، يتناولان الوجبة العلاجية وينصرفان بعدها للمعاشرة الجنسية.

وفي إعتقاد العامة أن (المساخن) تقوم بتسخين جسم الإنسان وتطرد منه (البرودة) التي هي أصل الداء، ويعتبر العقم الذكوري على الخصوص ناتجا حسب المعتقد عن نقص في الفحولة، التي هي برودة (النفس).

وفضلا عن أشكال العلاج المطبخية؛ أي تلك التي تقدم مع الأكل والشراب، ثمة أشكال أخرى متعددة ومتنوعة كتلك التي تتضمن طقوس التبخر لطرد لعنة العقم أو الإستحمام بمياه أماكن مقدسة لها بركة إحداث الأثر المطلوب، كمياه العيون المالحة بمغارة (إيمنفري) قرب دمنات، أو المياه الباردة المستخرجة من بئر سيدي يحيى بنيونس في وجدة... إلخ.

- **سحر (توكال الحمل):**

عندما تحمل المرأة، يصير لزاما عليها إلتزام بعض الإحتياطات من أجل سلامة جنينها، وأهم هذه الإحتياطات من وجهة نظر المعتقد الشعبي هي؛ تجنب الإحتكاك بأماكن تواجد المواد السحرية كمحلات العطارة أو الإحتكاك بالنساء المتعاطيات للسحر، لأن الجنين قد يتأثر سلبا لذلك ويتعرض لتشوهات خلقية أو للموت حتى.

ولا ينبغي معاكسة رغبات المرأة الوحمى (التي تتوحم) بل يجب الإسراع بتلبية كل ما تشتهيه نفسها، وإلا فإن من شأن حرمانها (أو حرمان الجنين في الحقيقة) أن يترك آثارا سيئة في الطفل الناشيء، ستخلف علامة على مكان ما من جسمه، ولا تظهر إلا حين يولد، وتسمي العامة تلك العلامة (أمارة علامة الوحم) أو التوحيمة هي تأخذ دائما شبها قريبا من الشيء الذي حرمت منه الأم.

وخلال فترة الحمل دائما، ينبغي على الأم ألا تطيل النظر إلى كل ما له هيئة غير جميلة؛ كالأشخاص ذوي الخلقة الذميمة أو الحيوانات (قردة على الخصوص)، والسبب في ذلك أن الجنين الذي يتشكل في رحمها، سوف يأخذ الصفات القبيحة الظاهرة، لما شاهدته.

وإذا كانت المرأة لا تلد سوى البنات، فإن ذلك يعني (مرة أخرى) أنها واقعة تحت تأثير عمل سحري، ينبغي عليها أن تتخلص منه، والمعروف أن هناك وصفات تنتج، حسب العامة إنجاب المرأة للفتيات فقط، وتلجأ إليها قريبات الزواج حسب المتداول، كي يدفعن به إلى تطليق زوجته إنتقاما منها، ولأجل تحقيق ذلك يقمن مثلا بإحدى الوصفتين التاليتين:

- تؤخذ أفعى أنثى ولدت لتوها، وتقطع إلى أجزاء يمثل كل جزء منها عدد البنات التي يرغب في أن تنجبها المرأة، وتطبخ ثم تقدم للمطلوبة لتأكلها.
- تؤخذ شعرة من رأس المطلوبة، وتعقد عددا من المرات يماثل عدد البنات المراد أن تحصل عليه، ثم توضع الشعرة في خبز مثلا وتقدم إليها لتأكلها من دون أن تدري.

ولكي تلد المرأة مواليد ذكورا فإن الوصفات السحرية كثيرة كذلك، بدءا بأن تأكل المعنية من يد طفل لا تلد أمه سوى المواليد الذكور، أو أن تذبح ثعبانا ذكرا ولد لتوه، ثم تقطعه عددا من الأجزاء مماثلا لعدد الأولاد المرغوب في إنجابهم، وتطبخه لتأكله.

إن عدم إنجاب الذكور يكون في كثير من الأحيان مبررا تسويغ طلاق الرجل لزوجته، ويبدو تفضيل المواليد الذكور على الإناث إجترارا لعقلية هي من بقايا تأثير إنسان المجتمعات الزراعية والرعوية، التي كان مطلوبا فيها من المرأة أن تلد الكثير من

الأولاد، سيؤمنون للأسرة القيام بالأشغال الفلاحية الشاقة، كما يضمنون إستمرار تداول إسم العائلة، ولم تستطع المجتمعات المغربية المعاصرة التخلص من سيادة هذه العقلية المتخلفة المستبدة، حتى الآن، بأذهان وسلوكيات أكثر الناس تعلما ووعيا.

- **سحر (توكال الإجهاض):**

ينبغي التمييز هنا بين الإجهاض الأرادي الذي تلجأ إليه النساء اللواتي حملن (سفاحا) ويرغبن في التخلص من حملهن درءا للفضيحة، والإجهاض اللاإرادي المتمثل في فقدان المرأة لحملها من دون رغبة منها.

بالنسبة للإجهاض الإرادي (أو لنقل بشكل أكثر دقة) الإضطراري، وبالنظر إلى كون الإجهاض الطبي ممنوعا قانونا ومعاقبا عليه لأنه حرام شرعا، فإن الأشكال التقليدية (حتى لا نقول البدائية) للتخلص من الأجنَّة، تظل للأسف، منتشرة بشكل واسع، وينتج عنها الكثير من الوفيات والإصابات الأخرى الخطيرة، وتستعمل الراغبات في الإجهاض عادة بعض المواد المخدرة مثل الكيف، أوراق التبغ (طابا) أو نباتات ومواد أخرى كأوراق الدفلى والحرمل والقطران والكبريت وغيرها، من المواد التي تعتبر مجهضة للأجنة، بعد أن تقوم المرأة بإدخالها في فرجها...

ومن الوصفات الطريفة التي تحفل بها مصنفات السحر في باب الإجهاض، ينصح " السيوطي " بأن يسخن عش الخطاف وتدهن به المرأة سترتها، فيسقط الجنين، وأما بالنسبة لحالات النساء اللواتي يفقدن أجنتهن من دون رغبة منهن، خصوصا إذا كان الإجهاض متكررا، فإن ذلك يعتبر من الأعمال الشريرة للجان، حيث تقوم جنية بالدخول إلى رحم المرأة كلما حبلت، وتخنق لها جنينها.

ولتخليصها من هذا الشر المتسلط، يصنع لها " الفقيه الساحر " أربعة جداول تحتوي على السمك والجاوي ويطلب منها أن تعلقها في الأركان الأربعة لغرفة النوم، ثم تذبح بعد ذلك دجاجة سوداء، وتخلط كبدها وقانصتها (معدتها) مع الشعير والريحان وأوراق الدفلى، وتعد من ذلك وجبة كسكس تتناوله المرأة برفقة زوجها، وبقية الوصفة أن يقوم الساحر بصنع مربع سحري في غرفة النوم من خلال نصب أربعة أوتاد تربط إلى

بعضها بأربعين ذراعا من خيط الصوف، ويوضع فراش النوم داخل المربع السحري الذي لن تستطيع الجنية دخوله، ويطمئن الزوجان بعد ذلك إلى أن مجامعتهما الجنسية وما يستنتج عنها من حمل سيصبح في مأمن وتحت حماية التمائم الأربع والمربع السحري المكون من أربعة أوتاد وأربعين ذراعا من الخيط.

- **سحر (توكال ترقيد الجنين):**

يعني فعل رقد في اللغة العربية أنام، وترقيد الجنين هو تنويمه لفترة طويلة قد تبلغ أضعاف فترة الحمل الطبيعية، ويعود أصل الإعتقاد في وجود حالات الجنين (الراقد)؛ لدى بعض النساء إلى المراحل التاريخية التي سبقت ظهور وإنتشار وسائل منع الحمل...، ففي مجتمع ساذج وسهل التصديق كمجتمعنا والعبارة للطبيب الفرنسي "موشون" يصدق الناس، خصوصا في المجتمعات القروية المنعزلة أن إمرأة غاب عنها زوجها منذ سنين بعيدة (بسبب الوفاة أو الهجر) إكتشفت متأخرة أنها حامل منه وأن حملها كان (راقد) في رحمها طول تلك السنين، إما تحت تأثير صدمة الفراق أو بعمل سحري من خصومها وأعدائها.

وتدعم هذا الزعم مصنفات السحر الشهيرة التي تقدم العديد من الوصفات (لترقيد الجنين في بطن أمه) أو (لعلاج الجنين الراقد في بطن أمه).

فكيف يستطيع السحر أن يجعل الجنين ينام لسنوات عديدة ضدا على قوانين الطب والطبيعة؟

يقول " السيوطي " في كتاب (الرحمة)؛ " لترقيد الجنين في بطن أمه تأخذ المرأة الكمون والعرعار وتدقهما ناعما، وتفطر عليهما ثلاثة أيام فإنه يرقد بإذن الله تعالى ".

أما إذا أرادت أن تحدد فترة رقاد الجنين بإرادتها فما عليها إلا أن تقوم بوصفته الأخرى التي تقول فيها: " تأخذ المرأة الطاجين وتكبه على بطنها فإن كبته مرة يرقد عاما وإن كبته مرتين يرقد عامين وإن كبته أكثر يرقد أكثر "، وتفطر على نصف أوقية كمون في عسل والآخر تخبيه (تحتفظ به)، حتى تريد ثورانه (أي إيقاضه) ثم تستعمله، ولإقناع الناس، يضيف عند نهاية الوصفة عبارة " وهو صحيح مجرب

ويبدو أن منشأ الإعتقاد في (الراكد) أو (الراقد) يعود إلى أزمنة سابقة كان خلالها المجتمع يمارس نوعا من التواطؤ الجماعي بنسب الحمل الذي يقع لفتاة أو إمرأة خارج إطار الزوجية إلى الجن، أو أن يتم في حالة المرأة التي سبق لها الزواج إدعاء أن حملها شرعي من زوجها السابق وأنه كان راقدا... إلخ.

ومع مرور الوقت، ترسخ الإعتقاد لدى الأجيال في حقيقة (الراكد)، لكن يبدو أن الإنتشار الواسع لوسائل الحمل، جعل المفهوم طورا يدخل الإنقراض كممارسة وإن كان لا يزال حاضرا كمعتقد (وأعراب، 2018/12/30، 18:17).

وتبقى كل هذه الطقوس السحر – توكالية هي عبارة عن طقوس تسميميَّة خطيرة تتبعها أغلبية النّسوة الجزائريات عامة والتبسيَّات خاصة قصد إتمام قضاء حوائجهن التي إستعصت عليهن، ويتمثل ذلك في اللجوء إلى مثل هذه الممارسات السحرية التي تجلب مختلف الأمراض الباطنية المهلكة مع مرور الزمن والتي يفعلها الجن المؤذي ويتوكل عنها داخل جسد المطعوم، ومن خلال معيشتنا لهن داخل بيوتهن ومن مطابخهن بالتحديد لا حظنا حسب معتقدهن التّبسي على أنهن يعتبرن هذا التصرف السحري على أنه سريع المفعول وبالتالي هو سلوك إيجابي وواعي يمكنهن من الوصول لغرضهن المطلوب دون أدنى تعب أو تفكير قد يأخذ من وقتهن الثمين.

ثالثاً: المعنى و المدلول من إثنوغرافيا جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ النّسوي التّبسي

كثيرًا ما ينظر المجتمع التّبسي لـ طقس جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) الجسدي؛ الذي نجده في الخطاب الأنثروبولوجي المعتقدي التّبسي على أنه محمل بدلالات، حيث إعتبره الكثير منهم مظهر سحري وممارسة مرتبطة بالفكر السحري عند معظم النساء، ولأغلبيتهن علاقة وطيدة بالسحر وهي مسجلة ضمن الأسطورة ومحفوظة شفويًا في الذاكرة التي جمعت بين الحكايات والمأثورات والنوادر وسير الخوارق (بداك، 2012، ص 68). إذ شملت ممارسة السحر بعض الطقوس التي قد تعتبر أفعالاً تقليدية جسدت فكرة القوة صانعة العجائب (طومسون، 2018/04/18، 14:30).

ومن تلك الجرعات السحرية (التّبْسيَّة) التي تُعد من داخل المنازل؛ طقوس قديمة جديدة تعمل كدافع أنثروبولوجي نسوي للإحتماء وراء تسميمها، وكمحاولة لهُنَّ بغرض التَّخفي وراء طقس " التَّسميم السحري Magical Poisoning " الغذائي " المباشر " منه و " غير المباشر " وكتحصين لهُنَّ أيضًا من كل ما يتسلط به عليهنَّ من طرف الغريب، الذي يحاول ضرب إستقرارهنَّ الداخلي والخارجي، وبإعتبار أنهنَّ يعشن في حالة مستمرة من الخوف واللاثقة الدائمتين، نصل هنا إلى أكثر مواضيع السحر الأسود صعوبة في التناول ولذلك ستكون أقصر الحلقات، فهذا الشكل العدواني المعروف في أواسط العامة بالتوكال يستهدف الإنتقام من عدو لدود من خلال تسميمه، بواسطة إعطائة مواد أو مستحضرات سامة ليأكلها أو ليشربها (وأعراب، 2018/12/30، 21:15).

أكد صحة هذا الفعل الكولونيالي الفرنسي " إدموند دوتيه Edmond Doutté ": " أن النساء هن الممارسات للسحر وهذا ما برهنته الإثنوغرافيا المقارنة، فالوضعية الجسمانية للمجروحة أبدا (أي المرأة حسب عبارة ميشلي المشهورة) تظل في نظر البدائي موضوعًا للدهشة والخوف، إذ يعتقد أنها مختلفة عن الإنسان فيتم عزلها عنه، فهي ذات طبع غريب ومقدس أو سحري (دوتيه، س. ن. غ. م، ص ص 29 – 30)، غير أننا لا ندري فعلاً لماذا تلتقي كل الشرائح الإجتماعية وعلى مختلف مستوياتها الثقافية والمادية والطبقية عند عتبة المرأة إسمها " الساحرة " أو " القزانة " أو " العرافة "، ولسنا ندري ثانيًا لماذا يصر بعض الأفراد على المغامرة بآخر قرش يملكونه في بيت من بيوت قارئات الكف وليس بعض الأفراد فحسب بل تقريبًا جل الأسر الجزائرية جهرًا (بداك، س. ن. غ. م، ص 37)، أما سرًا فتنتشر " وصفات السحر المأكول Recipes of Eaten Magic " و " وصفات السحر المشروب Recipes of Drink Magic " ذلك السحر الداخلي المعتدي، الذي يطلق عليه " هنري كولومب Henry Coulomb " إسم نظام " السحر – الأنثروبوفاجيا ".

شملت طائفة من الدراسات الأنثروبولوجية والإثنوغرافية العلمية أثناء الحقبة الإستعمارية لبلاد المغرب، والتي عرفت من أكثر فروع المعرفة وصفًا للواقع التَّسميمي السحري المنتشر في أواسط العامة، من حيث نظرة " الطب الشرعي Forensic

Medicine " وتصنيف " أنواع السموم Toxins Types " الشعبية وكذلك توضيح مدى خطورتها على الأفراد، فشملت دراسات ميدانية وحقلية، منها دراسة الباحث الكولونيالي الفرنسي " إدموند دوتيه " في كتابه: " السحر والدين في إفريقيا الشمالية Magie et religion dans l'Afrigue du Nord "، نشره بالجزائر عن مطبعة (تيبوغرافي أدولف أودان)، 1909، يشرح فيه أن موضوع الكتاب يتعلق " بنشأة الفكرة السحرية والمقدس "، ودراسة الإثنوغرافي " شارل لوكور Charl lokur "، في كتابة " الطقس و الأداة Le Rite et L'outil"، المغرب، 1939، الذي يطرح فيه " مشكلة الفرق بين الفعل التقني و الفعل الطقوسي "، إضافةً إلى دراسة الطبيب الشرعي " شارنو " حول " وصفات التَّسميم الشعبيبة " المعروفة تحت إسم " التوكال "، وكذلك الطبيب النفساني " موشون " الذي إهتم في كل ما يخص " وصفات السحر والأسطورة والمخيال الشعبي".

لذا سنتعرض في هذا الفصل على خلاف الفصول الأخرى؛ أن نبين للقارىء أننا تخصصنا أكثر في ما يخص ممارسات وطقوس جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) الأكثر منها فاعليةً في مدينة تبسَّة؛ وأكثرها إقتناءًا، وتسميمًا، ومرضًا لدى الفرد التّبسي، والذي عرف به النوع النّسوي أكثر من نظيره الذكوري، لكن لا يمكننا إلغاء هذا الأخير (النوع الذكوري) من الممارسة العملية للسحر المأكول. لذا سنحاول في الجزء الثالث من هذا الفصل؛ التعريف بالكلمات المفتاحية، أما في الجزء الخامس والأخير؛ سنعرض أهم وصفات التَّسميم الشعبية المنتشرة حديثًا والتي تمارس من داخل البيوت كطقوس وممارسات تمَّ توارثها عبر الأجيال من سحر توكال الجدات ثمَّ إلى البنات ووصولاً إلى الحفيدات، مع محاولة توضيح المعنى الدلالي المفسر لتلك الجرعات التي تحاط بمشاعر غيبية غامضة وتخلط في سرية تامة، ناهيك عن ما يترتب عنها من مخلفات مرضية كارثية: عضوية، ونفسية، وعقلية، وإجتماعية التي قد توصل حتميًا الشخص " الموكل " إلى الغيبوبة، أو الجنون، أو الموت السريع أو الموت البطيء، حيث يتمحور هذا الخطر الفضيع في المجتمع التّبسي تحت نوعين من سحر التوكال: توكال "السحر الأبيض White Magic" الذي هدفه " الجلب " و " المحبة "، و توكال "السحر الأسود Black Magic" الذي هدفة التفريق والإنتقام.

حيث يعمل كليهما الإثنين؛ على هلاك الفريسة فيأخذ كل واحد منهما " المنحى الحواسي " أثناء عملية الإعتداء والإنتقال إلى " بدن الموكل " سواء كان المفترس إنسان أو حيوان، حينها تبدأ عملية دخول تلك السموم مرورًا بالحواس الخمسة، أما في الجزء الأخير من الفصل؛ فسيتم فيه إدراج جميع تلك السموم الأكثر إنتشارًا خاصةً منها تلك التي نجدها في الأفراح، والمآتم، والأعياد الدينية.

ومن هنا يمكننا الإنطلاق وطرح التساؤل الفرعي الثالث: ما هي بنية الطقس وكيفية إنتظامه بما يسمح له بالإشتعال وبالتالي تفعيل العملية السحرية النّسوية لـ جرعات السحر المأكول التي يباشر في إعدادها كـ طعم تسميمي من داخل المطبخ الإثنوغرافي التّبسي؟، وما المعنى الدلالي الذي تفسره تلك الجرعات المنزلية المتوراثة من سحر (توكال الجدات) والتي هي حاضرة بقوة في وقتنا الحالي مع بنات الجدات والحفيدات؟، وفيما تتمثل تلك الجرعات الفعالة التي يعتمد عليها أغلبية القائمين بهذا الفعل الطقوسي المنزلي من هؤلاء السحرة سواء على مستوى الممارسين الرسميين أو على مستوى الممارسين الشعبيين في المجتمع التّبسي؟.

يعتبر " سحر التوكال TOKAL Magic " ما يطلق عليه تسمية نظام " السحر– الأنثروبو– فاجيا " حسب " هنري كولومب " على أنه يتكون من ثلاثة عناصر هي: (الضَّحية، الساحر و المطبب) تربط بينهما علاقة غامضة، حيث يعد هذا النوع ظاهرة مشتركة بين جميع الثقافات الإفريقية، وفي بعض الظروف التي تساعد على إنبثاق العدوانية. فالساحر – الأنثروبوفاجيا يفترس رمزيًا أو خياليًا فريسته، والنتيجة هي موت الشخص الضَّحية أو إصابته بالجنون، فيلاحظ طبيب الأمراض العقلية والنفسية المريض، واضحة عليه أزمة القلق مع وشك حدوث الموت، وإضطرابات جسمية متنوعة تؤثر على الوظائف الحيوية (إضطرابات تنفسية، قلبية، عرقية، وهضمية...)، وعلى صورة الجسد (الشعور بتحوله وتعرضه للإختلاس). والضحية يكون غالبًا إمَّا فريسة لهيجان حاد، أو على العكس مصابًا بالغيبوبة، وأحيانًا يعين المريض الساحر بذكر إسمه، لكن في أغلب الأحيان يشير بخطاب متماسك تقريبًا إلى إحساسات جسدية غامضة مرتبطة بالولوج، أو بالتعرض لـ " الإفتراس Pénétration " من طرف شيء ما،

قوة أو كائن ذي شكل غير محقق إنساني أو حيواني (كولومب، 2018/05/23، 20:13).

عادةً ما يتوكل عن تلك " المواد السامة Toxic Substances " أو " الأخلاط السحرية Magical Blends " النَّجسة داخل جسم المسموم سحر مأكول عن قصد، حيث يتوكل عنه " خادم سحر Magic Servant " من الجن السُّفلي من حراس النَّجاسات، حيث يعمل هذا الحارس على نشر تلك الأعفان وبالتالي تفعيلها إلى جميع أنحاء الجسم، فتكون عواقب هذا الأخير ترتب أضرار وخيمة تظهر على الفور في بدن المسحور، أين يَعبث به هذا الكائن العاصي كيفما شاء، وتختلف الإصابة على حسب " الجرعة " المعطاة للإنسان أو للحيوان من (ثلاثية) طقس سحر التوكال والتي تدخل ضمن "درجة السُميَّة Toxicity Degree" من أنواع مقتنيات: " السحر النباتي Vegan Magic "، و "السحر الحيواني Animal Magic"، و " السحر المعدني Metal Magic "، و "السحر ببقايا جسم الإنسان Magic of the Remains of Human Body"، حيث تتحد كل واحدة من تلك الأسحار مع شدة " درجة الإعتقاد Belief Degree " وقوة " الكلمة السحرية Magical Word" من طرف القائم بالعمل السحري لتهلك البدن فور إنتهاكها لحرمتة، وسواء كان القائم بهذا السحر من أصحاب " السحر الرسمي Magic Official "، أو من أصحاب " السحر الشعبي Popular Magic " من نسوة مدينة تبسة.

قسم الطبيب الشرعي " شارنو " في دراسة له عن التوكال خلال الفترة الإستعمارية، المواد المستعملة في المغرب، في وصفات التَّسميم الشعبية (المعروفة تحت إسم التوكال) إلى ثلاثة أنواع: سموم من أصل حيواني، سموم من أصل نباتي، سموم من أصل معدني، ويندرج ضمن النوع الأول بيض بعض الزواحف وبعض الحشرات وأيضًا رأس الغراب المحروقة وغيرها، وبالنسبة للصنف الثاني ذو الأصل النباتي، يتضمن الأوراق أو الثمار السامة لبعض النباتات البرية كتفاح الجن، (بيض الغول) الشديد الخطورة على صحة الإنسان، و(شدق الجمل) الشديد التَّسميم، بحيث يكفي غرام منه لقتل الإنسان، أما النوع الثالث من أنواع السموم ذات الأصل المعدني، فأشهرها الزَّهج. وتباع هذه العناصر السامة لدى العطارين كأي مستحضرات عادية أخرى، رغم خطورتها

الشديدة على صحة الإنسان، وتستعمل أغلبها مذابة في الوجبات المحلية الشهيرة كالكسكس والحريرية (التي تخلط المادة السامة مع عناصرها " الثقيلة ").

وأيضًا بعض المشروبات كالقهوة بدون حليب، ويمكن أن نضيف إلى تفسير الدكتور شارنو نوعًا رابعًا من المواد التي يعتقد العامة أنها تحتوي على عناصر سامة، وتتكون في الغالب من أجزاء من جسم الإنسان كالأضافر ودم حيض المرأة الذي يستعمل في وصفات التَّسميم طريًا، ولأن الموت في إعتقاد المغاربة يعدي، فإن كل ما يلمس جسد الميت، وكل ما يوجد في المقبرة ينتج بالضرورة الموت، ولذلك نجد من بين المواد المستعملة في وصفات التوكال أيضًا: التراب المجلوب من سبع مقابر مختلفة، وأضلع الموتى وعظامهم وأظافرهم، وماء غسل الميت وما إلى ذلك (وأعراب، 2018/12/30، 23:15).

إن " المطبخ السحري Magical Kitchen " لدى المرأة يحمل في أرجائه العديد من جرعات " الوصفات التَّسميمية Toxicological Recipes " الشعبية الغريبة منها والعجيبة، أين أضافت له هذه الأخيرة ميزة سرية تمَّ توارثها وتطبيقها عبر الكثير من الأجيال التاريخية السابقة، حيث تحرص تلك النسوة على إقامة الطقوس في مكان أصبح معروف لديهن ولا يخطر في حسبان الطرف الآخر بمعنى ذلك المسكين الذي يعتبر هو المستهدف الوحيد، حتى يكون محل للتجريب الوصفاتي التَّسميمي والسحري.

فهذا السُّم الشعبي ما أطلقت عليه الجدات وبنات الجدات والحفيدات لدى أفراد المجتمع التّبسي مصطلح " التْجْرَابْ "[1]، حيث يصعب التصريح من طرفهن عن مقادير ومستلزمات تلك " التشكيلة المسمومة Poisoned Assortment " التي تخلط في شكل وصفة وتؤخذ كجرعة " سُم طبيعي " طري بدايةً من المعمل التجريبي لسحر المرأة ألا

[1]- مصطلح " **التْجْرَابْ** ": يقصد به المعالجين الرُّوحانيين في المعنى الشعبي عندما يقال: " فُلاَنْ جَرْبنَا فيْه اَلْسْحُورْ " حيث يلاحظ على هذا الشخص المتسمم بالسحر المأكول ظهور بقع غريبة وكبيرة الحجم تشبه في شكلها مرض الجرب تظهر واضحةً على مسامات الجلد ويصحبها على بدن الموكل إما سمنة شديدة أو ضعف غير عادي.

وهو المطبخ السحري النسوي، والتي عادةً هي مشكلة من "مواد سامة Toxic Materials" و " عقاقير خطيرة Dangerous Drugs "؛ تضرب وتتلف المخيلة عن طريق مرورها بـ "حاسة الشّم ' فيصبح حينها" توكال مشموم "، وناهيك عن تلف الأعضاء الداخلية: (العضوية، العقلية و النفسية) عند هذا الشخص المبتلى بهذا الداء الخطير. فهذا " الطُّعم السحري Magical Taste " النَّجس المنتشر في مدينة تبسَّة؛ الذي يصطاد به أبدان الفرائس البشرية، خاصةً بعد تجريب ذلك السُّم وإثبات مدى فاعليته على فريسة تلك (البُكْمَة) بمعنى فريسة الحيوان المسكين الذي يوضع لفترات طويلة تحت المراقبة المشددة من طرف ذلك المشعوذ المسمم، إلى حين ملاحظة ذبول هذا الأخير وتدهور صحتة شيئًا فشيئًا ويوماً بعد يوم، ويشترط من خلال هذا الفعل السحر – توكالي الخفاء والسرية التامة.

في حين يرادف هذا المفهوم الشعبي من حيث معناه العلمي حسب الباحثة المغربية " نادية بلحاج Nadia Belhadj " في كتاب " السحر والتطبيب في المغرب "، الدار البيضاء، 1986 مصطلح " التَّسميم الغذائي Poisoning Food " الذي يتم عن قصد ومن دون مواجهة، حيث يستعمل فيه مواد قذرة، نجسة، وسامة تعمل على التَّسلل ثمَّ الإستقرار والإنتشار في بدن المصاب، فيبقى المسموم دائم الألم والأسقام ولا ينظر حينها لحياته الشخصية فقط يلتهي في مرضه المستعصي، ولا يلتهي أيضا لا بحياته الزوجية، ولا بحياته العملية، وإنما يتفرغ هذا المتسمم فقط للشكوى المستمرة من شدة توفر الكثير من الأمراض المتعددة والنوبات غير الطبيعية التي تكون متواصلة.

حينها سعى " ميلود طواهري Meloud Towahri " في كتابه " المقدس الشعبي (تمثلات، مرجعيات، وممارسات) "، بيروت (لبنان)، 2016، إلى وضع تعريف شامل لـ " الوصفة Recipe " في تعبيره: " أنها تفصيل المواد والظروف والطقوس التي تدخل في تحضير العملية السحرية، وتتضمن عناصر وطقوس يحدث تفاعلها السحري (حسب المعتقد) في تحقيق الغرض، فهناك طقوس يدوية (كتابة الأسماء على قطع ورقية، تعليقها في الهواء وعلى الرأس، إعداد الحناء وتخصيب اليد بها)، وطقوس شفوية (قراءة الأسماء)، تضاف جميعها إلى العناصر المأثرة الأخرى (البخور) لإحداث نتيجة ما ".

لكن حسب " دوتيه ": " نجاح تلك الطقوس والوصفات السحرية على الواقع في الإعتقاد بوجود (الجن) أو (خادم) تتطلب إستمالته القيام بطقوس وشروط معينة (طواهري، 2016، ص 66).

فالطقوس بصفة عامة هي مرافقة للعمل السحر – توكالي حتى يتمم من خلالها بلوغ أهداف معينة، فيدخل ضمن مواضيع " الطقوس السحرية Magical Ritual " مثلاً "طقوس المرور Rite de passage" يؤدى في شق كبير منه وظيفة شخصنة " المقدس الرمزي Holy Symbolic " داخل مسرح إجتماعي وأنثروبولوجي شعبي بالأساس" (حمودا، 2016، ص 147).

رابعاً: سلطة القانون الجنائي كمهمش أنثروبولوجي أمام سلطة السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة

1-نشأة السُّمية القضائية:

السحر مفهوم يستخدم عادةً في الثقافات القديمة، كما أصبح تقليدا شعبيا بين المسلمين أثناء ولادة الإسلام، ونتيجة لذلك شعر القرآن بالحاجة إلى إتخاذ موقف ضد هذا الفهم، الذي لم يكن له أي صدى من الوحي، بل يمكننا القول أنه كان لديه مغامرة تاريخية (Halil, 2018, P: 04). عبر تاريخ البشرية، ورغماً عن البشرية؛ ما أنفك السحر الأسود يمثل فلكلورا وتراثا بشعا ومخيفا في العديد من الثقافات، مهما كانت ديانتهم ومعتقداتهم؛ تتواصل المعاناة في خباياه الشيطانية إلى يومنا هذا، لما يكسوه من ممارسات غامضة ومشبوهة، طُبعت في الهوية البشرية، جاعلة إياه بمثابة إشكالية كونية تتجاوز مختلف الأصول والطوائف والأعراق التي ترفض قطعا مناقشة هذه القضية بعمق، نظرا للمعدل الهائل من الرعب والخوف الذي قد يعتري المحاورين خلال مناقشة مثل هذه القضايا (Ridene Raissi, 2020, P: 537).

يتعاطى الأدباء مع السحر، وتتعامل أعمالهم مع السحر كقوة يتم إكتسابها من خلال دراسة الكتب وأيضا لتصوير حياتهم الواقعية بطريقة " واقعية سحرية "، ترتبط الواقعية السحرية عادةً بالأدب الأمريكي اللاتيني، على غرار العديد من الأدباء، إستخدم

" غابرييل غارسيا مركيز " (1927 – 2014) تقنيات الواقعية السحرية لدفع الأدب الأمريكي اللاتيني إلى الصدارة في الأدب العالمي (Naimi, 2021, P: 46).

إن التفريق بين مصطلحات مثل " السلطة " و " السيادة " و " القوة " من حيث كونها مصطلحات؛ ليس تفريقاً قديماً، ويقودنا هذا إلى دراسة مفهوم السلطة من خلال تجسداته القديمة داخل المنظومة الثقافية الإسلامية المتمثلة بكتب الفقه وعلم الكلام والسياسة الشرعية، ومن ثمَّ مقارنته بمفهوم السلطة في المنظومة الفكرية الغربية إجمالاً؛ لنصل إلى الفروقات والجوامع بينهما لننتقل بعدها إلى دراسة مصدر تلك السلطة والقيود الواردة عليها (القرشي، 2019، ص 13).

وهنا نصل إلى موضوعنا الأساسي ألا وهو من أكثر تلك المساويء التي وجدناها في "سلطة القانون الجنائي" ما يسمى بمصطلح "القانون الجاف"؛ أي ذلك القانون الذي لو رجعنا إلى فترة ما قبل محاكم التفتيش أي قبل القرن الخامس الميلادي نلاحظ بأن القوانين المدينة الوضعية في أوروبا كانت متساهلة في التعامل القضائي مع السحرة. أي أن حدوث هذه الشعوذة ووجودها وعروش بعض الملوك الذين تساهلوا في البدء مع هؤلاء السحرة كانت مترابطة.

لذا كانت العقوبات لا تتجاوز فرض الغرامة. أما العقوبات المنصوص عليها في الشريعة الموسوية التي تقول: " لا تدع ساحرة تعيش "، كانت تخالف بالفعل النص التشريعي وتعاكسه، فاليهود كانوا ينظرون إلى السحر نظرة خلاص من بؤسهم ونبذهم من قبل الشعوب الأوروبية، لهذا نلاحظ أن أغلب السحرة في العالم هم من الجنس اليهودي. وعلى العموم فالعالم اليوم بكل شعوبه يتعامل مع بالسحر كجزء من حياته اليومية، بل إن بعض الدول تعترف بالسحر كعمل مميز ومشرف لأبناء شعبها، كما هو الحال في الهند وبورما وتايلندا والكثير من دول إفريقيا. وصار السحر عملا مشروعا لكسب القوت حتى في الدول الاسلامية كلبنان ومصر والعراق والمغرب والجزائر (الباوي، 2016، ص 68).

نظرا لتكرار حالات التَّسمم في أغراض الجريمة بالقرن التاسع عشر في أماكن متفرقة بالعالم خاصة فرنسا فقد تقرر إختيار صفوة من الأطباء والكميائيين البارعين

لأجل إنشاء قانون خاص بالتوصيات التي يجب فعلها تجاه حالات التسمم، وقد تم اللجوء إلى ذلك على أساس أن القانون يمكن الحكومة من إتخاذ القرار المناسب مع حالة التسمم التي يتم إكتشافها إلا أنه في معظم الحالات لم يجد التدخل الحكومي القضائي بنتائج مبهرة وذلك نظرا لعدم وجود التطور والتقدم الكافي في علم الكيمياء حيث كانت الكيمياء في بدايتها مما أدى إلى إستدعاء المهرة لدراسة وتطور طرق تحليل، وهي النقطة التي بدأ معها " علم السمية التحليلي "، ومن أشهر جرائم التسمم التي شهدتها فرنسا هو ما قامت إحدى السيدات التي قد إتفقت مع عشيقها لقتل زوجها بالسم، وقد إنتهى الأمر بموت العشيق في معمله أثناء تحضير أحد المركبات السامة الغازية بسبب كسر القناع الوقي الذي كان يحميه أثناء تحضيره لهذه المركبات السامة.

وفي عام 1770 فقد قام العالم (Scheele) بإكتشاف طريقة تمكنه من الكشف عن وجود الزرنيخ في أحشاء الضحية وكذلك في المواد الغذائية، وأيضا في إزالته بهدف تقليل سميته عن طريق تفاعل الإختزال بإستخدام الهيدروجين، بعدها قام العالم (Marsh) عام 1830 بتطوير الطريقة والتي تم إستخدامها كدليل يتم الإستعانة به في محاكم القضاء الأول مرة عام 1842 للحكم على السيدة (Lafargue) والذي حضر فيها العالم (Matheo Orfila) بجانب الإدعاء بينما حضر العالم (Raspail) بجانب الدفاع، وقد كان الحكم بالإدانة، الأمر الذي جعل من العالم (Orfila) الشهرة الواسعة علاوة على كتاباته ومؤلفاته التي تم الإعتراف بها على أنها أول عمل متكامل يحصل على الإهتمام الدولي.

ومن أهم إنجازات ذلك العالم هو تطويره لعديد من التجارب التي تمكن من التعرف على السموم وتقسيمها إلى ستة مجاميع، علاوة على ذلك، فقد تضمنت أعماله الخصائص الفيزيائية والكيميائية والفيسيولوجية وأعراض التسمم متناولا طرق العلاج، أيضا فقد بدأ ذلك العالم في إستخدام الحيوانات في تجاربه عن طريق معاملتها بكميات معروفة من المواد السامة وملاحظة أعراض التسمم الحادثة لها. وبعد الموت كان يقوم بفحص الأعضاء وتحليل الأنسجة، وكان من أهم ما توصل إليه في ذلك الحين هو إكتشافه أن السموم لها القدرة على أن تتراكم في العديد من الأنسجة المختلفة.

وقد شغل هذا العالم مناصب من التدريس بالجامعات والتي كان منها جامعة باريس حيث كان يعمل أستاذا بالطب الشرعي وهكذا أصبحت مؤلفاته عن السموم والكيمياء والطب الشرعي هي الأساس الذي بنيت عليه عمليات تطوير للعديد من العلوم في العديد من دول العالم آنذاك، بعد تلك المرحلة فقد تغير إتجاه إستخدام السموم التقليدية إلى سموم أخرى يصعب الكشف عنها وذلك بإستخدام سموم من مصدر نباتي وتكون ذات طبيعة قلويدية، وكان السبب في ذلك الإختيار هو قلة المعلومات المتاحة عن هذه المركبات وبالتالي صعوبة الكشف عن الجريمة، ومن أهم تلك المركبات كان الاستريكنين (Strychnin)، وهكذا فقد تنبهت الأحداث العالمية منذ القدم إلى أهمية إنشاء معامل مركزية للطب الشرعي وكذلك لـ " السمية القضائية " و " السمية التحليلية " بهدف الإهتمام بالنواحي القضائية (عبد الخالق، 1426 هـ - 2005 م، ص ص 16 - 17).

2-طقس السحر المأكول يزيح سلطة القانون الجنائي:

وهنا يتجلى التساؤل حول مصطلح تسميم "السحر المأكول" في الإنشغال الأنثروبولوجي نحو تلك الفوارق الجرعاتية التي تحمل دلالات ورمزيات معاكسة لبعضها تترجم بدورها تلك التركيبات التَّسميمية والتطبيبية السحرية الشعبيتين في شكل " طقوس " و " أدوات " تفسر كل تركيبة لوحدها على حسب السمة الثقافية الموجودة عند هؤلاء الممارسون.

فما الذي يجمع إذنً بين دخان البخور وأمواج البحر ونور القمر وبيض الحرباء وعش الخطاف وروث الدواب ومخ الضبع؟، ليس الأمر لغزًا لإمتحان ذكاء القاريء، فمن الواضح، في فهم كل مطلع على أحوال المجتمع المغربي، أن الذي يجمع كل هذه العناصر المتفرقة إلى بعضها هو علاقة غامضة ومخيفة تدعى معتقد جرعة " السحر المأكول "، وعلميا معتقد جرعة " السحر الجسدي " الذي يستخدم عن طريق السُّم الطبيعي. حيث تشتمل مطلق الممارسات والطقوس الغريبة التي تمكن الفرد من جلب

المنافع أو المضار لنفسه أو للآخرين بحسب الطلب، وتحقيق كل غريب وعجيب من رغبات الناس التي تختلف ولا تنتهي...

حيث تعرفنا لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ على ذلك التهميش الواضح لسلطة القانون الجنائي أمام جناية السحر المأكول، ومن هنا يمكننا القول أن " السلطة Authority ": لغةً؛ هي باب واسع في معاجم اللغة، لكن مادة (س، ل، ط) في اللغة تدور حول معنى أساسي وهو القوة والقهر، ويُشتق منها معان كثيرة مثل السلطان؛ قوة الحاكم، أو الحجة والبرهان.

والسلطة أيضاً: التسلط والسيطرة والتحكم والتمكن، وسلطه عليه؛ مكَّنه منه، وحكمه فيه. ويذكر بعض الباحثين أن للسلطة عنصرين أساسيين هما: السيطرة والاختصاص، وتعني السيطرة: أن حامل السلطة عنده القدره على التحكم في شخص آخر، وتوجيهه توجيهاً معيناً، أما الاختصاص فهو: حق صاحب تلك القدرة، له الحق والمشروعية لإستخدام هذه القدرة. والسلطة: إنفاذ القول على الغير؛ شاء أم أبى. وحتى نصل للمعنى الإصطلاحي الغربي للسلطة تاريخياً، لا بد من قراءة في تعريفاتها على مدى العصور الزمنية المختلفة، ويجعل " أرسطو " السلطة عادلة من حيث هي سلطة؛ أي أنها عادلة لأنها تمثل إدارات الأفراد المجتمعة، وهو ما سماه " روسو " بـ " التوجيه الأسمى للإدارة العامة ". وأشار إلى هذه النقطة أيضاً " شيشرون " عندما ذكر: " أن الدولة وقانونها ملك للناس مجتمعين، فإن سلطتها تنبثق من قوة الأفراد كلهم، وبالتالي فإن إستخدام السلطة للقوة هو في حقيقتة إستخدام لقوة الناس " (القرشي، 2019، ص ص 11 – 13 – 16).

ويعرف " القانون الجنائي Criminal Law ": فإذا كانت الجنائية هي إحدى أنواع الجرائم فهي بغير شك أهمها، وهي تلقى من الشارع إهتماماً لا تحظى به الأنواع الأخرى من الجرائم ومرتكبوها هم أخطر المجرمين على المجتمع، وإذ شاع أن يعبر عن التدابير الإحترازية بالعقوبات فمن السائغ كذلك أن يعبر بالجنايات عن كل الجرائم تعريفاً للكل يجزئه الأهم، بل أننا نعتقد أن اللغة القانونية تعترف لتعبير (الجنائية) بمدلول واسع إلى جانب مدلوله الضيق، ويشتمل المدلول الواسع كل الجرائم ويتضح ذلك من إطلاقها تعبير

(الجاني) على عدد من النظم والمباديء لا تختص بالجنايات وحدها، وإنما تتسع لكل الجرائم مثال ذلك (الإجراءات الجنائية)، (القصد الجنائي)، (المساهمة الجنائية)، (المسؤولية الجنائية)، (المحاكم الجنائية)، (النيابة الجنائية)، (المعامل الجنائية)، ومن المصلحة إقرار اللغة الجنائية على ذلك النظر إلى رسوخ المصطلحات فيها وإكتسابها مدلولاً محدداً (يوسف، 2021/04/06، 01:05).

ويمكننا أن نفرق بين " الجريمة " و " الجناية " في؛ أن أصل كلمة " جريمة " من جرم بمعنى كسب وقطع، الجرم مصدر الجارم، وهو الذي يجرم بحق نفسه وقومه شراً، كما تعني التعدي والذنب، وأجرم فلان أي إكتسب الإثم. أما الجريمة فهي الذنب أو المعصية أو كل ما يجنيه المرء من شر إكتسبه، والظاهرة الإجرامية هي إحدى سمات المجتمع ويرجع ذلك إلى الصراع على إشباع حاجات الأفراد غير المتناهية. وبالتالي فقد ولدت فكرة الجزاء بالفطرة؛ فإن الجزاءكان المردع، والتخويف، والإصلاح، والتهذيب أيضاً، ولإشباع الرغبة في العدالة. وفي إصطلاح علماء الإجتماع عرفت الجريمة بأنها؛ "كل فعل يعود بالضرر على المجتمع، ويعاقب عليه القانون"، ويلاحظ أن هذا التعريف جمع بين كل من البعد الإجتماعي والقانوني للجريمة. وذهب البعض إلى تعريف الجريمة من المنظر الإجتماعي بأنها؛ "كل فعل يتعارض مع ما هو نافع للجماعة، وما هو عدل في نظرها، أو أن الفعل يعتبر إنتهاك للعرف السائد، مما يساوجب توقيع الجزاء على منتهكيه.

وتعرف " الجناية " في الإصطلاح الفقهي؛ هي "إسم لفعل محرم شرعاً، سواء وقع الفعل على نفس أو مال أو غير ذلك، لكن معظم الفقهاء تعارفوا على إطلاق لفظ الجناية على الأفعال التي وقعت على الإنسان أو أطرافه مثل (الجرح/ القتل/ الضرب الإجهاض) (عبابنة، 2021/04/06، 12:36).

حيث إن أول جريمة تمَّ حلها عن طريق إستخدام الدليل الحشري هي ما ذكره المحامي الصيني " سونغ تشو " عام 1325 في كتابه: " غسيل الخطايا The washing Away of Wrong " وهو كتاب مختص بالتحقيقات الجنائية، وقد شرح سونغ قضية طعن رجل قرب حقل من حقول الأرز. وبعد يوم واحد من حدوث الجريمة، طلب المحقق

الجنائي من كل الفلاحين أن يضعوا مناجلهم على الأرض وكانت جميع المناجل نظيفة جيدًا بإستثناء منجل واحد إنجذب إليه بعض الذباب المعدي بسبب تواجد بقايا خفيفة جدًا من الدم عليه. وقد إعترف الفلاح بجريمته وأصرَّ على أنه "ضرب رأسه على الأرض"، وفي نهاية القضية تمَّ إدانة الفلاح في قتله للرجل، أين لاحظ العديد من العلماء في بداية القرن التاسع عشر إنجذاب حشرات معينة على الأجسام المتحللة. وقد زاد إهتمام العلماء بأن قاموا بدراسة تعاقب الحشرات على الجثث ودورات حياتها وما هو دور هذا التعاقب في حل العديد من القضايا الجنائية.

من الأوائل الذين نشروا عن إستخدام الحشرات في الطب القانوني أو الشرعي هو الدكتور الفرنسي " Bergret d'Arbois " سنة 1955، كان أول من إستخدم مفهوم تعاقب الحشرات في تحديد فترة ما بعد الوفاة للبقايا البشرية. وقد تمَّ إدانة متهم على أساس الدليل الحشري. في حين قدم الدكتور البيطري الفرنسي " Jean Pierre Megnin " كتاب يحوي العديد من الملاحظات حول جثث البشر، حيث لاحظ أن الجثث تخضع لسلسلة من التغيرات، وأن أطوار مختلفة من مفصليات الأرجل تظهر عند كل مرحلة من مراحل تحلل الجثة بصورة متعاقبة ومنظمة، وقد شرح ثماني موجات لتعاقب الحشرات والتي يمكن الإستفادة منها في التحقيقات الجنائية على الوفيات المشتبه بها.

ويعرف " علم الحشرات الجنائي Forensic Entomology " هو علم حياة الحشرات في التحقيقات الجنائية، يشمل الحشرات وكذلك مفصليات الأرجل الأخرى كالعناكب للكشف عن ملابسات القضايا الجنائية للمساعدة في حل لغز الجرائم، حيث يعتبر " علم الحشرات الطبي القانوني الجنائي Medicolegal Forensic Entomology " كأحد فروع " العلوم الجنائية Forensic Science " الذي يستخدم فيه أي معلومات حول حياتية وبيئة وسلوك الحشرات للحصول على إستنتاجات أو أدلة يمكن أن تساعد في التحريات القضائية المرتبطة بالإنسان لإعطاء فكرة محددة عند إجراء تحقيق صائب في إحدى القضايا سواء فيما يتعلق بالإنسان أو الحيوان أو أن الجريمة قد وقعت على اليابسة أم في الماء (الزغيبي، 2020/07/28، 08:00).

يعبر عن هذا النوع الشرير في مدينة تبسة؛ من خلال ما يحويه من ممارسة إحترافية يعتقد أفراده أن تلك العناصر الطبيعية عند تمريرها إلى جسد المستهدف تكون عبارة عن تنبيه له في وقت قد يصبح فيه شخصًا قامحًا يصعب التحكم فيه... في هذه الحالة يكون ذلك المسكين مهدداً بالتجريب من طرف تلك المرأة المسممة بالتحديد، حين يراد بهذا النوع الشائع ترييض وكبح الهيمنة الذكورية وقتلها بالكامل، ونجد العكس صحيح بالنسبة للرجل عندما يريد إخضاع المرأة المتمردة طائعة لسلطته، حيث نقول أن تلك الطقوس الأكثر منها فعل نسوي يمارس من داخل البيوت أين يوقن فيها كمورد سحري دفاعي لما هو ملك لفاعل التَّسميم حتى وإن كان بدون خبرة سحرية فقط يكفي من خلاله خلط تلك الوصفة في شكل جرعة، وبإعتبار إحتوائها على تلك المواد السامة هو كافي لتحقيق الغرض المطلوب، فهي في الأصل عبارة جرعات متوارثة من العادات والتقاليد التبسيَّة وما دعم إستمرارها أكثر مؤسسة التنشئة الإجتماعية، فالأسرة تلعب دور كبير في تكوين الإعتقاد في التَّسميم بطقس السحر المأكول وفي التطبيب الروحاني لهذا الطقس، على الرغم من إختلاف مستويات أفرادها التعليمية وإختلاف فئاتهم العمرية ومكانتهم الإجتماعية.

وفي الحين الآخر؛ نجد ذلك الجفاف في "سلطة القانون الجنائي" من ناحية "عقاب الساحر" القائم بالتَّسميم المباشر للضحايا مع سبق الإصرار والترصد، حيث تمثل ذلك الجفاف السلطوي والقانوني في عدم طبيق حكم "القصاص" المفروض في الشريعة الإسلامية، فهذه المسؤولية الجنائية غير مفعلة في الجزائر، فقط يكفي معاقبة ذلك المجرم بـ 05 أو 06 سنوات سجن، أو قد يحكم عليه بخمسة أيام سجن هي في الحقيقة المرَّة تشبه قضاء عطلة الأسبوع في المنزل مع الأحبَّة، حيث تكون مقسمة كالآتي: يوم يدخل فيه ويوم يخرج فيه والأربعة الأخرى تعتبر مكافأة له...، على الرغم من أن هذا الملعون تسبب في قتل الكثير من الأبرياء بهذا النوع من السُّم الشعبي المنتشر بكثرة في وقتنا الحالي.

كما تتنوع الجزاءات التي توقع على مرتكب الجريمة، فإن جميع المجتمعات منذ القدم وحتى الآن كان لها هدف وحيد من وراء فرض العقوبة على المجرم، وهو محاربة

الجريمة أو الحد منها قدر الإمكان. ولقد تعددت الأفكار الحديثة التي نادت إلى معاملة المجرمين وفقاً لشخصياتهم وظروف كل مجرم، ذلك الإختلاف الكبير بين أسباب الجريمة وشخصيات المجرمين وظروفهم يستلزم النظر إلى العقوبة المناسبة لكل منهم على أساس تحقيق أقصى درجات العدالة للمجرمين والمتهمين، وذلك للمحافظة على المجرم بالحيلولة دون عودته للإجرام مرة أخرى (عبابنة، 2021/04/06، 19:57).

فهذه المسؤولية الجنائية لا نجدها مُفعَّلة أيضاً في مدينة تبسة؛ لذا سنوضح عن قرب صور مباشرة للقاريء المتلقي تحمل طقوس، ممارسات وجرعات تستخدم في تسميم السحر المأكول (سحر التوكال) والتي يستخدمها " ساحر" قد قبض عليه حديثا من طرف العدالة التبسيَّة، وحسب مصادرنا الشفوية يحكى لنا أنه بعد ما أودع الحبس المؤقت تمَّ إطلاق صراحه بعد أيام قليلة، وحكم عليه فقط بغرامة مالية بمعنى (مبلغ رمزي) بسيط حتى يخرج ويمارس مهنته التَّسميمية من جديد.

الملحق رقم 37: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ " طقوس " و " ممارسات " و "مستحضرات سحرية" سامة يستخدمها " ساحر تبسّي " في تسميم الأفراد بمثل هذا الفعل من " التَّسمم الإجرامي " المخلف لأنواع مختلفة من السحر المأكول كـ التوكال "المشموم"، و " المنظور "، و " المسموع "، و " الملموس "، و " المأكول و المشروب " الذي ينتقل عبر الحواس الخمسة

صورة ملتقطة تبين؛ مقتنيات سحر – توكالية كثيرة أستخرجت من منزل الساحر التّبسي الذي ألقي القبض عليه من طرف فرقة الدرك الوطني ومن ضمنها أخطر المواد السامة التي تستخدم في السحر المأكول الجنائي

صورة ملتقطة تبين؛ صورة " خاتم سحري " تلبسه " أفعى سامة " يستخدم من طرق الساحر التّبسي بهدف " توكال السحر الملموس " الذي ينتقل عن طريق مسامات الجلد ثم إلى العروق والدماء بفعل " سموم طبيعية " تتحد مع " خادم سحر التوكال " من الخدام الأرضيين من صنف الشياطين

صورة ملتقطة تبين؛ صورة " سلحفاة برية " تربت داخل بيت الساحر التّبسي بهدف ذبحها في وقت لاحق من أجل سحر التوكال الدموي ويتم هذا الطقس عن طريق الكتابة بـ " دمها السحري " القوي الذي يوضع في " السحر المأكول " أو في " السحر المشروب "... أو في بقية التوكالات الجسدية الأخرى التي تأخذ " المنحى الحواسي " الخالص

صورة ملتقطة تبين؛ أدوات مساعدة في إتمام طقس السحر المأكول عبارة عن " موس " و " مشارط " و " خشبة شجرة " ملطخ جميعهم بـ " التراب السحري " وهي عبارة عن مقتنيات توضع في " توكال التمريض " الذي قد يتسبب في " القتل السريع " أو في "القتل البطيء" حسب قوة " نيَّة التَّسميم " المتواجدة لدى الساحر وأيضا حسب شدة كفره بالله تعالى

صورة ملتقطة تبين؛ طقوس توكالية خطيرة عبارة عن " عظام " و " شعر " و " أحجبة " مكتوبة بـ الدماء تمارس على شكل جرعات تدريجية في الطعام حين تمحى في الماء وتدس في أكل الضَّحية المغدورة رجل كان أو إمرأة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2020/08/13. على الساعة؛ 14:16 د

خامساً: الدلالة الرَّمزية من وراء ممارسات و طقوس السحر المأكول (سحر التوكال) لدى أفراد المجتمع التّبسي

لقد فتح " فرويد " بكتابه (الطوطم و الحرام)، (1965)، طريقا جديدا لفهم "الوظيفة الرَّمزية" في حياة الذين اصطلح على تسميتهم " بالبدائيين "، وهما تعددت الخلافات بين فرويد وتلميذه المنسق " كارل جوستاف يونغ " وتعذر تبسيطها، فإن هذا السبيل قد قاد يونغ إلى إستكشاف، بطريقة إن لم تكن شاملة فهي على الأقل عميقة جدا، جميع هذه الرُّموز التي غمرت حياة " البدائيين " اليومية، وهي رموز سيجدها ثانية مسيخة، لكن متطابقة في الحياة الإجتماعية والسلوكات الفردية، بل وحتى في أحلام سكان البلدان المصنعة وعصاباتهم، وبذلك وجد يونغ نفسه منقادا إلى صياغة مفهوم النموذج الأصلي الكوني والخالد، الذي يوجد في قلب الميثولوجيات القديمة، كما في الميثولوجيات العصرية التي لا ندركها مع ذلك كما هي.

أصيب العالم " يونغ Young " خلال رحلاته إلى إفريقيا وأمريكا والهند، بالدهشة والفتنة في آن معًا لدى إكتشافه أنَّ الحياة الإجتماعية للشعوب التي إلتقى بها كانت عائمة كليًّا في " عالم رمزي Symbolic world " تتجلى فيه محتويات اللاشعور في الميثولوجيات والطقوس الإجتماعية والسلوكيات الفردية والفنون (بران، 2017/03/13، 12:30). في حين يتبعه ويلاصقة بصفة دائمة " المعنى الدلالي Semantic Meaning " للأشياء الذي يعمل بدوره على تفكيك وتفسير كل تلك الرموز والشيفرات المعقدة التي تتمتع بـ الطابع الثقافي الشعبوي.

كما هو الحال لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ حيث لاحظنا العديد من تلك الطقوس، وتعاويذ (القُرَيَاتْ) والأدوات التي تُفَعل من خطورة تسميم التوكال وكأمثلة على ذلك: طقس " الحضرة " أو " خلوة المرحاض Toilet retreat " أين يجتمع الجن اليهودي وفي الوقت الذي تقرب إليه تلك النجاسات يتمم هو بدوره المهمة الموكلة إليه بكل سرور، حينها يسعد ويتلذذ بالتغذي من سمومها وبالتالي يقوم بحراستها داخل بطن المسحور.

أمَّا طقس " قلب الطاجين Tagine Heart " على قفاه والذي يسمى بـ (الدارجة التْبسْيَّة) أيضًا بـ (مَاعُونْ اَلْكسْرَة) حيث يقصد بهذه الممارسة السحر – توكالية؛ أي تدوير العقول والقلوب بنسبة مئة وثمانون درجة لدى كل من: (الزوج، أو الزوجة، الفتاة العزباء، العجوز، العشيق، أو العشيقة، العدو الرجل، أو المرأة العدوة ...إلخ) بواسطة هذا " الطُّعم الشعبي التوكالي ذا الطابع السحري " القوي والفتاك، الذي يوضع فوق نار قليلة وهادئة ثم توضع فوقه مباشرة تلك " المستحضرات السامة " ثم تتلى عليها كلمات غير مسموعة مع التحريك المستمر، بينما نجد سحر توكال من نوع آخر يمارس من فوق " سرير الزَّوجية Matrimonial Bed " هذا الأخير الذي يرمز للعلاقة الحميمة وإلى حب الإمتلاك ومدى قوة التشبث بالطرف الآخر.

الملحق رقم 38: صورة ملتقطة من الميدان التبسي تبين؛ طقس " الطاجين المقلوب على قفاه " أو طقس " مَاعُونْ اَلْكسْرَة " كما يسمى تبسيًّا حيث يقلب على وجهه الآخر ويمارس من خلاله تحضير جرعة السحر المأكول التي تستهدف جميع الفئات العمرية من كلا الجنسين فقط يكفي تلاوة التعويذة المناسبة مع ذكر إسم الشخص المراد توكا

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/04/30. على الساعة؛ 14:16 د

في حين تفسر ممارسة؛ دق المواد النَّجسة في " مهراز النُّحاس Copper Mhraz " الذي يحمل في شكله الخارجي قرون تدعى بـ (قرون الشيطان) ويسمى أيضا بسداسي الجوانب، منحدر أصله من سكان المغرب العربي الكبير (اليهود العرب) حيث وجدناه يأخذ اللون " الذهبي " واللون " الفضي " وهذه الأداة تندرج ضمن " الموروث السحري المنزلي " الذي يتباهى بمفعوله القوي على مر الأجيال والعصور.

الملحق رقم 39: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس " المهراز النُّحاسي " سداسي الجوانب يحمل اللون الفضي، الذي يتجسد في شكل " قرون الشيطان " متوراث من الجدات اليهود الأوائل بمعنى تلك الساحرات المنزليات في المنطقة وتستخدمه آنيا بنات الجدات والحفيدات حيث تدق تشكيلة تلك المستحضرات السامة المراد وضعها في جرعات السحر المأكول مع قراءة التعويذة المناسبة التي تخدم تلك الأداة وذلك المعدن والتي تجذب الجن و الشياطين له

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/03/29. على الساعة؛ 12:10 د

ولكي لا ننسى رمز " القهوة دون حليب Coffee without milk " هذا الطقس؛ الذي كسر حدود المعقول و زرع فوبيا خوف شديدة في نفوس الناس التباسَّة؛ حتى من خلال مناسبات الأفراح السعيدة و رغبةً من هؤلاء الناس في أخذ الحيطة والحذر لأن (

الجن) اليهودي يعشق هذا اللَّون ويجر مطعوميه إلى سواد المعيشة، حتى تأخذ حياتهم لون الظلام الدامس من جراء هذا " السحر الأسود " اليهودي، الذي يصنف من أصعب أنواع السحر الجسدي.

الملحق رقم 40: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس " القهوة دون حليب " الذي يستخدم في جميع المناسبات خاصة في الأفراح وفي المآتم بهدف توكال الشخص المراد تسويد معيشته بمثل هذا النوع من التَّسميم المباشر الذي يستخدم فيه "سموم نباتية" تضاف داخل القهوة على شكل جرعة فتصبح عبارة عن توكال مشروب

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/12/10. على الساعة؛ 18:15 د

الملحق رقم 41: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس " خاتم الخطوبة " هو عبارة عن خاتم من الفضة دهن عليه من طرف "الساحر المسمم" مستحضرات سحرية شديدة التسميم مع توكيل خادم توكال يعمل على حراستها، وحين يتم نقل الخاتم من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى بعد الزواج في هذه الممارسة الطقوسية تجلب الحبيبة للحبيب بالمحبة الدائمة والطاعة المستمرة، ويمارس هذا الفعل السحر – توكالي بهدف السيطرة على الحبيب الهارب أو الحبيبة النافرة، ومن خلال الصورة لاحظنا على أصبع الفتاة المخطوبة إحمرار شديد يرجع سببه إلى جرعة السحر المأكول من " التوكال الملموس " الذي ينتقل عبر مسامات الجلد ثم إلى العروق والدما

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/10/16. على الساعة؛ 19:20 د

ويوجد كذلك رمز المأكولات الشعبية التي يوضع فيها هذا السحر الباطني كـ طبق " الكسكس Couscous " وطبق " الشخشوخة Chakhchoukha " اللَّذين يعرفان تبسيًا؛ على أنهما من المأكولات الثقيلة والمشبعة للبطن وفي حين نزولها في المعدة ومرورها إلى الأمعاء تثقلها وتعطل عملها لإحتوائها على جرعة " السُّم الطبيعي Natural Poison " وكذلك لإتحادها مع خدام العالم الغيبي الماورائي، حيث ترافق تلك العملية التَّسميمية المنزلية قوة في الكلمة السحرية التي تخرج من تلك الأنفس البشرية الخبيثة فور التردد بها

لتحدث حينها في نفس الوقت الضرر والتوكيل المعهودين (بتثبيت العهد الذي أعطاه الجن الموكل للساحر المشعوذ) والمتمثل في شدة الإعتقاد في سُمية الجرعة المعطاة.

الملحق رقم 42: صورتان ملتقطتان من الميدان التّبسي تبينان؛ طقس " طبق الكسكس " و طقس " طبق الشخشوخة " اللذين يوضع فيهما جرعة السحر المأكول في أغلبية الأعراس و الجنازات و الأعياد الدينية بهدف إستهداف أشخاص معينين حيث يصنع هذا السُم لهم عن طريق ذكر أسمائهم وأسماء أمهاتهم أثناء ترتيل التعويذة السحرية

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " طبق الكسكس " يمثل عشاء أهل العروسة داخل منزل العريس حيث تمارس من خلاله " المرأة الشيطانة " معتقد التسميم بـ جرعات السحر المأكول بإعتبار هذا الطبق من المأكولات الثقيلة المتوراثة والتي تتفاعل بصورة إيجابية مع شدة النّية وقوة الإعتقاد أين يعطي النتيجة السريعة والأكيدة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/12/17. على الساعة؛ 10:18 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " طبق الشخشوخة " يمارس هذا الطقس في الأعراس أو حتى في الأيام العادية حيث تحرص من خلاله " المرأة المسممة " على تطبيق معتقد جرعات السحر المأكول ذلك بإعتبار أن طبق الكسكس له طابعه الثقيل في الموروث الثقافي اللامادي خاصة عندما ينزل داخل المعدة والأمعاء والأمر في هذا الطقس ما وجدناه في الممارسة الطقوسية الخاصة بسحر " توكال عاشوراء " اللعين

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/16. على الساعة؛ 14:12 د

وكمثال على النوع الرابع من سموم السحر المأكول نجد "سموم بقايا جسم الإنسان" التي تدمج مع قوة الكلمة السحرية في قول: " عْطيْتك ريْقيْ تَبْعْ طْريْقيْ " حيث تقوم المرأة بالتلفظ بتلك الكلمات وهي في خلوة بيت الراحة أي (المرحاض) مخاطبةً الوصفة ببعث تلك الطاقة المغناطيسة التي هي مخزنة في النَّظرة والكلمة فتنطلق في شكل سهام ملعونة مسمومة لتصيب جسد (المُوَكْلْ) بصفة مباشرة، وهي تشبه في ضررها في مجمل الأحيان " سحر ضربة العين Magic blow of the Eye " حيث يندرج معناها في أنَّ القائم بهذا الفعل سواء في جانبيه " الطقوسي " أو " الأداتي " يستحوذ على معنى واحد ألا وهو إعطاء جزء من لعابه للمغدور حتى يتبع طريقه حينها يُغَمْ عليه بغشاوة في عينيه وفي عقله، هنا وجدنا الثقة عمياء وواضحة من طرف فاعل هذا التوكيل المؤذي، خاصة

أثناء الإستغاثة بـ خادم سحر من " الجن الطيار Pilot Jinn " الأسود من عُمَّار بيوت قضاء الحاجة والعُمَّار اليهود.

بالإضافة إلى ذلك نضيف طقس آخر؛ يحوي مشاعر غامضة عند نسوة مدينة تبسة؛ حيث يباشرن توكالهن لأزواجهن بـ " وسخ الأذن Ear Dirty " اليمنى واليسرى من فضلات هذه الأخيرة، أو من فضلات أذني الأم، أو أذني الأخت...إلخ، حيث تقام هذه الجرعة بهدف ترييض الحبيب الهارب من معشوقته أو لإخضاع الأب أو الإبن القاسي على أسرته.

وفي هذه الوصفة تأخذ المرأة المحرومة أو المجروحة ماسح الأذنين وتمسح به وهي تردد عدد (سبع مرات) التعويذة " سَبْعْ سْمَاْوَاتْ وسَبْعْ أَرَاضِيْ وْسَبْعَ أَيَامْ لِيْ كَايْنِيْنْ تْرَجْعُوْلِيْ فُلاَنْ وْلْدْ فُلاَنَة لْفْلاَنَة بنتْ فُلاَنَة "، وبعدها مباشرة حسب شهادة المبحوثة: (يْرْجعْ اَلْرَّاجلْ بْجْرُوذُوا) بمعنى يحمل (ذلك الرجل المستهدف بجرعة توكال وسخ الأذنين) ثيابه التي عليه ويأتي خاضعًا طائعًا، وتؤكد المبحوثة على أنها جرعة قوية ومجربة يتم من خلالها الرجوع السريع، ويمكن ترجمة الهدف الخفي من رمز ودلالة " وسخ الأذنين " هو قصد سماع الكلام عن طريق حاسة الأذن وبالتالي تنفيذه دون أدنى نقاش، حيث يأخذ هذا " التوكال السمعي " مكان تواجد " شمع الأذن " وبالخصوص عندما يستقر ذلك الشَّمع داخل المعدة وقتها تحدث خَضَّة للرجل المسحور بالتوكال فور سماعه لصوت تلك المرأة التي زودته بذلك الطُّعم (الوصفة مبينة على شكل صورة مباشرة ملتقطة من منطقة العقلة وهي موضحة من خلال ملاحق صور الفصل الثاني من مقابتنا الحالية).

ويحكى أيضًا أن في منطقة " اَلْظْهِيْرَة " في بلدية بئر العاتر (عَرْشْ وْلاَدْ حْمِيْدَة) على أنهم يعتمدون في الغالب على " أضحية عيد الأضحى " في طقوسهم المعظمة؛ ومن أجزاء جسم هذا الحيوان تأخذ " عين النَّعجة " مع التعزيمة: " شْفْتكْ بْعِيْن اَلْسْبَعْ وْشْفْتِيْنِيْ إِنْتَ بْعِيْنْ اَلْنَّعْجَة " فمفعول هذه الجرعة عند الأكل قوي جدًا حيث يصير المستهدف من جنس الرجال مثل أنثى الغنم أي (اَلْنَّعْجَة) لا يتكلم مثله مثل هذا الحيوان الأبكم ويصبح كلامه حينها مرتبط بموافقة صريحة من تلك المرأة التي قامت

بتوكاله، فتعمل تلك الجرعة التسميمية على مساعدة المرأة في وجوب الطاعة في أن تترك الناس الآخرين يهابون منها ويحترمونها فور إقبالها عليهم.

وتعتبر أوقات غالبية تلك الطقوس في أيام (اَلْعُوَاشِيْرْ) ما يعرف في الدين الإسلامي الأيام (العشر الأولى من ذي الحجة) حسب تدين الفرد التّبسي أنَّ لها إستجابة ربانية فورية. أمَّا من ناحية سموم سحر التوكال النباتي والمعدني كأن تحرص الزوجة على أن تحرق قلب زوجها وتعمل على الإنتقام منه والإتيان بآخرته في أقرب الآجال فتعطيه خلطة تسميميَّة " ليست سحرية " مشكلة من " نبات الشكران Hemlock " مع القليل من " الرصاص Conduire " أو القليل من " النحاس Cuivre " وتدسها في طعامه، حيث تعرف هذه الجرعة على أنها حالة " تسمم إجرامي " لا تحمل في طياتها ذلك الطابع السحري المعروف في أوساط العامة، لكن هذه النباتات والمعادن هي لوحدها كفيلة لتحقيق المبتغى بالإفتراس الجسدي المطلوب عن طريق هذا القاتل الصامت سواء السريع منه أو البطيء.

كثر إستخدام تلك الجرعات؛ حين كثر الطلب على تلك المقتنيات الموجودة عند بائعي الأعشاب وفي بيوت الشَّوفات، والذي يلاحظ فيها رواج لمواد غريبة خاصة من خلال الأيام المقدسة للدين الإسلامي، وهذه المناسبات الدينية لها فضل عظيم عند الله عز وجل كـ (شهر شعبان، عيد الأضحى المبارك، عاشوراء، العشر الأواخر من رمضان وليلة القدر) حيث يسحر فيها ويجدد السحر في كل عام، حين يزيد الإقبال قبل ليلة السابع والعشرون من رمضان لإقتناء تلك العناصر الطبيعية كـ (الذبابة الهندية، بيض الحرباء، رأس الغراب، والديك الأسود، وجلود بعض الحيوانات مع مخلفات أخرى).

وغالبًا ما يكون هذا السحر مرتبطًا بـ " جلب الحبيب " والعلاقات الزوجية مثل "تطويع الزوج" وإخضاعه إلى عش الزوجية إن كان نافرًا منه، بالإضافة إلى نظيرتها الأخرى من أعمال الشعوذة التي تخص الإنتقام أو رد الصعصعين بين النساء نتيجة الغيرة الحاقدة. فهذه القناعة تزداد رسوخًا عند نسوة مدينة تبسة؛ وفي إعتقادهن أنَّ في هذه الليلة يطلق صراح الشياطين المصفدة حينها يطلبن تلك الساحرات حوائجهن من

الخالق مع إيمانهن الكبير بالموافقة الإلاهية عليه ووقتها يظل ويستمر هذا التوكال ليبقى نافعًا لمدة 12 شهرًا كاملة.

حيث لا تجد بعض الأمهات العالمات بجرعات التَّسميم الشعبي حرجًا في تحذير أولادهن من الأكل عند الأقارب والأصدقاء حتى في الأيام العادية على خلاف أيام العواشير، ففوبيا الخوف من أكل طعام " مَخْدُومْ "[1]، أو إستنشاق روائح أو بخور "مَبْرُومْ"[2]، أو سماع مكالمة من جهاز " مَحْمُولْ "[3]، أو التكحيل بكحل عين " مَدْقُوقْ "[4]، أو لبس لباس مدهون بدهن " مَمزُوجْ "[5]. هذا لأن في مقدمة تلك الجرعات التي يتسارع عليها الفتيات حديثات الزواج " وَصْفَة اَلْكَسْكَاسْ " التي يتحول فيها الضَّحية إلى شخص شبه أخرس ومغيب بعد أن يتناول من قطع " اَلْقُفَالْ " مضاف إليه نبات: " اَلْسَّاكْتَة و اَلْمسْكُوتَة " أو " اَلْبُكْمَة " أو " اَلْلَّطْمَة " أو " اَلْكَفْيَّة " التي هي في الحقيقة ما يروض به النّساء (اَلْتَّبسْيَّات) أزواجهن المشكلجيين والشكاكين.

وحتى لا ننسى ذلك الطقس المشهور في الأعراس التبسيَّة؛ هو طقس " شَاة اَلْحْلاَلْ " بمعنى تلك الشاة التي تؤخذ كهدية من أهل العريس إلى أهل العروسة فيقام عليها هي

---

[1]- مصطلح طعام " **مَخْدُومْ** ": بمعنى أكل طعام قد تمَّ تشكيله يدويًا، أي له طابع سحري منزلي من المطبخ النسوي.

[2]- مصطلح بخور " **مَبْرُومْ** ": بمعنى إستنشاق روائح أو بخور مختارة بدقة وبرمها بلفة دائرية شعبذية لتصبح جاهزة في أن تدخل الأنف وتضرب بقوة الجهاز التنفسي.

[3]- مصطلح جهاز " **مَحْمُولْ** ": بمعنى الهاتف المحمول الذي يستقبل المكالمات وفي الأخير قد تكون تلك الكلمات مسمومة عن طريق تدنيسها بتعاويذ سمعية تنتقل بهدف (سحر المحبة) أو (سحر الإنتقام) بدايةً من الذبذبات الصوتية الموجودة في الهاتف لتدخل الأذن والجهاز السمعي.

[4]- مصطلح كحل عين " **مَدْقُوقْ** ": بمعنى وضع تلك المستحضرات السامة التي يراد بها التكحيل داخل العينين حيث تدق في المهراس النحاسي (مهراس قرون الشيطان) السحري، حيث تحرص المرأة الساحرة على دقها عن طريق الدَّق اليدوي السريع.

[5]- مصطلح دهن " **مَمزُوجْ** ": بمعنى خلط سموم تلك الجرعة بواسطة اليد البشرية ثمَّ يدهن بها على جسم من عمل له سحر التوكال فتصبح حينها الجرعة عبارة على شكل مرهم تسميمي نسوي بإمتياز يستخدم لتوكال كل الفئات والشرائح الإجتماعية المغدورة.

شخصيًا توكال مباشر حين تطلب المرأة العجوز من أهل العريس تشريب هذا الأخير (كبش العروسة) السكر والحليب، حيث تقوم بهذه الممارسة التوكالية إمرأة كبيرة في السن ذلك بترديدها وتلاوتها لبعض التعاويذ بصوت خافت وغير مسموع، وتظهر هنا ممارسة أخرى على نفس تلك الفريسة المغدورة ألا وهي طقس سحر " صَاقْ " و" قَلْبْ " و" رَّأسْ " تلك الشاة، ويعرف الهدف منها هو إبقاء رأس الزوج مطأطأً تحت سيطرة تلك الزوجة، وأن يعمل على سماع كلامها بالكامل كما فُعل بـ صاق وقلب كبشهما.

فكل محاولات التوكال هنا واحدة ولها تأثيرها الخبيث المعروف عند المجتمع التّبسي؛ الذي عادةً ما يظهر على شكل رموز من خلال الكوابيس التي ترى في الأحلام المتواصلة كـ شكل رمز (فأر)، أو رمز (أكل طعام متَّسخ)، أو (طعام به دود)، أو رؤية المرأة المتسممة بالتوكال أثناء نومها على أنها (حامل) بطفل في بطنها، في حين يقابها رؤية رمز (القيء) وإستفراغ السموم من طرف الشخص المتسمم وهو نائم، يظهر هذا الرمز فعلا ليدل على المعنى الدلالي لعملية الشفاء من الأسقام، ويصبح رؤية تكرار تلك الأحلام عند تناول المصاب لبعض الوصفات التطبي – قرآنية فور مباشرته لعملية الرقية، ومن هنا يعرف على أنها بداية لظهور بوادر الشفاء فيستبشر حينها المتسمم ببداية علاج مباركة ونهاية سُقم أكيدة من وحي الله عزَّ وجل.

وتظهر لنا نتائج البعد (الأنثروبو – رمز – دلالي) لـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة؛ في أن الطقوس التبسيَّة اليومية تنشر السحر بـ السُّم الطبيعي الشعبي، حيث لا تخلوا تلك الطقوس السحرية المنزلية من وصفات السحر بالسموم الطبيعية المتنوعة، فتلك العادات والتقاليد السحرية تعتبر طقوس توكال " حرة " يتم المشاركة فيها علنًا في الأعياد والمناسبات الدينية وفي حفلات الزفاف وحتى في المآتم، فتلك الجرعات تتشارك مع هذه الأخيرة في المقتنيات والمعدات التي توحي جميعها بالموت وهلاك جسد الإنسان اَلْمُوَكلْ.

يظهر لنا طقس تسميمي توارثي يسمى تبسياً؛ بـ " شَاةْ اَلْحَلاَلْ " وهي من الوصفات التَّسميمة المعتمدة في عادات الزواج، أين يخصص لها بالخصوص اليوم الأول من أيام الزفاف الثلاثة، حيث يتم في هذا اليوم إتمام طقوس العبور فيسميه أفراده " يُوْمْ اَلْكَبْشْ "

حين يعطى لهذا الأخير (اَلْكَبْشْ) الحليب والسكر ليشربه مع قراءة بعض " القريات " أي يردد عليه بعض القراءات الشعبذية ثمَّ يذبح بعدها وهو واقف على قدميه، وحسب إعتقادهم أن هذا الفعل التوكالي الذي يفترس هذا الحيوان المسكين هو يترجم بالضرورة دوام " بياض " المعيشة و " حلاوة " الحياة الزوجية و " وقوف " سعد العروسة مثل إنتصاب العمود ممثلةً عكسيا على تلك الشاة، وبالتالي إستمرار هذا السُّم بداية على مستوى جسم الأضحية المسخرة في عقد القران ووصولاً إلى جسم الزَّوج المغدور في النهاية.

حيث لاحظنا أيضا أن شحوم بطنها " شَحْمْة اَلْفَّادْ " تنزع منها وتقلى مع الزيت والسكر فتتناولها الفتيات اللاتي تأخر زواجهن إعتقادًا منهن أنه طقس يجلب النصيب، أما عن طقس " اَلْصَاَقْ " و " اَلْقَلبْ " و " اَلْرَأسْ " تمارس تلك الطقوس كلها في اليوم الموالي " يُوْمْ اَلْرَحْيْ " بمعنى في ذلك اليوم الذي تقرأ فيه الفاتحة يوم عقد قران العروسين، وبعد طهيها في " اَلْقَازَّانْ " ذلك الإناء الكبير الذي يطهى فيه المأكولات في الأفراح والمآتم المعروف لدى عامة الناس، حيث يتم إرجاع كل من الصَّاق والقلب وأخذهما كهدية ليأكل منهما العريس مع أصحابه، وأمَّا الرأس فيطهى بوسخ شعره ودمه في الماء والملح ثمَّ يفصع إلى شطرين إثنين من جهة الفم حيث يفتح بقوة من طرف العروسة بين فتحتي قدميها، حيث تباشر بأكل من لسانه هي أولاَ ثمَّ تقوم بتوزيع البقية على الفتيات اللاتي لم يتزوجن من باب التفاؤل والبشارة، لكن هي في الحقيقة عملية توكالية بإمتياز هي " غير مباشرة " ولكن ضررها لا يحمد عقباه.

الملحق رقم 43: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقوس و مقتنيات " شَاةْ اَلْحَلاَلْ " من الجرعات التَّسميمة المعتمدة تبسيًا والمتوارثة من سحر توكال عادات الزواج

صورة ملتقطة تبين؛ طقس" شاة العروسة " حين يسقى الحليب و السكر مع قراءة بعض التعاويذ السحرية بهدف إتمام جرعة السحر المأكول حيث ترددها " العجوز المسممة " كأم العروس أو أختها الكبرى وتكون القراءة بصوت قليل وفي كثير من الأحيان تكون بصوت غير مسموع

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/04/09. على الساعة؛ 14:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس رأس " الشاة الحلال " يغلى في الماء دون نزع الشعر منه بهدف الممارسة التوكالية الجرعاتية الكاملة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2017/03/12. على الساعة؛ 15:01 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " رأس شاة العروسة " جاهز لـ التسميم بمعتقد جرعة السحر المأكول بعد طهيه في الماء دون ملح قصد جلب الشياطين الخادمة لإتمام هذا الفعل التوكالي

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/07/08. على الساعة؛ 17:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس فتح رأس " شاة الحلال " بيدي العروسة وهي فاتحة لـ قدميها الإثنتين حيث نستخلص الدلالة الرمزية من هذه الممارسة الطقوسية في طقس جرعة السحر المأكول هي بقاء الزوج تحت قدمي الزوجة وإمرتها مدى الحياة حيث لا يستطيع الذهاب والنظر لأي إمرأة أخرى من جنسها

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/04/10. على الساعة؛ 08:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " شحمة الفاد " التي تستخرج من بطن شاة الحلال تقلى مع السكر ثم تتناولها الفتيات العازبات الراغبات في الزواج وهي عبارة عن جرعة سحر مأكول غير مباشرة تكمن دلالتها الرموية في جلب الحظ السعيد والعاجل مباشرة بعد عرس هذه العروس

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/04/09. على الساعة؛ 15:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس جرعة " قلب " و " ساق " شاة العروسة يقدم كهدية ليأكل منه العريس هو لوحده أو مع أصحابه وهو عبارة عن ممارسة طقوسية سحر – توكالية تتجسد دلالتها في المحبَّة من خلال رمز قلب الشاة وفي العلاقة الحميمة القوية من خلال رمز الساق

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/04/10. على الساعة؛ 11:30 د

وتلعب أضحية "عيد الأضحى" دور الطقس الإحتفالي الإسلامي في عادته الطبيعية وكالقربآن يتقرب به إلى الله تعالى في اليوم العاشر من ذي الحجة، والواضح في هذه الضَّحية من أقنعة ومساخر وطقوس سحرية تقام من داخل البيوت بصفاء وحسن نيَّة، في حين نلاحظ الوجه الآخر عند نسوة (مدينة تبسَّة) ما يصنعونه بأجزاء منها بعد إتمام عملية الذبح مباشرةً. فهذه الذبيحة الدامية تدشن دورة طقوسية بتسييح دمها والتبخير بالقليل منه أو شربه قصد الرؤية والتبصير أو يقدم مضاف للوجبة الرئيسية في الخفاء بعد إنتهاك مقدسات تلك المسخرة وبإضافة بعض التعاويذ السحرية عليها، ثم تسلخ وتنزع منها الأحشاء لتستفرد ربَّة البيت بـ " المرارة " أو " القلب " أو " الكتف الأيمن " أو أجزاء من " الرأس " لإعداد جرعاتها التَّسميمية مع وجبة " الكسكس " أو " الشخشوخة " أو "شربة الفريك" ليتناولها زوجها أو أحد من أفراد العائلة يراد منه الطاعة والخضوع

الدائمين، حيث يجدد هذا الفعل السحر – توكالي من كل عام كطقس ضروري يختم من خلاله السنة الماضية، فإذا ما إستعرنا هذا الطقس المدنس المطبق على المقدس من الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية نلاحظ بروز بقايا معتقدات وثنية وإستمرار وجودها إلى وقتنا الحالي وفي هذه الفريضة الدينية بالتحديد على الرغم من عمام التنوير الإسلامي.

الملحق رقم 44: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ ممارسات ومقتنيات جرعات السحر المأكول في طقس " أضحية العيد الكبير " تلك الذَّبيحة المسخرة التي تمارس في الأعياد الدينية الإسلامية

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " الذبح " الذي يستخرج منه دم الأضحية بهدف الإحتفاظ به مجففاً حتى يوضع كجرعة تدريجية في تسميم السحر الحيواني المأكول

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/09. على الساعة؛ 08:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " تسييح الدم " في أركان البيت لجلب بركة الجن و القوى الخارقة للطبيعة التي تساعد على إتمام عملية جرعة السحر المأكول المتوارثة من توكال جدات التباسَّة اليهود

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/08. على الساعة؛ 10:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس" فضلات شاة العيد " قبل ذبحها الذي يمارس طرياً في جرعة السحر المأكول من خلال الأيام الحرم المباركة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/07. على الساعة؛ 18:30 د

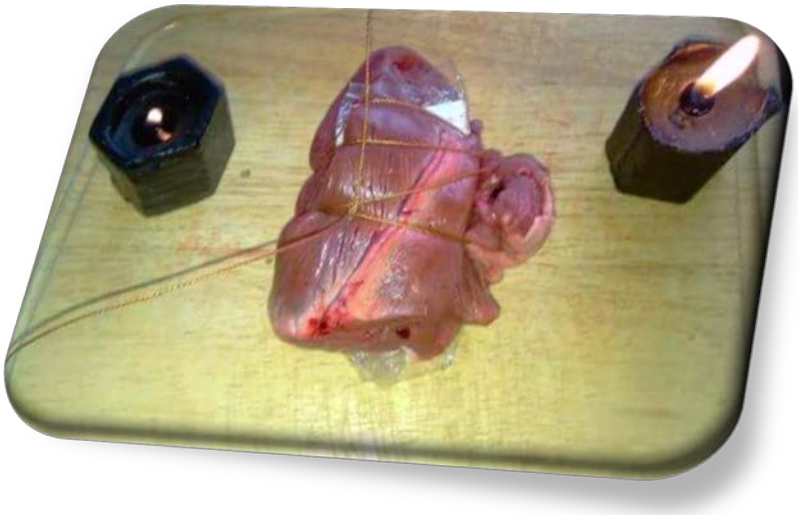

صورة ملتقطة تبين؛ طقس توكالي سحري مورس على قطعة من " لحم أضحية العيد " حيث ربطت عليها عقد سحرية من طرف " ساحر رسمي " الذي إستخدمها في جرعة السحر المأكول الذي يحمل الطابع والأصل الحيواني

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2019/10/10. على الساعة؛ 15:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " ثرث شاة العيد " عبارة عن فضلات تستخرج من أمعائها الداخلية حيث تمارس تلك النجاسات في جرعات السحر المأكول التي ترجع دلالتها الرمزية إلى تنتين المعيشة حتى تأخذ بدورها رائحة تلك البقايا الحيوانية الخطيرة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/09. على الساعة؛ 11:30 د

إن تزايد قلق العائلات التبسيَّة؛ من طفس السحر المأكول الممارس في " الأفراح " و " المآتم " في الواقع هو قلق كبير، حيث نجده في تزايد مع ظهور فوبيا خوف شديدة ومتواصلة إلى يومنا هذا، حيث يحكى أن غالبيتهم سعوا جاهدين إلى الإقلاع عن تلك العادات الطقوسية المرافقة لعملية (الإحتفال) و (الدفن) خاصةً تلك التي تنبع من تقاليد المنطقة وموروثها الثقافي السحري إعتقادًا منهم أن لها " طابع توكالي " باطني خطير، فمن تلك الأعمال السحرية ما يتم تشكيله مسبقًا قبل أيام من إستهداف الشخص المغدور، لحضتها تمر المادة التَّسميمية بعدة طقوس عبور منها: كوضع مقتنيات السحر في (فم ميت) قد توفي حديثًا، ويروى أن الإشراف يكون على أيدي عمال تغسيل الميت وحراس غرفة التبريد داخل المستشفى، وكذلك يجب علينا أن نذكر منها أيضًا تلك الإستغاثة السحرية الإجرامية الممارسة والتي تتمثل في البحث عن جثث (الطيور

الأجنَّة) قبل أن يتم فقصها، فوضع هذا السُّم السحري أمر هين بالنسبة لهؤلاء ومثال على ذلك وضعه في كأس عصير العروسين ليلة حنتهما وقبل ليلة الدخلة بيوم واحد حتى يحصل التنافر والتشتت والجنون المحتمين.

وهنا نلاحظ الكارثة العظمى حين يكون الناس مشغولين في حدث الحزن على الشخص الميت فيقابلها التدبير التَّسميمي من الناحية الأخرى ممن ينتظرون مثل هذه المواقف الحزينة حتى يحققون من خلالها مصالحهم الذاتية عن طريق هذا الممر السحري المميت، ويكون الغرض من هذا الفعل الموت في الدنيا للشخص المستهدف بفعل من البشر وقبل أن يحدث له الإنتقال الحقيقي من الله تعالى، ويفسر نجاح هذا السحر عند إمتزاجه وملامسته مع تلك " المادة السحرية النَّجسة " والتي أفرزها بدن الميت من مكروبات خطيرة تفتك بجسد الضحيَّة مهما كان نوعه.

هذا السحر الجسدي مارسته العائلات التبسيَّة عبر العصور من خلال تواتر ما يرويه العديد من نسوتهن بخصوص طقوس عادة ما يمر بها " الدفن الجنائزي " والتي يرافقها في جميع حلاتها العمل السحري المتوارث من مقتنيات كـ (ببقايا من جسم الميت، وشعره، وماء وصابونة تغسيله، وأطرافه)، فثلا يديه يتم بهما " فتل الكسكس " بمعنى تحريكه بواسطتهما، وننطلق من هنا في محاولة الإقرار للآخر بوضع تعقيب بسيط عن النساء الساحرات في المنطقة ذلك من خلال إعتبارهن على أنهن نسوة من صفاتهن أنهن مضطهدات ومقهورات من علاقات زوجية فاشلة، إعتبارهن من هذه الممارسة أن لهن القدرة على تحريك وإخضاع القدر وإجباره على تحقيق إنتقامهن وأمنياتهن، لأن هذا النوع من الأسحار معبر سريع لترييض الزوج والذكورة المتسلطة التي تتمثل في ممارسة القساوة والتعنيف، حينها يتم تحويل يد هذا الأخير وفعله إلى طائر مطيع عن طريق إحتسائه لجرعة "التَّسميم الشعبي" المباشر ونقله إلى صورة إنسان حنون وعطوف وذليل قد تلاشت منه الرجولة، حيث يصبح مثله مثل ذلك الحيوان الذي لا حول له ولا قوة كما يقال عليه تبسياً (لا يهش لا ينش) وتحل محله المجروحة لتصبح هي صاحبة القرار وتؤسس بفعلتها الشنيعة السيطرة التامة وبالتالي تكون هي الآمرة الناهية.

الملحق رقم 45: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقوس و ممارسات تستخدم في جرعات السحر المأكول التي تعد منزليًا في الأفراح و في المآتم

صورة ملتقطة تبين؛ طقس جرعة " عصيدة صباحية العروسة " يمارس من خلالها إما طقس السحر المأكول الأبيض أو طقس السحر المأكول الأسود بهدف زرع المحبَّة أو بهدف زرع الإنتقام

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/11. على الساعة؛ 10:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس جرعة " حليب الجماعة " بمعنى يوم (عقد القران)؛ والجماعة هم الرجال من أهل العريس الذين سيقومون بقراءة الفاتحة من كتاب الله وسنة رسوله حيث يمارس هذا الفعل التوكالي الأبيض بين العائلتين وتكمن دلالته في المحبَّة بينما رمزه في بياض الحليب الذي يضفي حسب إعتقادهم الراحة النفسية والحياة الزوجية الكريمة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/11. على الساعة؛ 11:05 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقوس جرعة " مائدة النافس " يمارس من خلالها السحر المأكول الذي يتسمم به عن طريق المأكولات الشعبية كـ أكلة " السويكة " و " البركوكش " حين توضع تلك المستحضرات السامة بهدف تسميم الأم النافسة أو بهدف تسميم المباركين لها من هؤلاء الضيوف

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/06/08. على الساعة؛ 22:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقوس جرعة " قاطوا العرس " وهي عبارة عن حلويات تقليدية تصنع بأيدي بعض النسوة ثم يقمن بإعطائها بعد ذلك كهدية للضيوف المباركين حيث يمارس هذا التسميم الشعبي تجاه أشخاص معينيين من أهل العروس أو من أهل العريس

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/07. على الساعة؛ 18:07 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس جرعة " وليمة اللَّمة " يمارس فيها تسميم معتقد السحر المأكول في الأفراح والمناسبات وفي المآتم الشعبية

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/11. على الساعة؛ 15:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس جرعة " طمينة حزام العروسة " وهو اليوم الذي يربط فيه الحزام على خصر العروسة من طرف أهل العريس حيث يمارس تسميم السحر المأكول في هذه الوصفة التقليدية المشكلة من التمر و دقيق المرمز و الحليب

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/12. على الساعة؛ 11:30 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس حقن " فخض شاة " العيد بمادة السحر المأكول في شكل جرعة تسميمية عن طريق دس ذلك السُم بواسطة إبرة طبية ثم يغلف بغلاف من الألمنيوم

صورة ملتقطة تبين؛ عائلات تبسيَّة من أهل العروس المخطوبة يحتجون عبر شبكة الفايسبوك من هذا الطقس السحر – توكالي الخطير

صورة ملتقطة تبين؛ فخض شاة العيد مرمي في مكان المهملات

صور ملتقطة تبين؛ أغلب العائلات التبسيَّة تقوم برمي هذا الفخض في المزبلة بعد الإتيان به كهدية من طرف أهل العريس للعروس المخطوبة المراد توكالها

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/07/21. على الساعة؛ 10:20 د

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " وليمة المسكن الجديد " وهوما يسمى تبسيًا بـ يوم (صبَّان الدَّالة) يمارس من خلاله جرعة السحر المأكول بهدف تسميم أشخاص من الجيران يعرف أنهم معيانين وحاسدين حيث يكمن هذا الفعل السحر – توكالي في زرع المرض في أجساد هؤلاء حتى لا يقومون بإيذاء أهل المسكن الجديد لا بنظراتهم المسمومة ولا بأنفسهم الخبيثة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2019/02/09. على الساعة؛ 12:08 د

إكتسح موضوع السحر بالسُّم غالبية أفراد المجتمع التبسي؛ حتى أصبح حلاً لتزويج (المطلقة والأرملة، إرجاع الهارب عن أهله، الإنتقام، المحبة، الحسد والغبطة، الهلاك، القتل، التمريض...إلخ)، ومن مجمل تلك الأهداف أغراض لا تنتهي...، فعلاً أمر مثير للجدل لأن عواقب هذا النوع من الأسحار وخيمة على بدن الشخص المسحور، فتعمل تلك السموم على إمراضه عقليًا، ونفسيًا، وعضويًا، وإجتماعيا، ناهيك عن القتل السريع أو القتل البطيء الذي يثبت فعليًا مع مرور الزمن. حيث يستخدم فاعليه العديد من الوصفات والعمل على تجريبها إمَّا دفعةً واحدةً أو تصبح طعمًا يؤخذ بالتدريج، ومن تلك

المواد السامة الكثيرة في مدينة تبسة؛ نلاحظ إنتشار قتل (القطط و الكلاب... إلخ) وإستخدام أجزاء تلك الجيفة كمركب رئيسي في الجرعة التوكالية.

الملحق رقم 46: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ قتل " كلب مغدور " بهدف إستخدام أجزاء من جسمه ودمه قصد إتمام جرعة السحر المأكول الحيواني وهي تلك الجرعة المستعجلة والضرورية

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2021/04/20. على الساعة؛ 10:11 د

وبالإضافة إلى (جلد التمساح، دم العصفور، الغراب، السلحفاة، دم الغزال، فضلات بعض الحيوانات وفضلات الإنسان من دم حيض ومني الزوج، اللَّدون، السَّاكتة و المسكوتة، كف الضُّربان، البُكمة...إلخ). وكذلك ترافقها العديد من الطقوس الملازمة لهذه الجريمة الجسدية النكراء في حق الإنسان والحيوان، فهذا الأخير المسكين الذي لم يمنع هو أيضاً من التجريب، بإعتبار أن مادة السحر تعطى له على شكل جرعات ليتناولها أو ليشربها هو أولاً، وفور ملاحظة التأثر والذبول التدريجي عليه شيئًا فشيئًا حينها تنقل مباشرةً المادة السامة لتوضح كطعم للإنسان، وتقام طقوسها في أوقات وأيام معينة عند البعض حين يتم إعدادها في الأعياد الدينية كـ (ليلة السابع والعشرون من رمضان، شهر شعبان، عيد الأضحى، عاشوراء...إلخ) وفي زمن معين مثل الفترة الممتدة

ما بين (العصر) و (المغرب)، ويتم الإحتفاظ بها في البيوت لإستعمالها وقت الحاجة.

حيث تعتمد المرأة التبسيَّة في إعداد جرعات السحر المأكول؛ على طقوس ووسائل يدوية خالصة وضرورية لإكمال العمل السحري من أحجبة، بخور، أعشاب، شفرة حلاقة، موقد ناري، مهراس قرون الشيطان، دم... إلخ، فيصبح الغرض إمَّا بهدف التطبيب والعلاج أو بهدف الشعوذة والدمار، في حين تظهر في الجهة المقابلة طقوس شفوية خالصة كـ الصلاوات، النذر، التمنيات، التعزيم الإستعطافية... إلخ، فندرك أن هناك إرتباطات بين (السُّم) و (النّية) و (العزيمة) بتأثير من الفعل الزمني الذي ينتظره الفاعلين بلهفة من كل عام حتى تتمم تلك الجرعات، ويعد إبتلاع تلك المواد السامة ساري مفعولها سريان مفعول: السُّم للأكل، والبخور للشم، والكحل للعين، والمرهم للدهن، والتعويذة للسمع، وجميع هذه الطرق السحرية تعطي نفس الغرض السحر – توكالي داخل الجسد المعروف من تراث الأجداد حين يظهر المرض ويكون واضح في أعراض ماورائية هالكة للأبدان، هنا تدخل السموم والتعاويذ السحرية عن طريق فعلها السحري بالتدخل في الحتمية الطبيعية لوجوب نجاحها وبقائها، أمَّا الزمن السحري في الأعياد الدينية يجمع في طياته بين العلم والحكمة الإلهية في وجوب الإستجابة، وجميع هذه الخصوصيات السحرية الجسدية تأخذ شكلاً واحدًا أثناء عملية التشكيل والتركيب من داخل المطبخ السحري النّسوي.

خلاصة الفصل:

يعتبر النشاط السحري في الجانب التَّسميمي الجرعاتي أنَّ له خصوصيته الرُّوحية في " شدة الإيمان " به لدى هؤلاء المعتقدون والقائمون بهذا الفعل المخيف، وهنا يكون المشكل في قوة إعتقاد الفاعل في هلاك الضَّحية التي أمام مرآه، لكن في كثير من الأحيان يعتقد هؤلاء أنهم بتلك الشعوذة يقومون بعمل خيّر وتطبيبي وليس فيه أدنى ضرر على الشخص المعطى له. حيث أصبحت قضية السحر بالسُّم تتعب الكثير من الأفراد في مدينة تبسة، أين ساد الرعب والشك حتى في قلوب الأشخاص الذين لديهم حسن نيَّة مثلاً: إعطاء وجبة غذاء للجار، أو شراء فستان، أو مرهم تجميلي وإعطائه كهدية... إلخ، فالوسواس من الأكل والشراب أثناء زيارة الأقارب والأجانب خاصة زمن تناول الطعام هو في الواقع مستمر وكثير. إذنً فالمرأة التبسيَّة (الساحرة) أو المرأة التبسيَّة (الشوافة) أو المرأة التبسيَّة (القزانة) تمارس هذه الأسحار في عقر دارها ولا تحتاج إلى من يرشدها يكفيها فقط أن تدق الوصفة وتشكلها في شكل جرعة مركبة وقوية.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

رقوة الطب الرُّوحاني تنجع في تطبيب مرض السحر المأكول (سحر التوكال) بين الطقس و الأداة

تمهيد الفصل:

- **أولاً: الجذور الأولى لقصة مرض السحر المأكول (سحر التوكال) المعدي و غير المعدي.**
- **ثانياً: تاريخ تطبيب السحر المأكول (سحر التوكال) من الطب السحري إلى الطب الحديث.**
- **ثالثاً: نظرة العلماء الأنثروبو– سوسيولوجية لـ الأرواح الفاضلة غير المؤذية و الأرواح الشريرة المؤذية.**
- **رابعاً: تحضير الأرواح الفاضلة في الإستشفاء بـ (الطب الروحاني) ينهي السحر المأكول في مدينة تبسة.**
- **خامساً: التَّطبيب بـ (الطب الروحاني) التّبسي لـ مرض السحر المأكول يبدأ بالأداتي و ينتهي بالطقوسي.**

خلاصة الفصل:

تمهيد الفصل:

يقع موضوعنا هذا ضمن إهتمام البحوث الأنثروبولوجية بصفة عامة التي تحمل الطابع الوصفي بالتعاون مع الأنثروبولوجيا الطبية التي هي فرع من الأنثروبولوجيا الثقافية والتي تهتم بالمفاهيم البيولوجية للسلوك الإنساني، وبالتحديد الأساليب التي تتم من خلالها عملية التفاعل بين ما هو ثقافي وما هو بيولوجي عبر جميع المراحل التاريخية التي مر بها الإنسان ومعرفة مدى تأثيرها في المرض وفي الصحة. وينصب هدف الدراسة أساسًا في الماضي والحاضر حينما تتجلى لعالمنا الآني هذه المتغيرات التي وضعت تساؤلات كثيرة لا يمكن تجاوزها لأنها أعادت إلى الأذهان الجهود التي بذلها الأنثروبولوجيون المعاصرون في مجال التَّسميمي الشعبذي و التطبيبي السحري، حيث يمكن في هذه الحالة من إخضاع الفلكلور والمناهج الأنثروبولوجية وأساليب البحث الأنثروبولوجي إلى التحرر من قيود المواضيع التقليدية التي عرفت بها الأنثروبولوجيا في بداياتها كعلم متمايز عن علم الإجتماع. ومن هنا سننطلق في بناء مواضيع حديثة كـ موضوع التَّطبيب بـ (الطب الرُّوحاني) الفاضل، حيث نهدف من خلال هذا الفصل إلى تقديم مقاربة أنثروبولوجية حول ثنائية: "الطب الرُّوحاني" وكيفية نجاعه في تطبيب مرض السحر المأكول؛ وبإعتبارهما مقصد إنساني يبدأ الأول منهما بالجانب التَّسميمي وينتهي الآخر بالجانب التَّطبيبي، فسعينا إلى تفكيك مجموعة من الرمزيات والدلالات المعتقدية، التي تتأسس بدايةً من الذكورة والأنوثة بهدف تحقيق الإستشفاء الرُّوحاني المطلوب بين الطقس و الأداة في مدينة تبسة.

أولاً: الجذور الأولى لقصة مرض السحر المأكول (سحر التوكال) المعدي وغير المعدي

إن النظام الصحي الحديث مبني على مفهوم الرعاية، وهذا يعني العناية وعلاج الأطوار الحادة المرتبطة بالأمراض، خاصة في عصر يتميز بشيخوخة الشعوب، إلى جانب تكاثر الأمراض المزمنة، وهذا ما جعلنا نلاحظ أكثر فأكثر تطور توظيف إستراتيجية الرعاية الصحية، كأداة للوقاية من الأمراض ومرافقة للمرضى، وفي هذا السياق؛ يشكل العلاج أو التطبيب عن بعد محورا إستراتيجيا لرفع مستوى الإمداد بالرعاية الصحية، ونشرها من خلال توسيع نطاق الإستفادة منها (الإعلام والتوعية، العناية والمرافقة الصحية) (Lahchem et Kaci, 2020, P 182 – 183).

1- أمراض السحر المأكول (المعدية):

- **مرض السحر المأكول الفيروسي:**

ينظر إلى الأمراض المعدية بأنها إضطرابات تحدث بسبب كائنات صغيرة مثل البكتيريا، أو الفيروسات، أو الفطريات، أو الطفيليات، حيث يعيش عدد من هذه الكائنات التي قد تكون ضارة أو نافعة في الجسم الإنساني أو عليه، والتي في بعض الظروف والحالات قد تسبب بعض الأمراض، والتي قد تكون معدية، فتنتقل من شخص إلى آخر، من خلال المخالطة أو أن يكون ذلك سبب الحشرات أو بعض الحيوانات، أو قد يتسبب تناول طعام أو شراب ملوث أو التعرض لكائنات صغيرة في البيئة ببعض الأمراض.

ومن الأمراض المعدية: الحصبة، وجدري الماء، والتي قد يمكن منعها من خلال التحصينات، بينما تساعد النظافة والطهارة وغسل الأيدي الشامل والمتكرر في الحماية من كثير من الأمراض المعدية (الأحمد، 2020، ص 48).

إن العدوى بالفيروسات عن طريق الغذاء، تكون أساسا مصدرها الإنسان (Human origin)، نتيجة الإنتقال المباشر من المصابين العاملين في مجال الأغذية، أو بطريق غير مباشر نتيجة تناول الأصداف التي تم الحصول عليها من مياه ملوثة بالمجاري (Sewage)، وقد وجد أن الفيروسات الكروية الصغيرة (SRVSS) مثل فيروس (Norwalk) أكثر إنتشارا في حالات الإلتهابات المعوية الفيروسية، وقد تم التعرف على

فيروسات التسممات الغذائية في خلال 10 – 15 سنة الأخيرة.

تعتبر لأغذية البحرية وخاصة الأصداف والرخويات من أهم الأغذية الناقلة للفيروسات المرضية، وخاصة التي يتم صيدها من المياه الملوثة بالمجاري، كما تساهم السلاطانات والأغذية المبردة (Cold Foods) في كثير من حالات التسممات الغذائية الفيروسية.

تسبب بعض أنواع من الفيروسات بعض الإلتهابات المعوية، التي تتشابه مع أعراض التسمم الغذائي، مثل غثيان، قيء، ألم في البطن مع إسهال وحمى، في بعض الأحيان، تنتقل هذه الفيروسات إلى الإنسان عن طريق الأغذية وخاصة الأغذية البحرية، مثل الأصداف ثنائية المصرعين (Oysters, Clams, Mussels). هذه الفيروسات تصل إلى هذه الأغذية نتيجة تلوث المياه بالمواد البرازية، كما أنها غير قادرة على التكاثر في هذه الأغذية، تتراوح فترة الحضانة في هذا النوع من التسمم من 24 – 168 ساعة، وفترة المرض 24 – 72 ساعة (شحاتة، 1999، ص ص 36 – 37).

ومن تلك الفيروسات التي تصيب الإنسان نذكر منها مايلي:

- **جرثومة الزهري أو الحلزوني الأبيض:**

كان القسيسون في القرن السادس عشر ينسبون الزهري – كما نسبوا غيره من الأمراض المعدية الأخرى – إلى غضب الله على الناس لكثرة خطاياهم، وذهب الفلكيون في ذلك العصر إلى أنه يرجع إلى تولد مواد سماوية تنشأ عن إتحاد النجم زحل مع المريخ، ولكن الأطباء ما لبثوا أن أدركوا العلاقة الوثيقة بين هذا المرض وبين المسائل الجنسية، ولما شاهد المتدينون منهم إنتشار العدوى بين القساوسة لا تقل عن إنتشارها بين الأهالي، زعموا أنها بين القساوسة من تلوث الهواء وبين الأهالي من الإختلاط الجنسي، والواقع أننا لا زلنا نسمع مثل هذه الخرافات إلى الآن.

أما الجرثومة المسببة للزهري فقد بقيت غير معروفة إلى عهد قريب، ففي عام 1905 إكتشفها في القرحة الزهرية، طبيب ألماني شاب يدعى " شودن " ثم مات هذا الطبيب بعد ذلك الإكتشاف العظيم بوقت قصير، ولم يبلغ الثلاثين من عمره. والجرثومة من نوع يختلف عن الجراثيم الأخرى إختلافا كبيرا، فهي حلزونية الشكل بيضاء اللون

تسير بحركة تشبه حركة البريمة، وربما كان هذا مما يمكنها من إختراق الجلد دون وجود أي تشقق به، ويساعدها على الحركة شكلها الحلزوني، وبضع شعيرات دقيقة ملتصقة بها لم تُرَ إلا حديثا بواسطة الإلكترون ميكروسكوب الذي أخترع منذ بضع سنوات، والذي أظهر هذه الجرثومة التي لا يزيد طولها عن جزء من مائة من المليمتر، والتي تتكون من خلية واحدة أظهرتها كثعبان طويل مشعب، كأنه مكون من ملايين الخلايا ولا غرابة فبإستطاعة هذه الآلة أن تكبر الأجسام مائة ألف مرة أو أكثر.

ومما يستحق الذكر أن طريقة تشخيص الزهري عرفت قبل إكتشاف الجرثومة، ويرجع الفضل في ذلك إلى " بوردي Borde " البلجيكي ثم " فازرمان Wassermann " الألماني، وقد إستعمل الأخير في تحضير المادة اللازمة للتشخيص خلاصة كبد جنين مات في مثل هذه الحالة يعج باليمكروبات، وقد إتضح فيما بعد أن هذه المادة يمكن تحضيرها من أي عضو آخر خال من الزهري، وإكتشف ذلك عن طريق المصادفة إذ حدث أن أرسل أحد الأطباء مساعده إلى غرفة التشريح ليحضر له كبدا من هذا النوع، فأحضر بالخطأ كبدا عاديا، ولما حضرت الخلاصة منه أتت بنفس النتيجة، وإذ ذاك أسر المساعد إلى رئيسه بما فعل، وأدت هذه المصادفة إلى إكتشاف هام وهو أن خلاصة أي عضو غني بالمواد الدهنية تصلح لهذه التجربة.

وفي عالم الطب كثير من مثل هذه المصادفات التي لا يهيئها القدر إلا لفئة جمعت بين حسن الطالع وقوة الملاحظة والمقدرة على العمل، وقصة البنسلين أكبر شاهد على ذلك فقد إكتشف " فلمنج " العالم الإنجليزي هذا الدواء العجيب عن طريق المصادفة، إذ حدث عام 1928 أن كان هذا الطبيب يجري بعض الأبحاث عن ميكروبات تدعى الكرويات العنقودية، فحضَّر منها مزرعة تصادف أن لوثت بأحد الفطريات النادرة وصلتها من الهواء، ولاحظ أن الميكروبات المجاورة لهذا الفطر لم تنم، وإستنتج بما حباه الله به من قوة الملاحظة أن ذلك ربما رجع إلى أن هذا الفطر يفرز مادة تقتل أو على الأقل تمنع نمو تلك الميكروبات، وقد تحقق ذلك فعلا، ولولا القدر الذي ساق إلى فلمنج تلك الفصيلة النادرة من مئات الفصائل من هذه الفطريات، ولولا قوة الملاحظة التي حباه بها الله لما إكتشف البنسلين.

ذكرنا الدور الهام الذي قام به الزئبق منذ مئات السنين في علاج الزهري، والواقع أن الزئبق من أقدم الكيماويات التي أستعملت في علاج الأمراض الميكروبية، وأكبر الظن أن الفضل في إكتشاف فائدته في علاج الزهري يرجع إلى العامة دون الأطباء، وقد بقى الزئبق – أولا وحده ثم مع الجواياكم – العلاج الوحيد للزهري لبضع مئات من السنين، وهو وإن خفف من شدة المرض لم يكن ليشفيه تماما، وهكذا إستمر الزهري كالكثير من غيره من الأمراض المعدية مرضا عضال، لا يعرف له دواء ناجح حتى عهد قريب إذ قام عالم إسرائيلي أماني يدعى " إيرلش Ehrlich " بتحضير مركب زرنيخي ثبت فائدته في علاج هذا المرض، وإعتبر العالم الطبي عمله هذا من أجل ما عمل في تاريخ الطب الحديث، وكوفيء عليه بمنحه جائزة نوبل للأبحاث الطبية (جوهر، 2021/06/09، 13:30).

- **حمى التيفوئيد:**

مرض شديد العدوى يتوافق حدوثه موافقة طردية مع تلوث الماء والحليب والطعام، وهذا المرض شأنه شأن الكوليرا، من الأمراض المستوطنة في تلك الأقطار من المعمورة التي مازال الوعي الصحي والنظافة والتطبيقات الوقائية الأخرى فيها بدائية إلى درجة مزرية.

- **الكوليرا:**

مرض إنتاني خطير وشديد؛ تشبه أعراضه إلتهاب المعي، وإلتهاب المعدة ويتسم بإضطرابات في التوازن القلوي الحامضي والمائي الإلكتروليني، يطال كل الأعمار، خصوصا الصغار، ينتشر بسبب الظروف الإجتماعية السيئة، عدم كفاية الغذاء، تلوث مياه الشرب ومياه الغسيل، وإنعدام الثقافة الصحية والطبية العامة لدى المواطنين.

- **السل:**

السل هو مرض معد مثل زكام مبتذل ينتشر عن طريق الهواء، وتتم العدوى من طرف الأشخاص ذوي الرئتين المصابتين الذين بإمكانهم نقلها وهذا عند السعال، العطس، الكلام أو البصق، بطرح الجراثيم المسببة للمرض في الهواء والتي تسمى بعصيات السل، بحيث يكفي طرح البعض منها فقط فتتم العدوى.

- **الحمى المتموجة (الحمى المالطية):**

هو مرض معد ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات الأليفة (الماعز، الغنم، البقر، الجمل والخنزير، الحصان، الحمار، الكلاب، الأرنب، العصافير... إلخ)، سمي بالحمى المالطية نظرا لكونه كان منتشرا في جزيرة مالطا التي يتناول سكانها لبن الماعز، يصيب المرض الكبار أكثر من الصغار، يكمن المرض في ظهور التناذر المعدي – التسممي – والذي يطال بشكل رئيسي الجهاز اللمفاوي، الطحال، الكبد ولب العظم ومع ذلك الجهاز الحركي والعصبي التناسلي.

- **شلل الأطفال:**

هو داء فيروسي معد وحاد يصيب الجهاز العصبي ويؤدي إلى شلل الأطفال، تم إكتشافه عام 1840، من قبل طبيب العظام الألماني " هني "، وفي الثمانينيات من القرن التاسع عشر، تمكن طبيب الأعضاء الروسي " كوجفنيكوف " من وضع فرضية النظرية حول الطابع الساري للمرض ووصف أعراضه المرضية مشيرا إلى عوارض إلتهاب السحايا والدماغ، وفي عام 1890، إكتشف الطبيب السويدي " ميدين " وباء شلل الأطفال وأثبت وجود علاقة وبائية بين الحالات المتعددة للمرض، ويعتبر إكتشاف وتحضير اللقاح المضاد للشلل، إنجازا كبيرا وهاما في الكفاح الطبي ضد هذا المرض، وضع الطعم المضاد للشلل العالم " سالك " عام 1954 وسنة 1961، تم تحضير طعم جديد يسمى لقاح سبان.

- **الأنفلونزا:**

مرض فيروسي معد وحاد، يمكن أن يصيب أي جزء من أجزاء الجهاز التنفسي؛ من الأنف والحنجرة غلى الرئتين وكانت تأتي على شكل وباء فتاك وهذا ما حدث في سنة 1918 – 1919، في حين فتكت الأنفلونزا بما يقرب من عشرين مليون من البشر، وسبب هذا الإرتفاع في معدلات الموت هو إصابة المريض بأمراض جرثومية جانبية أخرى، خاصة ذات الرئة، التي لم يوجد حينذالك دواء يقاوم الداء ويشفى منه.

- **الحصبة:**

الحصبة بمثابه مرض معد وحاد، يحصل بشكل دوري غير منتظم، مع إرتفاع في الحرارة ونزلة في المجاري التنفسية وطفح جلدي بثري.

- **السعال الديكي (الشاهوق):**

مرض معد يسبب نزلة في المجاري التنفسية العليا، والسعال الناتج عن المرض متقطع، حاد يسمى أيضا الكحة وينتهي بشهاق، شبيه بصياح الديك، ومن هنا جاءت تسمية هذا الداء بالسعال الديكي، يصيب هذا المرض بشكل رئيسي الأطفال من عمر السنة حتى الست سنوات والمواليد الجدد، لكنه نادرا ما يطال الأطفال فوق العشر سنوات، كذلك من النادر أن يصيب الشاهوق الكبار والمسنين والكهول (بوتفنوشات، 2014، ص ص 180 – 181 – 182).

2-أمراض السحر المأكول (غير المعدية):

- **مرض السحر المأكول الميكروبي:**

- **الأمراض الجلدية:**

✓ **(Dermatomyosite):** هو مرض إلتهابي نادر متكون من إصابة جلدية دائمة ومن إصابة عضلية غير دائمة يخص المهلمن (مكون الهلام وهي مادة بروتينية تنتج الهلام) المتواجد في العضلات وفي الجلد، كثيرا ما تشترك معها إصابة سرطانية إما رئوية أو هضمية إلى جانب إصابة شريانية، فهو مرض يلحق كل الأعمار عادة ما يتكرر ما بين 40 و 60 سنة خاصة عند المرأة. تظهر آلام عضلية مع ضمور عضلي المؤدي إلى عجز الفرد كما تعد إصابة العضلات، البلعوم والمريء إلى جانب عضلات التنفس مؤشر عن خطورة المرض، حيث عادة ما تنتشر مع هذه الإصابة علامات مفصلية قريبة من (Polyarthriterhumatoide).

✓ **(Pemphigus):** هو مرض مناعي جلدي نادر يصيب الجلد أو المخاط مع إصابات من نوع فقاعات أو قشر بحيث يكون التشخيص "النسيجوي Histologique" لا يعرف سببه ويبقى السبب " التعفني Infectieux " هو السيفيليس الخلقي، إلى

جانب السيفيليس الثانوي الذي قد يتسبب في الإصابة بالمرض " Martel ". يبدأ المرض بظهور فقاعات على مستوى المخاط كالفم مثلا ثم يصحب الإنفجار السريع لهذه الفقاعات بتآكل " érosion " مؤلم والذي يجعل عملية الأكل صعبة ثم يتعمم على مستوى الصدر أو جلد الشعر بحيث يصبح التشخيص جليا في هذه المرحلة.

- **الصداف (Psoriasis):**

هو مرض جلدي حمامي – قشري (érythématosquameux) ذو تطور مزمن، يتوزع على جميع الأعمار لدى الجنسين وهو غير معدي عادة ما تكون الإصابات فيه على شكل طفح كلي أو جزئي للغشاء الجلدي (érythrodérmie) والنافطات (Pustules) والتهابات على مستوى المفاصل (بداد، س. ن. غ. م، ص ص 92 – 93).

الملحق رقم 47: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ أعراض " أمراض جلدية " تظهر على جسم الشخص المصاب بـ معتقد تسميم السحر المأكول (سحر التوكال) المكون من السحر النباتي و السحر الحيواني و السحر المعدني و السحر ببقايا جسم الإنسان

صورة ملتقطة تبين؛ مرض " الثعلبة " الذي تسبب في سقوط شعر هذا الرجل حيث يرجع سببه إلى سُم السحر المأكول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/12/18. على الساعة: 10:14 د

صورة ملتقطة تبين؛ مرض عبارة عن " طفح جلدي " يظهر على قدمي فتاة في عقدها الثاني من العمر يرجع سببه إلى سم السحر المأكول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في 2017/02/15. على الساعة؛ 11:10د

صورة ملتقطة تبين؛ مرض " الصدفية " يظهر على يدي إمرأة في سن الخمسين من العمر يرجع سببه إلى سم السحر المأكول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في 2018/04/18. على الساعة؛ 12:13 د

صورة ملتقطة تبين؛ مرض عبارة عن " بقع حمراء " يترجم خروج السموم تحت مسامات الجلد حيث يرجع سببها إلى سم السحر المأكول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في 2020/10/10. على الساعة؛ 15:16 د

صورة ملتقطة تبين؛ مرض يظهر على شكل " إسوداد تحت العينين " ناتج عن تراكم السموم داخل المعدة والأمعاء وبالتالي كان له التأثير الكبير على حاسة الرؤية حيث يرجع سببه إلى سُم السحر المأكول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في 2021/12/14. على الساعة؛ 18:19 د

صورة ملتقطة تبين؛ مرض على شكل " حبوب كبيرة الحجم " تشبه مرض (حب الشباب) تظهر في منطقة الوجه بهدف تشويه المنظر والجمال الخارجي حيث يرجع سببها إلى سم السحر المأكول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في 2020/05/18. على الساعة؛ 10:20د

- **الأمراض الباطنية:**

يشير التَّسمم الغذائي البكتيري بالتوكسين (Bacterial Food Intoxication) إلى الأمراض التي تنتقل عن طريق الغذاء المحتوي على السموم (التوكسينات) التي يفرزها الميكروب أثناء نموه في الغذاء، مثل التسمم البوتشوليني (Botulism) والتسمم العنقودي (Staphylococal Intoxication). وقد يحدث تسمم غذائي نتيجة دخول الميكروب إلى الجسم من خلال تناول أغذية ملوثة، حيث يتأثر العائل بوجود هذه الميكروبات، أو نواتج النشاط الأيضي لها، أو السموم التي تنطلق منها في الأمعاء وتظهر أعراض التسمم، ويعرف هذا النوع من التسمم بالتسمم الغذائي البكتيري بالعدوى (Bacterial Food Infection)، مثل التسمم السالمونيللي والفبريوسي.

ومن الأمور الجديرة بالذكر، أن تقسيم التسمم الغذائي، إلى تسمم غذائي

بالتوكسين، حيث يتم إفراز التوكسين في الغذاء، وتسمم غذائي بالعدوى، حيث يحتوي الغذاء على أعداد كبيرة من الخلايا الحية، غير دقيق. كثير من المكروبات التي تنتمي للتسمم الغذائي بالعدوى، تسبب المرض نتيجة إنطلاق التوكسين بعد التحلل الذاتي (Autolysis) للخلايا بعد موتها في الأمعاء، كما في التسمم بالسالمونيلا (B.cereus)، أو إفراز التوكسين أثناء التجرثم في الأمعاء مثل (Cl.perfringens). كما يعتقد البعض أن قدرة السالمونيلا على إحداث المرض تعزى إلى توكسين معوي (Enterotoxin)، ربما توكسين خلوي (Cytotoxin)، لذلك فإن هذه المسميات يجب التعامل معها بحذر شديد.

الملحق رقم 48: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ تصوير تلفزيوني يبين نجاسة سم السحر المأكول المستقرة داخل المعدة حيث يشخصها أصحاب " الطب الحديث " على أنها مرض خطير يحتمل أن يكون سرطان في المعدة، بينما يشخصها أصحاب " الطب الرُّوحاني " الفاضل على أنها عبارة عن جرثومة معدة مكونة من مخلفات سموم سحر التوكال حيث بقيت مستقرة في (بيت الداء) وإستمرت لسنوات كثيرة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في 1820/02/17. على الساعة؛ 12:11د

تعتبر " الأمراض الباطنية " الناتجة عن الغذاء تنشأعادةً من تناول الغذاء الملوث بأحد المسببات المسؤولة عن هذه الأمراض. ولحدوث هذه الأمراض فإنه يجب أن تمر

خلال مراحله المختلفة من سلسلة العدوى (Infection chain)، والتي تشمل ما يلي:

- ✓ يجب أن يوجد الميكروب المسبب في البيئة، التي يتم فيها إنتاج وتصنيع أو تحضير الغذاء.
- ✓ يجب أن يكون للمسبب المرضي مصدر أو مأوى (مستودع).
- ✓ يجب أن يتم نقل مسبب المرض من المصدر إلى الغذاء.
- ✓ يجب أن يكون الغذاء الملوث قادرا على مساندة نمو الميكروب الملوث.
- ✓ يجب أن يظل الغذاء الملوث تحت ظروف، مثل (PH) ودرجة حرارة، مناسبة لنمو الميكروب ليصل إلى أعداد كافية لظهور أعراض المرض.
- ✓ يجب أن تكون كمية الغذاء المتناولة تحتوي على أعداد كافية من الميكروب أو كمية كافية من السم لحدوث المرض.

وقد وجد أن بكتريا (Campylobacter) تسبب كثير من حالات التسمم الغذائي في الدول المتقدمة، هذه الميكروبات مسؤولة أيضا عن الإلتهابات المعوية (Enteritis) في الأطفال والبالغين، التي قد تكون أو لا تكون مرتبطة بالغذاء، من ناحية أخرى فإن عدوى (Camplylobacter) شائعة بدرجة كبيرة في الأطفال الصغار، بعدها يكتسب الطفل مناعة (Immunity). لذلك فإنه من غير المحتمل أن يكون الأطفال الأكبر سناً والبالغين يكونوا قابلين للعدوى بالتسمم الغذائي بواسطة (Camplobacter) عبارة عن حالات وبائية محدودة متفرقة.

التسمم الغذائي العنقودي (Staphylococcal Food Poisoning) شائع الحدوث في الدول النامية والمتقدمة. تلوث الأغذية بالميكروب المسبب (S.aureus) واسع الإنتشار، خاصة في المناطق التي يتعامل فيها الإنسان مع الأغذية المطهية، خاصة إذا كانت هذه الأغذية قد حفظت بطريقة غير سليمة بعد التداول.

كما يعتقد أن التسمم البوتشوليني الناتج من (Clostridium botulinum) أقل حدوثا في الدول المتقدمة، بالرغم من أن هذا التسمم أكثر شيوعا في بعض مناطق من العالم مثل آلاسكا والصين، حيث مازالت الأغذية المتخمرة التقليدية تتناول على نطاق واسع، وعدم توفر الظروف الصحية المناسبة لمنه التلوث بهذا الميكروب.

تدل إحصائيات مراكز مكافحة الأمراض الفيدرالية (CDC) في الولايات المتحدة الأمريكية أن عدد حالات السالمونيلا قد تضاعفت خلال 16 سنة الأخيرة، حيث زادت من 20000 إلى 40000 حالة سنويا، بينما كانت تقديرات إدارة الأغذية والأدوية الأمريكية (FDA) أعلى من ذلك بكثير حيث وصلت هذه التقديرات إلى 2 – 4 مليون سنويا، كما أن هناك تقارير أخرى تشير إلى أن عدد الحالات قد وصلت إلى 6 – 30 مليون حالة سنويا، كما أشارت التقارير إلى أن الأمراض الميكروبية الناتجة عن ميكروبات أخرى قد زادت أيضا، وأن حوالي ثلث إلى نصف حالات الإسهال في الولايات المتحدة ترجع إلى الأغذية الملوثة. وقد وجد أن أكبر حالة تسمم يالشيجيلا (Shigellosis) في الولايات المتحدة قد حدثت في ولاية تكساس، كما حدثت في شيكاغو في عام 1985 أكبر حالة تسمم بالسالمونيلا نتيجة تناول لبن، حيث أصيب 18500 فرد.

تختلف أعراض الأمراض الناتجة عن الغذاء من أعراض خفيفة إلى شديدة، وقد تحدث الوفاة في بعض الحالات، قد يستوطن الميكروب في الأمعاء في بعض الحالات ولكن لا يسبب أعراضا مرضية، الأفراد الذين لا يظهر عليهم أعراض مرضية؛ يستطيعون نقل العدوى، يختلف الأفراد في درجة حساسيتهم لأنواع الميكروبات المرضية المختلفة، وبالتالي تختلف أعداد الميكروبات (الجرعة) التي تسبب المرض طبقا لنوع الميكروب، كثير من الميكروبات تحتاج إلى أعداد لا تقل عن 10000 ميكروب، وأحيانا تصل هذه الأعداد إلى مليون قبل ظهور أعراض المرض، من ناحية أخرى قد يحتاج البعض إلى أعداد قليلة من الميكروبات، على سبيل المثال، يحتاج الأمر إلى 100000 من السالمونيلا لإحداث المرض، بينما تكون الأعداد قليلة تصل إلى 10 ميكروبات من الشجيلا، بالنسبة لإنتاج التوكسينات العنقودية، فإن ذلك يحتاج إلى 500000 ميكروب لإنتاج الجرعة المؤثرة من التوكسينات التي تسبب ظهور أعراض المرض، وعموما فإن جدول (3 – 1) يبين بعض الأنواع المختلفة التسممات الغذائية، من حيث الميكروب المسبب وكيفية حدوث المرض وفترة كل من الحضانة والمرض (شحاتة، 1999، ص ص 28 – 29 – 31 – 32 – 34).

إن التحليل الديموغرافي المبني على بعض المؤشرات الديمغرافية الهامة كالوفيات، أمل البقاء على قيد الحياة، للأمراض عامة والواقع الخاص بالإنتقال الإبيدميولوجي من الأمراض المتنقلة إلى الأمراض غير المتنقلة، أوضح لنا أن هناك (Une transition épidémiologique avancée Presque partout) حيث أن الأمراض المتنقلة إختفت معظمها في كثير من المجتمعات المتقدمة كالمجتمعات الغربية، ولازالت تعاني منها بعض المجتمعات التي تعيش الظروف المؤهبة للإصابة بها كالمجتمعات الإفريقية، وتعيشها أخرى بشكل إزدواجي مع أمراض العصر غير المتنقلة.

والأهم من هذا وذاك أن الوضع الصحي السائد اليوم والذي يشهد أمراض إتهمت بأنها عصرية وأصبحت فعليا تحتل المراتب الأولى كمسببات للوفاة كما هو الحال بالنسبة لأمراض القلب، الضغط الدموي والسكري... إلخ، تختلف من حيث أسباب الإصابة بها مع الأمراض المتنقلة كالملاريا والسيدا... إلخ، بعتبار هاتين الأخيرتين لهما مسببات ذات خصوصية العدوى أو الإنتقال، ومرتبطة بالظروف البيئية الملوثة، أما الأمراض العصرية غير المتنقلة فهي أمراض يمكن توقيعها أكثر من غيرها، بإعتبارها تأثرت إلى حد كبير بعمليات التغير الإجتماعي والتحديث وكل منه له شأنه التقليل من النشاط البدني وتكريس العادات الغذائية الضارة والضغوظ النفسية والإجتماعية وقلة الوعي الصحي الوقائي بصفة عامة (طويل، 2019، ص 143).

- **مرض السحر المأكول الروحي:**

- **المرض العصبي (الصرع):**

يتميز مرض الصرع؛ بموروث لا يستهان به في مجال التصور والماهية إذا تحدثنا عن تفسيراته المتعلقة بالجانب الروحي؛ حيث أن أول إعتقاد سائد عنه يجسد ربطه بعالم الجن والغيبيات؛ وهذا الإدراك ليس حكرا على المجتمعات المسلمة بل يعود إلى آلاف السنين أين نسب هذا المرض إلى القوى ما فوق الطبيعة؛ بل وصل الأمر إلى الإعتقاد بأنه نتيجة لتفقد الآلهة؛ وإمتدت هذه التمثلات من الإنسان البدائي إلى غاية العصر الذي عاش فيه الطبيب اليوناني " أبو قراط " المدعو بـ " أب الطب " في القرن الخامس قبل الميلاد؛ فقد كان أول من أزال عنه الصبغة الروحانية وفسره بالجانب العصبي وأقر بأنه

إنعكاس لخلل على مستوى النشاط الكهربائي لخلايا الدماغ؛ ومع أن ما قدمه أبو قراط قد أزال اللبس والغموض عن مرض الصرع ومهد للعديد من البحوث الطبية في نفس المجال سواء من طرف الأطباء اليونانيين من مثل " جالينوس " أو العرب المسلمين كـ " إبن سينا " و " الرازي "؛ إلا أنه ما لبثت أن عادت التفسيرات الميتافيزيقية وبشدة خاصة بأقوال الحضارتين الإغريقية والعربية؛ وبقي الحال على ما هو عليه إلى أن حدد رسميا في قائمة الأمراض العصبية في نهاية القرن 19.

- **المرض العقلي (الفصام):**

ومرض الفصام؛ ليس ببعيد عن ما تميز به مرض الصرع من تأويلات على الرغم من أن لوائحهما الإكلينيكية تختلف تماما كون الأول مرض عصبي والثاني مرض عقلي؛ ففي أوربا مثلا – وخاصة في العصور الوسطى كان ينتظر للمريض العقلي على أنه ذو صلة بالأرواح الشريرة ووصل الأمر إلى قتل المرضى العقليين لتخليص المجتمع منهم. أما عن رحلة العلاج؛ فقد مرت من الإعتماد على التكهن والسحر والإعتقاد في الأرواح الشريرة إلى إستعمال الأعشاب الطبيعية؛ حتى وصل مجال المرض إلى مستويات متقدمة بفعل التطور العلمي الهائل الذي حققه ميدان الطب، غير أن هذا الأخير لم يكن في وقت من الأوقات خالصا من رواسب ما يسمى بالطب الشعبي الذي ما زال حاضرا ويفرض نفسه في ذهنية وسلوكيات أغلبية الجماعات وهذا أساس ما تهتم به الأنثروبولوجيا الطبية التي تركز على التفاعلات التي تفرزها العلاقة العلاجية سواء التقليدية أو الطبية الرسمية بين المريض والمعالج، فهي تتجاوز جسم المريض إلى جل الأبعاد النفسية الإجتماعية والثقافية، ومن جانب آخر تبحث في سيرورة العلاجات التقليدية ومدى إستمرارها ونوعية التغيرات التي طرأت عليها.

إن مرض الصرع بإعتباره من بين أكثر الأمراض العصبية إنتشارا وإثارة للدهشة والغرابة وعدم الفهم من طرف أفراد المجتمع، والفصام كونه من أهم الإضطرابات العقلية التي تواجهها كل من العائلة والمحيط الكثير من الريبة، وبالتالي تحيطه بالوصم الإجتماعي، هذين المرضين؛ وعلى الرغم من الإختلافات الواضحة في مجال الطب السريري بين أعراضهما وأساليب علاجهما، إلا أن المخيال الشعبي غالبا ما نجده يصنفها

في مجال تفسيري واحد لا يعدو أن يخرج من إطار الأمراض الروحية التي تعزى إلى تلبس الجن بالإنس أو إلى السحر خاصة السحر الأسود، كما نجد معظم العائلات تبرر إصابة أبنائها بهكذا أمراض بالعين الحاسدة أو سخط الأرواح والأسلاف أو ما يسمى في الثقافة المحلية بـ " دعوة الشر " ليبحثوا عن الجواب الشافي لتساؤلاتهم حول هذه التظاهرات المرضية وسيميائيتها لدى المطببين الشعبيين خاصة في بدايات المرض الأولى. وتستمر بالعلاج على هذه الشاكلة لأشهر وقد تمتد الفترة إلى عدة سنوات قبل التردد على مصادر الطب الرسمي، إذ أنه قلما نجد إقبالا على هذه الأخيرة كأول رد فعل علاجي مما ينعكس لا محال على واقع ومعاش الحالات، وبناء على ما سبق لنا أن نتساءل عن مدى وجود إختلافات على مستوى طقوس الشفاء بين كل من الرقية بالطب الروحاني للتكفل بحالات الصرع والفصام (بغالية كحيل و ميموني، 2021/06/05، ص 45 – 46 – 47).

ثانياً: تاريخ تطبيب السحر المأكول (سحر التوكال) من الطب السحري إلى الطب الحديث

1-السحر – الطب البدائي:

كان الإنسان، ولا يزال يعتقد في الطب والتطبيب، إلا أن الإنسان ما قبل التاريخ لم يكن يفصل بين الطب والسحر وكان هذا الخلط متمشيا مع معتقداته عن سبب الأمراض وهو أن أرواحا شريرة تدخل الجسم ويكون علاجها بالتالي، هو طردها من الجسم عن طريق السحر... وكان الإنسان أيضا منذ قديم الزمن، دائم الإهتمام بمعرفة أسرار جسمه ودخائله ووظائف أعضائه المختلفة إلا أنه كان يحيط ذلك كله بهالة قدسية مبهمة أما سر إهتمام الإنسان الأول بالتطبيب فراجع إلى قدم معرفته بالمرض، إذ وجد الميكروبات في العصر الفحمي الذي يقدر بعض الثقات عمره بمائة وثمانين مليون سنة، ومن الأدلة المرضية في هذه العصور السحيقة أن أول أشكال الإنسان، المعروف " بإنسان جاوه "؛ كان بعظمة فخذه ورم من نوع الأورام العظيمة التي يعرفها أطباؤنا اليوم... وحتى حيوانات ما قبل التاريخ لم تسلم من الأمراض، وهناك من الأدلة المادية ما يشير إلى إصابتها بأمراض روماتزمية وإلتهاب في العظام وتسوس في الأسنان.

وقد ظهرت بعض أنواع العلاج البدائي بعد ذلك بسنوات عديدة، منذ إثني عشر أو أربعة عشر عام عند بدء ظهور الإنسان في أوربا؛ فقد وجدت بعض الجماجم في هذا العصر وبها ثقوب مما يعرف في عصرنا الحاضر بعملية " تربنه " أو " ثقب الدماغ " بل وجدت بعض هذه الثقوب مستديرة الحافة ناعمتها، مما يدل على أن صاحبها عاش بعد إجراء هذه " الجراحة " وقتا كافيا لشفائه منها. ولوجود هذه " العملية " دلالتان:

- الدلالة الأولى: أن إنسان العصر الحجري (6000 – 4000 ق. م) صنع أسلحة من حجر الصوان وعرف كيف يستعمل هذه الأسلحة في إجراء هذه الثقوب.
- الدلالة الثانية: فهي أن هذه " الجراحة " لم تعمل لأغراض شبيهة بما تعمل له في الوقت الحاضر، وإنما عملت هذه الثقوب لطرد الأوراح الشريرة التي تسبب المرض.

ويأتينا التاريخ أيضا بأدلة مادية على وجود الأمراض السائدة بيننا الآن في تلك العصور الغابرة. فقد وجد هيكل عظمي في مقبرة من العصر الحجري في بلدة هيدلبرج به علامات تدرن في العظام أصابت العمود الفقري وهناك بعض الأدلة أيضا على حدوث الأمراض الروماتزمية، وتسويس الأسنان وكذلك الأمراض التي تسببها الميكروبات.

2-تطبيب الشعوب البدائية الموجودة في العصر الحاضر:

لا شك أن الإنسان الأول كان على جانب كبير من الذكاء... فهذه الآلات الجميلة التي صنعها من الحجر وتلك الرسوم الفنية التي وجدت في الكهوف وكذا المصنوعات المختلفة من الخشب والعظم والعاج... كلها دليل ذكائه ومهارته... ولابد أنه إستغل ذكاءه هذا بشكل من الأشكال في التطبيب، ولكن يعوزنا الدليل المباشر على طريقة التطبيب عند الإنسان الأول، إلا أنه من الممكن الإستدلال على هذه الطرق بدراسة التطبيب عند الإنسان البدائي في العصر الحاضر، كما هو حاصل في أستراليا مثلا، وفي بعض مناطق غينيا الجديدة وكذلك سكان الغابات في جنوب أفريقيا...

وطريقة ممارسة الطب عند هؤلاء القوم لا زالت تدور حول السحر ويقوم ساحر القبيلة مقام الطبيب ويخشاه الجميع إلا أنهم يحترمونه ويثقون به ويعزو هذا الإنسان البدائي سبب المرض إلى سحر أعده له أحد أعدائه، وعلى المريض أن يتلمس العلاج

عند هذا الساحر، وهو قادر بسحره على فساد السحر الذي " عمل " للمريض، وبالتالي هو قادر على شفائه وبالفعل يتم الشفاء في كثير من الأحيان، وربما كان ذلك نتيجة للأيمان الشديد بالساحر وقدرته... وفي بعض الأحيان ينام المريض مستسلما فاقد الأمل في الشفاء إذا إعتقد أن مرضه هذا فتاك لا ينفع فيه علاج أو إذا رفض الساحر علاجه، وهذا وحده نذير بالشؤم وسوء العاقبة والسحر إذن هو الوسيلة الأولى للتطبيب عند الإنسان البدائي منذ مئات الآلاف من السنين عند الإنسان الأول.

غير أن هناك وسيلة أخرى للعلاج يستعملها الإنسان البدائي، وهي الأعشاب والعلاجات المنزلية وقد إتضح فيما بعد أن لبعض هذه الأعشاب فائدة طبية، بل أن بعض المثقفين المعاصرين مازال يعتقد بفائدة علاج معين، كل ما عرف عنه أنه مركب من أعشاب سرية، كان يستعملها الأولون ومن ذلك نرى أن ممارسة الطب والسحر معا بدأت في العصور الأولى ولا يعني هذا أننا نحقر شأن الأقدمين لخلطهم بين السحر والطب إذ أنهما تداخلا تداخلا كبيرا في كافة العصور، بل أن هذا التداخل لا زال قائما في العصر الحديث، فلا يزال هناك أدعياء الطب، والدجالون والمعالجون بالإيحاء، بل ما زالت " زجاجة الدواء " محطة ثقة الكثيرين من المرضى ومخرجا للكثيرين من الأطباء.

3-الشرق القديم مهد الحضارة الطبية:

- **الطب في سومر و بابل:**

أغلب الظن أنه في هذه الحقبة من الزمن – أي حوالي 5000 سنة ق. م – كان السومريون الأوائل يقطنون بابل، وكانت لهم هناك مدينة عظيمة، حتى إن بعض الثقات من المؤرخين ذكروا أنه إذا خير الإنسان الحديث فإنه يفضل الإقامة في بابل القديمة عنها أوربا في العصر المتوسط أو في إنجلترا في العصر البرونزي، حيث كان الناس يعيشون في كهوف من الطين وكان آية المدينة في بابل التقدم في فن المعمار، فقد عثر الباحثون على أبنية ومعابد بل ودورات للمياه صحية مزودة بالمجاري ومن المرجح أن هذه العناية بالشؤون الصحية، كانت مبنية على أساس من العلم بالأمراض وأسبابها.

أما الطب فكان معترفا به كمهنة؛ وكان هناك أطباء عثر على خاتم أحدهم ضمن آثار مدينة لاجاس، ومع أن الطب في هذا العصر كان لا يزال مختلطا بالسحر وبالدين،

إلا أن هناك من الأدلة ما يشير إلى معرفة هؤلاء الأطباء لبعض العقاقير والأعشاب، ومنها ما هو معروف، بل ويستعمل في وقتنا الحاضر مثل المر واللودونيا.

وثمَّ دليل آخر على تقدم الطب في هذا العصر، والإهتمام بأمر المهنة وتنظيمها، ذلك القانون الذي سنه " حامورابي " – مشروع ذلك العصر – ونص فيه على واجبات الطبيب وحقوقه، بل حدد الأجور التي يتقاضاها من مرضاه... وما زال هذا القانون الشهير – وكان محفورا على الحجر – محفوظا في متحف اللوفر في باريس، ويحسن بنا أن نورد هنا فترة من هذا القانون، لنرى مدى ما بلغته هذه المهنة من تنظيم.

" إذا عالج الطبيب جرحا خطيرا بسلاح من البرونز وأنقذ حياة المريض، أو إذا فتح " خراجا " في العين بسلاح البرونز وأنقذ العين فله أن يتقاضى أجرا عن ذلك مقداره عشر " شكلات " من الفضة – وهي ما يوازي خمسة جنيهات – وإذا كان المريض عبدا فعلى صاحبه أن يدفع للطبيب شكلين من الفضة... وإذا رد الطبيب عظمة مكسورة أو شفي المريض من عامة الشعب فيدفع ثلاث شكلات فقط.

ومن الطريف أن القانون يقضي بمعاقبة الطبيب بقطع يده، إذا شاء سوء حظه إلا تشفي عين المريض ويتلف بصره، وتخف العقوبة إذا كان المريض عبدا، فيكتفي بأن يعوض سيده بعبد سواه.

- **الطب في آشور:**

يرجع الفضل في تسجيل المعلومات الطبية التي إزدهرت، وتقدمت في عهد بابل المملك آشور بانيبال، الذي حكم آشور من عام 628 إلى 668 ق. م وعرف بتشجيعه للعلوم – أمر هذا الملك بنقش تلك المعلومات على ألواح من الطين وقد عثر على عدد ضخم منها، بلغ إثني عشر ألفا عندما إكتشفت مدينة " نينوى Nineveh " في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ويوجد ضمن هذه المجموعة 660 لوحا تحتوي معلومات طبية – وهي محفوظة حاليا في المتحف البريطاني بلندن – والعمليات الواردة في هذه الألواح تشير إلى تقدم الطب في عهد بابل وتشير أيضا إلى نظرية هذا العصر في سبب الأمراض، وهي تسلل شياطين خفيفة إلى جسم الإنسان، ولذا كان السحر ضمن العلاجات المعترف بها لطرد هذه الشياطين.

إلا أنهم إستعملوا بجانب ذلك – كما سبقت الإشارة إليه – بعض الأعشاب والأدوية التي إتضحت فائدتها في العصر الحديث ومن أمثلة هذا الخلط بين السحر والدواء، إن بعض ما كان يوصف للمريض يحتوي على مواد كيماوية، وأعشاب مخلوطة بأشياء غريبة، أو مواد كريهة، قصد بها طرد الأرواح الشريرة التي تسبب المرض، ومن هذه الوصفات " خلط الكريز والأنتيمون مع مسحوق حذاء قديم، وكانت الأمراض الجلدية منتشرة أيضا في هذا العصر، إلا أنه من الغريب أنها كانت تعالج بالكبريت، وهو علاج يستعمل إلى وقتنا هذا... وإشتملت هذه المكتبة الطبية أيضا على علاج الآلام في الأسنان ولأمراض التنفس ولعسر الهضم... وفي هذه الحالة الأخيرة كان يوصف الإمتناع عن الطعام لفترة معينة، مع أخذ الزيوت الطيارة، ولهذا أيضا يتفق مع الإتجاهات الحديثة في العلاج وعرف الآشوريون أيضا الحقن الشرجية " وللبخ " والأربطة " واللزقات " وكانت الأخيرة تستعمل لعلاج آلام الظهر.

ولعله من الطريف – في ختام هذه اللمحة عن الطب في آشور – أن ننقل إلى القاريء خطابا موجها إلى الملك " ازارهادون Esarhadan " من طبيبه يرشده إلى الواجب عمله بخصوص " دمل ظهر في وجه الملك... " يجب أن يلزم الراحة التامة، ويضع المرهم على الذقن... وأنبه سيدي الملك إلى ضرورة غسل يديه بالماء النقي بعد ذلك ولا بأس عليك يا مولاي فإن " الدمل " بهذا العلاج لا يلبث أن يزول ".

وإذا تأملنا هذا الرد وجدناه يشمل بعض النقط الهامة المتبعة في فن العلاج الحديث، فالراحة التامة من أسباب سرعة الشفاء، وغسل اليدين يمنع إنتقال عدوى الدمل من جزء إلى آخر من أجزاء الجسم، ثم هو يطمئن الملك إلى أن البثور لا تلبث أن تزول ولا شك أن لهذا أثرا نفسيا حميدا يساعد على الشفاء...

- **الطب في مصر في العصور القديمة:**

عند حديثنا عن السومريين وملوك بابل وآشور، كنا نشير إلى ثقافة بدأت منذ أربعة آلاف سنة ق. م أي منذ آلاف عام مضت وكانت نهاية هذه الثقافة لبضع مئات من السنين قبل ميلاد المسيح، ونذكر الآن أن الثقافة المصرية القديمة كانت أكثر تقدما من ثقافة ما بين النهرين إذ أن الممالك قامت في مصر قبل عام 4000 ق. م.

ورغم أن آشور بانيبال وغيره من الآشوريين، هزموا مصر حتى القرن السابع ق. م، إلا أن المدينة المصرية في إزدهارها، كانت أكثر تفوقا عن مدينة قاهريها، بل وكل منافسيها الأقدمين ولم يكن مستغربا إذن أن تقدم مصر في هذه العصور الكثير في ميدان الطب، فقد ظهر في هذا العصر السحيق شخصية فذة أشتهرت بأول طبيب في التاريخ، هي شخصية " أمحتب " الذي عرب بإسم " آله الطب " ويرجع تاريخ أمحتب إلى حوالي 2500 ق. م، كان مهندسا فذا يشهد بذلك " هرم زوسر " المدرج الذي بناه، وكان الطبيب الخاص للملك زوسر، ويظهر أن شهرته كطبيب فاقت شهرته كمشيد للأهرام.

وكان للفراعنة الآخرين أطباء عرفت أسماؤهم، إلا أن المجال لا يتسع لسردها لاسيما وأن ما يهمنا في هذا المجال هو تتبع تطور الطب خلال حقبة من الزمن تزيد على 3000 عام: ففي المملكة القديمة والمتوسطة إلى عام 1580 ق. م كانت توجد معلومات طبية ذات طابع علمي، ولو أن فكرة طرد شيطان المريض ظلت مسيطرة كما كانت في بلاد ما بين النهرين، ولذا كانت الصلة وثيقة بين الطبيب والكاهن إلا أن هذه الصبغة العلمية زالت، وعاد التطبيب إلى السحر في عهد المملكة الجديدة بعد عام 1580 ق. م وفي عهد الإمبراطوريات التي تلتها، وتقوضت حوالي عام 1090 ق. م.

أما فيما يخص تنوع الأمراض الشائعة في مصر في هذا العصر، فإن الأدلة التي حصلنا عليها من الموميات أو من المخطوطات المختلفة، تدلنا على أن المصريين في هذا العصر قاسوا الكثير من الأمراض، كما نقاسي نحن الآن في القرن العشرين؛ فقد عرفوا تصلب الشرايين، والدرن وإلتهاب المفاصل، وأنواع الروماتزم، وأمراض الأسنان ويجدر بالذكر في هذا الصدد أن أمراض الأسنان، كانت أكثر تفشيا بين الأغنياء إلا أنه يثبت بالدليل أن المصريين القدماء وصفوا علاجات خاصة للأسنان وقد عاصر هذا التاريخ طب الآشوريين ألا أن قدماء المصريين إستعملوا أوراق البردي لتسجيل المعلومات الطبية، بدلا من قوالب الطين التي إستعملها الآشوريين، ولدينا من الأدلة ما يكفي لأن نعرف أن المجموعات الخمس الرئيسية من الكتب الطبية عند قدماء المصريين، كانت تحوي القواعد الهامة للطب.

وكان الطب في مصر كما كان في آشور، ممتزجا بالسحر كما قدمنا، إلا أن أحد المخطوطات البردية – المعروفة ببردي أدوين سميث – (نسبة إلى مكتشفها) ويرجع عهدها إلى عام 1600 ق. م – قلما تشمل شيئا من السحر، وربما كان ذلك لأنها تبحث أساسا في الجروح والإصابات لا في الأمراض، إلا أن أطول وأهم المخطوطات المصرية القديمة – (وهو بردي إيبر) أي (نسبة إلى مكتشفها أيضا) ويرجع تاريخها إلى حوالي عام 1500 ق. م، وتشمل مجموعة من الوصفات للعلل والأمراض المختلفة بما في ذلك أسماء الأدوية وكمياتها وطرق تعاطيها، بلغت 875 وصفة علاجية... وقد علق أحد الثقات في تاريخ الطب المصري عليها، بأنها " تشير إلى تقدم كبير في الملاحظة العلمية وفن العلاج " ونورد على سبيل المثال واحدا من هذه الوصفات؛ ليعطينا فكرة عن طريقة كتابتهم وتفكيرهم في هذا العصر... إذ كانت تبدأ بوصف أعراض المرض ثم بالتشخيص ثم العلاج.

" إذا دعيت لعلاج مريض بالإنسداد وإذا كان يشعر بثقل بعد الأكل، وإذا كانت معدته ملأى بالريح، وإذا أتعبه قلبه أثناء المشي كتعب المريض بشق في الشرج، إفحصه راقدا على ظهره وإذا وجدت معدته ساخنة، وإنسدادا في أمعائه، فقل عنده مرض في الكبد... وأعطه العلاج السري من الأعشاب التي يجب أن يمزجها الطبيب بنفسه.

أمزج الجوز والبلح، وانقع الخليط في الماء ليشرب منه المريض كل صباح، مدة أربعة أيام متتالية، فإن ذلك يساعد على تفريغ المعدة وراحتها.

وإذا وجدت بعد ذلك – بفحص المريض – أن جانبه الأيمن دافيء، بينما الأيسر بارد، فإن ذلك يدل على أن العصارات الداخلية في الجسم تحارب الشر التي يتلفها، وإذا وجدت بعد ذلك عند فحصه ثانيا، أن المعدة سليمة، فاعلم أن كبده قد شفي، وأصبح نظيفا وأفاد فيه العلاج " ومما هو جدير بالذكر، أن بعض العقاقير التي إستعملها قدماء المصريين مازال مستعملا في العلاج في وقتنا الحاضر، بل هي مذكورة في دساتير الأدوية الرسمية في القرن العشرين، فقد استعمل قدماء المصريين الصبر والكراوية، والمر، والتربنتينا، وإستعملوا زيت الخروع ليحدث الإسهال وإستعملوه أيضا كدهان للجلد ولفروة الرأس.

وبرغم هذا التقدم الظاهر في العلاج، لم تخل الوصفات العلاجية لقدماء المصريين من أثر السحر، كما كان الحال عند الآشوريين، فالمركبات الكريهة لطرد الشياطين، والتعاويذ والترانيم لإبطال فعل السحر، وقد إستعاد السحر والدين تدريجيا تأثيرهما على العلاج، يعد عام 1580 ق. م. وختاما نشير إلى أن شهرة الطبيب المصري بلغت أعلى الدرجات في الدنيا القديمة وفي ذلك يقول المؤرخ " هوميروس ": " الرجال في مصر أمهر في الطب من أي ناس آخرين " وكان مستوى الصحة العامة عاليا، ولاسيما بين الأشراف والرهبان، فكانوا يستحمون يوميا، ملابسهم نظيفة، وطعامهم يختار بعناية. هذا عن الطب في الشرق في هذه العصور القديمة (ستبز، 2021/06/22، 10:33).

ثالثاً: نظرة العلماء الأنثروبو – سوسيولوجية لـ الأرواح الفاضلة غير المؤذية و الأرواح الشريرة المؤذية

1- (الأرواحية) لدى إدوارد تايلور:

لقد أشار العالم " إدوارد تايلور Taylor Edward " في كتابه " الحضارة البدائية " إلى ظاهرة عبادة أرواح الموتى، وبخاصة عند " الهندوس " الذين يرون في عبادة الأرواح حالة إنتقال إلى برازخ، وتقمُّص الأجساد الأخرى تحت ما يسمى بـ – الكارما – وإعتقادهم في أن الروح الشريرة تتناسخ في الجسد الشرير، والروح الفاضلة في الجسد الفاضل، لقد شاغلت الوعي البشري هواجس حدت بالإنسان لأن التساؤل: هل أنا مخلوق صدفة؟ أم أن وجودي إعتباطي في عالم عبثي؟، أم أنني مجرد كائن مسير من قبل خالق كوني، له ماهية تلوذ خلف الحُجب " الماوراء "؟ (الحافظ، 2019، ص 88)، في حين يعد " تايلور " من الرواد الأنثروبولوجيين الذين أولوا الطابع الروحي القسط الأكبر من الإهتمام (النوري، 1982، ص 259).

قدم مصطلح " الأرواحية Animism " ليشمل أشكال المعتقدات بالكائنات الروحية كافة وقد قسم ذلك على قسمين " الإعتقاد بالنفس " وهي فكرة تملك الكائنات البشرية لنفوس تبقى بعد موتهم (حاش، 2015، ص 56)، و " الإعتقاد بالروح " يتضمن الإعتقاد بالأرواح الأخرى التي تتدرج في قوتها وعموميتها حتى تصل إلى أرواح القوي الغيبية الفوق الطبيعية (مير، 1983، ص 240).

ويذهب تايلور إلى أن أقدم الديانات هي عبادة أرواح الأسلاف والإعتقاد في النفس الإنسانية، حيث أن الإنسان البدائي عاش في تناقض لكونه يعيش حياة في يقظته وأخرى في نومه، وتصور أنهما حقيقتان واقعيتان، بمعنى أن ما يراه في نومه من أحلام حقائق واقعة (النوري، 1981، ص 186).

في حين يقر أصحاب " نظرية المذهب الحيوي " أن الدافع إلى التدين هو المذهب الروحي، أي أن إنسان العصر الحجري قدس الأرواح بمختلف أطيافها نظراً لما تحكمه من قوى خارقة تتحكم في نواميس الكون، وظواهر الطبيعة. ويعتبر تايلور (1729) من رواد هذه النظرية إذ أقر أن: " الكائنات الغيبية المزودة بتلك القوى الخارقة قد تتصل بعالم النفس أو عالم الحس من الحياة الإنسانية، وتترك فيه أثراً من آثارها العجيبة، هكذا تنشأ عقيدة التأليه (...) " وهي عبادة أرواح الكواكب، ويقدم تايلور تأصيلا حول منشأ الدين فيقول: أن الدين البشري إبتدأ أول ما إبتدأ في الإعتقاد في روح واحد أعلى يتحكم في كل شيء (مباركي، 2016، ص ص 81- 82).

وأثناء نشوء النزعة الدينية عند الإنسان الأول، هذا المعتقد ما لبث أن إشتمل في مدة لاحقة على عالم الطبيعة، فلم يقتصر على ما هو ذو حياة وحسب، بل إشتمل على كل ما يتحرك وما قد يشكل خطراً على البشر من بحيرة أو جبل أو خلافة وهي الأرواح التي تسكن علم الطبيعة أرواح متحركة متنقلة، تحافظ على بقائها بعد الموت، وقد يكون لها أن تنتقم من البشر، كما أن بوسعها أن تحل لمدة معينة في أجسادهم، فيصابون عندئذ بالمرض أو بالجنون أو بالمس (لومبار، 1997، ص ص 76- 77)، ولابد من إخراجها منه ليستقيم حال المريض(السواح، 2002، ص 208).

وعلى هذا الأساس فإن فكرة الروح حسب تايلور نشأت عند الإنسان البدائي عما يراه في منامه، إذ دفعه ذلك إلى تخيل وجود الروح في بدنه، ورسخ في فكرة إمكان تواصل روحه مع أرواح الموتى والآلهة، ويفهم من هذا أن الحلم هو الأساس الذي ينبني عليه مؤسس المدرسة الأنثروبولوجية الإنجليزية نظريته في أصل الدين (صميدة، 2018، ص 65)، والفكرة هنا (حسب تايلور) هي أن الروح ليست مرتبطة بالجسد، ولكنها تعيش فيه وهذه بالنسبة له نقطة مهمة، غير أن هناك شعوبا يؤمنون بأن الإنسان

يملك أرواحاً عديدة، فهناك منهم من يفسر المرض على أنه حالة تغيب فيها الروح عن الجسد (حداد، 2011، ص 131).

1-مجتمع مانوس والإعتقاد في (الأرواح) حسب مارغريت ميد:

تعتبر " مارغريت ميد Margaret Mead " من زعماء علماء الأنثروبولوجيا ومن الأقطاب الأوائل للنزعة الثقافية، رأت ميد أن مانوس كانت حديقة رائعة للأطفال في حين أنها لم تكن كذلك للكبار، كان الناس يعيشون في حالة خوف من الأشباح وهي أرواح أجدادهم المتوفين والتي تعاقب على الأفعال السيئة بما في ذلك الزنا المؤدى بالمرض والموت. حيث درست ميد تفكير الأطفال، وخلال خمسة أشهر في مانوس جمعت آلاف الرسومات مدون عليها إسم الطفل وتاريخ الرسم، وتفسير الطفل لرسوماته على كل رسمة، أرادت أن تتوصل إلى معرفة ما إذا كان تفكير الأطفال في مانوس غير عقلاني وفقاً للمقاييس الغربية، وهل إذا كانوا حقاً يعتقدون في (الأرواحية) وهو الإعتقاد بوجود الأشباح أو الأرواح التي تعيش في الطبيعة وتسكن الأشجار والجبال وأشياء معينة مثل جمجمة أو أداة؟.

راقبت ميد الأطفال وهم يرسمون لترى إذا كانوا يرسمون أرواحاً أو أشباحاً، أو إذا ذكروا ذلك في توضيح رسوماتهم، فوجدت أنهم لم يفعلوا ذلك. فمن بين ألف لوحة جمعتها ميد من الأطفال، لم تكن هناك رسمة لمنزل واحد مع وجه أو قارب يتحول إلى شخص. إستنتجت ميد أن الأطفال كانوا أقل إيماناً بالأرواح من الكبار وأكثر ميلاً ليكونوا عقلانيين في تفكيرهم من الكبار. وهو ما رأته ميد مناقضاً تماماً للمجتمع الغربي، وأن التفكير اللاعقلاني والإيمان بالأرواح لا يمكن أن يعتبر مرحلة عالمية يمر بها كل طفل قبل أن يكبر، كما كان يرى بعض علماء النفس، ويظهر إهتمام ميد في الكشف عن لغز الأرواح من خلال أعمالها المتنوعة، منها كتاباً مبنياً على عمل زوجها "فورتيون" الميداني في مانوس بعنوان " المجتمع المانوسي "، وكتابا عن الأطفال في مانوس بعنوان " النمو في غينيا الجديدة " (مارك، 1425هـ- 2004م، ص ص 54- 55- 59).

لقد ذكرت ميد في كتابها " النمو والتربية في المجتمعات البدائية " أن الأرواح في نظر الأهالي تتزاوج وتتوالد وتتشاجر، وقد تنتقل العداوة التي تنشأ في عالم الأرواح إلى

الأحياء الذين لهم صلة قربى بالروح المعادية لها، وقد تبتلى الروح بالمرض واحدا من أخوة روح أخرى لأن تلك الروح قد خانت زوجها الزوجية، ويضاف إلى جانب النظام الديني الرسمي القائم في (مانوس) يؤمن الناس هناك ببعض أعمال السحر كما تصفه مارغريت ميد، فهم يتناقلون الأساطير عن الشياطين الأرضية والمائية، وأعمال السحر توجه في العادة نحو الإستزادة من الثروة والنجاح في الحب وتحطيم منافس إقتصادي (ميد، س. ن. غ. م، ص ص 97- 102).

2-رادكليف براون وفضل (الطب الرُّوحاني) في عملية الضبط الإجتماعي:

إهتم عالم الإنسان الأستاذ الأول للأنثروبولوجيا بجامعة " أكسفورد " (1937) البروفيسور " ألفريد رادكليف براون Alfred Radcliffe Brown " بدراسة الشعوب غير الصناعية والسكان الأصليين لأستراليا بوجه خاص، حيث فضل القيام بدراسات مكثفة ودقيقة للبنية الإجتماعية أو العلاقات المجتمعية، يعتبر براون المؤسس للأنثروبولوجيا الإجتماعية المعاصرة نظرياً وحقلياً، ذلك في رؤيته أن البناء الإجتماعي ليس إلا مجموعة من " الأنساق الإجتماعية " والأنساق هي الأجهزة أو النظم التي تتفاعل فيما بينها داخل إطار البناء الكلي الشامل. والنسق عبارة عن عدد من النظم الإجتماعية التي تتشابك وتتضامن فيما بينها في شكل رتيب منظم، كما أن النظام عبارة عن قاعدة أو عدة قواعد منظمة (مصباح، 2018، ص 42).

وبإعتبار الوظيفة العملية لعملية " الضبط الإجتماعي " كوسيلة من وسائل التضامن والتآزر المجتمعي مع القيم والمعايير الإجتماعية التي إرتضتها لنفسها، فإنه يمكن النظر للطب الروحاني أنه أحد ميكانيزمات المجتمع ووسيلة من وسائله وذلك لأن مفهوم المرض كما هو معروف لدى الجماعات البسيطة هو إنحراف عن قواعد المجتمع أو خرق لقواعد العرف، أو ناتج عن الأرواح بسبب عدم قيام الفرد بإلتزاماته إتجاهها أو بسبب السحر أو الحسد ومن ثمَّ يصبح العلاج الروحاني وسيلة من الوسائل التي تلجأ إليها الجماعة للتحكم في حالات الإنحراف والخروج عن قواعد المجتمع بإفتراض أنه يعمل على إعادة توافق الفرد وتواؤمه مع المعايير الإجتماعية وإعادة تنظيم سلوكه (خليل، 2006، ص 198).

يوضح لنا براون فيما يخص المعتقدات الدينية والطقوس السحرية الموجودة لدى " جزر الأنديمان " على أنها تتمثل في إعتقادهم أن الأرواح التي تعيش في الغابات والبحار هي التي تسبب المرض للإنسان، لذلك فهم يغضبون كثيراً عندما يصاب أحدهم ولاسيما إذا كان شاباً بمرض يؤدي إلى وفاته ويعتقدون أن الأرواح الشريرة هي التي قتلته وقد يعبرون عن ذلك الغضب بصب اللعنات على تلك الأرواح الشريرة تارةً وتارةً أخرى بنزع بعض الأشجار ويظل جميع أعضاء أسرة الميت يقظون ويبكون ويترنمون بأغان حزينة لصبيحة اليوم التالي ولاسيما إذا ما أرادوا تأجيل دفن الجثة لسبب أو لآخر، وذلك إعتقاداً منهم بأن تلك الترانيم الحزينة تطرد الأرواح الشريرة التي تجلب المرض والوفاة لهم (عبد الملك، 2008، ص 224).

رابعاً: تحضير الأرواح الفاضلة في الإستشفاء بـ (الطب الرُّوحاني) ينهي السحر المأكول في مدينة تبسة

سمعت كثيراً عن تحضير الأرواح وأن كثيرا من الناس قاموا بتحضير أرواح الموتى وعرفوا منهم بعض الأشياء ومنهم من عالج بعض المرضى عن طريق تحضير الأرواح ومنهم من قام بتحضير روح أحد الموتى وسأله عن بعض الأشياء وأجابهم إجابة حقيقية، منهم من أدلى ببعض الأسرار وكانت حقيقية وفي لندن صورت هذه الأرواح فعلا وكتب الأستاذ الراحل " رؤوف عبيد " الأستاذ بكلية الحقوق (عين شمس) وكان له أكثر من كتاب عن الأرواح، وقد صور على أحد الأغلفة صورة الأستاذ " يوسف وهبي " وهو يعالج عن طريق الأرواح، وتكلم البعض عن تناسخ الأرواح وقيل أن الروح تكلمت وقالت أنها قبل أن تكون في جسد المرحوم فلان كانت في جسد فلان وقبله في جسد فلان وهكذا أي أن الروح قالت لهم حين وفاة الإنسان تخرج منه وتدخل في جسد شخص يولد الآن، طبعا هنا أنا غير متفق معهم على هذا إطلاقا، ولكن أنا أعذرهم لأن الروح حينما حضرت قالت هذا الكلام ورغم عن هذا أنا غير معترف بهذا الكلام لعدة أسباب:

- كيف يستطيع بشر على وجه الأرض أن يقوم بتحضير روح وهذه من الله سبحانه وتعالى:

والآية تقول: " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي "، وأن الله يتوفى الأنفس والله يتوفى جميع المخلوقات ما عدا الروح لم تمت لأنها غير مخلوقة لأنها من الله سبحانه وتعالى.

- على كلامهم أن تحضير الروح وهي تكلمهم معنى ذلك أنها حاليا في جسد إنسان موجود في الدنيا إذن أثناء تحضير الروح توفي هذا الشخص؟:

إذ أن تحضير الروح هو أمر خاطيء رغم ما يحضرونه أمامهم.

ولكن من هي هذه الروح التي تحضر أمامهم وتكلمهم. إنها روح قرين الإنسان المتوفي لأن الإنسان حينما يتوفى يخرج قرينه من جسده قبل خروج روحه من جسده، ويمكث فترة قبل وفاته دون قرين – ومن هنا ينكشف عنه الحجاب ويرى جميع من حوله من العالم الغير منظور، ولذلك يقول الله تعالى: " لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " فإنه يرى ما لا يراه الناظرون.

فإن القرين هو الذي يخرج من جسد الإنسان قبل وفاته ويدخل في جسد طفل ما تم ولادته – والحديث الشريف – يقول: " ما يولد إنسان إلا ويستهل صارخا من نغز الشيطان إلا عيسى بن مريم ومريم بنت عمران ".

والروح سميت روح؛ وهي خارج الجسد المادي، وحينما تدخل أن تكون في الجسد المادي تسمى نفس والله حافظها في أكثر من آية وهي تدخل الجسد المادي " يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي " والآية: " كل نفس ذائقة الموت "، فلا يقول كل روح ذائقة الموت معنى ذلك أن عند وفاة الإنسان تموت النفس وتعود مثل كوب الماء حينما رأيته تستطيع أن تقول أن ما في هذا الكوب هو ماء ولكن بعد أن يوضع في الثلاجة أو الفريزر أنه ثلج أي أنه طالما موجودة بالثلاجة يكون الإسم ثلج وحينما تخرج من الثلاجة يموت الثلج ويعود ماء والروح لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أن يعرف ما هي أو إلى أين ذهبت.

وبسؤال الحاج عبد الفتاح الطوخي مدير مراسلات الفتوح الفلكي بمصر عن الروح والأرواح وماهو رأيه فيها؟، ولمعرفة ماهية الروح وهل يمكن مشاهدتها بتلك الحواس الجثمانية أم لا؟ للدخول في هذا الموضوع طريقتان: طريق قديم وهو طريق الصوفية

المعلوم من خلوة ورياضية، وهذه للأسف لا يمكن لمن إندمج فيها أن يعبر لمن لم يندمج إلا بأشياء لا تعني من جهة الإقناع، ولا تسمن من جوع. وأما الطريق الآخر للحديث: فهو نتائج بحث الروحانية وأثرها مضافا إليها نتائج وبحث ما وراء المادة كالكهرباء، والمغناطيسية، والراديوم، وأشعة رتنجن وما شابه ذلك من الأشياء التي نرى آثارها ولم يبين العلم الحديث ماهية وكنف هذه العناصر.

1-الكهرب:

جاء العلم الحديث مصدقا لما ذهب إليه الفيلسوف " بركلي " من أن الكهرب أو (الإلكترون) هو الجزء الذي لا يتجزأ من المادة، لأن الذرة تتركب من جملة كهارب، وأن هذا الكهرب مركب من جملة تموجات أثيرية، ولسنا نعرف على التحقيق ماهي طبيعة هذه التموجات، فالتموجات كما هو ظاهر عبارة عن حركة دائمة ويسهل إذن تصور الكهرب على إعتبار أنه حادث أي أنه غير ثابت، ومعنى الحادث هنا هو حصول التموجات والحوادث، أي أن التموجات تتلاحق فتراكم بعضها على بعض.

وزيادة في التبيان أقول أن التموجات التي يتركب منها الكهرب عبارة عن نوع من القوى لا نعلم ما هو، وما كنيته وطبيعته ولكننا نعلم أن الكهرب يمتص الإشعاعات الضوئية ثم ينقضها ونعلم أنه يثبت من هنا إلى هنا داخل الذرة، وهذه الإشعاعات التي يمتصها الكهرب هي التموجات التي تحل الموجة منها محل موجة أخرى ولا بد من مضي زمن تافه جدا بين حركة التبديل هذه (أي تبديل موجة بموجة) وبين حركة حلولها محلها.

إذن ليس ثمة شيء يسمى المادة، وأن هناك حوادث لا تخضع لقوانين معروفة لنا، تجري وفق إرادة خارجية عنها، أي أنها مسيرة لا مخيرة ثم هي تجري في الفضاء غير متأثرة بألمن، وقد وصف الأستاذ " ارنجتون " الكهرب بأنه شيء مجهول يعمل شيئا مجهولا، إلى أن تقرر أن عنصر الكهرب – الذي يدرك أثره ولا تعلم حقيقته – منفعل لعنصر آخر أدق منه وأقوى، وهكذا إلى أن يمكن القول بأن جميع المواد متلاشية في قوى بعضها فوق بعض في الدقة والخفاء حتى تصل إلى نقطة يمكن أن يعبر عنها بقوة مجهولة لا تعلم، وهي في حكم العدم بالنسبة لنا.

وهنا يتحقق قول من قال أن العالم أبدعه الله من العدم إلى الوجود بقدرته غير المتناهية، وهو المبدأ المقرر في الشريعة الإسلامية من أول نشأتها، وقد أثبته العلم الحديث مكرها، وهذا الكهرب هو جزء من الأثير العام.

2-الأثير:

جاء في كتاب (المذهب الروحي) لـ " عبد الله أباحي " الذي نقله عن المجامع العلمية والأوربية والأمريكية بعد تجارب علمية لا تقبل الشك عند بعض من لهم خاصية الإنطلاق الروحي يقظة أو في حالة الأنخطاف أو التنويم المغناطيسي قوله: " ان الكون به مادة أثيرية غير خاضعة لنواميس المادة وهي أصل عناصر المادة، ولا تؤثر فيها أقوى رطوبة، ولا أشد حرارة ومنها تصدر المواد وإليها تعود وتتلاشى فيها بعد تفاعلات في جملة أوجه وصفات، وما الكهرباء والمغناطيسية والتشفع والراديوم وإتصال التلغراف اللاسلكي إلا نتيجة إتصال بهذا العنصر الأثيري بأي كيفية كانت، كآلات وحركات ميكانيكية على نظام خاص نحفظ بواسطتها بطارية كهربائية تحوي قوة دافعة أو مضيئة أو محركة كتفاعل إنسان بطريقة مخصوصة أو فجائية ككثرة التأملات والتغذي بأشياء مخصوصة عند الهنود، أو كرياضة عند الصوفية، أو كالتنويم المغناطيسي وما شابه ذلك.

وهذا الأثير غير القابل للتلاشي، والذي ثبت أنه ماليء لجميع الكون له من سرعة الكون والحساسية ما لا يخضع الزمن ويفوق سريان الضوء بما لا يتصور العقل – ثبت عند علماء الروحانية أن الجسم الروحاني الملازم للروح بعد مفارقتها الجسد، مكون من هذا الأثير، لأن الجسم الروحاني برزخ بين الجسد والروح، كما أن الأثير برزخ بين المادة وما وراءها. وأن هذا الجسم الروحاني على شاكلة الجسم المادي ذرة ذرة، إذ أن الجسم ما نشأ إلا على منواله وتقديره كمنزل رسم ثم بني على منوال ما رسم.

وهذا الجسم الروحاني هو الذي ننتقل به في الرؤية المنامية في جملة جهات ونعمل جملة أعمال دون أن يفقد الجسم حياته، وما ذلك إلا باتصال هذا الجسم بأصل الأثير العام الذي هو جزء منه وفيه يأخذ حكمه من عدم الخضوع لأحكام الزمان والمكان، إذ أن النائم يرى ويعمل في الدقائق المعدودة ما لا يعمله في عالم الحس إلا في

الشهور بل السنين وما ذلك إلا لخضوع كل حالة لناموسها، فسماع الأصوات البعيدة كأنها قريبة، أو رؤية البعيد قريبا كالإنتقال إلى مكان بعيد في لمحة، وليس هو في الواقع خوارق عادات لناموس المادة، إنما هو توصل بمغناطيسية أو كهربة الجسم بأي حالة صناعية أو تعبدية للوصول إلى هذا الأثير والإندماج فيه بحالة نفسية روحية، تجعل الإنسان يفعل في أقل الأوقات وأدقها ما يعمله في السنين وهو محبوس في مادته الجثمانية.

بإكتشاف هذا الأثير الماليء للكون وبإيضاح خاصته من أنه غير خاضع لحكمى الزمان، وأنه سريع التأثر والسريان، بإكتشافه نحل مشكلات كثيرة منها كيفية التخاطب بالتلغراف اللاسلكي، وهي عبارة عن موضوع بطاريتين متقابلتين محتويتين على كمية من هذا الأثير أو من أثره ثم إطلاق هذه المحتويات في الفضاء بحالة فنية معلومة لدى أربابها فلا نلبث أن تتصل بهذا الأثير العام، ومنه إلى البطارية المشابهة في الإحتواء والماهية، وبوضع فني يحصل التخاطب، وهذا بعينه هو تخاطب الأرواح من أمكنة بعيدة إذا إتفق روحان من إنسانين على إتجاه خاص في وقت خاص، وهذا شيء أصح في حكم التواتر الآن، بعد أن ذكره كثير من الصوفية، وكان عند كثير من الناس في حكم الخرافة وما عداه سيدنا " عمر بن الخطاب " لسارية الجبل يحذره من العدو إلا نوعا من هذا الإتصال الروحي، وكان ما بينهما مسيرة أيام بل شهور على الإبل وقتئذ، وقد سمع نداءه وإنجاز لما أراد (ل. ك. غ. م، 2021/06/22، 19:58).

فما بالك صديقي القاريء الباحث إذا إتحدت تلك الأرواح الفضلة مع الإنسان الفاضل الزهري فتتمكن بدورها من إحداث عملية الإستشفاء الميؤوس منه، والذي يرجع سببه الرئيسي إلى طعم السحر المأكول الذي يستعمل للإنسان والحيوان. ومن هنا سنوضح للمتلقي طبيعة الحقيقة الروحانية من خلال هذه الأسطر الوجيزة عن عالم التطبيب الروحاني الخير، الذي قد أثبت نجاعته الباهرة التي قد إنفرد بها عن الطب الحديث من خلال مايلي:

حيث لا يخفى على القاريء خطورة السُّموم النباتية، الحيوانية، المعدنية، وسموم بقايا جسم الإنسان، فالسموم (النباتية) مثلاً كما تقول الباحثة " تريكي فتيحة Triki

Fatiha" من خلال مقالها: " النباتات الطبية والممارسات السحرية في بلاد الأندلس بين العلم والوهم Medicinal Plants And Magical Practices In Andalusia ; Between Science And Illusion "، وهران (الجزائر)، 2018، عن مدى تأثيرها على الجهاز العصبي وما يصحبها من أعراض (كجحوظ العينين، والصراخ، وإصفرار الوجه والقيء، وتقلص عضلات الوجه والأطراف، وتشتت في الذهن والتفكير إلى حد الهلوسة والهذيان، وإضطرابات نفسية وسلوكات غريبة الأطوار...).

كل هذه الأعراض المفاجئة تبدوا للوهلة الأولى أنها لا تحمل تفسير بديل غير أن المريض أصيب بسحر مأكول أو مشروب، ولكن عندما نقلب الأمر من جهة العلم نجد أن عمل السحر المكون من نباتات معينة ما هو في الحقيقة إلا نباتات سامة في حد ذاتها وظيفتها أساساً إحداث إضطراب وخلل بمستوى خلايا المخ والجهاز العصبي، وبالتالي ما يمكن إستنتاجه أن وظيفة النباتات في الممارسات السحرية هو إحداث تأثيرات عصبية بالدرجة الأولى وليس النبات السحري بحد ذاته (تريكي، 1440هـ – 2018م، ص 38).

وهذا تفسير خاطيء من وجهة نظر العلم، وحسب رؤية المطببين الرُّوحانيين في مدينة تبسة؛ فمن خلالهم يظهر " الطب الحديث " على أنه لم ينجع في تشخيص ولا في علاج مثل هذا المرض الجسماني الذي يحمل في طياته الطابعين: التسميمي السحري و قوى العالم الماورائي، وبإعتبار نظرتهم إلى نوع السحر بـ " السُّم الطبيعي " على أنه تسمم غذائي غير مقصود، في حين يقابله من الجهة الأخرى تأثير ما ورائي على جسم الإنسان يتمثل في: قصور في الإمتصاص المناسب للمعدة من ناحية المعادن والفيتامينات ومختلف المواد الغذائية المرجوة من الأطعمة حتى وإن كانت الوجبة متكاملة.

عادةً ما ينتج عنه (تعطل في الهضم) عجز أطباء الطب الحديث أمامه أثناء عملية العلاج، حيث وجدنا أن تلك السموم تجدد من فترة إلى أخرى عن طريق (خادم) أو (تبَّاع) أو (حارس) سحر داخل جسد (الموكل) وبإعتبار هذا الخادم موجود ولا يزال مستمر في خدمة تلك " المادة السُّمية " المانعة لإمتصاص المواد الغذائية والمعرقلة

لوصولها إلى مجرى الدم عن طريق القناة الهضمية وبالأخص الأمعاء الدقيقة، وأحيانا حكم إلتصاق مادة سحر التوكال الخبيثة وما أضيف إليها من أخلاط نجسة ونفثات خبيثة تمَّ إلتصاقها على جدران المعدة، حيث تبدأ هذه السموم مع الخادم الموكل بالسحر في التفاعل مع بعضهما البعض حتى تخلف تغيير وتلف في المواد الغذائية فور إختلاطها في بدن المصاب.

حينها يزداد تصرف الشياطين فيه أكثر بطشًا وبأضرار بالغة مع نشر عروق وجذور التوكال في جميع مناطق الجسم مع مرور الزمن، في هذا الوضع ومع فشل إسعافات الأطباء المحدثين ينصح المسحور أن يتجه تلقائيًا إلى إسعافات طب الأعشاب، والتداوي بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من آيات خاصة بالسحر الباطني سواء من طرف متخصصين في مجال الرقية الشرعية من (الرُّقاة) أو من طرف أصحاب الحكمة من (الرُّوحَانيْيِنْ) حيث يكون ذلك على إثر جلسات متتالية بالتوكل على الله عزَّ وجل والتوسل إليه في أن يعجل شفاؤه قريباً.

وكذلك نجد وجوب محاولة إجهاد وإضعاف هذا السحر المتجدد بإستهداف خادم السحر المأكول تدريجيا ثم إخرجه بشكل نهائي، ومن ناحية ثانية من الضروري أن يرافق هذه الطقوس التطبيبية الإلهية تحصين المريض حتى لا تعود تلك الأرياح والأرواح السلبية لتسكنه مرة ثانية. وعلى إثر هذا تزاول (للافاطمة) ممارستها (المهنية) بحسب دورة أسبوعية تتألف من ثلاثة أنواع من الأنشطة: تخصص أيام الأحد والإثنين والأربعاء للعرافة، والثلاثاء والسبت للسحر العلاجي، ويسمى (أَلاَوْيْ).

وأخيرًا تخصص يومي الخميس والجمعة للراحة و (التكوين)، ففي القسم الأول تزاول مهمة السَّاحرة، وفي الثاني تؤدي دور المطببة، وفي الثالث تنتقل من جانب المطبب الى جانب المعالج. أما راحة نهاية الأسبوع ضرورية عندها لسببين: لتتمكن من إفراغ مشاعر قلقها الأسبوعية في الجذبة من جهة وتتزود بطاقة تمكنها من الإنطلاق من جديد من جهة ثانية (بلانطارد، 2018/12/28، 15:12).

وبإعتبار المطبب الرُّوحاني التّبسي؛ يعتمد على الخبرة والتجربة واليد المباركة، تمكن بدوره من تطبيب الكثير مخلفات مرض السحر المأكول المكون من مواد السم

الطبيعي الصائد للإنسان والحيوان، ويظهر لنا جلياً دور الطبيب الرُّوحاني من خلال شفاء الكثير من الأمراض نذكر منها: العلاج الروحاني للأمراض الجلدية كـ "الإكزيما" التي يطلق عليها الرُّوحانيون التباسَّة؛ مصطلح "التْجْرَابْ" وهو إلتهاب جلدي واضح يظهر في شكل حبوب وفقاعات حمراء مع حكة شديدة، يرجع سببه لتناول السموم المذكورة سابقا، عادةً ما تكون ناتجة عن إلتهاب دموي حاد يسمى بـ " الإلتهاب الدموي القيحي " أو بـ " الإلتهابات الفطرية " التي تصاحبها ظهور أورام في الدم.

الملحق رقم 49: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ مرض يسمى تبسياً من طرف فئة المطببين الرُّوحانيين بـ " التْجْرَابْ " حيث يظهر هذا المرض الجلدي على شكل حبوب كبيرة الحجم على يد رجل يرجع سببه المباشر إلى غدرة سم السحر المأكول الذي تمثل في ظهور مرض جرثومي غير معدي حيث تمكنا من خلاله على ملاحظة مثل ذلك المرض على يد فتاة و طفل صغير عجز أطباء الطب الحديث عن إيجاد دواء نافع لحالتهما

صورة ملتقطة تبين؛ صورة ذراع رجل في عقده الرابع من العمر قد تعرض لمرض التجراب (مرض يشه الجرب) ناتج عن جرثومة سم السحر المأكول غير المعدي... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/05/09. على الساعة؛ 10:34 د

صورة ملتقطة تبين؛ صورة ذراع فتاة صغيرة دون سن العاشرة من العمر قد تعرضت أيضا لمرض التجراب بعد عودتها مباشرة من عرس عمتها الكبرى... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/08/10. على الساعة؛ 11:33 د

صورة ملتقطة تبين؛ صورة يد طفل صغير في سن السادسة من العمر قد أصيب بمرض التجراب بعد تناوله لطعام مسموم داخل منزل جيرانه... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2018/09/12. على الساعة؛ 12:30 د

وفي مجمل هذه الحالات الثلاثة؛ يعالج هذا المرض بصفة نهائية عن طريق تطبيق الشخص المتسمم لجلسات تطبي – روحانية من طرف المعالج الروحاني ويكون ذلك من خلال تناول الوصفة المرقية بالقرآن الكريم التي تسمى بـ الوصفة "الطاردة للسموم والسحر" بمعنى تلك الوصفة المنصوص عليها في كتاب الطب النبوي الشريف، والتي تتكون بدورها من (عسل نحل أسود، قسط هندي، سدر، حبة سوداء، ماء زمزم و زيت زيتون)، بإعتبار أن جميع تلك المقتنيات يقرأ عليها آيات إبطال السحر أو آيات إبطال العين الحاسدة ثم ينفث فيها عدد (ثلاث مرات) مع إضافة قراءة آيات الشفاء، حيث يأخذ الشخص المتسمم بسحر التوكال نصف ملعقة كبيرة في الصباح الباكر تكون على الريق وتليها أخرى في المساء قبل النوم، ويستمر المريض على هذا البرنامج التطبيبي إلى حين إكمال الوصفة الشافية كاملةً، حينها يتم من خلالها طرد جميع تلك السموم والأرياح السلبية عن طريق التبرز أكرمكم الله أو عن طريق عملية القيء بمعنى (إستفراغ مادة السحر المأكول) من المعدة، أو من خلال ترسبها تحت مسامات الجلد، حينها يتوجه المريض تلقائياً إلى القيام بجلسات الحجامة النبوية المباركة وبالتالي إلى إستخراج ذلك الدم الراكد حتى يتسنى للجسم بناء دم جديد.

الملحق رقم 50: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ أنواع و أشكال من السموم السحرية المأكولة التي يتم إستخراجها من طرف الطبيب الرُّوحاني أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة أين يجدها متمركزةً في منطقتي البطن والمعدة حيث تختلف كل واحدة منهما على الأخرى حسب نوعية المستحضر السحري المستعمل في هذا المرض الباطني الروحي و العضوي

صورة ملتقطة تبين؛ شكل من أشكال مرض " السحر المأكول " ومرض " السحر المشروب " مصنوع من بقايا النَّجاسة البشرية والحيوانية كالبراز والبول... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2021/04/25. على الساعة؛ 12:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ صورة أخرى توضح شكل من أشكال مرض " السحر المأكول " ومرض " السحر المشروب " المتكون من مرارة كبش العيد... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2021/06/06. على الساعة؛ 16:10 د

صورة ملتقطة تبين؛ صورة مرض " سحر مأكول " مع مرض " سحر مشروب " مشكل من دم حيض المرأة ومني الزوج يطلق عليه روحانياً تسمية " السحر الدموي المأكو–مشروب "... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/05/29. على الساعة؛ 17:26 د

صورة ملتقطة تبين؛ شكل من أشكال مرض " السحر المأكول " مصنوع يدوياً من مادة لم تعرف ما هي بالتحديد... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. في؛ 2017/12/20. على الساعة؛ 20:31 د

صورة ملتقطة تبين؛ مرض " سحر مأكول " مع مرض " سحر مشروب " مكون من مرارة ذكر الماشية مخلوط بنجاسة الإنسان بمعنى (مني الزوج) دخلت إلى الجسم البشري عن طريق المص الفموي بواسطة دهنها على العضو الذكري وبالتالي أحدثت التَّسميم التّبسي المطلوب... هذا حسب تشخيص الرُّوحاني المطبب أثناء الرُّقوة الرُّوحانية الفاضلة

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/11/17. على الساعة؛ 19:20د

وكإضافة إلى ذلك لا يمكننا أن نمر دون أن نذكر تفاني المطببين الرُّوحانيين في "العلاج الروحاني لمرض الصرع"، الذي يرجع تاريخه إلى آلاف السنين إذ كان يسمى "المرض المقدس" للاعتقاد بأنها نتيجة تفقد ألهي Divine visitation "، ان لم يلق اللَّوم فيه على الشيطان أو على أرواح الشر التي يفترض أنها دخلت المخ، حيث تقرر بعض المصادر أن الثقوب التي وجدت في جماجم إنسان الكهوف وعند الانكا القدماء إنما ثقبت ليستطيع أن يخرج منها الشيطان.

ثم تطورت التسمية والنظريات طوال التأريخ لهذا المرض " المرض النازل Falling disease" أو النوبة أو " المسكة Seizure " أو " الصرعة Epilepsy "، حتى استقر الاخذ بهذا الاسم الأخير الذي هو مشتق من الكلمة اليونانية التي معناها المسكة، وتتميز أعراض الصرع بـ " نوبات حادة Paroxysms " متفاوتة في طولها ويصحبها فقد الشعور أو على الأقل تعطله، وفقد أو تعطل الترابط الحركي وقد توجد التشنجات أو لا توجد وقبل بداية النوبة مباشرة يوجد إنذار أو " تحذير Aura " هو عبارة عن "هلوسات مرئية

Photomata " أو " مسموعة Akosms " ودوار الرأس ومشاعر الخوف ويتبع الأنذار عادة رجفة التشنج التي هي في حالة النوبة الصرعية الكبرى مرحلة توتر أو "تصلب Clonic" مع انقباض في العضلات تتبعها مرحلة " إهتزاز Tonic " تتراوح بين إرتخاء وإنقباض ثم تأتي بعد ذلك حالة الغيبوبة التي يوجد فيها الإرتخاء التام وأحياناً النوم إما النوبة الصرعية الصغرى فهي نوبة غير كاملة أو هي مجهضة الإضطراب العقلي فيها خفيف وقلما يقع المريض (دسوقي، 1974، ص ص 217- 219).

وهو ما يطلق عليه من طرف أصحاب الطب الحديث في مدينة تبسة؛ على أنه ناتج عن " كهرباء زائدة في المخ "، ويشخصه الرُّوحانيون أنه نتيجة لحلول الأرياح السلبية وإستقرارها في مراكز الإحساس وبالتحديد مقرها في المخ حتى تتمكن من السيطرة على الجسم بأكمله، وعادةً ما تكون ناتجة عن سحر مأكول أو سحر مشروب إذ يتوكل عنهما خادم سحر من الجن اليهودي المؤذي الذي يحب حراسة النَّجاسات وبالتالي الإستقرار داخل الدماء بإعتباره يتغذى منها.

أو يرجع نتيجة لـ " الإصابة بعين " أو " الإصابة بحسد " يتوكل بالضرورة عن سهامهما الملعونتين " شيطان عين " أو " شيطان حسد " من عالم (الجن العاشق) الذي يصعب إخراجه، وناهيك عن الأمراض الكثيرة والمتنقلة التي لا يعرف لها تشخيص غير أنها أمراض عضوية ونفسية وعقلية، لكنها تظهر لطبيب الرُّوحاني على أن سببها الحقيقي يكمن في العكس النقيض فهي كانت نتيجةً لحلول قوى ما وراء الطبيعة في بدن المتسمم المسحور، وهذا هو التشخيص السليم لدى لأفراد المجتمع التّبسي.

وبالإضافة إلى ذلك نجد تطبيبه لمرض " التيفوئيد " أو " التيفو " هذا المرض الذي يصيب إلتهابه النسيج اللمفاوي للأمعاء، حيث تصاحب تجرثم الدم (Bacteriua) حمى متفاقمة يأخذ ارتفاعها شكل درجات السلم تظهر بقع وردية اللون مميزة بعد اسبوع اخر في الجلد، وتبدا المناعة بالتشكيل حوالي نهاية اليوم العاشر وتختفي الكائنات الحية من مجرى الدم، لكنها تبقى بعد ذلك في الكبد والمسالك الصفراوية وتدخل إلى المعي الدقيق مرة ثانية باعداد كبيرة من الصفراء. لذا يمكن اكتشافها بسهولة في الغائط. تلتهب الانسجة اللمفاوية للمعي والعقد اللمفية المصرفة بصورة حادة وتتطور، وقد يلتهب جدار

المرارة وينتج " إلتهاب المرارة التيفودي Typhoid cholecystitis "، حيث تصاحب الحمى التوفانية آفات ذات تنوع كبير تكون موزعة على نحو واسع وقد تنشا اثناء سير المرض أو تأخره ومردها تجرثم الدم الذي قد يكون مسؤولا عن الحمى كما يسبب تبدلات تنكسية في اعضاء عديدة كتضرر عضلة القلب والنخر البؤري في العضلات البطنية كما قد يسبب التهاب الحنجرة والقصبات وتضخم الطحال الحاد ويكون المرضى المصابون مصدرا لتفتيشات الحمى التوفائية التي تنتقل عن طريق البراز أو البول (الديوه جي وآخرون، 1987، ص ص 609 – 612).

ويطبب الطبيب الرُّوحاني التّبسي؛ هذا الوباء الناتج عن " إختراق الفيروسات التاجية " للجسم عن طريق تنظيف المعدة والأمعاء بالوصفة سابقة الذكر، ثمَّ القيام بعد ذلك بعملية الكي في منطقة الأمعاء والمعدة بعشبة " الحلفاء " على شكل نقاط قصد إخافة الجني الخبيث، فهذا المرض لدى التباسَّة؛ يطلق عليه إسم " الخَلْعَة " الذي ينتج عن الإصابة به الخوف الشديد الناجم عن تراكم السموم وعن تسلط الخادم المؤذي، ويسميه أطباء إختصاص " علم السموم والأمراض الباطنة " بـ " العرق الخباط " بمعنى ذلك " العرق النابض في الصُّرة "، وناهيك عن تلك الأمراض العضوية الكثيرة التي يتسبب فيها سحر التوكال نذكر منها بإختصار: " عرق النسا (عرق لاسى)، شلل الأعصاب، الصداع النصفي، أمراض القلب، أمراض الحواس (قصور النظر و طنين الأذن... إلخ).

خامساً: التَّطبيب بـ (الطب الرُّوحاني) التّبسي لـ مرض السحر المأكول يبدأ بالأداتي و ينتهي بالطقوسي

يعتبر العلاج الشعبي الرُّوحاني؛ على أنه مرتبط بالتراث الثقافي الإجتماعي ولا يمكن فصله عن الأنثروبولوجيا والمعتقدات الدينية التي ساهمت في صموده وإستمراره برغم ما حققه الطب الحديث من إنجازات حضارية، مما يؤكد على أهمية الدراسات في هذا المجال للكشف عن أهم مزايا ومخاطر هذا العلاج وأسباب التوجه إليه، وآليات التوفيق بينه وبين الطب الرسمي حيث تشهد السنوات الأخيرة تزايدا كبيرا لما يسمى بالطب البديل أو العلاج القديم الحديث، وذلك لإعتبارات عديدة من أهمها فلسفة النسق

الصحي غير الرسمي وتمثلاته السوسيولوجية والنفسية، وكذلك غياب البعد الروحي والثقافي في العملية الصحية القائمة على التطبيب والتشخيص العضوي والمتغافلة عن الجوانب الأخرى رغم أهميتها خاصة في المجتمعات التقليدية التي تؤمن بالممارسات الصحية القريبة من معتقداتها وقيمها وتربط الصحة والمرض بجوانب روحية وخفية.

لا يمكن إغفال البعد السوسيو – ثقافي أو الأنثروبولوجي في الحياة الصحية للمجتمع وربطها بممارساتهم العلاجية وإتجاهاتهم السوسيو – طبية حيث أن الدافع الحقيقي للعلاج التقليدي الروحاني أو معاداة النسق الصحي الرسمي مرتبطة في الغالب بالموروث الثقافي والبيئة الإجتماعية، وما يتخلل ذلك من مفاهيم وممارسات صحية ومرضية لا تحتاج للطبيب فقط في فهم عناصرها، بل أن " العملية الصحية الروحانية " في حاجة إلى مختلف الأخصائيين في المجال الطبي والنفسي والإجتماعي (دبوشة، 2020، ص 411).

1-أدوات – التَّطبيب الرُّوحاني لـ مرض السحر المأكول:

تعد الكتابة الأكاديمية في مجال الطب الروحاني من أصعب الأمور في ظل غياب أدواته التعليمية ومفرداته وهو ما يضيف نطاقه كمجال بحث، إلا أنه في مجال العلوم الإنسانية يمكن إدراجه ضمن ما يعرف بالطب الأنثروبولوجي، وقد عرفت فترة العصور الوسطى مساهمة فعالة في ميدان الطب، وذلك بكثرة المؤلفات الطبية الناتجة عن خبرة كبار الأطباء القدامى، والطب في الإصطلاح علم بقوانين تعرف منها أحوال أبدان الإنسان من جهة الصحة وعدمها وصاحب هذا العلم يسمى طبيبا.

وطبيب القلب عند الصوفية؛ هو الشخص الذي يكون عارفا بعلم التوحيد وقادرا على الإرشاد، وكذا كشف اللغات. ويذكر باحثون إحتكاك بين بعض المتصوفة بالسحرة، أدى مع مرور الوقت إلى بروز علم الجفر، وتداوي الناس عند الأولياء بطلب الوسيلة منهم أو عندهم أدى إلى ظهور الطب الروحاني الذي كان عندهم هو علم بكمالات القلوب وأمراضها ومداواتها وكيفية حفظ الصحة والإعتدال الجسماني والروحي للقلوب وردّ الأمراض التي يمكن أن تصيب القلب. والطبيب في إصطلاحهم عبارة عن الشيخ العارف بالطب الروحاني والقادر على إرشاد وتكميل الناس، وكان الناس يزورونهم من أجل

الشفاء، وكانت تعاويذهم عبارة عن طلاسم مخلوطة بأسماء مبهمة ورسوم توضع في تمائم تعلق على الصدر، ويعتمدون في معارفهم على الرؤية ورسومات تحتوي على أسماء الله الحسنى تكتب على سفر صغير أو على خاتم.

يعدّ الخوض في مجال الكتابة في هذا العلم – الطب الرُّوحاني – في ظل غياب أدواته التعليمية ومفرداته في المجال الأكاديمي من أقل المجالات بحثا رغم أننا في مجال العلوم الإنسانية يمكننا إدراجه ضمن ما يعرف بالطب الأنثروبولوجي، وقد عرفت فترة العصور الوسطى مساهمة فعالة في ميدان الطب، وذلك بكثرة المؤلفات الطبية الناتجة والخبرة لكبار الأطباء القدامى.

ويعرف الطب الرُّوحاني بين الشائع والتعريف الفلسفي العلمي؛ حيث ينقل "التهانوي" تعريف الطب الروحاني فيقول: " الطب الروحاني هو علم بكمالات القلوب وأمراضها ومداواتها، وكيفية حفظ الصحة والإعتدال الجسماني والروحي للقلوب وردّ الأمراض التي يمكن أن تصيب القلب. والطبيب في إصطلاحهم عبارة عن الشيخ العارف بالطب الروحاني والقادر على إرشاد وتكميل الناس "، وذكر " حاجي خليفة " أنه علم الخواص وهو: " هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق، حصل الشفاء بإذن الله سبحنه وتعالى ".

" فيأخذون وخواص المعدنيات، وخواص النباتات ، وخواص الحيوانات لكننا "، نجد الدكتور " أبو القاسم سعد الله ": " يذكره بإسم الطب السحري أو الخرافي "، وقد ذكر "إبن حمادوش" في كتابه: (تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج): " أن العلاج بالرقى والتمائم من الأساليب المعروفة عندهم "، كما أشار إليه " بن يوسف الراشدي " عند إيراده لحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): " عند كثرة العلل تحضر الأطباء قال له وما الأطباء يا رسول الله، قال له الأشياخ أشياخ الأصول العارفين بالله الناظرين بنور البصيرة على قدر ما وهب لهم من فضله وإحسانه فيعلمون الداء ويعطون الدواء على حكم الطبائع والتوفيق " (جلجلي و شخوم، 2020، ص ص 10 – 11).

يستخدم الطبيب الرُّوحاني في تطبيب مرض السحر المأكول؛ بعض الأدوات التطبيبية المشبعة بالرُّوحانيات؛ وهي من الأدوات التي يخافها الجن أي بمعنى خادم

السحر الموكل بحراسة تلك السموم الطبيعية داخل الجسد ألا وهي التمائم و الأحجبة و الحروز، حيث يلاحظ أن الكثير من الناس والباحثون يخلطون بين هذه الألفاظ حتى كاد الأمر يصل إلى الإعتقاد بأن التمائم والأحجبة والحرز شيء واحد.

يذهب الباحث المصري " أبو عليو " إلى أن المعني بالحرز هي التميمة؛ التي وردت في لسان العرب عن التميمة بأنها: " خرزة رقطاء في السير ثم يعقد في العنق، وقيل هي قلدة يجعل فيها سُيُرٌ وعُوذ، ولتَّميمُ جمع تميمة، ويقال هي خرزة كن يعتقدون أنها تمام لدوء ولشفاء، والتميمة قلدة من سُيور، وربما جعلت العُوذة التي تعلق في أعناق الصبيان، والتمائم واحدتها تميمة، وهي خرزات كان الأعراب يعلقونه على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم، فأبطله الإسلام، التميمة هي العوذة التي تعلق على الأطفال لوقايتهم من الحسد وغيره جمعه تمائم ".

وفي معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية " تميمة و فأل " Amulette et Fétihe " أن التمائم أشياء تضم أو تمثل صورا سحرية دفعاً للأخطار أو الأذى أو الأمراض، وأفضلها ما كان معدنيا لكن إذا كانت كذلك وأريد لها أن تكون مؤثرةً فعلا فيجب أن يتّم صنعها تحت تأثير مجموعة النجوم التي يرجى منها للحماية.

ويذكر القاضي " أبو حنيفة النعمان " أن التميمة: " ما يعلق من الكتب والخرز وغير ذلك، تميزت بوجود فتحات أو ثقوب للتعليق في العقود والأساور، وهي عوذة على هيئة قلادة تضم خرزاً ".

التمائم جمع مفردة تميمة وهي جرابات صغيرة الحجم تحمل بعض التعاويذ المكتوبة بالصمق وهو حبر محلى الصنع والريشة القصبية، وتستعمل هذه التمائم للوقاية من خطر العين الشريرة والسحر والجن.

أما الأحجبة؛ فالحجاب ما أُحتجب به جمعه حُجُب، وهو كل ما حال بين شيئين والحجاب لحمة رقيقة كأنها جلدة قد إعترضت (مستبطنة بين الجنبين تحُولُ بين السحر والقصب)، وكل شيء منع شيئا فقد حجبه.

ويعتقد كثير من الناس أن الأحجبة كفيلة بتحقيق أمالهم وهي تكتب عادة بحبر أحمر أو أخضر وقد تكتب بمحلول الزعفران ثم تطبق الورقة وتوضع في جلد أحمر

وتعلق في الرقبة أو توضع تحت الثياب، وبعض الناس يتحجبون بالمصحف الشريف وهو عادة يطبع في حجم صغير جدا... ويوضع في الجيب أو في علبة صغيرة من الذهب أو الفضة ويعلق في الرقبة بسلسلة ذهبية أو فضية.

وللأحجبة أغراض مختلفة منها لتحقيق بعض المطالب أو منع الحسد ومنها العلاجية كعلاج الصرع والنزيف، وقد يكتب فيها معلم الصبية آيات قرآنية يعلقها الشخص لحجب المرض والحسد.

نستنتج أنه توجد صعوبة كبيرة في التمييز بين التميمة والحجاب (الحرز)، إلا أن هناك بعض الأشياء تدل على فرق بسيط مثلا التمائم عادة تكون من المعلقات صغيرة الحجم تلبس في العنق أو في اليد، كالقطع المعدنية والخرز، الأمر الذي لا يمكن وجوده في الحجاب أو الحرز إذ لا يعتمد على المدة الخام أو على الشكل العام للتحفة بل في قوة ما يحتويه من كتابات أو رموز، كما أن التميمة تتميز بأنها تصنع للوقاية من المخاطر قبل حدوثها أو من الشيء الذي يخشى وقوعه، بينما يأتي الحجاب ليكون وسيلة العلاج لشيء قد حل حدوثه أي وقع بالفعل (جلجلي و شخوم، 2020، ص ص 12 – 13 – 14).

2–طقوس – التَّطبيب الرُّوحاني لـ مرض السحر المأكول:

لقد كان الطب؛ عند العرب قبيل الإسلام معتمدا على بعض التجارب البسيطة في علاج المرضى كالكي بالنار وإستعمال بعض الأعشاب الصحراوية، أو اللجوء إلى الكهنة والعرافين وذلك بسبب معتقداتهم التي تقول أن سبب المرض هو الأرواح الشريرة التي لا يتعافى منها المريض إلا بإستعمال التمائم والشعوذة، وعندما جاء الإسلام حارب السحروالشعوذة، وإستعمال التمائم والتنجيم، واللجوء إلى الكهنة والعرافين، وقد كان من الأطباء العرب الذين أشتهروا بالطب مع ظهور رسالة الإسلام " الحارث بن كلدة الثقفي " والذي شهد له النبي (صلى الله عليه وسلم) بصناعة الطب (بلالي و حميداتو، 2018، ص 303).

ويدخل الطب الرُّوحاني؛ كفرع ضمن الطب التقليدي الذي هو داخل حقل الطب الشعبي فمن طرق الطب الروحاني التقليدي نجد " الكي بالنار "؛ وفي وثيقة أخرى نجد "

ذهب إليه ليعالج المرض... كواه بالنار ". وإلى جانب الكي نجد " الحجامة " و " فصد الدم ". وتتم الحجامة عند المرض أو في حالة إنحسار الدم في أحد أعضاء الجسد بسبب إصابة أو مرض، مثل حالة رجل ضرب " أنثييه، فأتينا له بطبيب ليلا "، ونظره وحكم عنه بأنه يروح لداره ويزيل الدم ". وحلاق الحي أو " الحجام " إلى جانب دوره في حلاقة الشعر فهو يفصد دم المرضى أي " الحجامة " ويقوم بدور طبيب الحي مثل قلع الأسنان، ونجد في أحد الوثائق لدى " حجام " " كلاّب ضروس ". كما نلاحظ أن ممارسة " الرقية " منتشرة في الحاضرة خلال الفترة المدروسة ويسمى ممارس هذا النوع من العلاج " راق "، يسخّر في الرقية " التعويذ أو الكتابة أو الرياضة الروحانية... وربما أستعملت الرقية في التطبّب بالحشائش والأمصال... ".

وعلى المستوى المجتمعي يوجد في كل " حومة " إمرأة معروفة بإتقانها مجموعة من المهارات؛ وأهل الإيالة يستخدمون " العلق " عند التطبيب، والعلق هو " دود الماء يستعمل لإمتصاص الدم من الإنسان في الأمراض ". وعند الإصابة بمرض الزهري يتم تناول " مرارة البقري " والذهاب إلى الحمام، وفصد الدم كل شهر و " شرب المياه المعدنية وماء المبروكة " و " هي عروق شجرة غليظة مثل القلم داخلها بيضاء وخارجها سوداء تغلى وماؤها مدرر"، ومن الوسائل الأخرى إستخدام الزئبق أي "ثلث من الزئبق وثلثين من شحم الدجاج يدلك بجزء منه المفاصل، أو يعطى أقراص تصنع بدقيق المبروكة والأفيون ".

وسبب إعتماد المرضى في البلاد التونسية على المياه المعدنية؛ والحارة سببه كثرة "المياه المعدنية" مث " ماء حمام الأنف النابع من جبل أبي قرنين وهو ماء حال على عدة حمامات، والماء نابع من عدة عيون أحسنها عين حمام العريان ثم عين الحمام الكبير " (رزقي، 2019، ص ص 380 – 381 – 382).

وتعتبر بلاد الجزائر غنية جدا في أعشابها الطبيعية المتنوعة؛ لما تحتلها من مساحات واسعة ومناخات متنوعة بحرية، قارية، صحراوية. وقد دلت التجارب أن نباتات المناطق المعتدلة أكثر فاعلية وأغنى في العناصر المفيدة من نباتات المناطق الباردة، كما أثبتت الدراسات العديدة أن بالجزائر ما لا يقل عن 3500 نوع من النباتات، منها ما

تعود إلى المناخات الحارة ومنها ما تعود إلى المناخات المعتدلة، وأن من بين هذه الثروة النباتية ما لا يقل عن 500 عشبة متداولة بين الأهالي في الطبابة وعروفة لدى السكان منها ما يقارب 100 عشبة طبية نجدها تباع لدى العشابين في الأسواق، خاصة الأسواق الأسبوعية في الأرياف أو في دكاكين العشابين بالمدن، ومن هذه الأعشاب: الشيح، الحلبة، العرعار...

ويستخدم العسل؛ كغذاء ودواء فقد ورد ذكره في القرآن الكريم: " فيه شفاء للناس " (22)، في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم): أن له فوائد عديدة ذكرها العلماء القدامى والمحدثون وخاصة ما يتعلق بأمراض الكبد والجهاز الهضمي، الرئة وتطهير الجروح... (ناصر، 2021/06/27، 13:45).

إن كلمة طبيب؛ في العربية الكلاسيكية تعني السحر والطب في آن واحد، والطب هو إبن السحر حيث يعزز المعالجين الروحانيين في المجتمع التّبسي؛ حدوث بعض الأمراض إلى تأثير السحر فيعالجونها بإستعمال الكثير من الوسائل اليدوية منها الوقائية ومنها العلاجية. على إثر هذا تزاول (للافاطمة) ممارستها (المهنية) بحسب دورة أسبوعية تتألف من ثلاثة أنواع من الأنشطة: تخصص أيام الأحد والإثنين والأربعاء للعرافة، والثلاثاء والسبت للسحر العلاجي، ويسمى (أَلاَوْيْ)، وأخيرًا تخصص يومي الخميس والجمعة للراحة و (التكوين). ففي القسم الأول تزاول مهمة السَّاحرة، وفي الثاني تؤدي دور المطببة، وفي الثالث تنتقل من جانب المطبب الى جانب المعالج. أما راحة نهاية الأسبوع ضرورية عندها لسببين: لتتمكن من إفراغ مشاعر قلقها الأسبوعية في الجذبة من جهة وتتزود بطاقة تمكنها من الإنطلاق من جديد من جهة ثانية (بلانطارد، 2018/12/12، 14:05).

ويطلق مصطلح تطبيب؛ على العلاج بصفة عامة، وهو بذلك حتى أساليب العلاج التقليدية والحديثة على حد سواء، تعرف الباحثة المغربية " نادية بلحاج " مصطلح (التطبيب الشعبي) هو " مجموعة من العلاجات تكمن خلفها تجارب معارف الشعوب إستطاعت أن تجد مكانتها رغم الإكتشافات الطبية، فإنه يصعب تبرير إختزاله في مجموعة من الوصفات، بينما لا تشكل هذه الأخيرة سوى عنصر يتقاسمه الفقهاء

والأولياء وجماعات الحضرة، بقدر ما يصعب تناول التطبيب بمعزل عن المطببين والمرض، خاصة وأنه لا يمكننا فهم التطبيبات دون إثارة المطببين ولا هؤلاء دون فتح النقاش حول المرضى "، ومما لا شك فيه أن نجمع الأعشاب والوصفات في الطب التقليدي بالغ الأهمية، ولذلك أحدثت الأنثروبولوجيا تخصصًا فرعيًا في هذا المجال يسمى بالإثنو– علم أو " العلم الإثنولوجي Ethno-sience " يهتم أساسًا بمقارنة تصنيفات الأعشاب وتشخيص الأمراض في المجتمعات، بصنافات " Taxicomanie " النبات والجدول السيميولوجي للطب العربي الحديث (بلحاج، 2017/04/12، 20:15).

إن تقارب " التأثير الروحي " المتزيد لـ " الطب الشعبي " مع الأفكار العصرية؛ السبب الهام للتأثير هو تقارب جوانبه الروحية مع أفكار العصر الحديث التي ظهرت كرد فعل لتأثير الثورة العلمية على الديانة الغربية، إقترنت بالتأثير المتزايد لـ " الفكر الروحاني الآسيوي " على تقاليد الديانة الغربية. هذا بالإضافة إلى أن الملمح الهام لفكر العصر الحديث هو جذب الإصدارات العلمية الحديثة لكل تقاليد الطب الشعبي وذلك لأن هذه التقاليد كانت تمتلك " جوانب روحية " سابقة على تأثيرات الفلسفة المادية الحديثة. وتشير الوثائق القديمة أن المرض كفكرة عامة كان يحدث بسبب الشياطين الخفية والأرواح الشريرة التي تدخل إلى الجسم حينما يكون غير محصن، واليوم يقرر الطب الحديث أن المرض ينشأ بسبب مخلوقات غير مرئية بالعين المجردة تدخل الجسم يطلق عليها كائنات عضوية وجراثيم وفيروسات وحشرات (غفور، 2021/06/27، 12:46).

وكذا إسهامات في الأنثروبولوجيا الطبية التطبيقية لـ " أكركنخت Ackrknecth "، (1971) في مجال الطب الشعبي، يقول؛ " أن الأشكال المتنوعة من الطب البدائي تشكل كلها الطب السحري "، يمكن فهم هذا الأخير بوضوح في ضوء المعتقدات و المفهومات الثقافية السائدة (إبراهيم، 2007، ص 672)، هذه الفكرة التي أيدها "جيمس فريزر" في قوله: " الشبيه يؤثر على الشبيه " في كل الأوقات ورفضها الأنثربولوجيون المحدثون بعد ذلك بتعبير أن السحرة أنفسهم وعملائهم لا يعتقدون في ذلك (رشوان، 2003، ص 168).

ولفك اللُّبس حول الظاهرة وما جاء به من سبقنا في مجال السحر والخفي، قمنا بالتقصي الحقلي إعتمادًا على المنهج الوصفي كما بينا سابقًا، وإستنطاقًا للعينة القصدية الهدفية لفئة دون سواها ومحاولة الإندماج ضمنها، وبتطبيق الملاحظة بالمشاركة بإعتبارها الطريقة النموذجية للبحث الأنثروبولوجي (غانم، 2004، ص 103). وكذالك إستعانة بالإخباريين جميعها أدوات تسهل الفهم والتفسير، ولتفكيك كل ما يتعلق بأساليب العلاج المترسبة من الثقافات القديمة لدرء المرض بواسطة أشخاص يعتقد في قدراتهم الروحية، إما بوسائل علاجية جيدة أو بوسائل علاجية رديئة (خليل، 2006، ص 260).

وعلى اثر هذا الطرح في مدينة تبسة؛ خطت أقدمنا منزل مطببة روحانية حسب قول المترددين لديها على أنها محترفة في علاج السحر المأكول، حيث تصرح الطبية الروحانية (مَعْطيْتلْهي الحكْمَة فيْ المَنَام) بمعنى أنها أخذت تلك المهنة من الصُّلاح أي من عالم (الجن المسلم) من الذين أتوها في المنام حيث قاموا بإعطائها تلك الحكمة الربانية المباركة ووضعوها داخل يدها الشافية، أين وجدت نفسها تعالج الناس ويشفون على يديها، حيث كانت آخذة معنى مصطلح (اَلْحكْمَة) من الآية القرآنية الشريفة: " يُؤْتي الحكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحكْمَةَ فَقَدْ أُوتيَ خَيْرًا كَثيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إلَّا أُوْلُو الأَلْبَاب " (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 269).

ومن هنا طاطا ... المطببة الرُّوحانية هي مواصلة لعملها الإستشفائي بحي (دُوسُون) حيث كانت تستمع لمشاكل الزائرات أثناء جلسة تبصيرية (شُوْفَة) أولية ضرورية لتشخيص المرض، حيث تكون بدايةً بالتحديق في المريض بنظرات ثاقبة وحادة تكاد تكون مخيفة، ويرجع سببها إلى محاولة الكشف عن ذلك الشخص القائم بهذا الفعل السحر – توكالي الشَّنيع، فلا يسعنا حينها إلا سماع المريضة وهي تجيبها قائلة: (آهْ صَحْ آهْ صَحْ) بمعنى (تْقْاَزْتكْ) أي كلامك وتبصيرك كله صحيح وفي محله، حيث كنا والمريضة المتسممة في حالة من الشرود والذهول الذهني الشديدين، إلى حين (صُرعَتْ) تلك الفتاة (اَلْموَكْلَة) وأغمي عليها مرماةً على الأرض، وكان ذلك بحظور الجني خادم السحر الموكل الذي يعمل على حراسة تلك المادة النَّجسة داخل جسم تلك الفتاة المطعومة.

حيث ظهر هذا الأخير ناطقاً على لسانها يبكي ويردد: (رَانِيْ نْحبْهَا مَنَقْدْرشْ نُخْرجْ منْهَا)، نوعه (ذكر) عرف جنسه من صوته ساكن على مستوى الكتفين بمعنى أنه عبارة عن (جن طيار)، كان مسيطرًا تمامًا على جسمها وفي جميع حواسها، أين كان يرافق هذا الجن الطيار الناري داخل الجسد آلام شديدة على مستوى المعدة (بَيْتْ الدَّاء) كما سماها النبي (محمد) _ صلى الله عليه وسلم _ وحتى لا ننسى كذلك آلام الأمعاء، والكولون العصبي، مع سخونة شديدة ووخز يشبه الإبر المتفرقة، وحسب أهل الخبرة يسمى عفريت من الجن الطَّيار، عاشق وذو طابع ناري، تمَّ تشخيص ذلك من خلال أعراضه المرضية حيث كان يحمل في حركاته علامة (عبدة الشيطان) التي كشف عنها أثناء الرُّقوة الرُّوحانية إستعانةً بالقرآن الكريم وبالجن الفاضل من طرف تلك المطببة الرُّوحانية لمرض السحر المأكول.

يعتبر هذا النوع من الشياطين لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ أنه من أكثر أنواع العفاريت التي عادةً يخاف منها أغلب الرُّقاة وأغلب المعالجين الرَّوحانيين وحتى فئة السحرة المطببين في حد ذاتهم، بإعتبار أنه إذا كان مس داخلي أو خارجي يتسلط على المريض بممارسة الفاحشة وعن طريق الزواج منه، حيث يتملكه في الأحلام وأثناء نومه، فهذا النوع من (المَسْ العَاشقْ) يتجلى في أقوى حالاته على شكل ثعبان أسود من ملوك الجن له القدرة على الدخول والخروج متى شاء بالإفتراس والإختلاس الجسدي الذي يريده، حينها كانت الحالة عبارة عن حالة مأساوية إذ تتخبط تلك الفتاة وتندب على وجهها تارةً وتمسك رحمها ومعدتها تارةً أخرى، فخلف وقتها هذا التَّسمم الإجرامي؛ أمراض عضوية شديدة الخطورة لم يعرف لها تشخيص إلى الآن من طرف مطببي الطب الحديث.

حيث يشخصها أغلبهم (أصحاب الطب الحديث) في مدينة تبسة؛ على أنها عبارة عن حالة تسمم غذائي غير مقصود في قولهم: أن المريض تناول (مَاكْلَة مَاهيْشْ مْليْحَة) بمعنى أنه تناول طعام سيء أو منتهية صلاحيته، أما من ناحية المطببين الرُّوحانيين فيطلقون عليها: أنها عبارة عن حالة (تْجْرَابْ) والتي في جميع الأحيان تصحبها الأعراض التالية: سقوط في الشعر، ظهور حبوب غريبة تشبه مرض الصَّدفية منتشرة في الجسم وعلى الوجه، كدمات وبقع زرقاء، وإما نحافة أو سمنة شديدتين، ضيق في

التنفس، غشاوة وضعف في البصر، إنسداد في الأذنين مع آلام الرأس الدائمة، وخفقان في القلب، الرغبة المستمرة في التقيؤ... إلخ.

وإضافة إلى ذلك بروز أمراض أخرى لا تعد ولا تحصى يكون سببها هيجان في الدم وكذلك حموضة في المعدة وركود ذلك الدم المتسمم تحت مسامات الجلد، حيث تزداد الحالة حرجًا في بداية رقوة القرآن الكريم وأثناء تناول وصفة عسل النحل الأسود من عسل السدرة أي تلك الوصفة التطبي – روحانية الممزوجة بالأعشاب الخاصة بالسحر الداخلي بمعنى سحر (ذيْ الجُّنُبْ) الباطني.

ومن هنا يأتي الحديث النبوي الشريف للرسول – صلى الله عليه وسلم – قبل 10500 سنة مؤيدًا لتلك الأعراض في قوله: "إذا هاج بأَحدكم الدم فليحتجم فإن الدم إذا تبيغ بصاحبه يقتله"، حيث يكون هدف هذا النوع من الأسحار التعذيب والمرض الجسدي وعدم القبول عند الآخرين الذي يرجع سببه إلى (سحر ربط ومنع عن الزواج أولاً، أما ثانيًا جلب ومحبة لشخص دون سواه) وتظهر مخلفات أضرار سحر التوكال عند هذه البنت المطعومة من خلال النفور الجنسي والخوف الشديد المتمثل في العزوف عن الزواج لمدة تجاوزت 11 سنة رغم جمال وجهها وجمال جسدها الذي لا طالما أعجب به الجنس الآخر، فكانت الجلسة التي حضرناها، جلسة لإبطال (سحر التْجْرَابْ) بمعنى مرض السحر المأكول كان ذلك عن طريق طرد الطاقة السلبية المتراكمة.

ومن خلال الخطوة الأولى؛ أحضرت المطببة الرُّوحانية سطل به مزيج من الماء مغلى فيه عشبة السذاب أي بمعنى عشبة (الفيْجْل) ثمَّ شرعت في سقاية تلك الفتاة بملعقتين كبيرتين ثم باشرت بعد ذلك تلك الفتاة المتسممة في الوضوء الأصغر، وحتى تليها بعد ذلك عملية (القَلْعَانْ) مدة _ 07 أيام _ متتالية، حيث إنطلقت المطببة في تطبيبها وهي تضرب على فخضي الفتاة بتلك (العَصَى الرْوحَانيَّة) الملوى عليها بمنشفة مبللة بماء نقي ومقروء عليه آية الكرسي والفلق والناس كل واحدة منهما عدد – 7 مرات – وهي تردد الكلمات؛ (حَاسبْنيْ بْمَا فيْهَا) وبصفة متتالية مع محاولة إستنطاق تلك المريضة، وإستغاثة منها بعالم الجن المسلم (الرْوَاحيْنْ) من الصلاح الذين يقومون بمساعدتها في عملية الإستشفاء بالرُّوحانيات الفاضلة.

الملحق رقم 50: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ أدوات و طقوس رقوة تطبي – روحانية تمارس من طرف طبيبة روحانية مشهورة بعلاجها لـ مرض السحر المأكول بـ الطب الرُّوحاني الفاضل

صورة ملتقطة تبين؛ طقس تطبيبي يسمى بطقس " القَلْعَانْ " تقوم به مطببة روحانية عن طريق " العصا الروحانية " و " المنشفة الروحانية " المباركتين مع " القليل من منقوع السذاب " الذي تنقع فيه تلك المنشفة ثم تقوم الطبيبة بعصرها ولويها بشكل دائري على تلك العصا المتوارثة من جدتها

حيث يمارس ذلك الطقس الإستشفائي؛ بالضرب المتواصل على فخضي الفتاة مع ترديد كلمات متواصلة تحتوي على: " حاسبني بما فيها " بمعنى أن تلك المعالجة الروحانية في هذه الحالة تكون مخاطبةً لعالم الجن الصالح النوراني في جلسة (الحضرة) أو جلسة (الخلوة) الروحانية الإستشفائية، ويكون ذلك بالإستغاثةً بهم حتى يحضروا المجلس وبالتالي يساعدونها في إخراج سم السحر المأكول المسلط عن طريق مستحضر سحري وحارس من الجن الظالم بهدف التمريض.

وإستمرت المطببة الرُّوحانية وهي تضرب على فخضي تلك الفتاة المغدورة بضربات خفيفة وهي تسأل: (وَاشْ تْحسّي فيْ رُوحْكْ؟)، لتكون الإجابة (آهْ بْدِيْتْ نَخْفَافْ) بمعنى أنها بدأت تحس بإحساس تدريجي من خلال زوال الثقل الموجود على مستوى كتفيها وبالتحديد في منطقة (المسْلاَنْ) أي أسفل الظهر حسب اللغة الشعبية

التبسيَّة، من هنا قامت الروحانية بإستئصاله من منطقتي القلب و (الملْغيْغَة) بمعنى إخراجه من مقدمة الرأس، فهذه الأخيرة هي التي يطلق عليها في الطب النبوي الشريف إسم (المُنْقذَة) والإضافةً إلى ذلك شاهدنا زوال تلك الأرياح السلبية وتلك الشحنات الكهرو – مغناطيسية الخبيثة من منطقة آخر الرأس بمعنى منطقة (الأَخْدَعَيْنْ) أي تلك المنطقة التي إحتجم فيها الرسول (محمد) – صلى الله عليه وسلم – مكان وجود خادم التوكال ومكان عُقَد السحر المأكول، وهذا كان بالنسبة للخطوة الثانية.

أما الخطوة الثالثة؛ فيكون بسقاية تلك الفتاة بملعقتين أخرتين من السذاب والماء المرقى عليه ما تيسر من ما حفظته تلك المطببة من كلام الله عز وجل بصفتها معالجة (أُميَّة) ولم تدخل المدرسة في يوم من الأيام، ثم باشرت بعد ذلك في قراءة: (الفاتحة، المعوذتين، الإخلاص، وآية الكرسي) – 7 مرات – مع النفث الكثير، حتى تليها بعدها عملية الإستفراغ (القَيّء) حيث يكون ذلك بتمرير تلك المطببة ليديها الإثنتين على منطقة (البطن، الرأس، والحنجرة) وهي تضغط وتواصل النفث مرددةً (أُخْرُجْ يَا عَدُو الله) وهي تذكر كذلك (أسماء الله الحسنى) بصوت عالي وتعظيم شأنه عزَّ وجل وتتوسل إليه بإعتبار الشفاء إلاَّ منه تعالى وما المعالج الرُّوحاني حسبها إلاَّ سبب سخره الله في طريق المتسمم المسكين.

صورة ملتقطة تبين؛ أدوات تطبيبية تسمى بـ " منقوع عشبة الفيجل " و " العصا الرُّوحانية " و " المنشفة الرُّوحانية " بيضاء اللون هي عبارة عن مقتنيات تستعين بهم تلك المطببة لإتمام طقوس عملية الرُّقوة الشعبية الرُّوحانية لهؤلاء الأشخاص المصابين بـ مرض سم السحر المأكول حيث يكون ذلك عن طريق إستحضار الرُّوحانيات الفاضلة في عملية الإستشفاء

صورة ملتقطة تبين؛ جلسة " الإستفراغ " أو جلسة " القيء " يستخرج من خلالها مرض السحر المأكول حيث تستمر تلك الجلسات العديد من المرات إلى حين تأكد المطببة الرُّوحانية من أن جميع سموم المعدة قد خرجت ولم يبقى لها أي أثر ومن الممكن أن تستمر مدة ثلاثة أيام أوأكثر حيث تكون هذه العملية في الصباح والمريض على الريق

صورة ملتقطة تبين؛ طقس تطبيبي يسمى بـ " ماء القَلْعَانْ المدنس " الذي يعصر في كل مرة من تلك المشفة الرُّوحانية ثم تقوم المطببة بوضعه في زجاجة نظيفة وتأمر المريضة على أن تسكبه في الحشيش الأخضر بحيث لا يراها الناس وهي تقوم بذلك الطقس

ومن خلال معايشتنا لعملية الرقوة الرُّوحانية الفاضلة؛ لاحظنا أن الماء المنقوع في السذاب كان صاف أول مرة ثم بعد تكرار تلك الطقوس الإستشفائية المتواصلة خرج ذلك الماء متسخاً وليس في لونه الأول حيث جذب إليه جميع تلك القوى السلبية المؤذية من عالم الجن والشياطين داخل بدن ذلك المريض المتسمم بمقتنيات هذا السُّم الشعبي الخطير.

وفجأةً؛ ما لبثنا حتى لا حظنا إنتزاع الغمة عن تلك المريضة المتسممة بشكل كان خارقاً للعادة حيث رأينا إحساس فوري قد ظهر عليها متمثلاً في الإطمئنان والراحة والرضا النفسيين تجسدوا جميعهم من خلال ظهور بياض في وجهها وهي تتلفظ قائلةً (الحَمْدُ لله رَانِيْ لَبَاسْ) بمعنى تحمده تعالى على فضله العظيم، وفي الحين الآخر كان المرور مباشرةً إلى العملية التطبيبية الموالية وهي طقس؛ (الكَّيْ) بعشبة (الحَلْفَة) لقطع (الخَلْعَة Longoize) وعن طريقه تمَّ محاولة إخافة ذلك الجني الساكن في البطن والمخلف للأمراض العضوية المتنوعة التي من بينها الخوف والوسواس القهري.

وبإعتبار بداية هذا المرض يبدأ بظهور ضرر على مستوى (الكولون العصبي Colon irritable) مكان ترسب سموم السحر المأكول، وكذلك مكان ظهور العرق

الخبَّاط النَّابض في الصُّرة، أين تمَّ من خلال تلك المطببة الرُّوحانية في وضع نقاط تحيط بهذه الأخيرة بمعنى (الصُّرة) ووصولاً إلى منطقة (الجبْهَة) بمعنى تلك المنطقة الأمامية من الفرج، فأثناء هذه الممارسة التطبي – روحانية قفزت تلك الفتاة وهي تبكي خائفة وتريد الهروب من المطببة وحسب هذه الأخيرة أن الجن هو من خاف ويريد الهروب وليس الفتاة في حد ذاتها، وإستمرت بعدها هذه العملية لمدة _ 7 أيام _ متتالية.

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " قلع الخلعة " أو طقس " قلع الخوف " عن طريق عشبة الحلفاء؛ وهو ما يسمى تبسيًا بـ " قلع الفَجْعَة " حيث تستخدم هذه الممارسة التطبي – روحانية في الجلسة الأخيرة من الرُّقوة المباركة أين يكون ذلك بالكي على شكل نقاط تحيط بمنطقة الصرة مكان تمركز سُم السحر المأكول و مكان تمركز الجني الحارس الموكل بحراسة تلك المستحضرات السامة داخل المعدة و الأمعاء والكولون العصبي

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " حرق عشبة الحلفاء " التي تسمى في اللغة الشعبية التبسيَّة بـ (الحَلْفَة)؛ حيث تستخدم المطبة الرُّوحانية هذه الممارسة بعد إخافة الجني الحارس وإخراجه من جسد تلك الفتاة المتسممة حيث يستمر هذا الطقس التطبيبي لمدة – 7 أيام – متتالية

كان هذا بالنسبة لليوم الأول مع الإغتسال بمعنى (الوُضُّوءْ الأَكْبَر) في جميع مناطق الجسم، حيث يكون ذلك في كل يوم بالسُّذاب المغلى (الفيجل) وسبع ورقات سدر مدقوقة بين حجرين تصب دفعة واحدة فوق الرأس وتترك حتى تنشف على الجسم وتمارس هذه الممارسة التطبي – روحانية في وقت آذان العصر مع (النْفُولْ)؛ وهو ذلك البخور المشكل من مجموعة الأعشاب الخمسة الطاردة للجن المتلبس من حراس المأكول، حيث يكون إتمام ذلك الطقس الروحاني عن طريق صرف العمار بمعنى (عمار البيت من غير الصلاح) أي قبل البدأ في عملية التبخير بوقت قصير لكي لا يؤذى جسم المريض، حيث يتم طقس التبخير التطبي – روحاني هذا عن طريق فتح القدمين فوق موقد النار ويعرض الجسم كاملاً لتلك الروائح الحارقة مع تقريب الأنف أيضاً من الموقد وبالتالي يتم شم كل ذلك البخور حتى يمر إلى الدماغ ثم إلى الخلايا والأعصاب.

صورة ملتقطة تبين؛ طقس عبارة عن " خيط أحمر " يربط على زند الفتاة مع " غصن أخضر " و عشبة السذاب " الفيجل " حيث يستخدم هذا الأخير لغسل الجسم لمدة – 7 أيام – متتالية بين العصر والمغرب ويستعمل زيت الزيتون المقروء عليه آيات السحر الباطني للدهن على الجسم قبل الخلود إلى النوم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2018/10/15. على الساعة؛ 10:20 د

حيث تستخدم تلك الطقوس والممارسات التطبي – روحانية من أجل طرد خادم السحر المأكول (سحر التوكال) الموكل بإمراض جسد تلك الفتاة المسكينة، وتكمن الدلالة الرمزية من وراء الأدوات الرُّوحانية المستعملة في العلاج هي إخافة الجني اليهودي (الأسود) أو الجني المسيحي (الأحمر) من هذين الصنفين بالتحديد.

ونعرف أن ذلك البخور الروحاني؛ هو المفضل في كتاب الطب النبوي الشريف والمتكون من (اللبان، الحرمل، الزعتر، الشيح، المر) حيث يُنَفَلْ به بمعنى (يمسح به) من طرف المسحور بعد كل آذان بدايةً بما بعد صلاة الفجر ويكون ذلك عن طريق نزع الثياب كاملة إلى وقت فك العُقَدْ جميعها والشفاء من آلام المفاصل. أما في اليوم الموالي تحدد تلك الروحانية الفترة الصباحية على أنها خاصة بجلسات تطبيب بالكي لمرض (الخَلْعَة) و مرض (الشَّقيْقَة) ويكون ذلك بسكب عسل النحل الأسود في المنخارين وبعدها تقوم بالقيام بطقس (الحجَامَة) بإعتبار ذلك الزمن هو المناسب في الزيادة من نشاط

الدورة الدموية، فهذه الأمراض عادةً ما يرجع سببها في كثير من الأحيان الى الجن وسحر التوكال النباتي والحيواني والمعدني وسحر التوكال ببقايا جسم الإنسان، حيث وجدنا مجمل تلك الحالات التي نحن بصددها قد تأرقت وتدهورت صحتها من إستعمال تلك الأدوية الكيميائية والصيدلانية التي يصفها أطباء الطب الحديث لمرضى السحر المأكول والتي زادتهم من الطين بلَّة، وعلى إثر هذا إزداد أصحاب الطب الشعبي ثقةً وحرصًا على تتبع مواطن الألم مرورًا بتلك الممارسات والطقوس العلاجية وبصفة تدريجية، إلى حين الوصول إلى وصفة (عْسَلْ النحل الأسود) بمعنى ذلك العسل الشافي الخاص بهذا النوع من الأسحار.

صورة ملتقطة تبين؛ طقس " الحجامة النبوية الشريفة " يظهر على مستوى يد فتاة مصابة بمرض السحر المأكول

صورة ملتقطة تبين؛ " دم فتاة " مصابة بمرض السحر المأكول يخرج على شكل فقاعات وأكياس من خلال طقس الحجامة النبوية الشريفة

صورة ملتقطة تبين؛ طقس خلطة " عسل السدر " ما يسمى تبسيًّا بـ (عسل السدرة) مع طقس " البخور الروحاني " المقروء عليه آيات من القرآن الكريم حيث تبخر به الفتاة المتسممة بمرض السحر المأكول أثناء آذان الفجر وبالإضافة إلى ذلك يظهر لنا طقس "الحجامة" النبوية الشافية المعافية حيث قامت الطبيبة الرُّوحانية بإستخدام تلك المقتنيات على نفس تلك الفتاة المبينة في الصور السابقة وذلك من خلال القيام بجلسات تطبي – روحانية متفرقة إستمرت لمدة قد تصل إلى عام كامل

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. ما بين؛ 2017/03/19 إلى غاية 2018/02/15

الملحق رقم 51: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ " قسط هندي "، "سدر "، " قطران "، " مسك أبيض "، " مسك أسود "، " زيت الحبة السوداء" بالإضافة إلى " زيت زيتون " مقروء عليه آيات القرآن الكريم مع التوكيل الرُّوحاني الخيّر بإعتبار هذا الأخير (التوكيل الروحاني الفاضل) طقس تطبي – روحاني يستخدمه الطبيب الرُّوحاني للزيادة من نورانية الزيت أثناء الدهن على الجسم والذي سيعمل على إضعاف قوة الجني الموكل بحراسة تلك السموم الداخلية والخارجية المتربصة بالمتسمم

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2021/03/30. على الساعة؛ 11:10 د

الملحق رقم 52: صورة ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ " الزيوت السبعة " الحارقة لخادم السحر المأكول المشكلة من " زيت الزيتون "، " زيت القسط الهندي "، " زيت السذاب "، " زيت الحبة السوداء "، " زيت المسك الأسود "، " زيت الحرمل "، " زيت القرنفل " مقروء عليهم جميعهم آيات القرآن الكريم مع نفث تلك " طاقة الرُّوحانية " التي تخرج من نفس الطبيب الرُّوحاني وتستعمل يومياً للدهن على الجسم بالإضافة إلى وجود صورة قنينة " قطران " توضع شكل نقاط على مستوى الجبهة وخلف الأذنين وعلى شكل إسوارة خلخال في مرافق اليدين والقدمين لمنع دخول الحارس الخارجي المتلبس. وتوضح الصورة كذلك "ماء مرقى" بالقرآن الكريم يحتوي على القليل من السدر والقسط الهندي حيث يستخدم للشرب لإبطال مفعول سُم السحر المأكول من خلال محاولة منع تجديده من طرف ذلك الشيطان الموكل

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج. مدينة تبسة. في؛ 2020/08/17. على الساعة؛ 13:12 د

الملحق رقم 53: صور ملتقطة من الميدان التّبسي تبين؛ طقس " الحجامة النبوية " المباركة أستخدمت لرجل مصاب بمرض السحر المأكول من طرف طبيب روحاني حيث كان تطبيقها من خلال الجلسات الأخيرة من رقوة المسموم حيث إستمر هذا الطقس التطبي – روحاني حوالي عامين كاملين بهدف طرد تلك السموم الدموية المترسبة تحت مسامات الجلد دون إحداث أي ضرر قد يصيب الجسم أين يبقى ذلك المريض المحتجم على تواصل مع المعالج في كل ثلاثة أشهر يستخدمها مرة واحدة في المناطق الآتية:

البطن، الظهر، القدم، الصدر، المعدة، الرأس

صورة ملقطة تبين؛ طقس الحجامة مورس على " منطقة الظهر " لـ رجل أصيب بمرض السحر المأكول... هذا حسب تطبيب الرُّوحاني المعالج

صورة ملتقطة تبين؛ طقس الحجامة مورس على " منطقة البطن " لـ رجل أصيب بالسحر المأكول... هذا حسب تطبيب الرُّوحاني المعالج

صورة ملتقطة تبين؛ طقس الحجامة مورس على " منطقة القدم " لـ رجل أصيب بالسحر المأكول... هذا حسب تطبيب الرُّوحاني المعالج

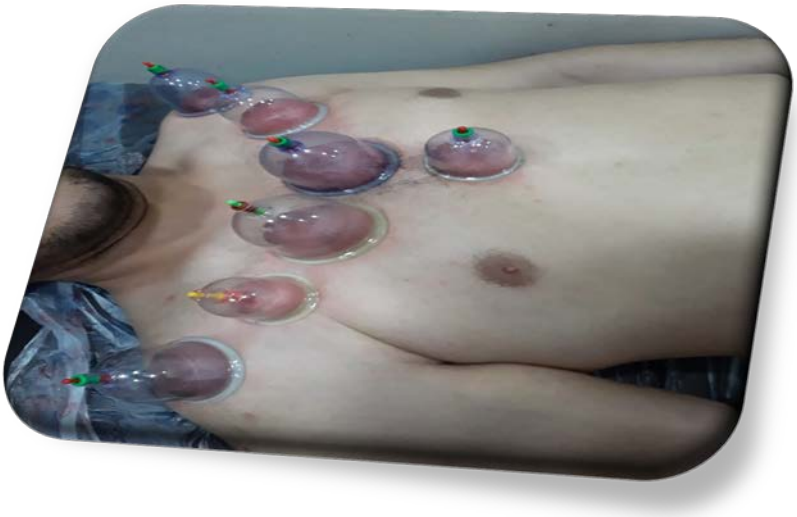

صورة ملتقطة تبين؛ طقس الحجامة مورس على " منطقة الصدر " لـ رجل أصيب بالسحر المأكول... هذا حسب تطبيب الرُّوحاني المعالج

المصدر: الإخباريون. مدينة تبسة. ما بين؛ 2017/06/12 إلى غاية 2020/05/16

وتترك وصفة عسل السدر؛ هي الأخيرة خوفًا على صحة المريض من مرض العضال هذا الذي يفضي في كثير من الأحيان أثناء رقية الشخص المطعوم إلى الوفاة، ومن الضروري أن يسبق هذه العملية إضعاف ذلك الجني المتلبس، ثم تمزج بعدها هذه الوصفة المكونة من: ثلاث ملاعق كبيرة من قسط هندي، وملعقتين إثنتين في كل من الحبة السوداء بمعنى (السَّيْنُوجْ)، السدر، الفاسوخ الأبيض، مع إضافة لتر من زيت الزيتون الأصلي مرقى عليهم ما تيسر حفظه من آيات القرآن الكريم وبالأخص الآيات الخاصة بالسحر بشكل عام، وبشرط توفر النّية من كلا الطرفين (المعالج) و (المريض) إعتقادًا و إيمانًا بالآية الشَّريفة: " وَنُنَزلُ منَ القُرْآن مَا هُوَ شفَاءٌ وَرَحْمَة لّلْمُؤمنينَ وَلاَ يَزيدُ الظَّالميْنَ إلَّا خَسَارَا ".

حيث وجدنا أن هذه الوصفة يرافقها طقس شرب " الماء المرقي " مع " طقس الدهن " يوميًا على الجسم بـ " خل التُّفاح " ووصفة " المسك الأسود " و " الملح الخشن " بمعنى الملح الذي يستخرج من البحر، حيث تكون ممزوجة مع تشكيلة من الزيوت: (زيت القسط الهندي، السذاب، الحبة السوداء، الحرمل، العرعار) إلى حين ملاحظة هيجان الدم (الْحَامضْ) وشديد الملوحة وبالتالي تراكم تلك السموم تحت مسامات الجلد، حينها يأخذ

المريض والمطبب الإستغاثة بالله والإستعانة بحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "إذا هاج بأحدكم الدم فليحتجم، فإن الدم إذا تبيغ بصاحبه يقتله" وفي حديث آخر: "الشيطان يجري من إبن آدم مجرى الدم"، وهذا ما يقابله في التَّعبير التّبسي (سَالْ الْدَّمْ زَالْ الْهَمْ) وقتها فقط يتهيأ الشخص المطعوم ليفسح المجال أمام المطبب حتى يواصل الإستطباب بطقس الحجامة دون خوف من كلا الطرفين، حيث يباشر ذلك "الحجام الرُّحاني" بمنطقة البطن ويتتبع مواطن الألم المتبقية بالتدريج، وهنا ينصح المريض باللجوء إلى طبيب عام حتى يعطيه أدوية وفيتامينات يتمكن عن طريقها من ترميم مرض سوء الإمتصاص ومرض إلتهابات الحلق.

وأثناء تتبعنا لحلات الإصابة لدى أفراد المجتمع التّبسي؛ تعرفنا على أنوع تلك الأدوية: (ميغاميلاز Mégamylase)، (هيكساليز Hexalys)، وفيتامين ب1 – ب6 (نورفيت Neurovit)، و (جالفور كرنيتين هلام ملكي Gelphore Carnitine + Gelée Royahe)، حيث ينصح كذلك المريض بمراجعة أخصائي في الجهاز المناعي بهدف علاج تضرر (الغدة الدرقية و الغدة النخامية) و (الجيوب الأنفية) وحاسة (الأذن) ومراجعة أيضاً طبيب مختص في الأمراض الباطنة قصد علاج ظهور (جَايْرْ) بمعنى (حموضة المَعدَّة) التي تشبه الحريق مكان تمركز تلك السموم ومكان إلتهاب الجرح الذي سببه القيّء المتواصل، ومن تلك الأدوية حسب مرضى مجتمع البحث وجدنا: (فيتاماج Vitamag)، (أنتاق Antag)، (سولوبريد هوب Solopred Hup)، (تيرلور Tirlor)، (مومينكس Momenex)، إضافة إلى ذلك تناول مأكولات تحد بدورها من مرض (فقر الدم Anémie) كالعدس الأحمر وكبد الدجاج... إلخ.

وهناك من المطببين الرُّوحانيين في مدينة تبسة؛ منهم من يستعمل معتقد " الزردة " في علاج المريض بتسميم السحر المأكول ذلك حسب قول أحد المبحوثين في منطقة (بئر العاتر) في زردة (سيدي عبيد): حيث يقول في لمة الولي الصالح سيدي عبيد تعالج جميع الأسحار المعمولة للعباد وخاصة المأكول منها، وذلك من خلال إقامة سهرية روحانية يصحبها التدروش وروائح العطور وذبح الأضاحي والأغاني والصلاة على النبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وسلم).

وما لبثنا حتى شاهدنا جلسة تطبيبية على المباشر لمرض السحر المأكول؛ حيث رأينا شخص يقول أنه مطبب روحاني بدأ يتدروش ويتدروش ويردد على لسانه كلمات غير مفهومة، وكان المريض بسحر التوكال واقف أمامه ثم لحظات قليلة وصرع على الأرض فأعطاه المعالج لتر من الماء حتى يشربه كاملا دفعة واحدة، ثم ضغط على معدته فقام بالقيء وإستفراغ سموم صفراء عبارة عن بيضة دجاجة نتنة الرائحة، ثم نقلوا المريض بعدها إلى المستشفى لأن السحر المأكول كان قديماً جداً وخرج منه مثل خروج الروح من الجسد التي تتسبب في الموت والإنتقال، وبعد مراقبتنا للحالة وجدنا أنها تحسنت وتشافت بعد مرور شهرين من زمن تلك الزردة.

وأثناء ترددنا على هذا المطبب في العديد من المرات إلى حين كسب ثقته التامة، صرح لنا أن عملية تطبيب السحر المأكول تلك كانت كالآتي: حيث إتبع الجن الحارس بقراءة "التعزيمة الرُّوحانية" التي لم يصرح عنها، وقال أنه حاول محاصرته في منطقة المعدة ثم أوصله إلى الخروج النهائي في وقت وجيز، حيث يقول أنه أثناء إخراج ذلك الجن الحارس أعطاه " العاهد " بمعنى العهد في أن لا يعود ويقوم بنشر تلك السموم السحرية من جديد داخل بدن ذلك المريض، حيث صرح لنا أنه وضع الكاشي الخاص به بمعنى وضع (الختم الرُّوحاني) على منطقتي المعدة والأمعاء. ووصف لنا مؤكدا أن المسحور بسحر توكال حبة البيض شفي أثناء خروجه من المستشفى وبعد تبخيره 21 تبخيرة تعزم وتدور وجسمه عريان بالكامل وهو في خلوة بيته.

حيث يطبب الطبيب الرُّوحاني التّبسي؛ جنية " التابعة " أو " أم الصبيان " الناتجة عن مرض السحر المأكول؛ التي عادةً ما تتسبب في سحر الأرحام وبالتالي عدم الإنجاب بالنسبة للمرأة التي تريد الحمل، حيث تفقدها البويضات فلا يتم الإخصاب داخل الرحم، ولو فرضنا أنها حملت تقوم هذه الملعونة بإسقاط الجنين عن طريق ضربه بواسطة إرتفاع حرارة الرحم أو تقوم بعمل نزيف لتلك الأم المسكينة حيث لا ينقطع بعد عملية الإسقاط، وسميت بأم الصبيان نسبة إلى هذا الفعل السحر – توكالي الذي تقوم به.

وتعرف أعراض هذه الجنية الخبيثة من خلال وجود آلام متنقلة أسفل الظهر وفي الرحم من جهة المبيضين، وكذلك عدم إنتظام الدورة الشهرية والتي يصحبها دوخة وقيء

شديدين. وفي هذه الحالة يطبب الطبيب الرُّوحاني المرأة الموكلة بجنية التابعة؛ حيث يقرأ عليها آيات إبطال السحر مع أدعية حرق توكال التوابع حيث يكون على الماء لتقوم بشربه، مع زيت زيتون مقروء عليه القرآن الكريم للدهن على الجسم في منطقة الرحم وأسفل الظهر وفي منطقة الصدر، أين يطلب من المريضة الإغتسال بالماء المرقي مع – 7 ورقات سدر – بعد دقها في الخلاط لمدة – 7 أيام – مع خلطة عسل النحل للتنظيف الباطني ثم تواضب هذه المرأة على هذا البرنامج التطبيبي إلى حين شفائها، وإذا تحسنت قليلا ولم تشفى تماماً تعيد نفس الرُّقوة مرة ثانية.

نقول أن هذه الجنية المرأة؛ هي عبارة عن مس خارجي يدخل الجسم ويخرج في أي وقت يشاء، وهي جنية سوداء تكره تواجد الأجنة داخل بطن الأم الحامل، إذ تعطل زواج الفتاة إن كانت عندها متوارثة من الأب أو من الأم وإذا حملت المرأة وهذه الملعونة متخفية داخل رحمها وكانت لم تسقط جنينها وولدته سالماً إذ يظهر لها مع مرور الوقت أن طفلها مصاب بمرض التوحد حيث يظهر من خلال أعراضها وأمراضها المتواجدة فيه وهي كالآتي؛ تغير في لون جسمه إلى اللون الأزرق أو الأحمر، تأخر في النطق، عدم الحركة الطبيعية لهذا الرضيع مع البكاء الكثير، ولدى البنات تظهر هذه الخبيثة الأعراض والأمراض المتمثلة في الصداع المستمر مع سقوط الشعر، الوخز والضرب أثناء النوم، التأخر الدراسي والعملي، إصابات عضوية كثيره وكذلك إصابات نفسية مثل الإنطواء على الذات وعلى الآخر مع وجود التوتر والقلق مع بعضهما البعض.

ولاحظنا في الميدان التّبسي؛ أنه عندما تذهب المرأة الحامل بتابعة الجن إلى عمل تحاليل الحمل حيث لا تظهر عندها أية نتيجة إيجابية، بإعتبار هذه العجوز الملعونة تقف كحائل بين وصول مني الزوج إلى تخصيب بويضة تلك المرأة.

لكن عند إتحاد التطبيب بالطب الرُّوحاني مع التطبيب بالطب الحديث يجب مرعات تشكل التفاعلات الدوائية بإعتبارها مشكلة صحية رئيسية، فإلى جانب التفاعلات الموجودة أصلا بين عقارين، هناك تفاعلات أخرى بين الأدوية وبعض المواد الأخرى مثل الأطعمة أو المواد الغذائية، فالتفاعل بين الغذاء والدواء يؤثر على الإمتصاص والتوزيع، والتمثيل الغذائي والإطراح. ففي الأمعاء يكون أكبر التأثير في الإمتصاص مع

تغيرات أساسا في كمية من الأدوية الممتصة قد يكون له تأثير كبير في الجانب السريري لبعض الأدوية التي تتميز بهامش ضيق في الفعالية، إن نسبة إمتصاص الدواء في وجود الغذاء يتم تحديدها من قبل الخواص الفيزيائية للدواء وهذا بسبب تأثير الطعام على إحدى المعايير التي تحدد الإمتصاص مثل: حموضة المعدة وإفراغ المعدة ونسبة الدهون في المواد الغذائية، وإستخدام النواقل بين الدواء والمواد المغذية، وكذا التفاعلات الكيميائية بين العناصر المكونة للأدوية أن حالات الصوم أو سوء التغذية يمكنها التأثير على توزيع الأدوية عن طريق زيادة نسبة الدواء في الدم مما قد يؤدي في بعض الأحيان لخطر الجرعة الزائدة (Bahri et Douaoui et Gharbi et Amroun, 2014, P: 100). لذا يجب مراعات كل هذه الإحتياطات العلاجية أثناء المزج بين الإثنين العلاج الرُّوحاني والعلاج الحديث لمرض السحر المأكول وحتى لا يترتب عن كليهما نهاية حياة ذلك الشخص المتسمم.

فالأخطر والأمر من تلك الممارسات التَّسميمية هو فقط بلوغ الشخص إلى الغاية التي يصبوا إليها، حيث لا يعلم الكثير منهم حجم الضرر الذي يأتي من ذلك التسميم المباشر وغير المباشر، ويكمن ذلك في إعتباره مقدس شعبي ضروري يدخل ضمن طقوس العبور. ومن هنا جذبنا الموضوع على الرغم من صعوبته الميدانية في إعتباره من طرف هؤلاء المطببون على أنه سر مهنة ولا يمكن البوح به إذ تمكنا من رصد دلالته الرمزية من قريب ومن بعيد في مكان عمل الطبيب الرُّوحاني التّبسي الذي أثبت نجاع علاجاته المباركة والشافية لمرض السحر المأكول النباتي و الحيواني و المعدني و مرض السحر المأكول الناتج عن بقايا جسم الإنسان.

خلاصة الفصل:

تظل المادة المقدمة هي عبارة عن موضوعين منفصلين ألا وهما: الطب الروحاني والسحر المأكول، وقد عمدنا في هذا التحليل التصنيفي الخاص بالجزء الأول أن نبين في أولها مرض السحر المأكول المعدي وغير المعدي الناتج عن هذا التَّسمم الإجرامي المسكوت عنه في مجتمع البحث، أما في الجزء الثاني فتتطرقنا للجانب التطبيبي الرُّوحاني كتكملة أنثروبولوجية إنتهت بالجانب التطبيبي، حيث وجدنا من خلال هذا الأخير (الطب الروحاني) في أن المقتنيات المتوافرة الأكثر منها إعتقادًا وممارسةً تلك المقتنيات المتوافرة لدى الممارسين من فئة المطببين الرُّوحانيين كل عنده على حسب رموزه الثقافية المحلية والبيئية المتمثلة في جذوره عاداته الرُّوحانية المتأصلة والمتوارثة من زمن الآباء والأجداد، والمغزى من ذلك أننا سردنا للباحث العلاج من مرض السحر المأكول الناتج عن السُّموم الطبيعية وما خلفه أضرار عضوية ونفسية وعقلية وخيمة التي مارسها أغلبية أفراد المجتمع العربي والغربي منذ الحضارة البدائية.

نتائج الدراسة

من خلال هذا البحث المتواضع عن معتقد السحر المأكول بمدينة تبسة؛ يمكننا القول أن هذا الأخير حسب أفراده هو كل ما يتم تناوله من طرف الجسم البشري أو الجسم الحيواني فيأخذ المنحى الحواسي أثناء عملية الإنتقال وبالتالي إحداث فعل التَّسميم المطلوب، وبإعتباره يتشارك من حيث أعراضه وأمراضه مع معتقد سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) إذنً فالظاهرتان تعكسان حالياً واقعاً إجتماعياً وثقافياً سائداً في الفترة الراهنة، إذ لهما جانب رمزي من خلال ما يرافقهما من طقوس وممارسات وما يرتبط بهما من عادات وتقاليد، فالبيئة الاجتماعية التبسيَّة هي التي عززت وجودهما وإستمرارهما.

ومن خلال مقاربتنا؛ حاولنا إلقاء الضوء على سحرهما المأكول كأحد المعتقدات الشعبية، أين تتميز عناصر التراث الشعبي المرتبطة بهما بالاستمرارية والإنتشار، مما يظهر لنا شيوع الاعتقاد بكليهما من خلال المساهمة الفعالة التي قامت بها البيئة الثقافية والاجتماعية عبر ذلك الانتقال بين الأجيال ومن خلال التنشئة الاجتماعية، والحكايات المتواترة عن مدى سُميَّتهما التي ترجع إلى عدة عوامل كـ : قوى ما فوق الطبيعة أو إنتفاء البركة، ولـ سحر توكال العين الحاسدة أنواع عديدة وأعراض منها الجسمية والاجتماعية التي تؤثر في الأطفال، والأفراح، والممتلكات، والمواشي والمركبات وغيرها، وكذلك في النجاح الدراسي، وهذا ما شهدناه من خلال إنتشار الممارسات المختلفة في مواجهتها، حيث يظهر ذلك في تأصيل المعتقدين في الجانب الديني والشعائري، وبالإضافة إلى ذلك إستمرار الأحداث اليومية التي تدعم وجودهما، وإعتبار أن أي شر أو أذى يصيب الأفراد التباسَّة يرجع سببه إلى ضربة سحر توكالهما.

كما كشفت الدراسة الميدانية على إنتشار الاعتقاد بتوكال العين الحاسدة لدى فئات المجتمع التّبسي؛ عند أغلبية أفراده من خلال الممارسات والطقوس المستخدمة، كما تلعب الظاهرتان دوراً هاماً من خلال النسق الاقتصادي ويتجسد ذلك في الخوف على الممتلكات ومصادر الرزق حيث كان ذلك بشيوع المعلقات المختلفة كأصابع الكف الخمسة، والعين الزرقاء، واللوحات القرآنية التي تحوي آيات الحفظ، وكذلك اللجوء إلى تعليق عجلات السيارات فوق المنازل، مع حمل قطع من الرصاص سواء تعليقها في

السيارة أو وضعها في حمالة مفاتيحها، لأنه حسب إعتقادهم أن الأمراض الباطنية التي تخلفها العين الحاسدة تكون من الأشخاص المقربين حتى عن غير قصد، حيث حرص هؤلاء الأفراد على ترديد العديد من عبارات الحفظ قصد إلفات النظر إلى هذه العبارات، حيث نجد النسق الديني ساهم إسهاماً كبيراً في تأصيل كلا المعتقدين من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والممارسات المرتبطة بالمعتقدات الدينية، كالرُّقى وكتابة آيات الحفظ والمعوذتين على الممتلكات المختلفة، كالمنازل والمكاتب والمحلات التجارية والسيارات، إلى جانب الاستعانة بالعبارات الدينية لمواجهتهما مثل "الله يبارك"، "بسم الله"، "صل على النبي"، "الله أكبر" والمقصود منها لفت الإنتباه وتوجه الأنظار إلى تلك المقتنيات، وإبعاد الأذى عن ما يخشوا عليه من مرض سحر توكال شيطان العين و سحر توكال شيطان الحسد.

الملاحظ من أول وهلة؛ في إعتقاد الإنسان التّبسي حول موضوع السحر المأكول من خلال إعتباره أنَّ أكثر المقتنيات التَّسميمية بمعنى تلك الطبيعية الأكثر رواجًا وتداولاً لدى بائعي الأعشاب أو لدى المشتغلين في (السحر الرسمي) من أصحاب الإختصاص أو دونهما من أناس عاديين من أصحاب (السحر الشعبي) القائم على التجربة، وجدنا المكونات: النباتية والحيوانية وبقايا من جسم الإنسان، لما لقدسية هذه العناصر في العمل الطقوسي التَّسميمي السلبي منه والإيجابي الذي عرفنا أنه راجع للفترة البدائية، أين كان الإنسان البدائي في مدينة تبسة طقوسي وأداتي يتمثل وراء القدرة الهائلة المرجوة من عند الحيوان، حيث تجسد هذا الفعل من خلال نقوشه على الكهوف والمغارات وتصويره لأهمية ذلك الثلاثي: (الإنسان– آلة الصيد – الحيوان).

فالمعتقد السحري التّبسي؛ المسمى علمياً بـ السحر المأكول وشعبياً بـ سحر التوكال يتم ممارسته بشكل فردي وسري، حيث يحمل في طياته وظيفة شخصنَّة ورغبة في نفس القائم بهذه الممارسة الطقوسية الشعبذية، والتي لا يحمد عقباها إذا مورست في أكل الجماعة مثل " اللَّمْة " أو " الوَلِيْمَة " الشعبية سواء كانت في الأفراح أو في المآتم والجنازات، خاصة إذا توفرت النّية مع قوة الإعتقاد من كلا الطرفين نشاهد الإطمئنان والثقة باديتين على الفاعل بإستبشار ويقين واضحين في نجاعة ذلك الطقس السحر –

توكالي حيث يكون مع الحرص على إختيار الزمن المناسب بترقب سريان الكواكب، الشهور، الأيام، والأوقات. فحينها وجدنا النظر موصول دائماً صوب الشهر القمري بمعنى أيام (الشهر العربي) مخصصةً أيام العشر الأولى منها لعمل الخير والمحبة أي (السحر المأكول الأبيض) أما أيام العشرية الثانية فهي لعمل سحر الشَّر والإنتقام أي (السحر المأكول الأسود) لكن شرط عدم الإخلال بترتيب تلك الطقوس، حتى تُأخذ واحدة تلوى الأخرى فإذا ثبت العكس يقابل ذلك بطلان في العمل السحري ورجوعه بأذية صاحبه.

في حين نلاحظ العناصر المعدنية الأخرى: (اللَّدون، الشَّب، الملح) يسود الإعتقاد فيها لدى أغلبيتهم على أنها وحدات تطبيبية لا تحتمل الأذية وتحمل في طياتها طابع خيّر يعمل على طقوس طرد الشر، ما عدا معدني (الذهب) و (الفضة) يراد بهما العكس حين يدهن على كليهما " السُّم السحري " أين ينتقل هذا الأخير عبر حاسة اللَّمس ومسامات الجلد إلى العروق والدماء فيسمى بـ سحر التوكال الملموس.

فقد عمدنا في هذا التحليل التصنيفي الخاص بالفصل الثاني والثالث أن نبين في أولها؛ مقتنيات السحر المأكول (سحر التوكال) المسكوت عنها لدى أفراد المجتمع التّبسي أما في الثاني منها؛ فتتطرقنا إلى الجانب التطبي – سحري كتملة أنثروبولوجية تبدأ من التَّسميمي السحري المباشر وتنتهي بالتطبيبي السحري غير المباشر، حيث وجدنا الأكثر منها إعتقادًا وممارسةً تلك المقتنيات المتوفرة لدى المتعاطين في السحر بالسموم الطبيعية حتى من داخل البيوت والمطابخ، كل عنده على حسب رموزه الثقافية المحلية والبيئية وحسب جذور عاداته المتأصلة، حيث توصلنا إلى ما نتج عن تلك المواد السامة من مخلفات أضرار قد تسببت بدورها في أمراض؛ عضوية ونفسية (روحية) وعقلية. فجذبنا الموضوع إلى رصد دلالاتها الرمزية من قريب ومن بعيد في الجانبين: الطقوسي التَّسميمي و التَّطبيبي السحري حسب المعتقد السحري التّبسي.

	السحر المأكول الأسود هدفه **توكال الإنتقام**	**السحر المأكول الأبيض** هدفه **توكال المحبَّة**
نباتات	– الساكتة و المسكوتة الخاصة بالأكل – الحيَّة و الميتة – الحلتيت – شدق الجمل – الفلفل الأسود – الفلفل الأحمر فلفل الزَّيانة. – الحرمل – المُرَّة –اللبان الذكر	– الزنزار – الزبيب، التمر – الحناء – السينوج – الزعفران – المسك الأبيض – سكر نبات – ماء الورد – كسكسي البارود

حيوانات	برية و أليفة	– الحرابي و بيضها – جلد التمساح – قشرة الأفعي و رأسها، و ثوب الحنش و عظامه – دماء (السلحفاة، العصفور، الغراب، أضحية العيد) – مرارة أضحية العيد و صوفها، و مرارة الغراب – شحم القنفذ و شوكه – بيض الديك الأسود – روث البقر، وزبل الغنم – بول البغلة و لعابها – الجيفة	– رأس و قلب و ساق كبش العروس شاة الحلال – بيض الدجاجة وريشها – فرج الضبعة – عظام و ريش و عين و دم الهدهد – كيس مخاض ولادة البقرة – الرَّوامة – عسل النحل
	مائية	– دم السمك – عيون سرطان البحر	

بقايا من جسم الإنسان	– تراب سبع مقابر – كيس جنين المزيود الجديد لخوات – خراء – دم الشخص المقتول في حادث المغدور – أظافر – أيدي و أضلع ميت حديث الدفن	– وسخ الأذنين – دم الحيض – دم التصفيح، و دم الطفل المتخيل لْخيَالْ – لعاب و شعر فرج الزوجين – تراب خطوات القدمين – منشفة مني الزوج و حليب الزوجة طَبَة لْفْرَاشْ
أدوات منزلية	– صابونة و ماء تغسيل الميت – خيط، قطعة كفن، و إبرة خياطته – المهراس النُّحاسي – موقد النار الطَّابُونَة – مسامير – الكسكاس	– صابونة – مشرط مُوسْ لَامْ – خيط النّيرة – سراج – مرآة وضعت في فم شَاةْ لْحلَالْ قبل ذبحها – طاجين مَاعُونْ الْكسْرَة – نُغَادْ، و خْلاَلْ، و سُفَاحَة السَّدَايَة
أوقات	– ليلة حنَّة العروسة – العْوَاشيْر ْ (27 من رمضان، و 10 الأيام الأواخر من ذي الحجة، و أيام العشر الثانية من الشهر القمري و شهر شعبان) – ما بين العصر والمغرب – يومي السبت والأحد – الليالي الغائمة و ظهور نجوم الليل	– سبوع المولود – سبوع العروسة – ليلة الدُّخلة – أيام العشر الأولى من الشهر القمري – الخلود إلى النوم

مقتنيات	– حجاب أو حرز – تعاويذ و جداول و حروف سحرية تمحى في الماء و تشرب أو تكتب على الجزء الداخلى من الثياب – التَّبول على المصحف الشريف – أبخرة و دهانات سامة	– عطور – كتابة طلاسم على الجسم – تمائم فضية مدهونة بمواد سامة – كحل العينين – صرَّة عقاقير
مأكولات	– كسكسي – شخشوخة – شربة – قهوة – بوراك – أطعمة أخرى حديثة لا تعد ولا تحصى، و بالأخص الأطعمة التي تكون دون ملح	– عصير – رفيس – الحلويات في جميع أنواعها
أماكن	– مرحاض – قبر – سطح المنزل – المطبخ – مكان الدم ومكان الذبح – مكان خاص بالحضرة	– فراش الزوجية – قبر – المطبخ – طريق خطت فيه خطوات المحبوب

نتائج الدراسة			
أعراض و أمراض داخلية و خارجية	**عضوية و نفسية**	– القيّء و الغثيان الدائمين – جرثومة وحموضة المعدة، و فقدان الشَّهية – خمول، و رعشة سببهما الكولون العصبي و الأرياح الشيطانية – مرض الصدفية، حبوب وكدمات زرقاء، سقوط الشعر، و حكة في الجلد تشبه الجرب – سوء الهضم، و إضطرابات نفسية – إضطراب الدورة الشهرية منها (النزيف، العقم، الإجهاض) – التهابات اللسان، الحلق، سوء الإمصاص و أمراض الغدة الدرقية – نحافة أو سمنة شديدتين – آلام في المفاصل و رعشة و إعوجاج الجسم، وفقدان تدريجي في الحواس – الغيبوبة، و الجنون، و الموت السريع سببها تفعيل السموم و نشرها في الدم بواسطة الجن أو خادم السحر – مرض السرطان، و أخرى لا تعد ولا تحصى كل على حسب كمية السم أو الجرعة أو درجة الكفر من طرف القائم بالسحر	– ألام القلب المتواصلة – ضيق في التنفس إذا لم يرى الحبيب – هيجان مع رغبة جنسية شديدة تجاه القائم بالجلب والتهييج – الموت البطيء – العزوف عن الزواج الشرعي والرغبة في ممارسة الزنا – ألام على مستوى المفاتن عند الجنسين – تظهر نفس أعراض توكال الانتقام لكن بمفعول أقل ضرر لكن لا نلغي الموت التدريجي والبطيء – الرغبة في الانتحار إذا أبعد عن من سحره – ينبذ المسحور عند الآخرين، و يحب عند فاعل السحر فقط.

	إجتماعية	– تشوية الجمال، و صرف الخطاب بالعزوف عن الزواج. – هجر الدراسة، والعمل، ومشاكل عائلية. – عدم القدرة على الجماع بضعف الخصيتين عند الرجل، وآلام الرحم وبرود في العلاقة عند المرأة	– تقريبا أقل حجم درجة الأذية عن النوع الأول ذلك على حسب درجة الكفر وعلى حسب نوع ولون وشكل خادم السحر المأكول وكذلك على حسب التوكيل من طرف ذلك الساحر المسمم سواء كان ساحر رسمي أو كان ساحر شعبي

المصدر: ط. د/ هيبة بوعروج: من سنة (2017 إلى غاية سنة 2021)

حيث توصلنا من خلال هذا الجدول التصنيفي إلى أن هذه الوصفات والجرعات يعمل على إستخدامها وممارستها أغلبية أفراد المجتمع التّبسي؛ دون علم الكثير منهم عن مدى حجم الأذية المترتبة عنهما من أمراض لا تعد ولا تحصى، وهي عبارة عن ممارسات يعتبرونها فعل مقدس شعبوي ضروري سواء في الحياة اليومية أو في المناسبات الدينية. ومن هنا جذبنا الموضوع إلى رصد دلالته الرمزية من قريب ومن بعيد على الرغم من صعوبات موضوع السحر المأكول الحقلية والميدانية والتي ظهرت لنا مع حلات الدهشة وعلامات الإستفهام أثناء معايشتنا لهذه الفئة المختارة من العينة القصدية الهدفية.

فهذا النوع من معتقد السحر المأكول يعمل كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج طقوس الجانب الوصفاتي التَّسميمي والجرعاتي التطبي – سحري، حيث يبدأ التَّسميمي منها بـ " التوكال المباشر " الذي يدخل ضمن الفرعين: (السحر المأكول الأسود) و (السحر المأكول الأبيض) أما " التوكال غير المباشر " فيشمتل بدوره على المنحيين الآتيين: إما (مس أصيب به الجسد دون تسليط) بمعنى ناجم عن نفث الشياطين في المأكولات اليومية أي عند عدم قول البسملة _ بسم الله _ وعلى اثر عدم تغطيتها بمنديل واقي، فيأتي حينها ذلك الشيطان الخبيث ويعبث فيها حيث ينفث داخلها من طاقته السلبية

فيتشكل عندئذ مايسمى بـ " توكال عن طريق الجن " أما بالنسبة للمنحى الثاني يكون نتيجة " تطبيب سحري شعبذي " حيث أن هذا الأخير يكون مرورًا بـ " طقوس العبور " الذي نجده يستعمل عادةً أثناء (أيام العرس، عقيقة المولود الجديد، حماية عذرية الفتاة بمعنى " طقس التَّصفيح "، أمراض الرُّضع بمعنى " طقس نزع الْخُيَال "، طقوس العزوف عن الإنجاب بمعنى " تَرْقِيْد الجَنِيْن في بَطن الأم " فهذا الأخير الذي يستمر نومه لسنوات... إلخ).

لذا نقول أن السحر المأكول؛ كالمغناطيس يجذب الجن الكافر إلى الجسد لما يحويه من طلاسم وأقسام وعقد، تكون مكنون وأساس عمل ذلك الخادم، فطبيعة هذا الشكل يعرف تبسيًّا على أنه ذو تأثيرين على جسم المتسمم يكون (داخلي) و (خارجي) حيث يظهر مخلفًا مرضًا، ثقلاً، جنونًا، حبًا، بغضًا، ونزيفًا... إلخ، ففي طياته تحمل تلك المقتنيات الأربعة وما يرافقها من طقوس وأدوات سحرية يسود الإيمان في مدى فاعليتها من خلال إعتبار أن ما له رائحة كريهة وقريب من الإنسان يوحي بالفراق والبغضاء والموت، وما هو معطر وبعيد يوحي بالعكس، ويتمثل ذلك في الإعتقاد أنها طقوس وصفات وجرعات مطبخية مجربة ومتوارثة على مر الأجيال السابقة.

يمثل نقل المرض بالسحر المأكول؛ طقس من طقوس السحر التَّسميمي الضار لما تمثله تلك المقتنيات من تهديد مباشر أو غير مباشر والذي تفشى في العديد من الثقافات التبسيَّة، ويعتبر هذا النوع الشرير وما يحويه من ممارسة إحترافية يعتقد هؤلاء الأفراد أن تلك العناصر الطبيعية عند تمريرها إلى جسد المستهدف تعتبر كتنبيه له في وقت يصبح فيه شخصًا قامحًا يصعب التحكم فيه وفي هذه الحالة يصبح مهدد بالتجريب، حيث يراد بهذا النوع الشائع ترييض وكبح الهيمنة الذكورية ومحاولة قتلها بالكامل، ونجد العكس صحيح بالنسبة للرجل عندما يريد إخضاع المرأة طائعة لسلطته.

فكانت تلك الطقوس الأكثر منها فعل نسوي يمارس من داخل البيوت والمطابخ، أين يوقن فيها كمورد سحري دفاعي لما هو ملك لفاعل السحر المأكول حتى وإن كان بدون خبرة سحرية فقط يكفي خلط الوصفة ثم دسها في شكل جرعة، لأن إحتوائها على تلك المواد السامة كافي لتحقيق الغرض المطلوب، وهي في الأصل وصفات و جرعات

متوارثة من عادات وتقاليد مدينة تبسة؛ وما دعم إستمرارها أكثر مؤسسة التنشئة الإجتماعية، فالأسرة تلعب دور كبير في تكوين الإعتقاد في التَّسميم بـ السحر المأكول وفي التَّطبيب بالطب الرُّوحاني الفاضل على الرغم من إختلاف مستويات هؤلاء الأفراد التعليمي وعلى الرغم من إختلاف فئاتهم العمرية ومكانتهم الإجتماعية، فقد وجدنا هذه اللَّبنة هي الأساسية والأولى في تلقين المعتقدات ذات الطابع السحري والغيبي سواء عند كل من المشتغلين في السحر المأكول من أصحاب السحر الرسمي أو عند أصحاب الممارسة السحر – توكالية التي تعد داخل البيوت من أصحاب السحر الشعبي، ويكمن ذلك في الإحتماء ورائها والحصول على المطلوب عن طريقها دون أدنى خسارة كالسعي وراء سلطة المال والمكانة، مسائل الحب والزواج، السيطرة، الغيرة والغبطة، الشفاء من الأمراض... إلخ.

وأخير، ينظر أصحاب الطب الحديث في المجتمع التّبسي؛ إلى السحر بـ " السُّم الطبيعي " على أنه تسمم غذائي غير مقصود، في حين يقابله من الجهة الأخرى تأثير ما ورائي على جسم الإنسان حيث يتمثل في: قصور في الإمتصاص المناسب للمعدة من ناحية المعادن والفيتامينات، وفي مختلف المواد الغذائية المرجوة من الأطعمة حتى وإن كانت الوجبة متكاملة، عادةً ما ينتج عنه (تعطل في الهضم) الذي عجز أطباء الطب الحديث أمام علاجه، نتيجة تجدد تلك السموم الطبيعية من فترة إلى أخرى عن طريق (خادم) أو (تبَّاع) أو (حارس) السحر المأكول الموكل في بدن (المتسمم) وبإعتبار هذا الخادم لا يزال موجوداً ومستمراً في خدمة تلك المادة " السُّمية " المانعة من إمتصاص المواد الغذائية والمعرقلة لوصولها إلى مجرى الدم عن طريق القناة الهضمية وبالأخص الأمعاء الدقيقة.

حيث لاحظنا أحيانا حكم إلتصاق مادة السحر المأكول الخبيثة وما أضيف إليها من أخلاط نجسة ونفثات سحرية تمَّ إلصاقها من طرف ذلك الخادم الموكل على جدران معدة المطعوم، أين يبدأ ذلك الخادم في حراسة تلك المادة السُّمية ثم تفعيلها مع بعضها البعض حتى تحدث تغيير وتلف في المواد الغذائية على الفور أثناء إختلاطها داخل الجسم، حينها يزداد تصرف الشياطين في ذلك البدن ويكون تصرفاً أكثر بطشًا وبأضرار

بالغة وبالتالي نشر عروق وجذور سحر التوكال في جميع مناطق الجسم مع مرور الزمن.

وفي هذا الوضع ومع فشل إسعافات الأطباء المحدثين ينصح المسحور أن يتجه تلقائيًا إلى إسعافات طب الأعشاب، والتداوي بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بهدف الإستشفاء من مرض السحر الباطني، فتمارس تلك الرُّقوة سواء من طرف متخصصين في مجال الرقية الشرعية من الرقاة الشرعيين أو من طرف أصحاب الحكمة من الرقاة الرُّوحَانيْينْ، حيث يكون ذلك على إثر جلسات متتالية تكون بالتوكل على الله عزَّ وجل والتوسل إليه بأن يعجل في عملية الشفاء القريب. وكذلك نجد وجوب محاولة إجهاد وإضعاف هذا السحر المتجدد بإستهداف خادم السحر المأكول تدريجيا ثم إخرجه بشكل نهائي أو محاولة حرقه داخل الجسد بواسطة أدوات وطقوس يدوية بسيطة.

ومن ناحية ثانية من الضروري أن يرافق هذه الطقوس التطبي – روحانية الفاضلة تحصين ذلك المريض حتى لا تعود تلك الأرياح أو تلك الأرواح السلبية لسكنته مرة ثانية، وحتى لا ننسى تلقين "الطبيب الرُّوحاني" للشخص المصاب في المواظبة على تلاوة المصحف الشريف والمحافظة على الصلاة في وقتها مع قراءة أذكار الصباح و المساء يوميًا بهذف التحصين.

الخاتمة

وفي ختام هذه المقاربة التي حاولت الكشف عن الذهنية الشعبية التبسيَّة؛ والتي تحمل في طياتها مجموع المعتقدات والأفكار والتصورات التي تعكس ثقافة الفرد المحلية من خلال ما تحويه من تراث شعب معتقدي يظهر جلياً من خلال الطقوس والممارسات التي يقوم بها هؤلاء الأفراد، وقد سعت هذه الدراسة إلى تناول موضوع معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) الحواسي بالإضافة إلى الممارسات المرتبطة به كنسق ثقافي ديني من خلال طبيعة الهيكل الاجتماعي لأعضاء المنطقة، وكذلك محاولة البحث عن القيم والأبعاد الأنثروبولوجية في إستيعاب الصور الذهنية لمجموع العناصر الطقوسية المرتبطة حول الممارسات التَّطبي – روحانية المستخدمة لدرء أذاه القاتل، والذي يفرز بناءات وعلاقات اجتماعية وروحية، ورموز ثقافية يختزنها الإعتقاد الاجتماعي في مدينة تبسة؛ ويترجمها آلياً من خلال مجموعة المراحل التي تكمن في أساليب الوقاية والعلاج من أمراضه الباطنية والنفسية والعقلية والإجتماعية.

وقد تبين أن صورة الإصابة بـ ضربة سحر (توكال العين) و ضربة سحر (توكال الحسد) في الإعتقاد التّبسي؛ على أنها موجودة ومنحدرة من الموروث الشعبي السحري ومن مؤسسة التنشئة الاجتماعية، حيث يظهر ذلك واضحاً في الممارسات والطقوس المعتقدية التي تؤمن دلالة رمزية متشابكة بين الإنسان التّبسي وعالمه الميتافيزيقي.

عرف الإعتقاد في السحر المأكول؛ لدى الأمم القديمة والبدائية، بل إنتشرت هذه الظاهرة رغم التقدم العلمي الذي شهده الإنسان في وقتنا الحالي، ولقد إستمرت هذه الظاهرة وورثها المجتمع التبسي إنتقالاً من الأجيال السابقة عن طريق العادات والتقاليد الشعبية، وكذلك عن طريق المطبخ السحري النسوي الذي يدخل ضمن التنشئة الإجتماعية لهؤلاء الأفراد، حيث أصبحت ظاهرة التسميم بهذا المعتقد السحري عبارة جزء لا يتجزأ من تراثه اليهودي بالخصوص، وثانيها أن الإنسان التّبسي؛ بطبيعته هو كائن أسطو – طقوسي دائم التطلع إلى المجهول حيث يسعى في كثير من الأوقات إلى تفسير المعنى والمدلول من كل ما يدور حوله من ممارسات وطقوس قد تكون لها علاقة بالعالم الغيبي والماورائي.

كما يوجد مقاربات من منظور ديني، أنثروبولوجي، إجتماعي وسيكولوجي لـ التَّسميم بهذا الشكل من الأسحار فقد ورد وجوده كمعتقد سحري في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة لكن بذكر غير مباشر، حيث جاء حكم الشرع حول الموضوع نتيجةً لوقوع الضرر الذي ألحقه بالناس المغدورين، وبالإضافة إلى ذلك أن هذا الفعل الطقوسي هو مكر وخداع وتمويه يظهر الباطل في صورة حق من خلال الوسائل الرديئة المستعملة والتي هي تتعارض مع ديننا الإسلامي.

ووجود مرض السحر المأكول (سحر التوكال) في مدينة تبسة؛ قديم ومتنوع فهو يأخذ عدة أنواع تأخذ المنحى الحواسي أثناء عملية الإنتقال إلى جسم المصاب، ولقد حافظت هذه الظاهرة على وجودها وإستمرارها بفعل عامل مهم هو التنشئة الإجتماعية التي يكتسب الفرد من خلالها الأنماط السلوكية السائدة في محيطه الذي يعيش فيه بدليةً من الأسرة والعائلة وجماعة الرفاق فالمجتمع ككل، ومن هنا نستخلص؛ أن سحر التوكال على الرغم من التغير الثقافي والتقدم العلمي الحاصل في المجتمع المحلي إلا أنه لا يزال منتشراً ومستمراً سواء بالإعتقاد أو بالممارسة الطقوسية، ولا يمكن أن ننفي ذلك مهما بلغ المجتمع من تحضر.

توصي الدراسة؛ بمزيد من البحث حول مختلف المعتقدات الشعبية السحرية في المجتمعات المحلية الأخرى والتي تتميز كل منها بخصوصية مميزة قبل تعرضها للتغير والإندثار بفعل عوامل التحضر والتطور.

قائمة

المصادر

و

المراجع

أولاً: المصادر:

1. القرآن الكريم. ورش.
2. الكتاب المقدس. العهد القديم.
3. الكتاب المقدس. العهد القديم و العهد الجديد.
4. الكتاب المقدس. العهد الجديد.
5. الكتاب المقدس. العهد الجديد.

ثانياً: المراجع:

- **الكتب الورقية:**

1. إبراهيم، محمد عباس. (2007). " **الأنثربولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية** ". الإسكندرية (مصر): دار المعرفة الجامعية.
2. الجوهري، محمد و آخرون. (2006). " **مقدمة في التراث الشعبي المصري** ". القاهرة (مصر): (د. ن. غ. م).
3. الديوه جي، حذيفة سعيد و آخرون. (1987). " **كتاب ميورز في علم الأمراض** ". جامعة الموصل (العراق): (د. ن. غ. م).
4. السواح، فراس. (2002). " **دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)** ". (ب. ن. غ. م): منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع.
5. النوري، قيس. (1981). " **الأساطير وعلم الأجناس** ". جامعة الموصل (العراق): مؤسسة دار الكتب للطباعة.
6. النوري، قيس. (1982). " **المدخل إلى علم الإنسان** ". جامعة الموصل (العراق): مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.
7. حاش، عبد الرزاق عبد الله . (2015). " **موسوعة الطلاب المختصرة للعقائد والأديان**". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.
8. حداد، مهنا يوسف. (2011). " **الأنثروبولوجيا الدينية أو العلاقة التبادلية بين**

ظاهرتي الحضارة والديانة ". عمان (الأردن): مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

9. خليل، نجلاء عاطف. (2006). " **علم الإجتماع الطبي (ثقافة الصحة والمرض)** ". القاهرة (مصر): مكتبة الأنجلو المصرية.

10. دسوقي، كمال. (1974). " **الطب العقلي والنفسي (الكتاب الأول، علم الأمراض النفسية)** ". بيروت (لبنان): دار النهضة العربية.

11. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. (2003). " **الأنثربولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي** ". الإسكندرية (مصر): المكتب الجامعي الحديث.

12. شحاتة، عبده السيد. (1999). " **أمراض ناتجة عن الغذاء** ". القاهرة (مصر): المكتبة الأكاديمية.

13. صميدة، نزار. (2018). " **النصوص الرؤيوية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديما وحديثا** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

14. طواهري، ميلود. (2016). " **المقدس الشعبي (تمثلات، مرجعيات، وممارسات)** ". بيروت (لبنان): دار الروافد الثقافية.

15. عبد الملك، كامل. (2008). " **ثقافة التنمية دراسة في أثر الرواسب الثقافية على التنمية المستدامة** ". القاهرة (مصر): الهيئة المصرية العامة للكتاب.

16. غانم، عبد الله عبد الغني. (2004). " **قراءات وتطبيقات (طرق البحث الأنثربولوجي)** ". الإسكندرية (مصر): المكتب الجامعي الحديث.

17. غنيم، أحمد محمد و شريف، فاتن محمد. (س. ن. غ. م). " **السحر والحسد في المعتقدات الريفية** ". الإسكندرية (مصر): منشأة المعارف.

18. لومبار، جاك. (1997). " **مدخل إلى الإثنولوجيا** ". ترجمة؛ حسن قبيسي. بيروت (لبنان): المركز الثقافي العربي.

19. مارك، جوان. (1425هـ- 2004م). " **مارغريت ميد وسن الرشد في أمريكا** ". تعريب؛ سعيد محمد الأسعد. الرياض (المملكة العربية السعودية): مكتبة العبيكان.

20. مباركي، هشام محمد. (2016). " **قصة الطوفان بين الأسطورة والدين (دراسة**

وصفية تحليلية مقارنة) ". عمان (الأردن): شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

21. مصباح، شروق رياض. (2018). " **الأقليات في أثيوبيا (الأنثروبولوجيا الإجتماعية)** ". القاهرة (مصر): دار العربي للنشر والتوزيع.

22. ميد، مرجريت. " **النمو والتربية في المجتمعات البدائية** ". ترجمة؛ د. نعيمة محمد عيد. القاهرة (مصر): دار النهضة العربية.

23. مير، لوسي. (1983). " **مقدمة في الأنثروبولوجيا الإجتماعية** ". ترجمة؛ د. شاكر مصطفى سليم. بغداد (العراق): دار الشؤون الثقافية والنشر.

24. نجي، بول غليو. (1999). " **طب وسحر** ". القاهرة (مصر): دار القلم (مكتبة النهضة).

25. إبراش، إبراهيم خليل. (2009). " **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الإجتماعية** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار الشروق للنشر والتوزيع.

26. العادلي، فاروق. (1978). " **المدخل إلى الأنثروبولوجيا (النظرية والمنهج)** ". الإسكندرية (مصر): دار المعرفة الجامعية.

27. دواق، الحاج أوحمنة. (1436 هـ – 2015 م). " **الإبستمولوجيا الكونية والمنهج المعرفي التوحيدي (قراءة في مشروع محمد أبو القاسم حاج حمد)** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

28. غامري، محمد حسن. (1982). " **المناهج الأنثروبولوجية** " . الإسكندرية (مصر): المركز العربي للنشر والتوزيع.

29. مصباح، عامر. (2009). " **المدخل إلى علم الإنسان** ". القاهرة (مصر): دار الكتاب الحديث.

30. إبراش، إبراهيم خليل. (2009). " **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الإجتماعية**". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار الشروق للنشر والتوزيع.

31. إبراهيم، محمد عباس. (2007). " **الأنثربولوجيا في المجالات النظرية والتطبيقية** ". الإسكندرية (مصر): دار المعرفة الجامعية.

32. إبن خلدون. (1984). " **مقدمة إبن خلدون** ". تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

33. إبن خلدون. (2008). " **المقدمة** ". بيروت (لبنان): دار الكتاب العربي.

34. إبن قدامه. (1983). " **موقف الدين (المغنى مع الشرح الكبير)** ". ج10. بيروت (لبنان): دار الكتاب العربي.

35. أبو دوح، خالد كاظم. (1437 هـ – 2016 م). " **النخب الإجتماعية في مصر (دراسة على ضوء مقومات رأس المال وأشكاله لدى بورديو)** ". الجيزة (مصر): دار النخبة للطباعة والنشر.

36. أبو سمرة، محمود أحمد و الطيطي، محمد عبد الإله. (2020). " **مناهج البحث العلمي من التبيين إلى التمكين** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

37. أبو نصر، مدحت محمد. (2004). " **قواعد ومراحل البحث العلمي (دليل إرشادي في كتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه)** ". مصر: مجموعة النيل العربية.

38. أبو نصر، مدحت محمد و النجار، أحمد عبد العزيز. (2019). " **الكوتشينج (التدريب بالمعايشة)** ". القاهرة (مصر): المجموعة العربية للتدريب والنشر.

39. أبو نصر، مدحت محمد. (2017). " **الخدمة الإجتماعية في المجال المدرسي** ". القاهرة (مصر): المجموعة العربية للتدريب والنشر.

40. أجيي، ميشال. (2016). " **أنثروبولوجيا المدينة** ". ترجمة وتلخيص ومراجعة: سعيد بلمبخوت. الرياض (المملكة العربية السعودية): دار الفيصل الثقافية.

41. أحمد، عزت سعد حسان. (2016). " **الأرشيف الصوتي (ضوابطه وسبل التعامل معه)** ". القاهرة (مصر): دار العلوم للنشر والتوزيع.

42. أحمد، مسلم عدنان. (1432 هـ – 2011 م). " **دليل الباحث في البحث الإجتماعي** ". الرياض (المملكة العربية السعودية): مكتبة العبيكان.

43. إسماعيل، فاروق مصطفى. (س. ن. غ. م). " **المعتقدات الشعبية دراسة أنثروبولوجية في السحر والعين الشريرة** ". الدوحة – قطر. الإسكندرية (مصر): دار

المعرفة الجامعية.

44. الأسمر، راجي. (س. ن. غ . م). " **إصابة العين (حقيقتها – الوقاية منها – علاجها)** ". طرابلس (لبنان): جروس برس.

45. الأعظمي، حسين إسماعيل. (2009). " **الطريقة القبانجية في المقام العراقي وإتباعها (دراسة فنية تحليلية نقدية لأبرز الطرق الغنائية المقامية في القرن العشرين)**". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار الفارس للنشر والتوزيع.

46. الأهدل، السيد يوسف محمد و باسلوم، مجدي محمد سرور سعد. (2006)، " **إسعاد الناس للوقاية من السحر والخناس** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

47. إيمرسون، روبرت و فريتز، راشيل و شو، لندا، (2010). " **البحث الميداني الإثنوغرافي في العلوم الإجتماعية** ". ترجمة: هناء الجوهري و محمد الجوهري. القاهرة (مصر): المركز القومي للترجمة.

48. بارث، فريدريك وآخرون. (2017). " **الأنثروبولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس**". ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر و إيمان الوكيلي. بيروت (لبنان): المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

49. بارسونز، بول. (2018). " **1001 فكرة عن الصحة والطب / العلوم الإجتماعية / العلوم التطبيقية** ". ترجمة: هناء محمد محمد. مراجعة: فايز ميلاد. القاهرة (مصر): المجموعة العربية للتدريب والنشر.

50. باسكوم، وليام. (1980). " **حدود علم الفلكلور** ". عرض: عبد الله لؤلؤ. الكتاب السنوي لعلم الإجتماع. العدد الأول. إشراف: الدكتور محمد الجوهري. القاهرة (مصر): دار المعارف.

51. الباوي، محمد محمود. (2016). " **السحر في حكم الشرع والقانون** ". بيروت (لبنان): شرطة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

52. بدران، إبراهيم و الخماش، سلوى. (1979). " **دراسات في العقلية العربية** ". بيروت (لبنان): دار الحقيقة.

53. بدوي، عبد الرحمان. (1936). " **مناهج البحث العلمي** ". القاهرة (مصر): دار النهضة العربية.

54. بو خريسة، بو بكر. (2020). " **أنثروبولوجيا الجريمة: من أسطورة قابيل إلى المجرم بالولادة** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): مركز الكتاب الأكاديمي.

55. بوزيان، راضية رابح. (2015). " **التربية والمواطنة الواقع والمشكلات** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): مركز الكتاب الأكاديمي.

56. بونت، بيار و إيزار، ميشال. (2006). " **معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا** ". ترجمة: مصباح الصمد. بيروت (لبنان): مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

57. تايلور، شيلي. (2008). " **علم النفس الصحي** ". ترجمة: وسام درويش بريك و فزي شاكر طعيمه داود. عمان (المملكة الهاشمية الأردنية): دار الحامد للنشر والتوزيع.

58. التسباني، عمر. (1971). " **مناهج البحث العلمي** ". بيروت (لبنان): دار الثقافة.

59. التكريتي، محمد هادي شهاب. (2016). " **مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان وسبل الحماية منها** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار غيداء للنشر والتوزيع.

60. تيرنر، براين. (1407 هـ – 1987 م). " **علم الإجتماع والإسلام (دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر)**. ترجمة: الدكتور أبو بكر أحمد باقادر . بيروت (لبنان): دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

61. جانم، جميل فخري محمد. (2008). " **التدابير الشرعية للحد من الطلاق التعسفي في الفقه والقانون** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار الحامد للنشر والتوزيع.

62. جمال الدين، هناء محمد و العمري، عائشة بليهش. (1429 هـ – 2008 م). "**المدخل إلى تقنيات التعليم**". المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية). مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع.

63. الجوزية، إبن القيم. (س. ن. غ. م). " **الطب النبوي** ". بيروت (لبنان): المكتبة الثقافية.

64. جونز، ماري و فلاكسمان، لاري. (1438 هـ – 2017 م). " **حروب العقل (تاريخ سيطرة الحكومات والإعلام والجمعيات السرية على العقل ومراقبته وإدارة شؤون الناس)**". ترجمة: نور الدائم با بكر أحمد. الرياض (المملكة العربية السعودية): مكتبة العبيكان.

65. الجوهري، محمد و آخرون. (2006). " **الأنثروبولوجيا الإجتماعية قضايا الموضوع والمنهج** ". مصر: دار المعرفة الجامعية.

66. الجوهري، محمد. (1997). " **طرق البحث العلمي الإجتماعي** ". (ب. ن. غ. م): دار المعرفة الجامعية.

67. الحافظ، منير. (2019). " **المثنويَّة جدلية التغريب في مطارحات المفترض (دراسات فكرية)** ". عمان (الأردن): دار الخليج للصحافة والنشر.

68. حجازي، أحمد توفيق. (2003). " **موسوعة الطب البديل** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار أسامة للنشر والتوزيع.

69. الحداد، محمد سليمان و النجار، محمد يوسف. (س. ن. غ. م). " **الأنثروبولوجيا مقدمة إلى علم الإنسان** ". الكويت: المطبعة الدولية.

70. الحداد، مصطفى. (2014). " **اللغة والفكر وفلسفة الذهن** ". بيروت (لبنان): مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

71. الحديثي، عبد الكريم هجيج طعمة. (2007). " **الإستخفاف بشعائر الله حكمه وأثره (دراسة موضوعية)** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

72. حسن، عبد الباسط محمد. (1977). " **أصول البحث الإجتماعي** ". ط6. القاهرة (مصر): مكتبة وهبة.

73. الحسيني، عمار عباس. (2017). " **التصوير المرئي والتسجيل الصوتي وحجيتهما في الإثبات الجنائي (دراسة مقارنة في ضوء التشريعات وإجتهادات الفقه والقضاء)** ". (ب. ن. غ. م): المركز العربي للنشر والتوزيع (مكتبة دار السلام القانونية).

74. حفناوي، رشيد بعلي. (2013). " **مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار اليازوري العلمية.

75. الحمد، أحمد. (1415 هـ – 1994 م). " **السحر بين الحقيقة والخيال** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

76. خضراوي، إيناس. (2019). " **الأنثروبولوجيا والتعليم** ". الأردن: ناشرون وموزعون.

77. الخولي، محمد علي. (2001). " **علم الدلالة (علم المعنى)** ". الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.

78. الدبل، صالح بن عبد الله. (1440 هـ – 2018 م). " **مهارات البحث الإجتماعي وتقنياته** ". الرياض (المملكة العربية السعودية): نشر وتوزيع العبيكان.

79. الدليمي، عصام حسن أحمد و صالح، علي عبد الرحيم. (1435 هـ – 2014). "**البحث العلمي أسسه ومناهجه**". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار الرضوان للنشر والتوزيع.

80. الدمرداش، نادية عبد الحميد. (2003). " **مدخل إلى علم الفلكلور** ". مصر: دار المعارف.

81. دواق، الحاج أوحمنة. (1436 هـ – 2015 م). " **الإبستمولوجيا الكونية والمنهج المعرفي التوحيدي (قراءة في مشروع محمد أبوالقاسم حاج حمد)** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

82. دوطي، إدموند. (س. ن. غ. م). " **السحر والدين في إفريقيا الشمالية** ". ترجمة: فريد الزاهي. الرباط (المغرب): منشورات مرسم.

83. ديفيز، أوين. (2014). " **السحر (مقدمة قصيرة جدا)** ". ترجمة: رحاب صلاح الدين. القاهرة (مصر): مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

84. الرازي، أبي بكر بن عبد القادر. (1982). " **مختار الصحاح** ". الكويت: مؤسسة دار الرسالة.

85. رايش، فيلهلم و روهايم، جيزا و ماركوز، هربرت . (2020). " **اليسار الفرويدي** ". ترجمة: لطفي فطيم. القاهرة (مصر): مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات.

86. رايك، ثيودور. (2005). " **سيكولوجيا العلاقات الجنسية** ". ترجمة: ثائر ديب. دمشق (سوريا) : دار المدى للثقافة والنشر.

87. الرحماني، الفيض. (س. ن. غ. م). " **كتاب الطب الروحاني لأبي الفرج إبن الجوزي (كتاب يبحث في أمراض الأرواح وأوصافها وعلاجها)** ". تأليف: الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي. بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

88. رزوقي، رعد مهدي و لطيف، إستبرق مجيد علي. (2018). " **التفكير وأنماطه (1)**". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

89. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. (2003). " **الأنثربولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي** ". الإسكندرية (مصر): المكتب الجامعي الحديث.

90. ريكور، بول. (2002). " **محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا** ". تحرير وتقديم: جورج هـ . تيلور. ترجمة: فلاح رحيم. بيروت (لبنان): دار الكتاب الجديدة المتحدة.

91. الزاغة، وفاء عبد الكريم. (2010). " **التفكير الخرافي والمفاهيم العلمية الخطأ** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): ديبونوللطباعة والنشر والتوزيع.

92. الزاملي، مجيد خير الله. (2013). " **معجم الصواب اللغوي في أبنية الأفعال (الثلاثي المزيد فيه حرفان)** ". ج3. بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

93. الزرقاوي، العلامة. (س. ن. غ. م). " **المواهب اللدنيَّة بالمنح المحمدية** ". صححه محمد عبد العزيز الخالدي. ج9. بيروت (لبنان). دار الكتب العلمية.

94. الزيات، أحمد حسن و آخرون. (2004). " **المعجم الوسيط** ". ط6. (ب. ن. غ. م): مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.

95. الزيادات، تيسير محمد أحمد. (1437 هـ – 2016 م). " **التراث في شعر بدر شاكر السياب** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار غيداء للنشر والتوزيع.

96. الساعاتي، سامية حسن. (1983). " **السحر والمجتمع** ". ط2. بيروت (لبنان): دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

97. السجاني، راغب. (1430 هـ – 2009 م). " **قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية** ". القاهرة (مصر): مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

98. سرحان، باسم. (2017). " **طرائق البحث الإجتماعي الكمية** ". الظعاين (قطر): المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

99. سلاطنية، بلقاسم و بن تركي، أسماء و قريشي، نجاة و بن رحمون، سهام. (2013). " **الفاعلية التنظيمية في المؤسسة (مدخل سوسيولوجي)** ". القاهرة (مصر): دار الفجر للنشر والتوزيع.

100. السواح، فراس. (2017). " **موسوعة تاريخ الأديان (الكتاب الأول الشعوب البدائية والعصر الحجري)** ". دمشق (سوريا): دار ومؤسسة رسلان.

101. شابحة، بداك. (2012). " **نماذج من الثقافات الفلكلورية للمجتمع الأمازيغي** ". تيزي وزو (الجزائر): دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

102. شابحة، بداك. (س. ن. غ. م). " **الممارسات السحرية للمجتمع الأمازيغي** ". (ب. ن. غ. م). دار السعادة.

103. الشاعر، عبد المجيد و أبو الرب، يوسف و قطاش، رشدي. (2000). " **علم الإجتماع الطبي** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

104. شحاته، عبده السيد. (1999). " **أمراض ناتجة عن الغذاء** ". القاهرة (مصر): المكتبة الأكاديمية.

105. شريف، فاتن محمد. (2008). " **الثقافة والفلكلور** ". مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

106. الشهاوي، مجدي محمد. (س. ن. غ. م). " **حقيقة الحسد وعلاج المحسود (حسد الحاسدين بين العلم والدين)** ". القاهرة (مصر): مكتبة القرآن.

107. صالح، قاسم حسين. (2017). " **سيكولوجيا اللغة والإتصال** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار غيداء للنشر.

108. صميدة، نزار. (1971). " **النصوص الرؤيوية الكتابية مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني الكتابي قديماً وحديثاً** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

109. الطبابي، بلقاسم. (2013). " **الموت في مصر والشام (طقوس الموت وعاداته في العهد المملوكي 1250 – 1517)** ". ج2. تونس: الدار التونسية للكتاب.

110. طه، المتوكّل. (2003). " **الأعمال النثرية (المعتقل، الإنتفاضة، الكتابة)** ". بيروت (لبنان): المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

111. الطهطاوي، علي أحمد عبد العال. (2006). " **أسرار السحر والسحرة (بيان دجلهم في الإستخارة بالفنجان وضرب الرمل وقراءة الكف والمندل)** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

112. الطهطاوي، علي أحمد عبد العال. (2006). " **دليل الإنسان لعلاج السحر والحسد والجان** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

113. طواهري، ميلود. (2016). " **المقدس الشعبي (تمثلات – مرجعيات – وممارسات)** ". بيروت (لبنان): دار الروافد الثقافية (ناشرون).

114. عبد الخالق، علاء الدين بيومي. (1426 هـ – 2005 م). " **سمية المبيدات والمعادن** ". القاهرة (مصر): دار النشر للجامعات.

115. عبد الرؤوف محمد عامر، طارق. (2018). " **مفهوم وتقدير الذات** ". القاهرة (مصر): دار العلوم للنشر والتوزيع.

116. عبد المطلب، إيهاب. (2015). " **جرائم القتل والجرح والضرب** ". القاهرة (مصر): المركز القومي للإصدارات القانونية.

117. عبده، عيسى. (1988). " **حقيقة الإنسان** ". ج2. القاهرة (مصر): دار المعارف.

118. العسقلاني، الإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد إبن حجر. (س. ن. غ. م). " **فتح الباري** ". ج10. بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

119. عطية، لواء عبد الحسن. (2018). " **المصاحبة المعجمية (المفهوم، والأنماط، والوظائف بين الموروث العربي والمنجز اللساني)** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

120. عكاشة، أحمد. (2011). " **علم النفس الفسيولوجي** ". مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

121. علي محمد، محمد. (1983). " **علم الإجتماع والمناهج العلمية** ". الإسكندرية (مصر): دار المعرفة الجامعية.

122. علي، جواد. (1980). " **المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ". بغداد (العراق). ط3. مكتبة النهضة.

123. عمران، حمدي بخيت. (1428 هـ - 2007 م). " **علم الدلالة بين النظرية والتطبيق** ". مراجعة لغوية: قسم النشر بالدار. القاهرة (مصر): الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

124. غانم، عبد الله عبد الغني. (2004). " **طرق البحث الأنثروبولوجي** ". الإسكندرية (مصر): المكتب الجامعي الحديث.

125. الغانمي، سعيد. (1999). " **الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)** ". تحرير: ديفيد وورد. الدار البيضاء (المغرب): المركز الثقافي العربي.

126. غنيم، محمد أحمد و شريف، فاتن محمد. (2001). " **السحر والحسد في المجتمعات الريفية** ". ج2. الإسكندرية (مصر): منشأة المعارف.

127. الفلفلي، هناء حسين. (2012). " **علم النفس التربوي** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.

128. فولاند، إيكارت و شيفنهوفل، ولف. (2015). " **التطور البيولوجي للعقل والسلوك الدينيين** ". ترجمة: مصطفى إبراهيم. القاهرة (مصر): المركز القومي للترجمة.

129. القائدي، محجوب عطية، (1994). " **طرق البحث العلمي في العلوم الإجتماعية** ". الدار البيضاء (ليبيا): منشورات جامعة عمر المختار.

130. القرشي، يوسف. (2019). " **عن نظرية السلطة في الاسلام (دراسة في مفهوم السلطة السياسية ومصادرها والقيود عليها)** ". بيروت (لبنان): مركز نماء للبحوث والدراسات.

131. القرضاوي، يوسف. (2011). " **موقف الإسلام من الإلهام.. والكشف.. والرؤى.. ومن التمائم.. والكهانة.. والرقى** ". نحو وحدة فكرية للعاملين للاسلام (3). ط3. عابدين – القاهرة (مصر): مكتبة وهبة.

132. كاظم، نادر. (2004). " **تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)** ". بيروت (لبنان): المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

133. كولدري، نيك. (2014). " **شبكات التواصل الإجتماعي والممارسة الإعلامية** ". ترجمة: هبة ربيع. القاهرة (مصر): دار الفجر للنشر والتوزيع.

134. كولن، ولسن. (1980). " **الإنسان وقواه الخفية** ". ترجمة سامي خشبة. بيروت (لبنان): دار الأدب.

135. لطفي، عبد المجيد. (1987). " **أفكار في الموروث الشعبي** ". العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

136. ليزول، رشيد. (2011). " **عالم السحر أحكامه وعلاقته بالجن في ضوء الشرع (ما يؤخذ في الثقافة الشعبية المغربية وطرق العلاج)** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

137. الماجدي، خزعل. (1998). " **بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): الأهلية للنشر والتوزيع.

138. مجموعة من المؤلفين، (2014). " **العلمانية مذهباً (دراسة نقدية في الأسس والمرتكزات)** ". إعداد: مهدي أميدي. ترجمة: حيدر نجف. بيروت (لبنان): مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

139. مجموعة مؤلفين. (2015). " **التاريخ الشفوي (مقاربات في الحقل الإجتماعي – الأنثروبولوجي)** ". المجلد 02. بيروت (لبنان): المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

140. مذكور، إبراهيم و آخرون. (1975). " **معجم العلوم الإجتماعية** ". إعداد نخبة من الأساتذة. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

141. مسلم، عدنان أحمد. (1421 هـ - 2001 م). " **محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)** ". الرياض (المملكة العربية السعودية): مكتبة العبيكان.

142. مصباح، شروق. (2019). " **الأقليات في أثيوبيا (الأنثروبولوجيا الإجتماعية)** ". القاهرة (مصر): العربي للنشر والتوزيع.

143. المعاني، أبو البراء أسامة بن ياسين. (2000). " **منهج الشرع في بيان النص والصرع** ". ج9. عمان (الأردن): دار المعاني.

144. نجاتي، محمد عثمان، و السيد، عبد الحليم محمود، و آخرون. (1417 هـ - 1996 م). " **سلسلة تيسير التراث (2) (علم النفس في التراث الإسلامي)** ". ج1. القاهرة (مصر): المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

145. هس، شارلين و باتريشاليفي، بيير. (2011). " **البحوث الكيفية في العلوم الإجتماعية** ". ترجمة: هناء الجوهري. القاهرة (مصر): الهيئة المصرية العامة للكتاب.

146. وأعراب، مصطفى. (2007). " **المعتقدات السحرية وطقوسها في المغرب** ". الدار البيضاء (المغرب): دار الحرف للنشر والتوزيع.

147. الوكيلي، يونس. (2021). " **أنثروبولوجيا الشفاء (الرقية الشرعية وصراع أنماط التدين)** ". الدار البضاء (بيروت): المركز الثقافي للكتاب.

148. الياس، سليم. (1427 هـ - 2006 م). " **موسوعة الإغتيالات ومحاولات الإغتيال في العالم** ". ج12. بيروت (لبنان): مركز الشرق الأوسط الثقافي للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع.

149. ياسين، هبة. (1971). " **مشروعية التزين والتجميل (دراسة مقارنة تبحث في عمليات التجميل وموقعها في الشرع بين الإباحة والتحريم)** ". بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.

150. يتيم، عبد الله عبد الرحمان. (2004). " **دفاتر أنثروبولوجية** ". ط2. بيروت (لبنان): المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

151. يحي، أسامة عدنان. (2016). " **السحر والطب في الحضارات القديمة** ". بغداد (العراق): أشوربانيبال للكتاب وبيت الكتاب السومري.

152. يونس، شه ونم، كردو. (1433 هـ – 2012 م). " **الدعاء في شعر العصر العباسي الأول (دراسة أدبية)** ". عمان (المملكة الأردنية الهاشمية): دار الحامد للنشر والتوزيع.

- **المعاجم و الموسوعات:**

1. إبن منظور. (2005). " **لسان العرب** ". ج3. بيروت (لبنان): مؤسسة الإعلمي للمطبوعات.

2. بدوي، أحمد زكي. (1978). " **معجم مصطلحات العلقم الإجتماعية** ". بيروت (لبنان): مكتبة لبنان.

3. الحلبي، أحمد بن فارس بن زكريا و شركاؤه. (1970). " **معجم مقاييس اللغة** ". مصر: (د. ن. غ. م).

4. خليل، أحمد محمود. (2006). " **موسوعة الميثولوجيا والأديان العربية قبل الإسلام** ". دمشق (سوريا): منشورات وزارة الثقافة (مديرية إحياء ونشر التراث العربي).

5. سليم، شاكر مصطفى. (1981). " **قاموس الأنثروبولوجيا (إنجليزي – عربي)** ". جامعة الكويت. مكتبة لسان العرب.

- **المجلات و الدوريات:**

1. الأحمد، سهيل. (2020). " التدابير الشرعية المتعلقة بالنظافة والطهارة لحماية الإنسان من الأمراض المعدية ". المجلة المتوسطية للقانون والإقتصاد. جامعة تلمسان (أبو بكر بلقايد). الجزائر. المجلد 05. **العدد 01**. ص 48.

2. بداد، نادية. (س. ن. غ. م). " النقل عبر الأجيال في الأمراض الجلدية المناعية ". مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية. جامعة الجلفة (زيان عاشور). الجزائر. المجلد 1. **العدد 22.** ص ص 92 – 93.

3. بغالية كحيل، هاجر و ميموني، مصطفى. (2021). " علاج حالات الصرع والفصام بين السحر والرقية الشرعية ". مجلة أنثروبولوجية الأديان. تصدر عن مخبر بحث أنثروبولوجيا الأديان ومقارنتها دراسة سوسيو أنثروبولوجية. جامعة تلمسان (أبو بكر بلقايد). الجزائر. المجلد 17. **العدد 2.** ص ص 45 – 46 – 47.

4. بلالي، العيد و حميداتو، مصطفى. (2018). " الحارث بن كلدة الثقفي (طبيب العرب في الجاهلية والإسلام (ت 50 هـ – 670 م) ". مجلة الشهاب. جامعة الواد. الجزائر. المجلد 4. **عدد 2.** ص 303.

5. بوتفنوشات، حياة. (2014). " وضعية الأمراض المعدية في الجزائر ". مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية. الجزائر. المجلد 2. **العدد 4.** ص ص 180 – 181 – 182.

6. جلجلي، سالمة و شخوم، سعدي. (2020). " حرز في العلاج بالطب الروحاني ". المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية. جامعة سيدي بلعباس (الجيلالي اليابس). الجزائر. المجلد 06. **العدد 12.** ص ص 10 – 11.

7. دبوشة، عادل. (2020). " الطب البديل (العلاج التقليدي) وإتجاهاته الدينية والأنثروبولوجية. دراسة تاريخية وصفية ". مجلة أنثروبولوجية الأديان. جامعة تلمسان (أبو بكر بلقايد). الجزائر. المجلد 16. **العدد 02.** ص 411.

8. رزقي، محمد البشير. (2019). " الأمراض والتطبيب والسياسة الصحية في البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر من خلال وثائق الأرشيف الوطني التونسي ". مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية. جامعة تيارت (إبن خلدون). الجزائر. المجلد 2. **العدد 1.** ص ص 380 – 381 – 382.

9. حمودا، حنان. (2019). " الماء كمنشط أنثروبولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب ". جامعة محمد الخامس (الرباط): **العددان 33 – 34.** ص 147.

10. شرقاوي، حم. (2020). " الممارسات السحرية والعلاجية بالمغرب ". مجلة أنثروبولوجيا (المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة). تصدر عن مركز فاعلون. (الجزائر). المجلد 6. **العدد 1**. ص ص 89 – 90 – 91.

11. فتيحة، تريكي. (1440 هـ – 2018 م). " النباتات الطبية والممارسات السحرية في بلاد الأندلس بين العلم والوهم ". مجلة عصور الجديدة. جامعة وهران 01 (أحمد بن بلة). الجزائر. المجلد 08. **العدد 02**. ص 38.

- **الخطابات و المحاضرات:**

1. الزغيبي، لمى حاكم علي. " **محاضرة علم الحشرات الجنائي** ". ورشة طبية إفتراضية (عن بعد). المنظمة الدولية لحقوق الإنسان أكرانيا – العراق. ورشة على برنامج FCC. بتاريخ: 2020/07/28. الساعة: 08:00. متاح على الرابط: http://join.freeconferencecall.com/unpdoua3

- **الكتب الإلكترونية:**

1. يحيا، أسامة عدنان. " **السحر والطب** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/04/14. على الساعة: 18:59. متاح على الرابط: https://books.google.dz

2. إبراهيم، عبد الله علي. " **الوخز بالكلمات (مجازات سحر الرباطاب ولجام الشرع)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/26. على الساعة: 13:04 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

3. أبو نصر، مدحت. " **قواعد ومراحل البحث العلمي (دليل إرشادي في كتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/01/04. على الساعة: 18:06 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

4. أبو يحي، محمد حسن. " **الطب الوقائي من الحسد وعلاجه (سلسلة دراسات إسلامية (12))** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/11/03. على الساعة: 21:03 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

5. أبو زيد، سمير. " **العلم وشروط النهضة (التصورات العلمية الجديدة والتأسيس العلمي للنهضة العربية)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/22. على الساعة: 15:54 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

6. أحمد، مرشد. " **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/12/10. على الساعة: 15:04 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

7. إسماعيل، عزيز. " **الشعرية في الخبرة الدينية** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/27. على الساعة: 14:24 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

8. باناتي، تشارلز. " **قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء** ". ترجمة: مروان مسلوب وسعاد مفتي. موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/29. على الساعة: 14:10 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

9. بلحاج، نادية. " **السحر والتطبيب في المغرب** ". موقع محمد إسليم. تاريخ الإسترجاع: 2017/10/10، على الساعة: 12:15 د. متاح على الرابط: http://www.aslimmet.free.fr

10. بن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمان. " **الحسد** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/11/01. على الساعة: 18:01 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

11. بودي، ستيفاني سميث و تادي، لورا ماكلافلين. " **تدريس المهارات الأساسية الأربع بإستخدام التكنولوجيا (كيف أستخدم أدوات القرن الواحد والعشرين لتدريس مهارات القرن الواحد والعشرين)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/06/29. على الساعة: 15:06. متاح على الرابط: https://books.google.dz

12. تريكي، مبارك. " **بحوث محكمة في تعليمية اللغة العربية** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/06/26. على الساعة: 14:10. متاح على الرابط: https://books.google.dz

13. ثيسن، هنري كلارنسن. " **محاضرات في علم اللاهوت النظامي** ". ترجمة ومراجعة: هدى بهيج/ سامي ر. مورغان. موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/23. على الساعة: 13:05 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

14. الجبالي، حمزه. " **عالم الجن والشياطين (بيوت تدخلها الشياطين ولا تدخلها الملائكة)**". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/12/14. على الساعة: 20:10 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

15. جوهر، محمد عبد الحميد. " **قصة المرض والميكروب** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/06/09. على الساعة: 13:30. متاح على الرابط: https://books.google.dz

16. الحلبي، علاء. " **الواقع البديل (الحقيقة المجردة)** "، ج1. موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/30. على الساعة: 13:20 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

17. الحيدري، إبراهيم. " **تراجيديا كربلاء (سوسيولوجيا الخطاب الشيعي)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/28. على الساعة: 15:20 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

18. الخصاونه، بلال عدنان ضيف الله. " **عوارض الأهلية عند الأصوليين وأثرها في العبادات (تأصيلاً وتطبيقاً)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2017/03/19. على الساعة: 22:03 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

19. الخليل، سمير. " **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 26/06/ 2020 م، على الساعة: 22:09 ، متاح على الرابط: https://books.google.dz

20.زيناي، طارق. " **محاضرات في التصوف الإسلامي** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2017/01/29. على الساعة: 23:04 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

21. ساعاتي، فهد سيف الدين غازي. " **الإدارة الرياضية (مناهج البحث العلمي في الإدارة الرياضية)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/06/26. على الساعة: 15:30. متاح على الرابط: https://books.google.dz

22. السامرائي، نبيهة صالح. " **محاضرات في مناهج البحث العلمي للدراسات الإنسانية (نموذج لكتابة الأطروحة والدفاع عنها)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2017/03/15. على الساعة: 13:19 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

23. ستبز، بلاكسلاند. " **لمحة عن تاريخ الطب من السحر إلى الطب الجديث** ". ترجمة: أحمد الحكيم. موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/06/22. على الساعة: 10:33. متاح على الرابط: https://books.google.dz

24. سيد سليمان، عبد الرحمان. " **مناهج البحث** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/06/28. على الساعة: 14:22. متاح على الرابط: https://books.google.dz

25. شمسطار، بلدية. " **شمسطار في الذاكرة** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/11. على الساعة: 22:00 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

26. شهيب، عادل. " **ظاهرة السحر والإستقرار الأسري (دراسة حالات بمدينة جيجل)** ". المؤتمر الدولي الثاني لمركز البحوث والإستشارات الإجتماعية/ لندن. موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/04/13. على الساعة: 17:44. متاح على الرابط: https://books.google.dz

27. طمسون، ش. ج. س. " **السحر (طقوسه وأسراره)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2018/04/18. على الساعة: 14:30 د. متاح على الرابط: http://books.google.dz

28. عبابنة، فواز. " **وقف التنفيذ في القانون الجنائي** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/04/06. متاح على الرابط: http://books.google.dz

29. عبد الفادي، عبد الله. " **أسئلة عن الملائكة والشياطين** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2018/06/16. على الساعة: 17:01 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

30. غرانكفست، هيلما ناتاليا. " **أحوال الزواج في قرية فلسطينية** ". ترجمة: خديجة قاسم وإخلاص القنانوة. موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/07. على الساعة: 17:30 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

31. فخري، نضال. " **الطقوس والمعتقدات الشعبية في فلسطين** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/10. على الساعة: 21:30 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

32. فريق تحرير كنيسة الله القدير. " **خراف الله تسمع صوت الله (أساسيات للمؤمن الجديد)**". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2018/10/28. على الساعة: 01:44 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

33. فريق تحرير كنيسة الله القدير. " **شهود لمسيح الأيام الأخيرة (الحقائق العشرون للشهادة لله)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2018/09/11. على الساعة: 14:12 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

34. فضيل، ديلو. " **دراسات في الإعلام الإكتروني (الإشكالات المنهجية، الممارسات ومرحلة ما بعد الإعلام الإلكتروني)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2018/08/12. على الساعة: 22:22 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

35. القرني، عائض. " **الرقية الشرعية** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2019/08/19. على الساعة: 15:19 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

36. القسم العلمي لشركة التراث. " **عالم الجن والشياطين** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/27. على الساعة: 12:51 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

37. كذلك، محمد محمد. " **الشيطان في الأديان القديمة والحديثة** ". سلسلة كتابك العلمي (6). موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/25. على الساعة: 13:35 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

38. كوثراني، وجيه. " **تاريخ التأريخ (إتجاهات – مدارس – مناهج)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/06/26. على الساعة: 21:22 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

39. ل. ك. غ. م، إ. ك. غ. م. " **الإيضاح لعالم الأرواح (حديث صاروخي بين الحسني والطوخي. الروح من المهد إلى اللحد ومن اللحد إلى البرزخ)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/06/22. على الساعة: 19:58. متاح على الرابط: https://books.google.dz

40. ميلز، داغ هيوارد. " **إعرف أعداءك غير المنظورين وإهزمهم** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2018/08/14. على الساعة: 13:10 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

41. النعيم، خنساء حسن. "**حقيقة المرض النفسي (إعرف مرضك النفسي وتخلص منه)**". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2017/02/08. على الساعة: 18:02 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

42. الهواري، عبد القادر. " **الأنثروبولوجيا المستقبلية (مدخل لدراسة مستقبل الشعوب والجماعات)** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/09/01. على الساعة: 12:15 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

43. والتون، جون هـ و ماثيور، فيكتور هـ و تشافالاز، مارك. " **الخلفية الحضارية للكتاب المقدس (العهد القديم)** ". ج2 (الأسفار التاريخية). موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2020/10/03. على الساعة: 14:31 د. متاح على الرابط: https://books.google.dz

44. يوسف، يس عمر. " **شرح القانون الجنائي السوداني 1991** ". موقع قوقل بوك. تاريخ الإسترجاع: 2021/04/06. الساعة: 01:05. متاح على الرابط: http://books.google.dz

- **الكتب باللغة الأجنبية:**

1. Geoffrey, Parrinder. (1958). **" Witchoraft, Penquin book Ltd ".** Australia.
2. Hartmann, Franz. (1924). **" Magic; White and Black or The Science of Finite and Infinite Life Containing Practical Hints for Students of Occultism "**. Seventh Edition. London; Published by Kegan Paul, Trench,Ttubner et Co.
3. Stanislas, Guaita. (2012). **" La clef de la magie noire "**. (Ouvrage orné de nombreuses gravures) Le serpent de la Genèse Seconde Septaine. Genève; Arbre d'Or.
4. Bahri, Hafid et Douaoui, Abdrlkader et Gharbi, Moufida et Amroun, Djamila. (2014), " Point Sur Les Interactions Médicaments – Aliments ". Medical Sciences (Journal Batna). Volume; 1. **N; 2**. P: 100**.**
5. Boulakdem, Nadia. (s. n. g. m). " Magic and Religion ". Journal of the Anthropology of Religions. Issued by: The Anthropology of Religion Research Laboratory and Comparison. Université Aboubeker Belkaid. Tlemcen (Algérie): Vol: 10. **N: 02**. P: 44.
6. Halil, Huseyin. (2018). " La Magie dans le Coran comme un phénomène socioculturel ". Almawaqif, Revue des Recherches Sociologiques et Historques. Université Moustapha Stambouli. Mascar (Algérie): Vol: 13. **N: 02**. P: 4.

7. Lahchem, Kasmia et Kaci, Yacine. (2020). " Télémédecine et introduction des TIC Comme outil de développement du système sanitaire en Algérie ". MAAREF. Volume; 15. **N; 2**. P 182 – 183.
8. Naimi, Nabila. (2021). " Gabbriel Garcia Marquez's One Hundred Years of Solitude as a Metaphor of Reality in a Magical Realist Way ". Journal of Languages and Translatgion. Université Hassiba Ben Bouali. Chlef (Algérie): Vol: 01. **Issue: 01**. P: 46.
9. Ridene Raissi, Faten. (2020). " Quand (Dachra) oscille entre cion de Magie Noire et titre de film horteur: lecture esthétique et analtique ". Magazine Horizons Cinématographiques. Université Oron 1 (Ahmed Ben bella) . Oron (Algérie): Vol: 07. **N: 01**. P: 537.

- **المواقع الإلكترونية:**

1. بلانطارد، نجيمة. " **الساحرة (التدخلات والطقوس)** ". موقع محمد إسليم. تاريخ الإسترجاع: 2018/12/28، الساعة 15:12 د. متاح على الرابط: http://aslimniet.Free.Fr
2. بلانطارد، نجيمة. " **حرب النساء (السحر والحب)** ". الملحق الثقافي لجريدة الإتحاد الإشتراكي. موقع محمد إسليم. تاريخ الإسترجاع: 2018/12/12. على الساعة: 12:12. متاح على الرابط: http://www.aslimmet.free.fr
3. بلحاج، نادية. " **السحر والتطبيب في المغرب** ". موقع محمد إسليم. تاريخ الإسترجاع: 2017/04/12، الساعة: 20:15. متاح على الرابط: http://www.aslimmet.free.fr
4. طويل، محمد. (2019). " **المؤشرات الديموغرافية المفسرة للإنتقال الإبيديميولوجي من الأمراض المتنقلة إلى الأمراض غير المتنقلة** ". مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية. موقع المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة. تاريخ الإسترجاع: 2021/06/12. على الساعة: 09:52 د. متاح على الرابط: http://www.asjp.cerist.dz
5. ناصر، نجاة. " **الطب الشعبي في المجتمع الجزائري** ". مجلة أنثروبولوجيا الثقافة والإجتماع. موقع المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة. تاريخ الإسترجاع: 2021/06/27. على الساعة: 13:45 د. متاح على الرابط: http://www.asjp.cerist.dz

6. أعراب، عبد الهادي. " **السحر لدى المرأة إعتقاد ثقافي أم ممارسة تقاوم الشرط النسوي** ". ثقافات. 1 يونيو2016. (ص. غ. م). موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود. وبتصرف يسير. تاريخ الإسترجاع: 2017/05/16. على الساعة: 18:03. متاح على الرابط: https://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AD%D8%B1-%D9%84%D8%AF%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%--%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%AF-%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%85-%D9%85%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D8

7. بران، جان. " **الرمز والسحر** ". ترجمة: محمد إسليم. موقع محمد إسليم، تاريخ الإسترجاع: 2017/03/13، على الساعة: 12:30. متاح على الرابط: http://aslimniet.Free.Fr

8. جند الله، موقع إلكتروني. تاريخ الإسترجاع: 2017/04/24، على الساعة: 14:14. متاح على الرابط: http://depaj,wordpress-com/2013/04/04/2

9. حجاج، بارا سعيد. " **النباتات وإستخداماتها في السحر والشعوذة** ". معبد الغموص. تاريخ الإسترجاع: 2021/04/27، على الساعة: 15:49. متاح على الرابط**:** http://templeofmystery.com

10. الحيالي، أسماء. " **محاضرات علم السموم** ". تاريخ الإسترجاع: 2018/12/29. على الساعة: 12: 15. متاح على الرابط: http://www.hama-univ.edu.Sy

11. غفور، عبد الباقي. " **أهمية الطب الشعبي وتعايشه مع الطب الحديث** ". المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة. تاريخ الإسترجاع: 2021/06/27. على الساعة: 12:46. متاح على الرابط: https://asjp.cerist.dz

12. كولومب، هنري. " **السحر– الأنثروبوفاجيا والعلاقة الثنائية** ". موقع محمد إسليم. تاريخ الإسترجاع: 2018/05/23. على الساعة: 20:13 د، متاح على الرابط: http://aslimniet.Free.Fr

13. المحواشي، منصف. " **الطقوس وجبروت الرمز (قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول)** ". مجلة إنسانيات. تاريخ الإسترجاع: 2017/06/16. على الساعة: 15:02. متاح على الرابط: http://jornals.openedition.org/insaniyat/4331

14. وأعراب، مصطفى. " **المعتقدات السحرية في المغرب** ". موقع محمد إسليم. تاريخ الإسترجاع: 2018/12/30. متاح على الرابط: http://www.aslimmet.free.fr

الملاحق

دليل المقابلة

✓ تمهيد:

قبل البدء في إستجواب فئة المبحوثين من العينة المختارة بدقة تقمصنا الدور نظراً لصعوبة موضوع البحث الذي يعتبر من ضمن الطابوهات المسكوت عنها في مدينة تبسة؛ حيث كان ذلك عن طريق إجراء مقابلة معمقة ومفتوحة مع كل مبحوث من خلال التردد عليه العديد من المرات إلى حين كسب ثقته التامة ودون أن نزرع الشك والرَّهبة بداخله، حتى نتمكن من تسجيل وتصوير كل ما يطرأ من جديد عن تلك الممارسات والطقوس الشعبية لهذا المعتقد السحري المتوارث من تسميم سحر الأجداد.

✓ محاور الأسئلة:

- المحور الأول: البيانات الشخصية.
- المحور الثاني: الإعتقاد في تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) لدى أفراد المجتمع التّبسي.
- المحور الثالث: معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في الإعتقاد الشعبي التّبسي.
- المحور الرابع: طقس التَّسميم بـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ النّسوي التّبسي.
- المحور الخامس: رقوة الطب الرُّوحاني تنجع في تطبيب مرض السحر المأكول (سحر التوكال) بين الطقس و الأداة لدى أفراد المجتمع التّبسي

- **المحور الأول: البيانات الشخصية**

1. الجنس
2. السن
3. المستوى التعليمي
4. الحالة المهنية
5. الأصل الجغرافي
6. مكان الإقامة

- **المحور الثاني: الإعتقاد في تسميم (توكال العين) و تسميم (توكال الحسد) لدى أفراد المجتمع التّبسي**

1. ما هو مفهوم سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد) لدى أفراد المجتمع التّبسي؟ وما الفرق بين تسميم ضربتهما في القرآن والسنة؟.....

.....

2. كيف ينظر الأفراد التباسَّة لـ الإعتقاد في سحر (توكال العين) و سحر (توكال الحسد

الحواسي؟.....

.....

3. ما هي أنواع و أعراض سحر توكال (العين الحاسدة) لدى أفراد المجتمع التّبسي؟.....

.....

4. ما هي قصص أسحار توكال (العين الحاسدة) في التراث الشعبي التّبسي؟.....

.....

5. فيما تتمثل الرُّقوَّة الرُّوحانية لـ (توكال المعيون) و (توكال المحسود) لدى أفراد المجتمع

التّبسي؟.....

.....

- **المحور الثالث: معتقد التَّسميم بـ وصفات السحر المأكول (سحر التوكال) في الإعتقاد الشعبي التّبسي**

1. ما هو مفهوم معتقد السحر المأكول الحواسي لدى أفراد المجتمع التّبسي؟.....

.....

2. هل يعتقد أفراد المجتمع التّبسي بوجود السحر المأكول المنحدر من الموروث الشعبي السحري؟.....

.....

3. فيما تتمثل وصفات السحر المأكول في المعتقد السحري التّبسي؟.....

.....

4. كيف يتم كتابة وصفات السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي من طرف أصحاب السحر الرسمي المستند على العلم؟.....

.....

5. كيف يتم ممارسة وصفات معتقد السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي من طرف أصحاب السحر الشعبي المستند على التجربة؟.....

.....

- **<u>المحور الرابع: طقس التَّسميم بـ جرعات السحر المأكول (سحر التوكال) من داخل المطبخ النّسوي التّبسي</u>**

1. ما هي خصائص النباتات و الحيوانات و المعادن و خصائص بقايا جسم الإنسان التي تمارس في جرعات السحر المأكول المطبخي لدى أفراد المجتمع التّبسي؟.....

.....

2. فيما تتمثل الأمراض الباطنية في إعتقاد أفراد المجتمع التّبسي المترتبة عن طقس جرعات السحر المأكول التي يرجعونها إلى ملوك الجن والشياطين؟.....

.....

3. ما هو المعنى و المدلول من إثنوغرافيا جرعات السحر المأكول التي تمارس من داخل المطبخ النّسوي التّبسي؟.....

.....

4. كيف هُمش دور سلطة القانون الجنائي التّبسي أمام سلطة جرعات السحر المأكول المنزلي؟.....

.....

5. ما هي الدلالة الرَّمزية من وراء ممارسات وطقوس السحر المأكول لدى أفراد المجتمع التّبسي؟.....

.....

- **<u>المحور الخامس: رقوة الطب الرُّوحاني تنجع في تطبيب مرض السحر المأكول (سحر التوكال) بين الطقس و الأداة لدى أفراد المجتمع التّبسي</u>**

1. ما هي الجذور الأولى لـ قصة مرض السحر المأكول المعدي و غير المعدي لدى أفراد المجتمع التّبسي؟.....

.....

2. فيما يتمثل تاريخ تطبيب السحر المأكول من الطب السحري إلى الطب الحديث لدى أفراد المجتمع التّبسي؟.....

.....

3. ما هي نظرة أفراد المجتمع التّبسي لـ عالم الأرواح الفاضلة غير المؤذية و عالم الأرواح الشريرة المؤذية؟.....

.....

4. كيف يتم تحضير الأرواح الفاضلة في الإستشفاء بـ (الطب الرُّوحاني) الذي أنهى مرض السحر المأكول لدى أفراد المجتمع
5. التّبسي؟.....

.....

6. ما هي ممارسات ووسائل التَّطبيب الرُّوحاني التّبسي لـ مرض السحر المأكول الذي يبدأ بالأداتي وينتهي بالطقوسي؟.....

.....

✓**<u>أسماء المحكمين:</u>**

1. عبد الحسن جدوع عبد العبودي. أستاذ تعليم عالي. تخصص؛ اللغة والنحو. كلية التربية الأساسية. جامعة الكوفة/ العراق.
2. رضوان زعموشي. أستاذ محاضر أ. تخصص؛ علوم التربية. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية (قسم العلوم الإجتماعية). جامعة لونيسي علي – البليدة 2/ الجزائر.
3. محمد نجيب بوطالب. أستاذ تعليم عالي. تخصص؛ علم الإجتماع... وأنثروبولوجيا إجتماعية. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية (قسم العلوم الإجتماعية). جامعة تونس/ تونس.
4. زهرة شوشان. أستاذ محاضر أ. تخصص؛ علم الإجتماع الثقافي. كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية (قسم العلوم الإجتماعية). جامعة آكلي محند أولحاج – البويرة/ الجزائر.
5. سرمد جاسم محمد الخزرجي. أستاذ محاضر أ. تخصص؛ الأنثروبولوجيا. كلية الآداب. جامعة تكريت/ العراق.

ملخص الأطروحة

- **الملخص باللغة العربية:**

هدفت هذه المقاربة من منظور أنثروبولوجي؛ حول ظاهرة معتقد السحر المأكول (سحر التوكال) بمدينة تبسة، إلى معرفة الدلالة الرمزية من وراء هذا الفعل الطقوسي الشائع بين الأفراد خفيةً، وبإعتبار هذا الشكل من الأسحار هو كل ما يدس في طعام الضَّحية إنسان كان أو حيوان، إمَّا بهدف القتل السريع (السحر المأكول الأسود) أو بهدف القتل البطيء (السحر المأكول الأبيض)، حينها يلتزم هذا التَّسمم الإجرامي بسبق الإصرار والترصد، حيث يرافق هذا الإختلاس والإفتراس الجسدي الذي يقوم به الساحر المسمم، تركيبة سُميَّة من وصفات وجرعات السُّم الطبيعي توجه إتجاه الشخص المطعوم، فتمارس في جانبيها: " الطقوسي التَّسميمي " و " التَّطبيبي السحري "؛ حيث أن هذا الأخير يسمى بالعلاج الشعبذي، الذي يتسبب بدوره في سحر مأكول غير مباشر بمعنى توكال فوق توكال آخر سابق له، وهو ذلك المسكوت عنه في المجتمع التّبسي، الذي ظهر جلياً من خلال الممارسات و الطقوس اليدوية حتى وجدناها داخل البيوت والمطابخ، وهذا ما توصلنا إليه من خلال النتائج التي تمَّ تسجيلها أثناء معايشتنا لأفراده، حين تحققنا أن إنتشار إستعمال تلك المقتنيات كثير وواسع، حيث وجدنا فيها تنوع حتى من خلال الوصفات والجرعات الممارسة في مناسبات الأفراح، المآتم، الأعياد الدينية وحتى من خلال الأيام العادية.

وفقاً لذلك؛ فإن مقاربة الموضوع تمت من خلال تفكيك بنية الأفراد القائمين بالفعلين بمعزل عن بعضهما، وتحليل تلك السمات الثقافية المتوارثة من طقوس وممارسات سحر الأجداد، وفي سعة هذا الأفق؛ وبإستخدام المنهج الوصفي والملاحظة بالمشاركة سنحاول مساءلة مجموعة من الممارسات التفاعلية، وفق أفق مركزي يعايش مجمل الإنتقال الإجتماعي: الثقافي، الإعتقادي، التَّسميمي، المرضي والتطبي – روحاني، نوضح ذلك من خلال أربع محاور فرعية يتداخل فيها التحليل الأنثروبولوجي بالسوسيولوجي.

الكلمات المفتاحية: الإعتقاد، السحر المأكول (سحر التوكال)، الممارسة، الطقوس، المرض، الطب الرُّوحاني.

- **الملخص باللغة الإنجليزية:**

This Approach was aimed from an Anthropological perspective; About the phenomenon of the belief in Eaten Magic (Tokal Magic) in the City of Tebessa, To know The Symbolic Significance Behind this Ritual act that is common among individuals in secret, And considering this form of enchantment is everything that is inserted into the food of The Victim, whether a Person or an Animal, Either with the aim of killing quickly (Black Eaten Magic) or with the aim of slow killing (White Eaten Magic), Then this Criminal Poisoning commits itselft to premeditation and premeditation. Where this Embezzlement and Physical predation carried out by the Poisoned Magician, A Toxic Combination of Prescriptions and Doses of Natural Poison directs the direction of the a Person with a Magical Bait, On both sides, it is Practiced: “ poisoning Ritual ” and the “ Magic Medicine ”; Where the latter is called medicine sorcery, Which, in turn, causes indirect Eaten Magic, In the sense of Tokal over a previous Tokal, This is the thing that is silent about Tebessa community. Which was evident through manual Practices and Rituals until we found them inside Homes and Kitchens, This is what we reached through the results that were recorded during our living with its members. When we realized that the widespread use of these collectibles is large and wide, Where we found diversity even through the Recipes and Potions PractiSced on occasions of Weddings, Funerals, Religious feasts and Even during ordinary days.

Accordingly; The approach to the subject was done by dismantling the structure of the actual individuals in isolation from each other, And analyze those Cultural traits inherited from the Rituals and Practices of Ancestral Magic, Using the Descriptive Approach and Participatory Observation, we will attempt to question a set of interactive practices, According to a central horizon, the Overall Ocial Transition is Experienced: Cultural, Belief, Poisoning, Disease and Medication – Spiritual, We explain this through four sub-axes in which Anthropological and Sociological analysis overlap.

Key words: Belief; Eaten Magic (Tokal Magic); Practice; Ritual; Disease; Spiritual Medicine.